

# الحضارة المصرية القديمة

الجزء الأول

الآداب و العلوم



تأليف : د. محمد بيومي مهران

مصر والشرق الأدنى القديم

(٤)

# الحضارة المصرية القديمة

الجزء الأول  
للدواوين والعلوم

الأستاذ الدكتور  
محمد بيومي حيران

أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم  
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والإسلامية  
كلية الآداب - جامعة الإسكندرية

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٩ م

دار المعرفية الجامعية  
٤ شارع ستير - الأزاريطة  
الإسكندرية



والحمد لله رب العالمين

والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين

مولانا وسيدنا محمد وآله الكرام

«اللهم صلى على محمد وعلى آل محمد ، كما صليت على  
ابراهيم وآل ابراهيم وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما  
باركت على ابراهيم وآل ابراهيم، في العالمين انك حميد مجيد»

إهداء

الى الذين هم اعز على من نفسى

الى ابنائى احمد ضياء الدين و ابراهيم والحسين

والى ابنتى اُمــــــــــــــــال و اُمــــــــــــــــل

## تقديم

تقدمنا في الاجزاء الثلاثة الاولى من هذه السلسلة « مصر والشرق الادنى القديم » دراسة شبة مفصلة عن تاريخ مصر السياسى فى العصور الفرعونية ، ومن ثم فقد كان لابد ، وأن نقدم بعد ذلك ، دراسة لأهم مظاهر الحضارة المصرية القديمة ، وما أسهم به المصريون — وهو جد كبير — فى مختلف مناحى الحضارة فى الشرق الادنى القديم ، حتى تكون دراستنا عن التاريخ المصرى القديم متكاملة ، وليس لبيان فضل الحضارة المصرية القديمة على غيرها من الحضارات ، فذلك أمر لا يستطيع أن ينكره جاحد ، أو يرفض الاعتراف به منصف ، كما أن «أستاذية» مصر فى كثير من مناحى الحياة حقيقة ، لا يرفضها حتى الكارهون ، أو يمارى فيها الناقمون ، مهما شاعت لهم كراهيتهم ، والى أى مدى بلغت نعمتهم على كنانة الله فى الارض .

وتقع هذه الدراسة الحضارية فى جزأين ، الواحد : عن الآداب والعلوم ، وهو موضوع هذا الجزء الرابع من سلسلة «مصر والشرق الادنى القديم» ، والثانى : وقد صدرت طبعته الاولى فى عام ١٩٨٤م ، ويتحدث عن الحياة الاجتماعية ، والتنظيمات السياسية والادارية

والعسكرية والقضائية ، فضلا عن دراسة شبه مفصلة للديانة المصرية القديمة ، ويمثل الجزء الخامس من هذه السلسلة (١) .

والله أسأل أن يكون في هذه الدراسة بعض النفع ، والله العزة ولرسوله وللمؤمنين .

(لوما توحيقنى الا بالله عليه توكلت واليه أنيب) «»

الاستاذ الدكتور محمد بيومى مهران  
أستاذ تاريخ مصر والشرق الأدنى القديم  
ورئيس قسم التاريخ والآثار المصرية والاسلامية  
بكلية الآداب - جامعة الاسكندرية

الثامن من المحرم عام ١٤٠٩ هـ  
بولكلى فى } ٢٠ أغسطس من عام ١٩٨٨ م

---

(١) قدم الباحث أربع دراسات أخرى عن تاريخ وحضارة مصر القديمة (انظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الأولى في مصر الفرعونية الاسكندرية ١٩٦٦ ، مصر والعالم الخارجى في عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ م ، حركات التحرير في مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٦ م ، اخناتون : عصره ودعوته - القاهرة ١٩٧٩ م) .

الكتاب الاول

الادب المصرى القديم

كان المصريون القدامى يقدرّون الأدب حق قدره ، ومحبّون بالكلام  
 الجيد والقول البليغ ، وكانوا يرون في اجادة التعبير ، والتصرف في فنون  
 الأدب ، فضلا يمتاز به المرء ، ومثلا ينبغى أن يتخلق به الكريم ، كما كانوا  
 يرون فيه ثروة تعين على المنزلة الرفيعة ، والدرجة السامية ، وهكذا أدرك  
 القوم ما يكون للكلمة من القوة والأثر ، وما تتيحه البلاغة والفصاحة من  
 التسلط على الناس ، وحسن سياستهم والسيطرة عليهم ، ومكان ذلك من  
 مقومات القيادة القوية والزعامة النافذة ، ولنا في ذلك شاهد من قول  
 الملك الالهاسى لولده « مري كارع » وهو يعظه :

« كن مفتتا في الكلام ، قديرا فيه ، مالكا لناصرته ، حتى يعلو شأنك  
 وينب ذكرك ، فقوة المرء في لسانه ، والكلام أقوى من الحرب والقتال ،  
 ان الرجل القطن لا يهاجمه أهل العلم ، وهو بفتنته وحسن بصيرته ،  
 يستطيع أن يتجنب المصاعب ، فلا يصيبه الضر ، ولا يلحق به الأذى ،  
 والصدق يأتي اليه طائعا مختارا مصفى ، حسب ما جاء في كلام الأجداد  
 الغابرين ، انسج على منوال آباءك الذين سبقوك ، أنظر : ان كلماتهم  
 لا تزال خالدة تبض بالحياة فيما خلفوه من كتب ، افتح الكتاب وقرأ  
 ما فيه ، واستفد بعلم أسلافك ، واتبع تعاليمهم ، تصبح عالما حكيما  
 مثلهم » (١) .

وهكذا كان الأدب يقرأ ويدرس للشباب في المدارس ، وكان الطلاب  
 ينسخونه لتقويم ألسنتهم ، وتعليمهم الفصاحة والبلاغة ، وان كثرة ما حفظ  
 من منسوخاتهم منه في عهود مختلفة ، ليدل على ما كان له من شهرة ،  
 ويشير الى مدى تعلق القوم به .

(١) أنظر :

J.A. Wilson, The Inscription for King Meri-Ka-Re, in ANET, 1966, p.415.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, : وكلا  
 p. 181-182.

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975. : وكلا  
 p. 99-100.



هذا وقد بدأ العالم المعاصر يهتم بالأدب المصرى القديم منذ أن نشر العالم الألماني « أدولف ارمان » فى عام ١٩٢٤ ، مقاله الشهير عن بردية الحكيم المصرى « امنسؤوبى » ، وأنها الأساس الذى اعتمدت عليه حكم سليمان النبى ، كما جاءت فى سفر الأمثال من توراة اليهود المتداولة اليوم — الأمر الذى سوف تناقشه فى مكانه من هذه الدراسة بالتفصيل — ومن ثم فقد بدأ شوق الناس يزدد الى معرفة كنه هذا الأدب ، ومقارنته بالآداب الأخرى ، ولم يكن بين أيدي الناس حتى ذلك الوقت ، الا بعض مقالات وأبحاث متفرقة فى المجلات العلمية ، او خفصول فى بعض كتب التاريخ ، هذا فضلا عن كتاب « ارمان » عن أدب المصريين القدامى الذى صدر عام ١٩٢٣ باللغة الألمانية (٢) ، وبحوى ترجمات كاملة لأهم القصص المصرية ، وكتب الحكمة والأناشيد والأغاني وغيرها ، مما كان معروفا وسبقت ترجمته .

وسرعان ما قام علماء الدراسات المصرية بواجبهم ، فنشر « هرمان جرايو » فى عام ١٩٢٤ (٣) ، كتابا يحلل فيه النصوص المصرية ، ويوضح فيه ما بلفته اللغة المصرية القديمة فى مختلف ميادين المجاز والتشبيه والبيان ، البديع والمعاني ، ومقارنتها بغيرها ، وفى عام ١٩٢٧ ظهر كتاب « ماكس بير » (٤) عن الأدب المصرى القديم ، وقد أجاد فيه صاحبه كل الاجادة ، وفى نفس العام ظهرت الترجمة الانجليزية لكتاب « ارمان » (٥) عن أدب المصريين القدامى (٦) ، ثم توالى بعد ذلك المؤلفات فى الأدب المصرى

A. Erman, Die Literature der Aegyptor, Leipzig, 1923. (٢)

H. Grapau, Die bildlicher Ausdrücke des Aegyptischen, Von Dunken und Dichten einer altorientalischen Sprache, Leipzig, 1924. (٣)

Max Feiper, Die Aegyptische Literature, Leipzig, 1927. (٤)

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, Translation into English, by A. M. Blackman, London, 1927, Reprint, New York, 1966, under title, The Ancient Egyptians. (٥)

(٦) أحمد فخري : تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى — الأدب

المصرى — القاهرة ١٩٦٢ ص ٢٧١ .

القديم ، نشرًا وترجمة وتعليقًا ، بلغات مختلفة (٧) .

وهكذا بدأ علماء الساميات — من أمثال جرمان (٨) وأوسترلي (٩) وهومبير (١٠) ويهودا (١١) — في دراسة الأدب المصري القديم ، وسرعان ما أثبتت نتائج دراساتهم ، مدى ما وصلت له لغة المصريين القدامى في مختلف ميادين المجاز والتشبيه والبيان والبديع ، ومقارنتها بغيرها ، فضلًا عن أثرها الواضح في التوراة ، حتى أصبحنا الآن على قدر من المعرفة ، ربما يمكننا أن نقدم به صورة شبه متكاملة عن الأدب المصري القديم .

ومع ذلك فليس هناك من ريب في أن المعروف حتى الآن من أدب القوم ، ما يزال في نظر العلماء أقل من حيث الكم ، وربما من حيث الكيف كذلك ، مما ينتظر من الفراعين ذوي الامكانيات الواسعة في عالمي الفكر والمادة ، مما يدفع الى الاعتقاد ، بأن ما وقمت عليه أيدينا حتى اليوم لا يمثل غير جزء من ثروة المصريين الأدبية والعلمية ، فما أكثر الذي ضاع ، وما أكثر ما يزال تضم أرض مصر الطيبة من كنوز هذا التراث القومي ،

(٧) انظر مثلا :

Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, Volume, I, The Old and Middle Kingdoms, Volume, II, The New Kingdom, London, 1976.

R. O. Faulkner, E. F. Wente and W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, Yale University Press, 1977.

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 3-36, 365-381, 405-421, 441-449, 467-71.

G. Posener, Litteratur et politique dans L'Egypte de la XIIe dynastie, Paris 1956.

Hugo Gressman and Others, The Psalmists, Oxford, 1926. (٨)

W. O. E. Oesterley, The Wisdom of Egypt, Egypt and The Old Testament London, 1927. (٩)

Paul Humbert, Recherches sur les Sources egyptiennes de la Litterature Sapientiale d'Israel, Nouchatel, 1929. (١٠)

A. S. Yahuda, Die Sprache des Pentateuch in ihren Beziehungen Zum Aegyptischen, Erstes Buch, 1929. (١١)

JEA, XVI, p. 157-160.

: وكذا

على أن هذا القدر المعروف - رغم قلته الراهنة - إنما يدل بوضوح على أن أدب المصريين القدامى ، إنما قد اتصف بما اتصفت به الآداب للعالمية الثرية من أصول وتوزيع ، وذلك من حيث تقسيمه الشكلى الى قتر وشعر ومن حيث تفرعاته الموضوعية (١١٣) .

ثم هو يمثل أكثر اتجاهات القوم فى الحياة أصدق تمثيل ، كما يؤكد لنا أن المصريين القدامى ، ان لم يكونوا قد وضعوا الأساس الأول من بناء الفكر الانسانى الرفيع ، فانهم قد كانوا من أئمة الناس فى ذلك (١١٣) .

وعلى أية حال ، فلقد عالج القوم فى آدابهم نواحي مختلفة من الأدب فكتبوا فى المواعظ وآداب السلوك وما ينبغى التخلق به فى الظروف المختلفة ، وضمنوها الأمثال والحكم الخالدة على مر الأيام ، وكر السنين ، وأنشأوا المقالات فى الإصلاح السياسى لعلاج ما تشقى - فى فترة ما - من مساوىء ، وما حل بالمجتمع من نكبات ، وصنفوا الرسائل فى المناسبات والأغراض المختلفة، فى التهنانى والتواصى والتمنيات والتراجى، والتفاضل والمفاخرة وغير ذلك من مطالب الحياة ومقاصدها ، وحاكوا القصص القصيرة المختلفة، حتى ليعتقد أن مصر هى موطن القصة القصيرة، وصاغوا الأناشيد ، وألفوا الأغاني ، بل وألغوا التمثيليات الدينية يمثلونها فى أعيادهم لآلهتهم وملوكهم ، الأمر الذى يدل على أن كثيرا من النصوص الأدبية المصرية لم تقتصر أهميتها على كونها تراثا أدبيا فحسب ، بل انها إنما تقدم لنا بعدا لتسايا للحضارة المصرية القديمة التى لا يعرف عنها الشخص العادى ، سوى المقابر والتوابيت والتماثيل ، بل ان كثيرا من الناس كانوا يمتقدون - الى عهد قريب - أن حضارة مصر الفرعونية ليست الا حضارة مادية فى الدرجة اولى ، وأنها هذه الشوامخ الراسيات

- 
- (١١٢) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم - الجزء الأول - مصر والعراق - القاهرة ١٩٦٧ ص ٣٢٥ .  
(١١٣) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : تفرغ التربية والتعليم فى مصر - الجزء الأول - العصر الفرعونى - القاهرة ١٩٧٤ ص ٧٠ .

على أرض الكتابة ، من الأهرامات والمعابد والمسلات وغيرها من الآثار  
المصرية « ليست الا رمزا للاستعباد والسخرية (١٤) » .

غير أن هذه الصورة التي تمثلها ، ونحن قرأ النصوص الأدبية  
المصرية انما تكذب ذلك كله « كما تكذب أيضا ما يقال من أن المصرى  
القديم لم يكن يفكر الا فى الموت ، حيث ثبت لنا أنه كان يحب الحياة ،  
كما تدل على ذلك قصائد المعبين التي تشير الى تمتع مرهف ، سواء أكان ذلك  
فى المرأة أم فى الطبيعة ، كما يتردد فيها أصداء النشوة والهناء والمرح ،  
ذلك لأن كثيرا منها انما يتحدث عن رحلات الصيد والقنص فى أحراش  
الدلتا وأطراف الصحراء ، وعن الرقص والموسيقى والغناء » .

هذا وقد عرف المصرى القديم أيضا الأدب الروحاني ، وسما فيه الى  
قمم عالية ، وفى أشعار اخناتون أبلغ دليل على ذلك ، كما عرف المصرى  
القديم كذلك شعرا تغلب عليه النزعة الفلسفية ، وبصت بصورة رمزية فى  
رحلة الانسان بين الميلاد والمات (١٥) .

وهكذا تعددت ميادين الأدب المصرى وتوسعت مراميه ، فهناك  
الأدب الدينى ، وهو أغنى فروع الأدب مادة وأوفرها ثروة ، لأنه يتناول  
نواحي متعددة وموضوعات شتى ، فمنها موضوعات تتناول الحياة الأخرى  
وعقيدة الناس فى البعث والحساب ، الى أخرى تحدثنا عن عقيدتهم فى  
خلق الكون ، وما أنشأوا حول ذلك من صور وأخيلة ، ثم ما يدور حول  
معبوداتهم المختلفة من قصص وأساطير ، كما تضمن هذا النوع من الأدب  
عددا كبيرا من الصلوات والطقوس والأناشيد والشعائر الدينية ، ثم من  
الأوراد والأدعية والتاليف السحرية .

---

(١٤) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفرانسة

— الاسكتندرية ١٩٦٦ ص ٢ .

(١٥) منير مجبى : الجزيرة المسحورة — القاهرة ١٩٧٢ ص ١٢ .

ولعل من أروع الآداب الدينية وأقدمها « متون الأهرام » (١٧٥) ، وهي لون من التصورات والأخيلة والملاحم التي تعبر عن أفكار المصريين الأولى في الدين والسياسة ، ومدى صلتها بفرعون ، كما تصور آمالهم في الدنيا والآخرة ، سجلت كلها على جدران بعض الأهرام منذ أواخر الأسرة الخامسة ، واستمر تسجيلها في الأسرة السادسة ، وكان الغرض من تسجيلها أن تكون عونا لفرعون المتوفى على بلوغ أسباب السماوات « وغزاء له عما يلتقى في سبيله الى الجنة من عقبات ، ثم براءة يلتقى بها ربه

(١٦) يذهب الدكتور أحمد فخري الى أننا لا يمكننا ان نعتبر متون الأهرام من المواضيع التي تدخل في باب الادب ، وان كانت من الناحيتين الدينية واللغوية ذات أهمية بالغة ، ونساعدنا في فهم كثير من النقاط الغامضة من حضارة المصريين القدامى بوجه عام ، وديانتهم بوجه خاص . ( أحمد فخري : تاريخ الحضارة المصرية (١/٣٧٤) .

وطى اية حال ، فلقد كان « جاستون ماسبيرو » أول من اكتشف متون الأهرام في عام ١٨٨٠ م ، داخل هرم « وناس » ( ونيس ) ، ثم حثر بعد ذلك على كثير منها في أهرام ملوك الأسرة السادسة ، بل في أهرام بعض ملكائها ، وهي مجموعة من التعاويل السحرية والطقوس الجنائزية ، وأجزاء من بعض الأساطير المصرية القديمة ، يرجع تاريخ بعضها الى ما قبل الأسرة الأولى ، بل فيها اشارات الى الحرب التي قامت في مصر في أوائل أيامها على أنها حرب بين الالهة التي عبدت في تلك الايام وعلى كل فهي تختلف من هرم الى آخر ، بل ان الكهنة الذين أشرفوا على اختيارها لكل ملك ، كانوا يختارون البعض ، ويتروكون البعض الآخر ، وقد قسمها « كورت زينة » الى ٧١٤ فقرة ، وأما الهدف منها فكان ضمان سعادة الملك في العالم الآخر حيث تفتح له ابواب السماوات التي حرمت على غيره من الناس ، فضلا عن تحويله الى نجم من النجوم التي لا تفتى ، والى اله الشمس ، او على الأقل ، ليكون في ركاب اله الشمس ، ومن أهم الدراسات عن نصوص متون الأهرام ، دراسات :

S. A. Mercer, The Pyramid Texts in Translation and Commentary, 4 Vols, New York, Toronto, 1952.

K. Sethe, Die altagyptischen Pyramidentexte, 4 Vols, Leipzig, 1908-1922, Reprint Hildesheim, 1969.

R. O. Faulkner, The Ancient Egyptian Texts, 2 Vols, Oxford, 1969.

فى عالم السلوات ، ذلك أدب خاص كان وقفا على الملوك ، أرادوا أن يظفروا به قيمتهم فى الدنيا والآخرة ، ولعلمهم لجأوا الى تسجيله ، حينما كشف العطاء عن عيون الشعب ، فأخذ يرى بعض ما كان خافيا عليه من قبل ، هنالك ارتفعت البراقع عن وجه الحياة فأخذ القادرون من أفراد الشعب يقلدون الملوك .

ولما كانت أيام الدولة الوسطى وتطورت عقائد الناس بعض الشيء ، استعير عن متون الأهرام بأخرى قد تشبهها فى أهدافها ، ولكنها تغاثلها من حيث الاكتفاء بتدوينها على جدران التوابيت فحسب ، وسماها العلماء « متون التوابيت » (١٧) ، ثم أخذت العقائد سبيلها فى التطور ، حتى اذا ما كانت أيام الدولة الحديثة استعاض الناس عن «متون التوابيت» بأخرى تختلف عنها فى أسلوبها وترتيبها ، وفى أنها كانت تكتب على قرطيس البردى ، وفى أنها كانت آخر الأمر أكثر شعبية ، واصطلى العلماء على تسميتها « كتاب الموتى » ، وهى لا تخرج عن كونها رقى وأدعية وأحرازا يرجى أن تنفع الميت فى الآخرة (١٨) .

وكان الأدب فى أول الأمر واقعيا ، يميل الى التعبير الدقيق السليم بعيدا عن المحسنات ، ولكن تطور الظروف السياسية غير من أساليبه حتى ليستطاع وضع حد فاصل بين ألوان الأدب فى مختلف العصور ، مما يشير الى ما طرأ على البلاد من هضبة أو تدهور أو رغبة فى لم الشمل أو ثورة تستهدف الخلاص من نير المستعمر ، أو الركون الى الدعة بمد الاطمئنان الى قيام دولة تستطيع أن تفرض رأيها على غيرها من الدول ، ولقد وصل الأدب الى قمته قبل عهد الدولة الحديثة فى عهود الكفاح ، ثم ركن من بعد ذلك الى المحسنات اللفظية ، فأضاع قواه وبددها .

(١٧) انظر عن : متون التوابيت وكتاب الموتى ( محمد بيومى مهراى : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٤٤٩ - ٤٥١ ) .  
وكذا : A. de Buck, The Egyptian Coffin Texts; ed. A. de Buck and A. H. Gardiner, 7 Vols, Chicago, 1925-1961.

(١٨) احمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٧٠ - ٧١ .

ولقد ظل أدب الدولة القديمة مثلاً يحتذى فى مختلف العصور ، حتى ليرى القوم فى عهد الدولة الحديثة يتمثلون به ويقلدونه ، حين أحسوا بأنهم لا يستطيعون أن ينحو نحوه أمام واقعية الحياة التى يحبوها ، وإن أفسدوه بمحسنتهم التى ظنوا أنها تغطى عيوب أسلوبهم ومراميه (١٩) ، وعلى أية حال ، فرغم ما يبدو فى أدب الدولة القديمة من بداهة وجفاف أحيانا ، ومن جزالة وعنجهية حيناً آخر ، فالأمر الذى لا شك فيه أن أدب الدولة القديمة لا يغلو من رقة وبلاغة ، يبدو ذلك واضحا فى تعاليم الوزير « بتاح حتب » ، وفى كثير من نصوص لوحات المقابر ، وعلى العموم فإن المرء انما يستطيع أن يلمس بسهولة الأمل القوى فى أدب الدولة القديمة ، بعد أن وضع المصرى الأسس القوية لحضارته العريقة ، والتى أعطته الرضا والثقة فى المستقبل .

هذا وكان للتطور الاجتماعى والتغير السياسى الذى صاحب عهد الثورة الاجتماعية الأولى ، أثر واضح على الأدب ، فلمسه فى الأسلوب المختلف للتصايد ، وفى ظهور نوع جديد من الأدب ، هو أدب النقد والسياسة ، ومن ذلك آراء الحكيم المصرى « ايبو - ور » فى تحذيراته المشهورة (٢٠) ، التى تحدث فيها عن الاضطراب الخلقى والقوضى فى المجتمع ، مما مهد لنوع آخر من الشعر والنثر يتحدث عن اليأس والمزلة (٢١) وفى العصر الالهناسى بدأ بعض الملوك يقدمون لأولياء عهدهم خلاصة تجاربهم فى السياسة ، حتى يكون لهم من تجارب الآباء ما يفيدهم فى ادارة شئون البلاد ، ومن ذلك تلك النصائح التى وجهت الى الملك « مرى

(١٩) نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية للتحفيمه - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٤٨٨ - ٤٨٩ .

A. H. Gardiner, *The Admonitions of an Egyptian Sage*, (٢٠) Leipzig, 1909, Reprint Hildesheim, 1969.

(٢١) انظر : بردية اليانس من الحياة فى

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 406-407.

A. Erman, in LAE, 1927, p. 86-92.

R. Weill, in BIFAO, 45, 1946, p. 89-154.

كارع ٣٣٤ ، ذات المضمون السياسي والأخلاقي ، وقد صيغت في أسلوب أدبي رائع ، حتى اعتبرها القوم من القطع المأثورة التي يحفظها الطلبة .

هذا وقد تميز أدب الدولة الوسطى بالبساطة والواقعية والاعتزان ، وقد اعتبره المصريون أنفسهم مثالا يحتذى في البلاغة وجودة التعبير وبداعة التصوير ، وكان المعلمون والتلاميذ ينسخونه في جميع العصور ، ثم يقرأوه ويحفظونه وينسجون على منواله ، كما ظال لديهم طوال عصور التاريخ التالية باعتباره الأدب الكلاسيكي (٣٣) ، وعلى أية حال ، فإن استتباب الأمن والأمان - سياسيا واقتصاديا - انما يتبعه في غالب الأحيان ، ازدهار في الفكر والأدب ، ومن البدهي أن هذا انما ينطبق على عصر الدولة الوسطى ، ولدينا شواهد كثيرة عن النهضة الأدبية في ذلك العصر ، مثل « قصة سنوهي » (٢٤) ، والتي تمثل في الواقع بداية نوع جديد من القصص التحليلي الذي يتم - الى جانب سرد الأحداث - بدراسة نفسية البطل ، وتحليل مشاعره ، في أسلوب قوي ، خال من الزخرف المبالغ فيه .

وجامت الدولة الحديثة ، وتكونت الامبراطورية المصرية الشامعة ، ورأت مصر رخاء وثراء لم تشهد من قبل ، واتصلت مصر بشعوب أسيوية كثيرة ، وتعرفت عاداتها وتقاليدها وآدابها ، وبدأ يظهر ذلك الثراء والترف

A. Erman, LAE, p. 75-84.

(٢٢) انظر

J. A. Wilson, ANET, p. 414-418.

وكلا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 97-109.

A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 20-36.

وكلا :

(٢٣) أحمد مد بدوي ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق

ص ٧٢ .

(٢٤) انظر

G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L'epoque Pharaonique, Paris, 194, p.

A. Erman, LAE, p. 14-29.

J. A. Wilson, ANET, p. 18-22.

وكلا :



فى الأدب العاطفى والعنائى بصورة خاصة ، وعلى أية حال ، فاذا كان أدب الدولة القديمة انما حاول أن يناهض التراث القديم، ويفرض صورة جديدة فان الأدب الكلاسيكى انما ظل محتفظا بسطوته كرمز للأسلوب الأدبى ، ولئن شاع الأسلوب القصصى الذى يفهمه العامة ، فان معنى ذلك لم يكن سوى توسيع الشقة بين جمهرة الناس ، وبين تفهم الأسلوب القديم ، حتى غدا بالنسبة لهم كأسلوب الشعر الجاهلى بالنسبة لعامة للناس اليوم ، فلم يعد عامة القوم فى الدولة الحديثة يستسيغون — أو على الأقل يتفهمون — رصانة الأسلوب القديم وقوته وبلاغته (٢٥) .

وفى عصر العمارنة ، انتشرت اللغة الدارجة التى حلت محل اللغة التى كانت مستعملة منذ أيام الدولة الوسطى بأجرومييتها القديمة ، ونشأ عن هذا التطور لغة مكتوبة نسيها « اللغة المصرية الحديثة أو المتأخرة » (٣٣) وقد أدى ذلك الى أن تصبح اللغة القصصى ذات الأسلوب الأدبى الذى يتميز به الكتاب ، والتى كانت غير مفهومة الى حد كبير من العامة ، عرضة للتغيير ، ومن ثم فسرعان ما وجدت التعبيرات العامية طريقها الى الأدب ، فضلا عن النصوص الديئية ، وهكذا أصبحنا تدريجيا نرى الكثير من العامية فى النصوص الأدبية والمرسية ، فضلا عن النصوص العلميسة الخاصة (٣٣) .

وفى الأدب — كما فى الفن — استبعدت النغمة الرزنية ، فهناك نص يعبر فيه كاتبه للفرعون عن الأمل فى أن يعيش طويلا فى العمارنة « حتى يسود البجع ، ويبيض الغراب ، وحتى تروح الجبال وتجىء ، وحتى

(٢٥) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٨٩ .

(٣٦) محمد بيومى مهران : أخناتون : عصره ودعوته — الاسكندرية

١٩٧٩ ص ٤٢٨ — ٤٣٠ .

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, New York, 1959, p. 282.

(٢٧) أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ١٤٨ ، وكلا

Elconore Billo-De Mot, The Age of Akhenaten, Translated from French, by J. Lindsay, London, 1965, p. 83.

يسرى الماء نحو المنبع » ، هذا ويجب أن يكون لدى الملك كنوز « بقدر  
حبات الرمل على شاطئ البحر ، وبقدر الفلوس على السمك ، وبقدر  
الشعر على الثيران » ، وأن يحتفل بأعياده الثلاثينية « بقدر ما للطيور من  
ريش ، وما للأشجار من ورق » (٢٨) .

هذا ولم يقتصر الأمر على تسرب الروح الشعبية والتعبيرات العامية  
الى كل من اللغة والأدب ، وإنما ظهر كذلك تأثير أجنبي قوى فى اللغة ،  
وذلك بإدخال كلمات من اللغات الأسيوية ، ليظهر الكاتب نفسه بأنه  
ذو ثقافة ولسعة ، وأن كل البلاد وطن له ، ومن ثم نراه يذكر كلمة  
« ماريانو » (Maryanu) بدلا من « فارس المصرية » ، وكلمة  
« مركبة » (Merkobet) بدلا من الكلمة المصرية للعربة ، وكلمة  
« مجدل » (Migdol) بدلا من الحصن ، وكلمة « أكوفوا »  
(Akunu) بدلا من الجرة ، واستحدثوا طريقة لكتابة تلك  
الكلمات وغيرها من الأسماء الأجنبية ، ظلت مستخدمة أجيالا عدة بعد  
ذلك (٣٠) ، على أن ما حدث فى عصر الممارة ، إنما أدى الى انفتاح  
المجالات أمام عصور الرعامسة ، مع انتشار التعليم فيها ، وكثرة ما قبلته  
من ألفاظ شرقية دخيلة ، وأخيرا حاولت العصور المتأخرة احياء أساليب  
الدولتين القديمة والوسطى فى بعض نصوصها ، حتى أن تمكن عليها  
أمجاد أهلها .

وأما عن الحدود الزمنية لتقسيماتها ، فليس من اليسير تحديد عهد  
معين لنشأة الأدب المصرى القديم فى أول أطواره ، فلا شك أن أهل ما قبل  
التاريخ الذين لم يعرفوا الكلمة المكتوبة ولم يتركوا لنا أدبا مدونا ، كانوا  
ستمتمون - على الرغم من ذلك - بالقصة الشفهية ، والأغنية الشعبية ،

(٢٨) أدولف ارمان : المرجع السابق ص ١٣٥ - ١٣٦ ، وكذا

E. Bille De-Mot, Op-Cit, p. 83.

N. de G. Davies, The Rock Tombs of El-Amarna, III, p. 329.

J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963. (٢٩)  
p. 220.

والبطولات المروية ، مما لم تحتفظ منه مكتوبات العصور التاريخية  
الا بتف ضئيلة متفرقة (٣٠) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة هنا الى عدة نقاط بشأن الأدب  
المصرى القديم ، منها :

أولا - ان هذا الأدب لما قد تضمن الفث والسمين - شأنه في  
ذلك شأن أى أدب قديم أو معاصر - وان كان السمين هو الذى يستشهد  
به عادة أكثر من غيره ، للدلالة على أسى ما وصل اليه تفكير أهله ،  
ومنها :

ثانيا - أن أية ترجمة لهذه المختارات لن تبلغ من نفس القارىء  
المعاصر ، ما بلغت من نفوس أصحابها القدامى ، حين ألقت لهم بلغتهم  
وتذوقوها بروحهم ، وذلك على الرغم من أن ما نستشهد به منها تتجاوز  
فيه عادة عن صور التكرار الممهودة فى الآداب القديمة كلها ، والتي  
لا يستسيغها الذوق الحديث .

ومنها : ثالثا - أنه ما من واحدة منها قد خلصت لفرع محدود من  
فروع التأليف ، وانما هى قد تجمع فى طياتها أحيانا بين معالم الأسطورة  
والتاريخ والمقائد والعبرة والحكمة ، وبين طلاوة الأسلوب ، فى آن واحد

ومنها : رابعا - أنها ، بمجموعها وروحها ، وان عبرت بصدق عن  
خصائص يئتها الطبيعية والعرقية والاجتماعية فى تصوراتها وتقاليدها  
وآلامها وآمالها ، الا أن ثمة سمات عامة وصلت بينها وبين أمثالها من  
الآداب القديمة الأخرى ، مثل ضخامة التأثير الدينى ، وكثرة التكرار فى  
معانيها ، فضلا عن تقاربها منها فى صور التعبير عن الغرائز الانسانية  
والمواقف الفردية - لا سيما منذ ظهر التأثير والتأثر بينها وبين آداب جيرانها  
فى أيام الدولة الحديثة (٣١) .

(٣٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٦ .

(٣١) نفس المرجع السابق ص ٣٢٥ .

هذا وقد عرف المصريون الشعر من غير شك ، وكافت له أوزانه التي يلتزمونها والقوافي التي يراعونها ، وقد يقف جهلنا بالنطق الصحيح — بسبب اسقاط المتحركات وانعدام الحركات — كما يقف جهلنا أيضا بوضوح الضبط على المقاطع ، عقبه في سبيل ضبط النطق الصحيح للكلمات ، مما يجعل متابعة الوزن الشعري على هذه الصورة أمرا عسيرا ولكن مطالعة الأناشيد الحماسية أو المدائح الدينية أو أهازيج النزل ، أو أغنيات النصر ، تصحح عن التزام أوزان وقوافي معينة من غير شك ، وأبسط ألوان الشعر ، كما نعلم ، التزام قافية الشطرين أو البيتين القصيرين ، والتزام وزن واحد فيها ، وقد ظهرت بعض الأشعار التزم أصحابها في آياتها الصدر دائما ، بحيث يتكرر في كل بيت ، بينما يتغير العجز ، كما ظهرت بعض الأشعار حيث يكرر الشطر الثاني في معنى مقابل للشطر الأول أو مساو له ، بقصد التوكيد ، وهو المعروف بشعر التساوي في الشطرات المتقابلة ، وقد تقسم القصيدة الى فقرات تحوى كل منها عدة آيات تصاغ على نمط واحد ، وهذا النوع من القصائد يكاد يكون مقصورا على المدائح الدينية وأناشيد الملوك ، هذا وقد كانت الفقرات ثلاثية أحيانا ، ورباعية أحيانا أخرى ، وان زادت الأبيات في الفقرة الواحدة في المناسبات حتى تبلغ عشرة آيات ، وهى فى هذه الحالة تخضع كذلك للثلاثيات أو الرباعيات ، وقد اتشرت ، فيما وصل إلينا من شعر ، ضروب البلاغة ، وخاصة فى الدولة الحديثة ، من محسنات لفظية وجناس ومجاز واستمارة (٣٣) .

وعلى أية حال ، فإن العلماء قد تعارفوا على أن للشعر المصرى القديم خصائص يمكن أن نجعلها فى النقاط التالية :

أولا : أن القصائد فى الأدب المصرى القديم انما كانت مقسمة الى فقرات وأبيات ، ليس بالضرورة أن تكون متساوية فى الطول ، من حيث عدد سطورها ، ولكنها تبين بوضوح أنها مقسمة الى أقسام :

(٣٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٠ .

ثانيا : تكرار استخدام التماثل ، كمظهر آخر من مظاهر هذا التشابه فتأخذ الفكرة الواحدة تعبيراً مزدوجاً ، حتى أن السطر يتكون فيها من جملتين قصيرتين ، توجد في كل منهما نفس الفكرة بصيغة مختلفة عن الأخرى .

ثالثا : أن التشابه يتمثل كذلك فيما يبدو من أن السطور الشعرية إنما تحتوي على عدد محدد ومنتظم من الأرقام .

رابعا : تكرار التلاعب بالألفاظ ، وورود ألفاظ كثيرة متشابهة التطور جنبا إلى جنب ( الجنس والطباق ) وقد كان الشعراء المصريون القدامى مفرمين بتجنيس حروف بداية الكلمات المتتابعة .

خامسا : الاستعمال الغريب الذي كان يظهر أحيانا ، وهو الذي كان تؤخذ فيه كلمة وردت في سطر ، ثم تكرر في السطر التالي ، كما كانت الاستعارة كثيرة الاستعمال أيضا ( ٣٣ ) .

وأما مجالات الأدب المصري القديم التي سوف نتعرض لها في هذه الدراسة ، كل في فصل مستقل ، فهي :

- ١ - أدب الأسطورة .
- ٢ - أدب القصة .
- ٣ - أدب الأناشيد .
- ٤ - أدب الملاحم والمدائح والغناء .
- ٥ - أدب الصوار .
- ٦ - أدب الحكمة والنصائح .
- ٧ - أدب النقد والسياسة .

## الفصل الثاني

أدب الأسطورة

كان أدب الأسطورة من أوائل الآداب المترابطة ذات الفكرة والحبكة لا سيما منذ احتضنها رجال الدين لاتصالها بمقائدهم ، واحتضنها رجال الحكم لاتصالها بذكريات أجدادهم « وقد أحب القوم تلك الأساطير لتسميتها ، ولأنها صورت لهم المعبودات فى صور بشرية لطيفة مألوفة ، فهى تأكل وتشرب وتتزوج كما يفعل البشر، وهى ترضى وتغضب وتتخاصم كما يفعل البشر ، ثم هى تعيش آخر الأمر « كما يعيش الملوك والأمراء من سادة البشر(١) ، ولعل أهم هذه الأساطير :

- ١ - أسطورة أوزيروس .
- ٢ - أسطورة حور والعقارب السبعة .
- ٣ - أسطورة النزاع بين حور وست .
- ٤ - أسطورة هلاك البشرية أو ابقاها .
- ٥ - أسطورة حيلة ايزة .

(١) حاول المصرى القديم فى تصوره الاسطورى أن يفهم فى عبارات على لسان البسر ، شخصا أو حادنا أو مجموعة من الناس أو نتائج بعض الأحداث التى يرجعها الى العالم الالهى ، ويقصد بمعبدة « العالم الالهى » مالا يستطيع الانسان تفسيره بعقله وبأدراكه الحسى ، ولو كان هذا الشيء موجودا ، ويحدث الاجرام الطبيعية كالسما والشمس فى عقل المصرى القديم أنها تنتمى الى العالم الالهى ، ولا يمكن للانسان فى أى زمان أن يدرك بعقله أى كائن من العالم الالهى ، الا بالرمز ( عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية ص ٣٠ ) ، والرمز : هو مظهر المحاولة البشرية فى جعلها عنصرا من العالم الالهى ملموسا على أسس بشرية ، أى على أسس المنطق والادراك الحسى ، على الرغم من أن ذلك لا يتفق بالضرورة مع قوانين الطبيعة ، وكان حكماء المصريين حوالى عام ٣٠٠٠ قبل الميلاد ، عالين بتلك الحقيقة ، ولم يخطئوا رمزا بحسابه نسخة لما يمثله « وربما اخذ الرمز المصرى بهذا المعنى شكل شيء أو فعل أو الفاظ ، وبينما لم يكن كل رمز تصورا اسطوريا ، فقد كان كل تصور اسطورى رمزا لكائن من العالم الالهى ، وواضح أن رمزا من الرموز انما يصلق اذا جعل شيئا من العالم الالهى مفهوما فى الحدود الانسانية ، ويقدر تقبل عقيدة الانسان له ( رودلف آتس : اساطير العالم القديم - ترجمة أحمد عبد الحميد ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر - القاهرة ١٩٧٤ ص ١٩ - ٢٠ ) .

٦ - أسطورة البهتان والصدق .

٧ - أسطورة مولد حثشبسوت الآلهى .

١ - أسطورة أوزير وست :

لعل هذه الأسطورة انما هى أقدم الأساطير المصرية وأروعها ، حتى أننا مازلنا نجد فيها من متاع الروح وعزاء النفس أكثر من غيرها ، فنسيج هذه الأسطورة مصرى أصيل ، ومن وحي الطبيعة المصرية الصادقة ، فلقد خال القوم الأرض والسماء زوجين من ذكر وأقوى ( جب ونوت ) ، وخالوهما أول الأمر رقنا ، ثم انفصلتا فانتشر الهواء بينهما ، ثم ولد لهذين الزوجين من البنين اثنان ، هما أوزير وست ، ومن البنات اثنتان هما ايزة ونبت حت ( نفثيس ) (٢) .

فأما « أوزير » فقد تزوج من أخته « ايزة » (٣) ، وورث عن أبيه ملك الوادى ، فسار فى الرعية بالعدل والحكمة ، وقدم للناس من الأعمال الصالحات ما جعله فى مجال الخير اماما ومثلا ، علم للناس الزرع والضرع وشرع لهم الأحكام والقوانين ، وطاق فى أقطار الدنيا يشير بالخير والعدل وطبقا للأساطير المتصلة بأوزير ، فان الناس فى ذلك العصر المبكر ، كانوا ما يزالون فى بربرية يأكلون لحوم البشر ، وأن أوزير (٤) قد علمهم

(٢) انظر من : فكرة الخلق عند المصرى القديم ، والنظريات التى دارت حولها ( محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٢٤٣ - ٢٦٥ ) .

(٣) انظر عن : أوزير وايزه ( محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٢٨٦ - ٢٩٨ ، ٣٤٣ - ٣٤٦ ) .

(٤) يلحظ « ياروسلان تشرنى » الى أن اسم « أوزير » الذى اشتق منه الاسم الاغريقى « أوزيريس » يبدو أن معناه « حذقة العين » أو « مستقر العين » ، ويبدو أنه اسم بشرى الاصل ، ويحتمل أن أوزير كان ملكا دنيويا حقيقيا أضحى ممجبا أو مقدسا بعد وفاته ، والأسطورة التى نسجت منه لم تركز اهتمامها على حياته الاولى كملك أو حاكما لمصر ، انما وجهت اهتمامها على موته ، وعلى بعثته من جديد بعد مصرعه المأسوى ، والذى



الحضارة ، وما يجب أن يؤكل وما لا يأكل ، وأوضح لهم كيفية زراعة الحبوب كالقمح وكروم العنب ، كما علمهم كذلك طريقة عبادة الآلهة . وكتب القانون من أجلهم ، بعون من كاتبه « تحوت » ، الذى خلق الفنون والعلوم . وأعطى الأشياء أسماءها ، وأنه قد حكم بالمنطق ، وليس بالقوة ، ثم بدأ ينشر علمه فى بقية العالم ، تاركا زوجه « ايزة » نائبة عنه فى تصريف الأمور فى مصر ، وقد اصطبغ معه فى مهمته كثيرا من الموسيقين واستطاع عن طريق المناقشة وأغاني الأناشيد . أن يقنع الناس بالتباعد وسائله إلى الخير والنجاح والفلاح ، وهكذا كتب له نجحا غير قليل ، فى تعليمهم زراعة القمح والشعير والعنب ، فضلا عن بناء المدن ، ثم صعد فى النهر حتى بلغ اقليم الحبشة . فعلم أهله أصول الزراعة وفنونها ، وخطط لهم القرى والمدائن ، ثم تولى عنهم هابلا مع النيل ، فأخذ يقوى شواطئه وجسوره ، ويشق لئله الجداول والمصارف .

وأما أخوه « ست » ، فقد تزوج من أخته « نقتيس » ( بت ح ) ، ولكنه كره أن يؤول ملك الوادى الكبير الأخضر السعيد إلى أخيه أوزير ، وغاظه أن يرى له ذلك المكان الرفيع ، فامتلا قلبه حسدا له ، وحقدا عليه . وسولت له نفسه قتل أخيه ، ثم ترك هذا الانسان الطيب يودع دلياه على هذا النحو المروع ، الذى أزله من قلوب القوم منزلة الحب والتقديس والاجلال ، ومن ثم فسرعان ما لطنح أتباع « أوزير » شخصية « ست »

أضحى بعده حاكما او ملكا على عالم الموتى ، ولا توجد رواية شاملة او حتى كاملة معروفة حتى الآن لقصة أوزير فى الوثائق المصرية ، ومصدرنا الرئيسى من هذه القصة هو « بلوتارخ » ( Plutarch ) من « ايريس » وأوزيريس . وان كانت هناك اشارات متواترة فى النصوص المصرية من كل العصور . يتضح من سياقها أن الأسطورة التى أوردها « بلوتارخ » تتسق فى جوهرها مع المفاهيم العقيدية المصرية ( تشرنى : الديانة المصرية القديمة ص ٤٠ ) .

(٥) انظر عن « ست » ( محمد بيومى مهراى : الحضارة المصرية القديمة ٢/ ٢٨٠ - ٢٨٦ ) .

بالسواد منذ لحظة مولده « فزعموا أنه لم يولد في الوقت السليم ، ولا في المكان الصحيح ، فلقد ألقى بنفسه من رحم أمه ، وانعجر من جنبها » .

وما أن يمضى حين من الدهر ، حتى يسبغ الرواة صفة الواقعية على مقتل أوزير ، فذهبت رواية الى أن « جب » قد قسم مملكته بين ولديه ست وأوزير ، على أن يأخذ الأول ملكة الصعيد ، وأن يأخذ الثاني ملكة الدلتا « غير أن « ست » ادعى بعد ذلك أن الملكة كلها له ، وأنكر مشاركة أخيه لها فيها ، وتذهب رواية أخرى الى أن أوزير وست قد رضيا بحكم أبيهما ، وبدأ كل منهما يحكم نصيبه ، غير أن «جب» عاد فقرر أن ست حاكم سىء « ومن ثم فقد أعطى نصيبه لاوزير « وبينما كان أوزير يغزو البلاد الأجنبية ، تاركاً امرأته ايزة تصرف الأمور في مصر ، بدأت عوامل الشر تتحرك في قلب ست ، بخاصة وأنه كاله حرب ، كان يرى أوزير يستخدم الكثير من الوسائل السلمية ، ومن ثم فقد بدأ يفكر في الانتقام منه أثناء الاحتفال بمودته منتصرا الى العاصمة « منف » .

هنا ، وطبقا لرواية «بلوتارخ» فقد وضع ست أوزير في صندوق كان في الاصل تابوتا له ،وتذهب أساطير أخرى أن الاغتيال كان عند«ندية»<sup>(٦)</sup>

(٦) « ندية » أو نديت : تقع على مقربة من مدينة البلينا بمحافظة سوهاج ، فيما يرى برستد ، وأما « أرض الغزال » فهي بلدة « كوم مرة » وهي بلدة « كومبر » الحالية ، على مبعده ١١ كيلو الى الجنوب من أسنا ، عما يرى زيته ، غير أن « هرمان كيس » إنما يشك في ذلك كله ، ويرى أن الأمر لا يخرج عن كونه نزاعا بين أنصار معبودين من شرق الدلتا ، وأنصار في بلدة « جدو » ضد أنصار ست في بلدة « سثة » أو « سترة » على حدود مصر الشمالية الشرقية ، وأن المعركة كانت عند مياه « ندية » في أرض الغزال التي يمكن تعيينها بمنطقة قرب « كوم أبو ياسين » الحالية ، وقرب اقليم « أوزير » نفسه ( في مدينة عنجتي ، والتي سميت « جدو » ، وقد اطلق القوم عليها « بر - أوزير » الذي حرفه الافريق الى بوزيريس = وهي أبو صير بنا الحالية ، جنوبي غرب سمود ) ومن ثم فقد سمت النصوص هذا الاقليم «الفحل الممزق» ، إشارة الى هزيمة أوزير نفسه ( انظر : =

أو في أرض الخزال شرق الدلتا ، ثم ألقاه في النيل<sup>(٧)</sup> ، وأن جسد أوزير القليل إنما تم تقطيعه الى أربعة عشر جزءا ( وربما ستة عشر جزءا ) وأن زوجه ايزة « وأخته تفتيس » قد عثرتا على جسده عند شواطئ « نديية » وتذهب رواية أخرى الى أن الاغتيال كان في منف أو قرب عين شمس ، وأن ايزه وتفتيس قد دفنتاه هناك ، على أن رواية ثالثة تذهب الى أن الجسد قد حمله تيار النهر الى « بيبليس » في مستنقعات الدلتا ( وقد حرفت بيبليس Byblis فيما بعد الى بيلوس Byblos التي في فينيقيا ) ، على أن رواية رابعة تذهب الى أن النيل قد احتل الصندوق حتى مصبه « واسلمه للبحر الأخضر ( البحر المتوسط ) فأحمله البحر بدوره حتى ألقاه آمنا على شاطئ « جيبيل (ج) » في لبنان ، فأظلمت هناك شجرة مباركة واحتمت في جوفها « وساحت ايزة ( ايسة ) في الأرض بحثا عن أخيها ، حتى بلغت جيبيل واهتمت الى الشجرة « واستخلصت الوديعة منها واحتملتها الى مصر ، حيث أعادت الى بدن أخيها روحه وحملت منه ،

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y. 1939, p. 100.

BIFAO, XXX, 1930, p. 721 F.

H. Gauthier, Dictionnaire des Noms Geographiques, V, Paris.: وكنا  
1928, p. 220.

(٧) هناك من يرى ان أوزير كان أصلا ملكا من البشر ، حكم في عصر سحيق للغاية جميع أرض مصر من عاصمته في شرق الدلتا ( أبو صير بنا ) وقد فسرت ميثته العنيفة فارقا في النيل ، والتي تسبب فيها أخوه ست طبقا لهذه النظرية ، باعتبارها ميثه لملك في ثورة كان مركزها مدينة « أمبوس » ( طوخ الحالية بمركز نقادة بمحافظة قنا ) مقر عبادة « ست » ، وقد تسبب ذلك في انقسام البلاد الى مملكتين مستقلتين ، أحدهما في الصعيد ، والأخرى في الدلتا ، ثم وحدهما الشماليون مرة أخرى ، وقد انعكس هذا الصراع ، وإعادة تأسيس الملكة الأصلية في البلاد في الأسطورة بانتصار « حور » بن « أوزير » على « ست » ( ياروسلاف تشرني : الديانة المصرية القديمة ص ١١٨ ) .

(٨) كانت « جيبيل » تكتب في الدولة القديمة « كبن » وفي الدولة الوسطى « كبنى » ، وفي الدولة الحديثة « كبنا » ، وذكرها الآشوريون باسم « جويلا » ، والأغريق باسم « بيلوس » ، والعرب باسم « جيبيل » ، وتقع على مبعده . { كيطو شمالي بيروت ( A. H. Gardiner, Onom, I, p. 257 ) .

وتسترت معه ، ولكن أخاه « ست » كشف مخبأه ومزقه في هذه المرة شر ممزق ، وقطعه اثنتين وأربعين قطعة ، وذلك يرمز فيما يبدو ، الى تمزق وحدة البلاد القديمة وتجزئها الى اثنتين وأربعين اقليما ، كما يفسر تعدد مزارات أوزير التي قامت على أجزائه الموزعة في كافة هذه الأقاليم .

وعلى أية حال ، فلقد ظلت ايزة وفيه لزوجها الشهيد ، كما ذكرنا آثفا ، فلقد استعانت بسحرها حتى ردت اليه روحه لفترة من الزمن ، ثم حطت عليه ، كما يحط الطائر ، فحملت منه حملا ربانيا ، ووضعت منه طفلهما « حور » الذي ربه في أحراج الدلتا خفية ، وعاقبتها كائنات عدة على كفلته ، فأرضعته بقرة ، ورعته معها سبع عقارب ، وهو الذي اشتهر بين القوم بسنفته الابن الذي فقد أباه أوزير ، وهو « حور ابن ايزة » ( حرسا ست ) ، وان كان « هنرى فرانكفورت » يذهب الى أن « الصقر حور » اله السماء ، انما هو نفسه « حور » ابن أوزير وايزة ، والله لمن الخطأ أن تفصل بين « حور الاله الكبير سيد السماء » وبين « حور ابن ايزة » ، أو أن تفسر حقيقة هذا التوحيد على أنه يرجع الى التوفيق بين المذاهب المختلفة في العصور المتأخرة .

وعلى أية حال ، فلقد عادت « ايزة » ، فشتهرت بأخوها « ست » — القائل الفاصب — بين الأرباب والناس وكادت له عدة مرات ، وعندما شب ولدها « حور » ، كما يشب أبناء الأساطير ، الذي لا يخضعون لحكم المنطق ، شرع يدبر أمر الانتقام لأبيه ، وقد شاء الله تعالى أن يرشد الحق ، فظاهر حور على عمه ست ، ونصره عليه نصرا ميينا ، ثم يفصل قضاء الالهة في مدن « أون » أو في منف بين المتخاصمين ، ويحكم لهور بمرش آيه أوزير ، فيصبح ملكا على مصر ، كما يحكم لأوزير بمرش البقاء والخلود ، فيصبح سلطانا على الموتى (٩) .

(٩) احمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٦٢ - ٦٣ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٢٦ - ٣٢٩ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٨٠ - ٢٨٩ ، وكذا

Jacques Vandier, La religion egyptienne, Paris, 1949, p. 45-47

H. Frankfort, Kingship and The Gods, Chicago, 1948, p. 38-41. وكذا

Veronica Lons, Egyptian Mythology, 1968, p. 50-63, p. 127-138. وكذا

تلك هي أسطورة أوزير وايزة مع أخيهما ست ، باختصار ، وهي كما فرى ، قصة الخير والشر ، فهي قد صورت الأخوين ( أوزير وست ) يختصمان خصاما يذكرنا - مع الفارق - بخصام ابني آدم ، هابيل وقابيل حين قربا الى الله تعالى قربانا ، فتقبل من أحدهما ولم يتقبل من الآخر ، فطوعت له نفسه قتل أخيه فقتله (١٠) .

وصورت الأسطورة أيضا كثيرا من طبائع البشر وعواطفهم وأهوائهم صورت الحب والبغض ، والوفاء والخذل ، والرحمة والقسوة ، ثم علمتنا أن الباطل لا محالة مهزوم ، وأن النصر للحق وأهله مكفول ، طال الكفاح أو قصر ، وليس هناك من ريب في أن هذه الأسطورة إنما تصور حياة

(١٠) أنظر عن قصة بلدي آدم (هابيل وقابيل) : سورة المائدة : آية ٢٧ - ٣١ ، وأنظر : تفسير الطبري ١٠/٢١٠ - ٢٣٠ ، تفسير المنار ٦/٢٨٠ - ٢٨٧ ، تفسير القرطبي ص ٢١٢٠ - ٢١٢٨ ، صفوة التفاسير ١/٣٢٨ - ٣٣٩ ، في ظلال القرآن ٢/٨٧٤ - ٨٧٥ ، تفسير الكشاف ١/٤٨٤ - ٤٨٦ ، تفسير البيضاوي ١/١٤٩ - ١٥١ ، تفسير المنصفي ١/٢٨٠ - ٢٨١ ، تفسير ابن كثير ٢/٦٦ - ٧٤ .

ويقول صاحب الظلال ( ٢/٨٧٤ - ٨٧٥ ) هذه القصة تقدم نموذجا لطبيعة الشر والعدوان ، ونموذجا من العدوان الصارخ الذي لا مبرر له ، كما تقدم نموذجا لطبيعة الخير والسماحة ، ونموذجا من الطيبة والوداعة وتفهما وجهها لوجه ، كل منهما ينصرف وفق طبيعته « وترسم الجريمة المنكرة التي يرتكبها البشر ، والعدوان الصارخ الذي يثير الضمير ، ويثير الحاجة الى شريعة نافذة بالقصاص العادل ، تكف النموذج الشرير المعتدى عن الاعتداء ، فاذا ارتكبها على الرغم من ذلك ، وجد الجزاء العادل ، كما تصون النموذج الطيب الخير وتحفظ حرمة دمه ، هذا ولا يحدد السياق القرآني « لآزمان ولا مكان ولا أسماء القصة وعلى الرغم من ورود بعض الآثار والروايات من « قابيل وهابيل » ، وإنما أبناء آدم في هذه القصة ، وورود تفصيلات من القضية بينهما ، والنزاع على اختين لهما ، فإنا تؤثر أن نستبقى القصة ، كما وردت ، مجملة بدون تحديد ، لأن هذه الروايات كلها موضع شك ، في أنها مأخوذة من أهل الكتاب (تكوين ١/٤ - ٢٦) ، والحديث الوحيد الصحيح الوارد عن هذا النبا لم يرد فيه تفصيل ، وهو من رواية ابن مسعود ، قال ، صلى الله عليه وسلم « لا تقتل نفس ظلما ، إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها ، لأنه أول من سن القتل » .

المصريين وتجارهم في تلك الحياة ، ولن نجد ما يمنعنا من أن تصور أن يكون « أوزير » هذا رمز « النيل » ، وأن تكون « ايزة » رمزا لأرض الوطن ، تشقى بعد النيل عنها ، وتسعد بمودته اليها ، فأوزير كالنيل يطوف بالحشة ، ثم يهبط بمصر ، وأوزير قد علم الناس الضرع والزرع ، والنيل كان — وما يزال وسيظل — حبيب المصريين وأستاذهم الأول ، علمهم الضرع والزرع ، ورسم لهم أروع صور الحب والوفاء والخير والجمال . وأوزير يحارب الشر ، كما يحارب النيل الجفاف .

وهكذا ربط المصريون بين أوزير وكل التطورات التي تحدث على سطح الأرض طوال العام ، وتؤثر في إنتاجهم الزراعى ، فعندما يجيء الفيضان يكون أوزير هو الماء الجديد الذى يكسب الحقول خضرة ، ومع أن أوزير سار مع الماء — بل مع ينابيع المياه العظيمة — قسا واحدة ، فانه من الواضح ، أن وظيفة خاصة للماء ، هي التي امتزج بها ، فالماء بوصفه مصدرا للخصب ، ومانعا للحياة ، هو الذى وحد به أوزير ، وهو الذى يسبغ الحياة على التربة ، ومن ثم فإن أوزير كان يتصل بالتربة اتصالا وثيقا ، وإذا ما جف النبات وفنى ، فإن هذا يعنى أن أوزير قد مات غير أن موته هذا ليس أبديا ، إذ اعتقد القوم أن الحياة تعود اليه كل عام ، ومن هنا كانت الاشارات المعروفة لنا عن أوزير اما تفرقه بحياة النبات أو توحيده معها ، ومن ثم فقد كان تمثيله باعتباره « الها للخضرة » كان سائدا في مصر في كل العصور المتأخرة ، وربما ساد أيضا منذ العصور المبكرة ، عندما تقابل اسمه لأول مرة في الوثائق المكتوبة .

هذا وتربط « متون الأهرام » بين أوزير والحياة النباتية ، كما يرتبط بذلك تصوير أوزير مستلقيا على الأرض ، وينبت القمح من جسده ، أو تمثل شجرة ثابتة من قبره أو تابوته ، أو تجعل تماثله للمصورة على هيئة مومياء في قالب مكون من الدشيشة والتراب مدفونة مع المتوفى ، أو موضوعة في حقل القمح ، ليضمن به الزارع محصولا موفورا من أرضه ، ومن ثم فقد كان طبيعيا أن يتخيل العقول المصرى ارتباطا بين البحث

والبذور النامية ، ففى عصر الثورة الاجتماعية الأولى تقارن روح الميت مع « نبرى » الاله المجسد للقمح ، ومنذ الدولة الوسطى أصبح يشار الى أوزير كاله للفيضان والخضرة ، وفى الدولة الحديثة تبدو طبيعته الرمزية الى حياة الخضرة واضحة فى تواتر الاشارة فى المقامير الى « القمح - أوزير » ، وهكذا وحده فى أقدم نسخة من « كتاب الموتى » مع الحنطة ، ومن ثم يعبر المتوفى عن نفسه بقوله « ائى أوزير ، وائى أعيش كحبة حنطة ، وأتمو كحبة حنطة ، وائى شعير » . وهكذا ومن أجل الحياة والموت ، اعتبر أوزير بعد ذلك الها للموتى ، طوال العصور التاريخية ، وظلت تلك الصفة من أبرز صفاته .

ولعل ما تجدر الاشارة اليه ، أن مصرع أوزير - على نحو ما رأينا آنفا - وتقدير المصريين لجوده ، ووفائه ، كما تصوره الأسطورة ، انما يقدمان لنا صورة رائعة من الخلق البشرى الكريم ، وانموذجا جميلا من القيم الانسانية الرفيعة ، ثم ان فكرة الانسان المؤله ، والاله المجسد فى هيئة البشر ، وفكرة الحمل من الروح - حمل ايزة بولدها حور - كل أولئك صور جميلة ، وبخاصة صورة الحمل من الروح ، لأنها تجيب الى قلوبنا هذا الطفل ، وتبشر بالحق والمدل والرحمة والتضحية ، وليس فى دنيا البشر أجمل من هذا المثل .

بقيت الاشارة الى أن المصريين انما كانوا جد راغبين فى تقليد « أوزير » الذى قدمه « ست » أمام رع ومجمع الآلهة فى هليوبوليس ، لكن مجمع القضاء الالهى هذا ، انما قد برأ ساعته ، بمساعدة نحت ، على أساس أنه « صادق الصوت » ، هذا فضلا عن أن المصرى - تشوقا الى البعث والحياة بعد الموت مثل أوزير وبالتماثل معه - انما كان يجب أن يتلقى بدوره حكما الهيا فى هذه الحال من أوزير نفسه ، لأنه اله الموتى وهكذا بدأ المصريون فى عصر الثورة الاجتماعية - وهو عصر الاتجاه نحو الديمقراطية فى مصر القديمة - يشاركون الفرعون المؤله مصيره الأخرى ، فكما أن الفرعون سيكون أوزير فى الآخرة ، فقد اعتقد كل

فرد أنه سيكون كذلك أوزير ، وما يكاد ركب التاريخ يصل بإيمانه الى مطامح الحياة من أيام الدولة الوسطى حتى تصبح هذه العليقة واضحة بينة فيما انتشر على توابيت الموتى من تماويذ ورقى مختلفة تشير كلها الى أن الناس قد تساوت مقاديرهم فى هذه الدنيا « فأصبحوا فى عالم القبور سواء ، غير أن الناس ، فيما يبدو ، قد خلدوا أنفسهم عن طبيعة أوزير ، ونسوا — أو قانسوا — ما كان من قضاء الآلهة فى أوزير ، وزعموا أن فى حمل اسمه ، والتعلى بتاجه وصولجائه وشاراته ، ما يرفع عنهم كل ذنب ويصل بهم الى عرشه ومقامه ، وتزودوا لآخرتهم بكتاب يسجل طائفة من الفضائل والصالحات من الأعمال ، ويتخذون منها براء الى رب الموتى ، وربما من عذاب الآخرة وجعيمها ، وبذا غدا أمر الدين سهلا ، وبدأ الناس يأخذون بظواهر الأمور ، ويحاولون أن يقنعوا أنفسهم بذلك العزاء الزائف ، والنفس البشرية تحتاج الى العزاء على كل حال (١١١) .

(١١١) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٦٣ ، ياروسلاف تشرنى : المرجع السابق ص ١١٨ ، ١٢٠ ، ١٢٤ ، أحمد بدوى : فى موكب الشمس ٧٠/٢ - ٧١ ، أدولف ارمان : المرجع السابق ص ٤٨ - ٤٩ ، ٨٠ - ٨٢ ، جيمس هنرى برستد : فجر الضمير ص ١١١ - ١١٦ ، محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٢٨٩ - ٢٩١ ، الثورة الاجتماعية الأولى فى مصر الفرانسه ص ٢١٦ - ٢١٧ .  
وانظر من الأسطورة بصفة عامة :

H. P. Cooke, Osiris, A Study in Myths, Mysteries and Religion, London, 1931.

Plutarch, Isis and Osiris, Trans, by F.C. Babbitt, London, 1963. وكلا

L. Spence, The Myths and Legends of Ancient Egypt, London, 1915. وكلا

M. A. Murray, Ancient Egyptian Legends, London, 1911 وكلا



كانت هذه الأسطورة من أحب الأساطير الى المصريين ، فهي تمثل قصة امرأة ممذبة ، فجعت في زوجها ، ثم لاقت الأمرين في البحث عن هذا الزوج المقتول حتى عثرت عليه ، واستعانت بسحرها حتى ردت روحه عليه لفترة من الوقت ، وحطت عليه كما يحط الطائر فحملت منه حملا وباقيا ، ووضعت منه طفلا « حور » (١) ، ثم وقفت وحيدة تدافع عن ولدها هذا ، بل ونسبت الى أوزير كذلك ، كما ربت فيه زعنة الثور لأبيه ، ثم خلافة على عرش مصر العليا والسفلى كخلف له .

على أن هذه الأسطورة لم تكن كغيرها من الأساطير التي يتحدث بها الأب الى ابنه ، أو الأم الى ابنتها ، فحسب ، ولكنها كانت أيضا واحدة من القصص التي كانت تستعمل في أغراض سحرية ، إذ اعتقد القوم ، اعتقادا راسخا ، بأن بعض الأساطير التي يتحدث عن بعض شئون الآلهة ، وخاصة تلك التي تتعلق بمصائب حلت ببعضهم ، انما تصبح ذات أثر فعال ، اذا

(١) صورت منون التوابيت حمل ايرة بولدها حور في مشهد حوارى ينسرك فيه أربعة ، ويبدأ بانطلاق اعصار يروع الآلهة ، ويوقف ايرة الحبلى مشفقة أن يكون هو صوت خصبها « ست » رب الرمود والبروق أنى يهددها بايذاء جنيتها ، فاستصرخت الأرباب وذكرهم بوضعها وبأنها أخت أوزير ، صاحب الفضل في الفصل في الخصومات القديمة ، وأن بلوته تشكلت في بيضته في أحشائها ، فنادبهم : هلموا ايها الأرباب ، واحموا من هو في بطنى ، واذكروا انه مولاكم ، وسرمان ما يأتيها صوت « اتوم » مبشرا « لبطمن قلبك » ولكن تظهر على المسرح امرأة تسأل ايرة متخافتة : وكيف تدركين ان من هو في البيضة سيكون الاله السيد حقا ، وورثا لأرباب الماضى ؟ ، وتشعر ايرة بما في السؤال من تعريض بها فتجيبها منفصلة لكرامتها : أنا ايرة ربة الشهرة والقداسة ، وأن من في أحشائي هو غرس أوزير حقا ويناصرها اتوم قائلا : انها حملت خفية ، وهى فتاة حملت ، وستضع حملها دون تدخل الأرباب ، وهو غرس أوزير فعلا ، فليقلع ذلك العدو الذى قتل اياه عن ابداء بيضته الصغيرة ، وليبيطه الساحر الأعظم ، فاطبعوا ايها الأرباب ما قالت ايرة ( عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٢٩ ) .

عبدالمعتم أبو بكر : اساطير مصرية - القاهرة ١٩٥٤ ص ٦٩ - ٧٠ .

استعملت كتميمة سحرية ، ذلك لأن الأساليب التي تخلص بها هذا الاله أو ذلك من محنته ، هي بعينها التي تخلص من يستعملها من البشر في معنة مماثلة ، هذا وقد اعتاد بعض القوم أن يقيسوا أمام منازلهم لوحة حجرية نقشوا فوقها صوراً تمثل الاله حور ، وهو يبطأ بقدميه تماشياً ، ويقبض يديه على بعض العقارب والثعابين وغيرها ، والمقصود بهذه اللوحة أن تمنع هذه المخلوقات الضارة من أن تدخل المنزل وتفتك بسكاته .

وهناك نموذج جميل من هذه اللوحات وجد بين مخلفات « الكوفت مترينخ » ، وقد عرف بين العلماء باسم « لوحة مترينخ » كان القوم يستعملونها تعويذة تقي من لدغ العقرب ، وقد جاء فيه :

« أنا ايزة بينما كنت خارجة من المشغل الذي تقالى اليه أخى ست ، سمعت تحوتى الاله الكبير ، سيد العدالة فى السماء والأرض ، وهو يقول لى : اقبلى أيتها الالهة ايزة ، ما أحسن أن ينصت الانسان ، يحيا الانسان بهدى غيره ، اختبىء مع ابنك ، ذلك الطفل الذى يقبل الينا ، عندما يكبر جسده ، وتكتمل قوته ، فسوف تجعلينه يستولى على عرشه ، وتحفظين له بذلك وظيفته ، ملك الأرضين ، وحينما خرجت ساعة المساء ، خرجت العقارب السبعة فى اثرى تحوطنى وتحرسنى ( ربما المقصود من ست أو أعوان ست طبقاً لرواية بلوتارخ ) ، ولكل منهن مكان معلوم من بين يديها ومن خلفها ، وقد لبهتن فى حزم الى آداب الطريق ، قائلة : لا تعرفن على الأسود ، ولا تحبين الأحمر ، ولا تفاضلن بين ابن الغنى وابن الفقير ، ولتبق وجوهكن منكفئة على الطريق ، واحذرن اثاره الشكوك » وأن يتبعكن متصلص يبعث عن مخبأى ، حتى فصل الى « برسوى » مدينة السيدتين المتملتين ، عند بداية المستنقع ونهاية القفص ( الذى نعيش فيه ) .

واقتربت ايزة بمقاربها السبعة فى طريقها من دار سيدة متزوجة قاسية فلمحتها رية الدار من بعيد وغلقت أبوابها دوفها ، فاستامت العقارب من قسونها ، وأضمرن عقابها على فعلتها ، وبعد قليل وجلت ايزة الضيافة عند

امرأة فقيرة ، ورائست إحدى العقارب ( قن ) الى بيت السيدة البخيلة ، ولدغت طفلها ، وأشعلت النار فى بيتها ، فخرجت للمرأة تولولها ، وما من سميع لها أو مجيب . الا ايزة التى أشفقت على الطفل البريء ، وتادتها : تعالى ، تعالى « فان فى فى الحياة ، وأنا فتاة معروفة فى بلدنا ، أوقف الثعبان بأمرى ، فلقد علمنى أبى العلم ، فقد كنت ابنته المحبوبة ، فسارعت المرأة الى ايزة ، ووضعت أمامها ابنها ، ولما كالت الالهة قد تبتأت بما حدث فانها تسمت بتعويذتها السحرية ، منادية « سم » كل عقرب من العقارب السبع آمرة أياه أن يستل من جسم الطفل ، ولم تكده تنتهى من تميمتها حتى سال السم خارجا من جسم الطفل ، ودبت الحياة فيه ، وفى نفس اللحظة التى استعاد فيها الطفل عافيته « انطلقت النيران بقوة سحرية من منزل تلك المرأة القاسية ، وتلقت ايزة ثناء تلك المرأة وجيرانها »

وسرعان ما اختفت ايزة من القرية خوفا من بطش ست ، فأسرعت خطاها متوغلة فى أحشاء المستنقعات لتختفى هناك عن أعين المتطفلين من الناس ، وفى هذا المكان الموحش استقبل « حور » الحياة ، بعد أن ذاقت امه الأمرين فى وحدتها المضنية ، وهكذا عاشت ايزة مع وحيدها بين المستنقعات ( أحراج خم ) الموحشة ، ولا هم لها سوى شئثة وليدها ورعايته ، فلا تركه الا لوهلة قصيرة لتحصل على ما يقيم أودهما من طعام أو شراب .

غير أن ست مرعان ما علم بأمر الطفل « فأرسل عقربا لدغته أثناء غياب أمه ، التى ما أن عادت اليه حتى وجدته يكاد يفارق الحياة ، فصرخت صرخة مدوية سمها من فى القرية المجاورة « فهرعوا اليها ، وصاحت امرأة منهم : لا بد أن حور قد لدغته عقرب ، وأما ايزة فقد قربت أهلها من فم الطفل لتمتطع ديب ألقاسه ، ثم فحصت الطفل فوجدت السم عالقاً به ، فأخذت تصرخ : أى رع ان ابنك حور قد لدغ ، ان حور قد لدغ ، وهو الورث والمولى على عرش « شو » ، ان الطفل الجبيل ذا الأعضاء الذهبية قد لدغ ، ان حور ابن ايزة قد لدغ ، ان حور الذى أعدته لكى

يثأر لأبيه قد لدغ ، ان حور الذي خشيت أن يصيبه مكروه ، وهو فى رضى ، قد لدغ ، ان حور الذى رعبته قد لدغ ، ان حور الطفل الذى رجوت حياته قد لدغ ، ان الطفل قد مات .

وهنا جاءتنى امرأة كيسة ، أنبل نساء بلدها ، وهى الالهة « سرت » ( سرقة ) ، وقالت لى : لا تقنطى فالطفل آمن . والأحراج محروسة ولا حكم للموت عليها ، لأن ست لا يقربها ، ولا يجوب أرض خم . فلعل عقريا لدغته أو حيوانا عضه . ثم توافدت الربات عليها ، وفى مقدمتهن اختها « نبت حت » ( نفثيس ) ، وأوصتها احداهن بأن تستصرخ السماء ، فصرخت صرخة أوقفت بها مركب اله الشمس فى مدارها ، وأوقفت كوكبه حيث كان ، وأرسل « تحوت » ليستطلع الأمر « فجاء تحوت وسأل ايزة : ماذا جرى ، أيتها الربة ذات القم الحصيف ، لسوف يثبت قرص الشمس حيث كان بالأمس ، ويحتجب الضياء ومع الظلام ، الى أن يبرأ حور من أجل أمه .

وبدا تحوت يرتل تعاويذه السحرة ، ممددا أوصاف حور ، مقارنا اياها بأوصاف كائنات الهية متعددة « حور تحيطه العناية ، حور مثله كمثل ذلك الذى فى قرص الشمس ، الذى يضىء الأرضين بنور عينيه ، أى حور ، استيقظ ، أى حور ان حصاتك مؤكدة ، استيقظ وادخل الفرح الى قلب أمك ايزة ، ان كلمات حور سوف تربط بين القلوب ، ان حور سوف ينشر السلام على أولئك الذين يرغبون فى السلام .

« أنا تحوت بن رع البكر ، ان أتوم وأصحابه أصدرتوا أمرهم لى بأن أشفى حور لتقر عين أمه ، ولأشفى كل مصاب بنفس العلة ، سيحيا حور من أجل أمه ، وسيحيا كذلك كل من كان مصابا بنفس الداء » .

ويتتهى الحوار بشفاء الطفل حور وتعوينه من كل ما يمكن أن يهدده وهو حوار يراه « دريموتون » حلقة من دراما قاضجة كانت تمثل فتحرك العواطف ، وتأخذ بالباب المشاهدين ويغتمها « تحوتى » بقوله : ان العالم

يترقبني لأرسل له « مسكته » وأطلق له «معنجة» ولسوف يمدح الرسول  
على ما أداه ، عندما يزف البشرى الى من أرسله (٣) .

### ٣ - أسطورة الصراع بين حور وست :

عثر على هذه الأسطورة في عام ١٩٢٨ م في دير المدينة بطيبة الغربية  
( الأضر غرب ) على بردية مكتوبة بالخط الهيراطيقي ، وقد اشتراها  
المستر « شستر بيني » ثم أهداها الى المتحف البريطاني ، والبردية ترجع  
الى أيام « رعسيس الخامس » ( ١١٤٥ - ١١٤٦ ق م ) من الأسرة  
العشرين ، وقد أعيدت كتابتها بلغة الدولة الحديثة من برديات أقدم ترجع  
الى أيام الأسرة الثانية عشرة ( ١٩٩١ - ١٧٨٦ ق م ) ، وقد عثر على  
بعض أجزاء منها في برديات الدولة الوسطى والحديثة ، والنص الأساسي  
لهذه البردية نشره « سير ألن جاردنر » (٢) كما قام بترجمة البردية وشرحها  
ثم مقارنتها بغيرها من النصوص الأخرى ، كثير من العلماء ، من أمثال :  
جان كايارد (٥) وجوستاف فيفر (٥) وأدولف أرمان (٦) ، وبلاكمان (٧)

(٢) انظر : عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٦٦ - ٧٧ ،  
عبد العزيز صالح : المرجع السابق ، ص ٣٢٩ - ٣٣١ ، إيتين دريونون :  
المسرح المصري القديم - ترجمة تروت عكاشة ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر  
القاهرة ١٩٦٧ ص ٨٧ - ٩٢ ، ص ١١٦ - ١٢٤ ، أدولف لومان : ديانة  
مصر القديمة ص ٣٣٢ - ٣٣٤ .

وكلها E. Drioton, Le theatre dans L'ancien Egypte, revue d'His-  
toire du Theatre, 1954, p. 54 F.

A. Moret, in Rev. de L'Histoire des Religions, 1915, p. 213 F. وكلها

A. H. Gardiner, The Library of A. Chester Beatty Description (١)  
of a Hieratic Papyrus with a Mythological Story, Love-Songs and Other  
Miscellaneous Texts-The Chester Beatty No. 1, London, 1931, p. 8-26,  
Pls. 1-16.

A. H. Gardiner, LES, p. 37-61. وكذا

Jean Capart, in Chronique d'Egypte, 8, 1933, p. 243-255. (٤)

G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L'epoque Pha-  
raonique, Paris, 1949, p. 178-203. (٥)

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians Trans (٦)  
into English by A. M. Blackman, London, 1927, Reprint New York,  
1966.

وجبريفث (١١) ويروفر - تروت (٩) ، وتسييجل (١٠) وجو ويلسون (١١) ،  
وغيرهم (١٢) \*

هذا وقد قام بعض العلماء المصريين بتقديم ترجمات للبردية - سواء  
أكافت هذه الترجمات كاملة ، أو لأهم أجزاء البردية - من أمثال : سليم  
حسن وأحمد فخرى وعبد المنعم أبو بكر وعبد الحميد زايد وعبد العزيز  
صالح ، فضلا عن ترجمة عربية لكتاب « جوستاف لوفيفر » (١٣) \*

وتمثل هذه البردية القضاء وأحكامه ، كما تقدم فكرة عن كل  
الغطوات التي تستلزمها قضية ما ، وتبين أطوارها المختلفة في ساحة القضاء  
فضلا عن أنها إنما تتعلق بشخصيات اعتبرها المصري القديم آلهة له ، غير

- 
- A. M. Blackman, in JEA, 19, 1933, p. 210 F. (٧)  
J. G. Griffiths, The Conflict of Horus and Seth from Egyptian  
and Classical Sources, Liverpool, 1960. (٨)  
E. Brunner-Traut, Altägyptische Marchen. Dusseldorf-Colo- (٩)  
gae, 1965, p. 93-107.  
J. Spiegel, Die Erzählung Vom Streite des Horus und Seth in (١٠)  
Pap. Beatty I, als Literaturwerk. Leipziger ägyptologische Studien, 9, 1937.  
J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 14-18. (١١)  
H. Te Velde, Sethe, God of Confusion, Leiden, 1967. (١٢)

ومن أحدث ترجمات هذه البردية :

- Miriam Licheim, Ancient Egyptian Literature, London, 11,  
1975, p. 214-223.  
E. F. Wente, in Simpson, The Literature of Ancient Egypt,  
London, 1977, p. 108-126.  
(١٣) سليم حسن : الأدب المصري القديم - الجزء الأول - القاهرة  
١٩٤٥ ص ١٢٧ - ١٦١ ، أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية  
١/٣٧٨ - ٣٨٢ ، عبد المنعم أبو بكر : أساطير مصرية ص ٢٦ - ٤٠ ،  
عبد الحميد زايد : الرمز والأسطورة الفرعونية - مجلة عالم الفكر - ديسمبر  
١٩٨٥ ص ٤٧ - ٥٢ ، عبدالعزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ١/٢٢١-٢٢٢  
جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني - ترجمة  
على حافظ ص ٢٣٧ - ٢٧٠ ( الألف كتاب رقم ٦٦ ) ، رودلف اتس :  
أساطير العالم القديم ( معرب ) - القاهرة ١٩٧٤ ص ٦٢ - ٦٤ .

أن الأسلوب الشيق الذى دبت به الأسطورة يجعل القارىء ، يحس وكأنها تهدم صورة حية لما كان يحدث بين الناس ، وخاصة أن الأسلوب انما قد صاغه المؤلف بالفاظ تستعمل فى الحياة اليومية ، ومن عجب أن المصريين رغم أنهم كانوا — كما يقول جوستاف لوفيفر — من « أبقى أهل الأرض جميعا » ، فإن الحديث فى هذه الأسطورة عن الالهة « لا ينم عن رفع الكلفة فحسب ، بل يميل الى عدم الاحترام ، وربما السخرية ، ويبين ضعفهم وغيوبهم ، ويضحك القارىء عليهم ، ويتحدث عن ردائهم ، على أنه من ناحية أخرى ، ما تظن أن المصريين المتدينين كانوا يتخيلون لأربابهم مثل هذا النقاش والجدل ، والأخذ والرد ، دون أن يكون فى دنياهم شيء مثله ، يسمح لأصحاب كل مذهب بأن يجادلوا منافسيهم فى أمور دينهم ، ان لم يسمح لأهل الحكم أيضا بأن يتقبلوا مجادلة ولاتهم وأعضاء مجالسهم ، كما جادل الأرباب رئيسهم .

والأسطورة ، على أية حال ، انما تمثل حكاية شعبية قوية ، ربما للتسلية أكثر منها للفرض التعلیمی ، وتركيب القصة ، كما قلنا ، قضائى بالمحكمة العليا للالهة « الأياد » ( مجمع الآلهة ) فى محاولة لانهاء النزاع الذى استمر ثمانين عاما أمام أعضاء التاسوع وكبار الأرباب برئاسة « رع حر أختى » رب عين شمس ، دون الاهتداء الى حل لها ، وكان موضوع القضية عرش مصر الذى يطالب به « حور » و « ايزة » استنادا الى القانون « ويطلب به « ست » استنادا الى قوته وسطوته « ذلك أن «ست» كان قد اغتصب الملك بعد أن قتل أخاه « أوزير » الذى أصبح بعد ذلك ملكا فى العالم الآخر ، غير أن « ايزة » التى كانت قد حملت بولدها « حور » من روح « أوزير » ، عنيت بتربية حور ، حتى بلغ أشده وأخذ يطالب بعرش أبيه أوزير ، وتساعدته فى ذلك أمه « ايزة » ، وقامت الحرب بين حور وست ، وعقد مجلس الآلهة محكمة للفصل بينهما « غير أن المحكمة قد انقسمت الى فريقين ، الواحد يؤيد حور ، والآخر يرى أنه قد تجاوز الحد فى الاجترار على عمه ، وأن عمه أحق منه بالملك وأجدر به .

وكان « أتوم » يميل الى « ست » القوى ، على حين كان قرار المحكمة

في صالح الوريث الشرعي « حور » ، وبنفس هذا القرار انتهت الخصومة أخيرا الى خاتمتها السعيدة بحور ملكا متوجا على عرش مصر ، ولعل من أهم الخصائص المميزة للخاتمة مظهر « ست » هنا - كما في اللاهوت المنفى - مغلوبا طعيا فما أن أصبح القرار نهائيا ، حتى وافق عليه راضيا حيث عهد عندئذ الى « رع حراختي » بأن يكون بمثابة الولد ، والمحارب المخيف في زورق الشمس ، وتستلي الأحداث من بدايتها ونهايتها بالأحداث التي تزخر أو تعجل اجراءات المحكمة وقراراتها ، والقصة ، على أية حال ، تقليد ساخر لاجراءات المحاكم البطيئة والشكليات الملوقة ، كما انها متبلة بالغمز واللسز في الشخصوس القيادية .

### تقول الأسطورة ما ملخصه :

« تقدم حور ، الطفل المقدس الى سيد العالم « أتوم » يطالب بعرش ابيه « أوزير » ، جيل الطلعة ، ابن « بتاع » الذي يضئ الغرب بحياه ، بينما كان « تحوت » يقدم العين للأمير القوي في هليوبوليس ، ثم تكلم « شو » ابن « رع » أمام القوي الموجود في هليوبوليس : الحق هو الرب القوي ، اعط الوظيفه لحورس ، ثم قال تحوت للأبياد ( مجمع الآلهة = آلهة التاسوع ) : هذا هو الحق مليون مرة ، وهنا تصاعد صوت ايزة فرحة ، وكانت السعادة تطفو على وجهها ، ووقت أمام سيد الجميع وقالت : يا ربح الشمال اذهب الى الغرب ، واحمل معك هذا النبا السعيد ، وبلغه الى « أوزير » ( اون قر = وتفر ) ، له الحياة والسعادة والصحة » .

« وعندئذ قال شو بن رع : ان وجود العين هو اله العدل من قبل الأبياد ، وقال رب الجميع : ماذا يعنى اتخاذكم قرارا منفردا ، ... ثم صمت رب الجميع مدة طويلة لأنه كان ساخطا على الأبياد ، ثم قال « ست بن قوت » : أخرجه معي الى الخارج حتى أستطيع أن أرىكم ان يدي تغلب على يده في حضرة الأبياد مادام أحد لا يعرف وسيلة أخرى لتجريدته ، ثم قال تحوت : أليس من الصواب أن نعرف من



المخطيء ، الآن هل تعطى وظيفة أوزير الى ست ، وما زال ابنه حور يقف هنا فى المحكمة ، وهنا غضب « رع حور أختى » غضبا شديدا ، فقد كانت رغبته اعطاء الوظيفة لست « وصاح « أفوريس » صيحة عالية أمام الأنياد ، وقال : ماذا تفعل ؟ »

« واختلط الحابل بالنابل فى ساحة القضاء ، واقترح البعض أن يسأل فى ذلك بعض الآلهة لكى تعطى رأيا ، فبين يستحق الوظيفة بين الاثنين ( حوروست ) ، ولكن هذه المحاولة باءت بالفشل ، وظهر اقتراح أن تسأل « نيت » - ربة صا الحجر - فى جديرة باتخاذ القرار الناجز ، وأمر أعضاء التاسوع أن يكتب تحوت خطابا - باسم سيد الجميع « النور للمذى يسكن هليوبوليس - الى « نيت » العظيمة ، أم الآله ، فأوما تحوت برأسه ، وقال : «صنا سافعل ما تأمرون به ، نعم سافعل ، سافعل ، وجلس على الأرض وكتب الخطاب التالى :

« ملك مصر العليا والسفلى ، رع أتوم ، محبوب تحوت ، سيد الأرضين ، الساكن فى هليوبوليس ، يقول : ماذا نحن فاعلون بأمر هذين الرجلين اللذين وقفا فى ساحة القضاء ثمانين عاما ، ولم يستطع أحد أن يفصل فى أمرهما ، نرجو الكتابة إلينا بما نحن فاعلون » .

وأرسلت « نيت » ( نيت ) الآلهة العظيمة أم الآله خطابا الى التاسوع تقول : اعطوا منصب أوزير لولده حور ، ولا تقترفوا مكائيد جسيمة ليست فى محلها ، والا غضبت وأطبقت السماء على الأرض ، وقولوا لرب الجميع ، سيد عين شمس أن ضاعف ثراء ست وهبه ابتتيك « عنات » و « عشتارته » ان شئت ، ولكن ضع حور فى منصب أيه .

ثم وصل خطاب « نيت » العظيمة أم الآله الى الأنياد ، عندما كانوا جلوسا فى القاعة الكبرى المسماة «حور صاحب القرون المتقلبة» ، ووضع الخطاب فى يد تحوت ، ثم قرأه تحوت أمام رب الجميع والأنياد كاملا ، وقالوا بصوت واحد : هذه الآلهة على حق ، وعندئذ غضب رب الجميع

على حور ، وقال له : أنت ضعيف البدن ، والمنصب أكبر من أن تحمله ، ولازلت طفلا يفوح البخر من فمك ، وهنا غضب الحاضرون ، وثار الرب « بابا » قائلا له فى جراءة : لقد أصبح هيكلك خاويا ( بعد أن تجاوزه الانصاف ) ، وقالم رع من الالهة ، فاستلقى على ظهره ، وابتأس قلبه ، فمزت كرامته على أفراد التاسوع ، على الرغم من مخالفتهم لرأيه، وصاحوا فى وجه « بابا » قائلين : أخرج ، فلقد آتيت أمرا لكرام .

ومرت الأيام والسنون « وجاءت « حاتور » سيدة الحميزة لتزور أباه سيد الجميع ، ووقفت أمامه وكشفت عن سواها ، وهنا انفجر الإله العظيم ضاحكا ، وصحا من رقدته، وجلس مع التاسوع وقال لحور وست: قصويا على قصتكم ، واختلفت الأصوات وتزايد الصراخ ، وخاصة عندما تدخلت ايزة أم حور لتدافع عن ولدها ، واشتد حنق ست ، وأقسم فى ثورة غضبه أنه سيقتل واحدا من الالهة كل يوم ، ورفض رفضا باتا أن يشترك فى هذه القضية ، ما دامت ايزة حاضرة ، ووافقه رع حراختى ، وانتقل بمجلسه الى مكان قصى فى « الجزيرة الوسطى » ، وحذر النوتى من أن ينقل ايزة اليهم بقاربه ، فلم تسلم ايزة بهذا القرار ، وتكررت فى هيئة عجوز ، واستدرت عطف النوتى بادعائها أن فى الجزيرة غلاما صغيرا يرعى لها أغنامها ، ولم يصله طعامه منذ أيام ، وأنها تود أن تموله ، وطبألت النوتى بأن ذلك لن يضره لأن قرار الحظر متصور على ايزة ، ولما تبينت طمعه رشته بغاتمها الذهبى ، فاستجاب لها ونقلها الى الجزيرة الوسطى .

وهناك وجدت القضاة ومعهم ست يتفياون ظل شجرة ، فقلبت نفسها الى غادة مليحة . وخطرت أمام ست المعجب بنفسه حتى لمحا وتمقبها وغالزها ، وفى حديثها معه استشارت نخوته بقولها : تأمل يا سيدى الجليل انى كنت زوجة راع ، وأنجبت منه طفلا ، ولما مات زوجى ، ولى ولدى الصغير أمر أغنام أبيه ، ولكن رجلا غريبا جاء واستولى على حظيره عنوة وقال له : سوف أضربك واستولى على أغنام أباك وألقى بك بعيدا ، فعلا أصبحت حاميا له ؟ ، فأجابها ست : وهل يجوز أن يستولى غريب على

القطيع وابن رب العائلة موجود ، الويل للغاصب ، وعند ذلك غيرت ايزة  
نفسها بسحرها الى هيئة الحداة ، وطارت ، ثم حطت على قمة شجرة ،  
وصاحت به قائلة له : ابك اذن على نفسك ، فان فمك هو الذى قالها ،  
وشطارتك هي التى حكمت عليك ، فما الذى تريد بعد ذلك .

وصرخ أعضاء التاسوع قائلين : ما هذا يا ست ، لقد اتعبتنا بقضيتك  
وأنت تقر الآن بالحق ، فلتمطى وظيفه أوزير الى ولده حور ، غير أن ست  
لم ينهزم ، وطلب من سيد الجميع أن يدخل فى معركة جسدية مع حور ،  
على أن تعطى الوظيفة للغالب ، وهلل التاسوع لهذه الفكرة ، ومرعان  
ما اتقلب الخصمان الى فرسى نهر ، وصمسا على أن يبقيا تحت الماء مدة  
ثلاثة أشهر كاملة ، ولكن ايزة أفسدت المراهنة بتدخلها الى جانب ولدها  
حور ، حيث استقطت فى الماء ( خطافا ) لكى تشمل حركة ست ، فاستمطف  
ست أخته ايزة ، وطلب اليها بحنان أن تبعد عنه الخطاف ، ومرعان مارق  
قلبا ، فغضب حور على أمه وأطاح برأسها . فارتجع أعضاء التاسوع من  
هذه القصة الشنيعة وسبحوا لست أن يعاقب حور باقتلاع عينيه ودفنهما  
فى الأرض حتى تضىء بهما ، وهنا أسرع حاتحور ووضعت فى مقلتيه  
لبن فزال ، وبذلك ارتد الضوء اليهما .

وطلب رع من الخصمين أن يوقعا عراكهما ، فصرخ ست مقسما :  
سوف لا تعطى وظيفه أوزير الى حور ، الا بعد أن يفلب أحدهما الآخر ،  
واقترح أن يقوم سباق بينهما فى سميتين ، على أن يتسلم الغالب وظيفه  
أوزير ، فاعد حور لنفسه قارباً من الخشب طلالها من الخارج باللجم لبيدو  
للناظر أنه صنع من الحجر ، وبنى ست لنفسه قارباً من الصجر الأصم .  
وما كاد يضعه فى الماء حتى غرق فى اليم . وأقبح حور بقاربه نحو الشمال  
الى مقر الالهة نيت فى ساو ، وهناك أبلغها بكل ما حدث ، كما عرض عليها  
ما أخطأ فيه ، واتخذت شكل فرس النهر ، وأراد مهاجمة قارب حور ،  
الذى سارع باستعمال الخطاف ليلقيه على ست ، الا أن أعضاء التاسوع  
صرخوا قائلين : لا ترم ست بهذا الخطاف .

واقترح تحوت أن يكتب الآلهة خطابا الى الاله أوزير يسأله رآيه  
 فى المشكلة ، ثم قال شو ابن رع : ما قاله تحوت للأبياد حق مليون مرة ،  
 ثم قال رب الجميع لتحوت : اجلس واكتب خطابا الى أوزير لنستطيع  
 سماع ما عنده من قول : وكتب تحوت الخطاب ، وعندما تلقى أوزير صاح  
 صيحة عظيمة ، ورد عليه فى الحال فقال : لم تخضعون ولدى حور ، وأنا  
 من شد أزركم ، وأنميت الشعير والحنطة لحياة الأرباب والأحياء من بعدهم  
 وما من اله آخر أو الهة يستطيع أن يفعل ذلك ، وعندما قرى الرد على  
 « رع حراختى » امتكر هذا التعالى ورد عليه بمثله قائلا له : الملك وان  
 لم توجد الإلها ، ولم تولد بتاتا ، فلسوف يبقى للشعير والحنطة ( من  
 دوئك ) .

وعندما وصل خطيب «رع حراختى» اله، أوزير ، سارع بالرد مهددا  
 الالهة أن يرسل الهم بعض المردة من أتباعه ، واتهم رع حراختى بأنه يجمع  
 من حوله فئة من الالهة ، لا هم لها الا الاعلاء من شأنه والتزلف اليه ، بينما  
 يسلون شئون الناس ومصالحهم ، ثم تساءل : يا صانع التساوع أين  
 العداة ، لدا حثت عنها فانك ستجدها قد عرقت وذهبت معالمها ، احكم  
 بالعدل ، أما الأرض التى أعيش فيها فهى ملاى يرسل ذوى وجوه متوحشة  
 وهم لا يذنبون أى اله أو آلهة ، ان فى استطاعتى أن أرسلهم اليكم  
 ليقتضوا على أى منكم فيجلبوه الى هنا ليمش معى ( اشارة الى موه ) ،  
 اذ لا معنى أن أعيش هنا فى الغرب ، بينما ترحون أتم فى عالمكم ، والى  
 أتساءل من منكم يفوقنى قوة ؟ ووبم الحق انكم لا تعبدون شيئا غير  
 الضداع ، واعلموا أن بناح العظيم عندما خاق النجوم فى السماء قال لها :  
 ستذهبن كل ليلة ، وستحيين فى الغرب حيث يحكم أوزير ، وسوف  
 يذهب الى الرب أيضا كل اله وكل انسان ليحيا هناك مع أوزير .

وعندما وصل الخطاب الى تحوت ، وقرأه على أفراد التساوع ، وافقوا  
 عليه بالاجماع ، ولكن ست أراد أن يخرج بمحاولة جديدة ، فأمر « أتوم »  
 ايزة أن تحضر ست مكبلا بالقيود ، ونفذت ليزة ما أمر به أتوم ، الذى

وجه الحديث الى ست قائلا : لماذا لا تريد أن تأخذ العدالة مجراها ؟ ولماذا تعارض في أن يأخذ حور وظيفة آيه ؟ وهنا أجاب ست : سيدى ومولاي ، دع حور بن ايزة يتسلم وظيفة آيه ، وسرعان ما حضر حور ، ولبس التاج الأبيض ، واعتلى عرش آيه ، ثم قيل له : أهلا بالملك الطيب المولى على مصر ، فليكن من نصيبك الحياة والسعادة والصحة ، وأما سيد الجميع فقال : دعوا ست بن فوت يأتى ليحيا معى « سأجعل منه ابنا لى ، سوف يدوى سوءه فى السماء ، سوف يهابه كل الناس ، وأما رع فقد قال عندما بلغه الخبر : فلتسعدوه به ، خروا الى الأرض بسجدا أمام حور بن ايزة ، وهكذا انتهت هذه القضية بالسعادة ترفرف على حور فى طيبة موطن الحق ، وبارضاء ست برفعه الى السماء ليكون تبعا لاله الشمس « رع عراختى » ، والساح له باستغلال طاقته فيها ، حيث يزار فيكون الرعد ، ويشور فتثور العواصف .

ولعل من الأهمية بمكان الاشارة الى أن الرواة الدينيين من أنصار اوزير وحور لم ينسوا نصيحة الربة « نيت » الى أفراد التاسوع بأن يقولوا للاله الأكبر أن يهب ست ابنتيه عنات وعشتارته ، ان شاء ، وبمعنى آخر أن يمنحه أراضي الربطين فى غربى آسيا وصحراواتها ، على أن يبعد أذاه عن مصر ، وأن ذلك قد حدث ، وأن ست قد عرض عن مصر بنيرها ، على الرغم من تبعيته لأربابها ، ومن ثم فقد أصبح هؤلاء الرواة المتحزبون — كلما ألمت بمصر مصيبة وتعرضت لفرز من آسيا وعبر صحراواتها — رزوا الى هذه المصيبة رمزا فى أساطير عقيدتهم ، وربطوا بينها وبين مكائدهم ست وإيحاءاته ، ولقد ظنوا مثل هذا الظن بالنسبة للهكسوس الذين أتوا من آسيا ، وعبدوا ست وحاربوا تحت رايته ، كما ظنوه أيضا بالنسبة للفرس الذين اغتصبوا عرشهم واستهانوا بمعايدهم ومذاهبهم ، ولم يحترموا موتاهم ، وحاربوا أبطاله الساعين الى تحرير وطنهم ، وقد أدمجت كل هذه الشرور رمزا فى أساطير وتمثيلات بناها معبد اوزير فى أيدوس واحتفظت بها بعض البرديات المتأخرة ، وقد خدمت غرضين ، غرض ارضاء البمامين والمشاهدين بالرمز الى استمرار مشكلات ست ضد اوزير

وأسرته وغرض ترويض اللعنات ، باسم الدين والقومية ، على الأعداء  
 الثرم الذين سمح لهم ست باجتياز أراضيه الأسيوية ، وايداء مصر في  
 كرامتها وتقاليدها ورغم ذلك كله ، فلقد ظل أنصار ست من المصريين  
 يعتبرونه ربا قادرا غاضلا ، يرسل العواصف لكي تبشر بالمطر ، ويستخدم  
 طاقته الحربية في نصرته مصر وجيوشها ، ويستخدم قوته السحرية في  
 حماية رب الشمس ومركبه ، بل ويأخذ بناصر أخيه أوزير في الآخرة .  
 بقيت الاتساره الى أن هذه الأسطورة انما كانت من أحب  
 الموضوعات الى قلوب المصريين ، لأنها قصة النزاع بين الخير والشر ،  
 التي تنتهي بانتصار الخير ، ونيل صاحب الحق حقه ، وكأوا  
 يشلون حوادثها كل عام منذ أيام الأسرة الثانية عشرة على الأقل ،  
 في عيد أوزير في أييدوس - كما أشرا آفا - وكان الكهنة يقومون  
 بأدوار الآلهة ، ويشترك الناس في تمثيل الممارك ، وكان يحج الى أييدوس  
 في كل عام آلاف من الناس ليشهدوا تلك المواقب والتمثيلات التي  
 تستغرق عدة أيام ، وربما كان ذلك هو السبب الذي دفع الباحثين في  
 تاريخ المسرح يمتقدون أن هذه الأسطورة التي كانت تمثل حوادثها قبل  
 أربعة آلاف عام ، انما هي أقدم ما نعرفه عن التمثيلات في العالم كله ،  
 فقد كان المصريون يمثلونها قبل ظهور المسرح اليوناني الى عالم الوجود  
 بما يقرب من ألف وخمسمائة عام (١١٣) .

(١٤) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٤٣ - ١٦١ ، عبد العزيز  
 صالح : المرجع السابق ص ٣٢٩ - ٣٣٣ ، أحمد فخري : المرجع السابق  
 ص ٣٧٩ - ٣٨٢ ، عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٢٧ - ٢٩ ،  
 عبد الحميد زائد : المرجع السابق ص ٤٨ - ٥٣ ، جوستاف لوفبفر :  
 المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٧٠ .

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 178-203.

M. Lichtheim, Op-Sit, p. 214-223.

J. A. Wilson, ANET, p. 14-18.

A. Gardiner, LES, p. 37-60.

E. F. Wente and Others, The Literature of Ancient Egypt,

London, 1977, p. 109-126.

J. Capart, Cde, 8, 1933, p. 243-255.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وصلت إلينا هذه الأسطورة بطريقة غريبة ، فقد قُلت في كتب التعويذات السحرية التي نُقشت على جدران بعض مقابر ملوك الدولة الحديثة في طيبة الغربية ، من أمثال « سيتي الأول » ( ١٣٠٩ - ١٢٩١ ق م ) و « رمسيس الثاني » ( ١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م ) و « رمسيس الثالث » ( ١١٨٢ - ١١٥١ ق م ) و « رمسيس السادس » ( ١١٤١ - ١١٣٤ ق م ) فضلا عن « نائوس » الملك « توت عنخ آمون » ( ١٣٤٧ - ١٣٣٩ ق م ) (١) .

هذا وقد قام بعض العلماء بنشر هذه الأسطورة ، من أمثال ادوارد نافيل (٣) وماكس مولر (٣) ورودر (٤) وبيانكوف (٥) وغيرهم (٦) ، فضلا عن بعض العلماء المصريين ، من أمثال الدكتور سليم حسن (٧) والدكتور أحمد فخري (٨) والدكتور عبد المنعم أبو بكر (٩) والدكتور عبد العزيز صالح (١٠) وغيرهم .

والأسطورة - كما يقول أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر ، طيب الله ثراه ( ١٩٠٧ - ١٩٧٦ م ) من أروع أساطير المصريين القدامى ، نعدوا

- 
- Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, A book of Readings, II, London, 1976, p. 197-198. (١)  
 E. Naville, Transactions of The Soc. of Bib. Arch IV, p. 1-9. (٢)  
 M. Muller, Egyptian Mythology, p. 73 F. (٣)  
 G. Roeder Urkunden Zur Religion des Alten Aegypten, Jena, 1923, p. 141-143. (٤)  
 A. Piankoff, The Shrines of Tut-Ankh-Amon, New York, 1955, Harper Torchbook, 1962, p. 27-29. (٥)  
 Ch. Maystre, Le Livre de Vach du Ciel, BIFAO, 40, 1941. (٦)  
 n. 53-114. The Whole Text., 58-73.

- (٧) سليم حسن : المرجع السابق ص ٧١ - ٧٤ .  
 (٨) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٧٥ - ٣٧٦ .  
 (٩) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٤٩ - ٥٨ .  
 (١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥ .

بها لكي يظهروا - من طرف خفى - ما عرف عن الانسان من ميل الى الشر ، وعن تصنفه ومغالاته في الاستبداد . اذا ترك له الجبل على الغارب فأغضب هذا النزوع الى الشر الاله الكبير ، وأراد أن ينتقم من هذه المخلوقات الضعيفة التي شقت عصا الطاعة على خالقها . فيرسل عليهم ما يكاد يهلكهم ، ثم تأخذه الشفقة بهم فينجي بعضهم لتستمر حياة الناس على الأرض فضلا عن أن يكون في ذلك عبرة ومثلا يضرب للبشر النساعف فيردعهم ويقوم من ميلهم الى الشر والحياة . وهناك ما يشير الى أن هذه الأسطورة انما كانت محبوبة لدى القوم ، فقد عثر عليها مكتوبة في أكثر من مكان : وكان المولود أنفسهم يتعلقون بما أنطوت عليه من حكمة عييفه فأمروا بنقشها على جدران مقابرهم الداخلية لتصحبهم الى الدنيا الثانية .

هذا وتتميز الأسطورة بسذاجة التعبير والتكرار الذي يستهوى العامة من الناس ، هذا الى جانب اشتغاقات لغوية خاصة بأسماء الآلهة تلت نذر المشتغلين باللغة المصرية القديمة ، هذا فضلا عما تقدمه من مسور طريفة للاحتفالات والمراسيم المحلية التي كان لا بد منها في الطقوس المصرية القديمة .

وعلى أية حال ، فإن الأسطورة تحدثنا أن الاله « رع » ، بعد أن خلق نفسه بنفسه ، وخلق الوجود ، ونملك أمور الأرباب والبشر، تقدمت به السن ، فتأمر جماعة من أشرار الناس ضده ، وكفروا بنعمته ، ثم انتشروا في الأرض فأله كفروهم ، وجمع كبار الأرباب عنده ( حاحور وتمو وتفضوت وجب وبوت ) سرا ، حتى لا يراهم البشر فترنمد فصائلهم ، ثم قال لهم : تأملوا الناس الذين خلقوا من عيني يدبرون أمرا صدى ، فافتوني بما ترون ؟

قال نوت : يا ابني رع ، يا أيها الاله الذي أصبح أقوى ممن خلقه ، وأكبر ممن كونه ، لا تفعل أكثر من أن تجلس على عرشك ، فانك عظيم



الرغبة ، تم وجه عينيك على أولئك الذين يجذفون في حقلك ، فقال رع :  
أظنر : انهم هربوا الى الصحراء ، فقد ارتعدت قلوبهم مما قالوه .

واستقر الرأي على أن يرسل « رع » عينه « تفنون » في صورة  
« حاتحور » ، ففتكت بالعصا وشربت دماءهم ، ولكنها سرعان ما استمرت  
ضمم الدم ولذة الانتقام ، فبدأت تأخذ الأبرياء بجزيرة العصا ، وأوشكت  
أن تغنى البشر أجمعين ، لولا أن تدارك رع الناس برحمته ، وأوحى الى  
أوليائه ان يتحايلوا على فتاته العاتية ، وطلب منهم أن يجهزوا سبعة آلاف  
إثاء من الجعة . وأن يرسلوا عدائين سريعين ، يجرون كما يجرى ظل الجسم  
ليحضروا من أسوان مسهوقا أحمر اشتهرت به — لعله اكسيد الحديد<sup>(11)</sup>  
وأن يخلطوه بالجعة ، ولما أهل صباح اليوم الموعود ، الذي اعتزمت فيه  
حاتحور فناء البشر ، قال لهم : اسكبوها في المكان الذي قالت أنها تستهلك  
البشر فيه ، فرووا الحقول بها حتى ارتفعت نحو أربعة أصابع ، وجاءت  
حاتحور في الصباح ، وورأت ما غسر الحقول ، ونظرت الى وجهها الجميل  
فيه وشربته . ولذ لها طعمه ، فسكرت ونسيت أمر البشر .

وهكذا قامت عقدة الأسطورة على الإيحاء بأن رحمة الرب غلبت قمت  
وأن ما حدث من شر ، في تمرد خلقه عليه ، إنما كان سببا في عمران بقية  
الكون ، وقد يتأني بعض الأخير من الشر أحيانا ، هذا فضلا عما صورته من  
عنف تفنون وحاتحور ، ورمزت به الى أن للآلات بطشة دونها بطشات  
الرجال ، هذا الى جانب أن الأسطورة إنما قد ربطت بين الفيضان الذي

(11) يرى تشرنى أنها فاكهة حمراء اللون يطلق عليها اسم « ديدى »

(Uru) انوا بها من اليفانتين ، ( تشرنى : المرجع السابق ص ٦١ ) .

ويذهب الدكتور عبد المنعم أبو بكر الى أن « ديدى » ( ددى ) هذه  
مادة حمراء استعمالها المصرى في الحصول على اللون الأحمر ، لا نستطيع  
الجزم عما اذا كانت مادة نباتية ام حجرية ، الا أنه من المعروف أن اليفانتين  
( البفتنين = جزيرة أسوان ) تحوى سنجما لما نسميه « المقررة » ( Didi )  
ولعلها هي ما أراد الآلهة احضاره من هناك ( عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق  
ص ٥٥ ) .

واما قص الأسطورة فهو كالتالى :

حدث فيما مضى من الزمان  $\frac{1}{2}$  حين كان رع يسكن الأرض ، وبعد أن خلق الناس ، وخلق كل ما يدب على ظهر الأرض ، كما خلق الآلهة (١٢) - أن كان الناس يتقدمون إلى الاله الأكبر ، بكل فروض الطاعة والعبادة ، اللازمتين لمقامه العلى ، ولكن الاله كانت قد داهمته الكسولة بتعاقب السنين والأجيال وأصبح عجوزا ، عظامه من فضة ، ولحمه من ذهب ، وسعره من اللازورد ، فأخذ الناس يتكلمون عليه ويرمونه بالضعف والهزال .

وعلم جلالة الاله بما كان يدور بين الناس ، وبما كانوا يمسون به ، فغضب وأمر الآلهة التى كانت فى ركابه قائلا : أدعوا لى عينى على عجل ، وكذا « شو » و « تنسوت » و « جب » و « فوت » ، وكل الآلهة من الآباء والأمهات الذين كانوا معى عندما كنت أسكن « فون » قسه (١٣) ،

--- --

(١٢) هناك الكثير من النصوص التى تستنتج منها مفهوم المصريين من مصر اقامت فيه الآلهة على الأرض جنباً الى جنب مع البشر ، ومع ذلك فليس لدينا سرد كامل ومنسق عن خلق الانسان نفسه وان كان من الطبيعى ان البشر ، شأنهم فى ذلك شأن أى كائنات اخرى ، قد خلقتهم الآلهة ، فهم يدمون « قطيع الاله » أو « قطيع رع » ، وبالتالي نستطيع ان نستنتج ان رع هو خالق البشر ، أى المصريين عامة ، وفى الاسطورة فان كلمة « رومي » ، والنسب نطلق فى اللغة المصرية القديمة على المصريين ، يمكن أن تدل أيضا على دموع الاله رع ، وفى مواضع اخرى يشار الى البشر على أنهم « انوا من عينه » بينما كانت الكائنات الأخرى من « صنعه » ، لكن دور « رع » فى الخلق سبقه اعتقاد بان الاله « خنوم » قد شكل كل طفل يولد على عجلة الفخرانى وربما كان ذلك مجرد صقل لدور خنوم الأساسى بخلقه لكل الأشياء الحية ، وهو دور أهمته قوى الاخصاب الخارقة التى يتمتع بهسا الكبتى رمزها الحيوانى المقدس ، هذا ريشتى اسم خنوم من فعل « ختم » بمعنى يخلق ، وهذا يعنى انه اله خالق منذ البدء ، ولم تسبق طلبه هذه الصفة كبعض الآياتة غيره ، ومن أهم اقابيه « خالق البشر » ( تشرنى : المرجع السابق ص ٦٢ - ٢٦٨ ، وانظر عن الالهين رع وخنوم : محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٢٩٩ - ٣٠٣ ، ٣١٥ - ٣١٧ ) .

(١٣) انظر : محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٣٤٣ - ٣٦٥ .

مع أفراد حاشيته ، ادعوم جميعا فى السر حتى لا يراهم البشر ، واحضروهم الى القصر الكبير ، وحضر الالهة جميعا واجتمعوا سرا حتى لا يعرف البشر بأمر اجتماعهم ، وعندما دخل عليهم الالهة خروا ساجدين بين يديه ، واضعين أيديهم على الأرض . ثم هتفوا قائلين : تحلت الينا حتى نعرف خطبك ، فقال رع موجها دلامه الى نون : يا أيها الاله الأكبر الذى جئت منه الى الوجود ، ويا أيها الالهة الكبار : أنظروا أولئك البشر الذين خلقوا من عيني ، أنهم يدبرون شيئا شديدا . أنهم يقولون فى قلوبهم متهمين ، أنظروا : ان الملك أصبح كهلا . تحولت عظامه الى فضة ، ولحمه الى ذهب ، وشعره الى لارورد . هل لك ان ترتدنى الى ما انا سافع بهم ، من أجل ذلك دعوتك لاستشارتك . اعلم انى لم أقدم على افنائهم حتى اسمع منك ما تمنصحنى به .

وتكلم « نون » قائلا : انت أيها الاله العظيم ، انت يا من تفوق خالقتك فى عظمتك ، انت الابن الذى نامت موته موة أبيه ، أرسل عينك لتفتك بالمتآمرين عليك ، وعندئذ سوف يختفون من فوق الأرض فأرسل رع عينه لتفتك بالبشر حسب نصيحة نون ، ولكنهم عندما شعروا بها تفرقوا الى الصحارى واختفوا بين الصخور ، فقال رع : انظر : لقد هربوا الى الصحراء . اد ارنعدت قلوبهم مما قالوه ، وعندئذ تقدمت جوع الالهة الى جلالة وقالوا : أرسل عليهم عينك لتقتلهم لك ، دعها تنزل انيهم فى صورة حاتصور ، وذهبت هذه الالهة وقتلت البشر فى الصحراء ورجعت الى أبيها ، فقال لها الاله : مرحى يا حاتصور ، لقد فعلت ما أرسلتك لتفعله ، وقالت هذه الالهة : وحق حياتك اننى اتصرت على الناس ، وهذا شئ يحبه قلبى . فقال جلالة رع : ساتصر عليهم فى هليوبوليس وأبياحم ، فرد علينا الاله قائلا : ان فتكك بهم سوف يوطد سلطانى عليهم . ولكن كفى ما قتت به . لا تقتلى منهم بعد ذلك فردا .

وأما الالهة فلم تستمع الى ما قاله أبوها ، واستمرت طوال الليل تفتك بالبشر ، وتسيح فى دمائهم . وخشى رع ان تأبى حاتصور على ما تبقى

منهم في صبيحة اليوم التالي ، فصاح فيمن حوله : ادعوا لي على عجل .  
رسلا يسابقون الريح ، يجرون كما يجري ظل الانسان ، فأحضروهم اليه  
فقال لهم جلالتهم « اسرعوا الى اليقاتين ( جزيرة أسوان ) واحضروا لي كل  
ما تستطيعون حمله من « ديدى » ، وعندما أحضر الرسل الـ « ديدى »  
الى الاله أمر بصحنه ، كما أمر بعض الخادومات بأعداد كميات كبيرة من  
الجمعة وظلها بالـ « ديدى » فأصبحت في لونها تشبه دماء البشر ، ثم ملا  
بها سبعة آلاف جرة ، وفي الصباح أمر « رع » أتباعه أن يحملوا هذه  
الجرار بما فيها من جعة حمراء « وسكبها في المكان الذي اعتزمت حاتحور  
أن تفتك فيه بمن بقى من البشر ، وقال الاله : ما أجمل ما فعلت ، سأحمي  
ما بقى من البشر من فتكها ، وبدت الحقول كبركة كبيرة تعالوها طبقة من  
الجمعة الى ارتفاع ثلاثة أكف ( الكف ٧٥ سم ) وتم ذلك بأمر من جلالة  
هذا الاله ، وفي الصباح خرجت حاتحور ووجدت المكان مغمورا ورأت  
وجها معكوسا على السائل بشكل جميل فشربت منه وامستطابت طعمه  
وقلمت راجعة وهي ثملة ، فلم تعترض الناس ، وأقيمت الاحتفالات وسر  
الاله ، ورضيت نفسه بنتيجة هذا العمل (١٤) .

(١٤) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٤٩ - ٥٨ ، سليم حسن :  
المرجع السابق ص ٧١ - ٧٤ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٧٥ -  
٣٧٦ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٤ - ٣٣٥ ، نجيب  
ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠١ - ٥٠٢ ، ارمان : ديانة مصر القديمة  
ص ٧٥ - ٧٦ ، وكلنا

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 10-11.

A. Erman, Op-Cit, p. 47-49.

Ch. Maystre, Op-Cit, p. 53-73.

A. Pionkoff, Op-Cit, p. 27-2.

M. Lichtheim, Ancient Egyption Literature, London, 1976,  
p. 197-199.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

## ٥ - أسطورة حيلة ايزة :

اعتقد المصري القديم أن هناك علاقة خفية بين الانسان واسمه ، وأن الاسم انما يكون الجزء الحى من الانسان ، بل هو العنصر الذى يقوم شخصيته وقوته . ومن ثم فقد اعتاد القوم أن يسمي الشخص الواحد باسمين اثنين : الاسم الأكبر ، والاسم الأصغر ، أو الاسم الكبير والاسم الجليل ، وقد اعتاد المصري أن يخفى اسمه الكبير ، وأن يشيع بين الناس الاسم الأصغر ومن هنا اعتقد القوم أن محور اسم الشخص من مقبرته انما هو عمل كاف لقتله أبدا ، لأنه يسلبه بهذا العمل ذلك العنصر القوى الذى تقوم عليه حياته الأبدية .

والأسطورة التى تتعرض لهذا الموضوع مكتوبة على بردية محفوظة فى متحف تورين ، وترجع الى أيام الأسرة التاسعة عشرة ( ١٣٠٩ - ١١٨٤ ق م ) ، وقد اهتم كثير من العلماء بنشرها ، من أمثال اركيبيت (١) وماكسوم مولر (٢) وأدولف ارمان وهرمان رانكة (٣) وروندرو (٤) والنجاردز (٥) وجون ويلسون (٦) وغيرهم (٧) ، كما اهتم بترجمتها والتعليق عليها كثير من العلماء المصريين .

وتقول الأسطورة : كانت ايزة امرأة حكيمة فى قولها ، ولها قلب يفوق فى شجاعته قلوب ملايين الرجال ، وكانت أعقل من ملايين الرجال ، ولم يكن هناك شئ فى الأرض أو فى السماء لا تعرفه ، فهى مثل رع

Eric Peet, A Comparative Study of The Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamia, p. 19 F. (١)

M. Muller, Op-Cit, p. 80 F. (٢)

A. Erman and H. Ranke, Aegypten, Tubingen, 1923, p. 301-304. (٣)

G. Roeder, Op-Cit, p. 138-141. (٤)

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 116-118, Pls. 64-65. (٥)

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 12-14. (٦)

F. Rossi and W. Pleyte, Papyrus Turin, Leyden, 1869-76. (٧)

G. Moller, Hieratische Lesestücke, II, Leipzig, 1927, p. 50-52.

الذى صنع كل ما على الأرض ، وقد دبرت هذه الالهة ( ايزة ) فى نفسها ، أن تعلم اسم الاله الأعظم ، وكان الاله رع يدخل الى السماء كل يوم على رأس رجال سفينه ، وكان يجلس على عرش الأقبين وكانت قد تقدمت به السنون وضعف تحكمه فى لعابه الذى كان كثيرا ما يسيل من شذقيه ويتساقط على الأرض فتناولت ايزة بعضا منه وعجته بتراب الأرض ، وشكلت منه ثعبانا مقدسا ووضعته فى الطريق الذى اعتاد الاله العظيم أن يسلكه حسب ارادته بين شطرى الوادى •

وجاء الاله الأعظم فى بهائه ، وكان آلهة قصره يسرون خلفه ، ومشى كعادته فى كل يوم ، فعضه الثعبان العظيم ، عضه النار الحية التى خرجت منه هو ، فصرخ الاله صراخا عاليا وصل الى السماء وتجاوبت السموات صراخه ، وصاح أفراد التاسوع : ما هذا ؟ ما هذا ؟ ولكن رع لم يستطع من فرط ألمه وشدة صراخه - أن يجيب ، وارتعشت شفغناه ، واهتزت أعضاء جسمه ، لأن انسم تمكن من جسده ، وعندما أخذ الاله يتمالك نفسه ، صاح فى أتباعه :

أفيثونى ، أتم معشر الالهة يا من خلقتكم واخرجتكم من جسمى ، اقتربوا منى لأحدثكم بما حدث لى ، لقد وخذنى واخذ لا يعرفه قلبى ولم تره عينى ، ولم تصنمه يداى ، ولا أستطيع التعرف عليه من بين مخلوقاتى ان ألمه شديد لم أشعر بمثله ، وليس هناك أشد ايلاما منه ، انى شريف ابن شريف ، أتييت الى الحياة الها ، انى عظيم ابن عظيم ، اختار أبى اسما لى ، لقد تعددت أسماى واختلفت أشكالى ، وقد أودعت صورتى آلهة أخرى واختار أبى وأمى اسما لى • واختفى هذا الاسم فى جسدى قبل ولادتى حتى لا تستطيع قوة ساحر أو ساحرة أن تعرفه وتتغلب به على ، دعوا أولاد الالهة يحضرون الى ، أولئك الذين عرفوا بالحديث الطب ، وعرفوا السحر ، ووصلت حكمتهم عنان السماء •

وجاء الآلهة الصغار يندبون ويكفون ، وتقدمت ايزة تسأل عما حدث

وقالت له : ماذا جرى؟ ماذا جرى؟ اذا كان ثعبان قد أصابك بسوء . أو أن شيئاً من مخلوقاتك قد عصاك ، فاني ساسحقه بقوة سحري ، وسأمنعه من أن يجتلي بهاء أشعتك ، ففتح الاله المقدس فيه ، وقص على ايزة ، قصة الثعبان ، ثم قال : انى أشعر ببرودة أشد من برودة الماء ، انى أشعر بجمرة أشد من حرارة النار ، ويفرق جسسى فى العرق ، بينما اهتز من شدة البرد ، هناك غشاوة على عيني ، ولا أستطيع الرؤية ، فقالت له ايزة : أخبرنى باسمك أيها الأب المقدس لأن الانسان لا يستطيع أن يحيا دون ان يذكره فى تعويذة السحر .

فقال رع : أنا الذى خالق السماء والأرض ، وسوى الجبال وأنشأ ما عليها ، أنا الذى خلقت الماء ، وجعلت الالهة « مع - ورت » تأتي الى الوجود ، أنا الذى خلقت الثور لأجل البقرة ، وجعلت التناسل فى العالم ، أنا الذى أنشأت السماء ، وأنشأت أسرار الأفق ، وأحلت فيها أرواح الالهة ، أنا الذى فتح عينيه فكان الضوء ، وأغمض عينيه فكان الظلام أنا الذى يأمر النيل فيفيض ، أنا من لا تعرف الالهة اسمه ، أنا الذى أمرت بالإعياد وخلقت مجارى الماء ، أنا خالق نار الحياة لأشياء أعمال الكون ، أنا « خبرى » فى الصباح و « رع » فى الظهيرة ، و « أتوم » فى المساء .

ولكن السم لم يفادر جسسه ، فتقدمت منه ايزة وقالت : ان اسمك للحقيقى لم تذكره بين الأسماء التى قلتها ، اذا أخبرتنى به خرج السم من جسدك ، واعلم أن الانسان لا يحيا الا اذا نطق باسمه ، ولكن ألام السم ما زالت تحرق جسده ، فكانت أقوى من لهيب النار ، فقال جلالة رع : يا ابنتى ايزة ، قبرى أذيك منى حتى يخرج اسمى من جسدى فيدخل جسدك .

وهكذا تمكنت ايزة من معرفة اسم رع ، ومن ثم قالت : أخرج أيها السم من جسد رع المحترق ، لأنى أقول التعويذة ، اتى أنا التى أمر ، انى أنا التى أبعث بالرسالة ، أخرج على الأرض أيها السم القوى ، ولتعلم

أذ الاله الكبير قد أسرف في أذنى باسمه الكبير ، فعاش رع ، ومات السم  
من قول اذة الكبيرة ، سيدة الآلهة ، التي تعرف رع باسمه الحقيقي ،  
ومن ذلك الوقت أصبح قسمها هي الرقية التي كان يتلوها السحرة ليشفوا  
بها لدغة الثعبان(٨) .

---

(٨) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ١٩ - ٢٥ ، أحمد  
فخرى : المرجع السابق ص ٣٧٧ - ٣٧٨ ، سليم حسن : المرجع السابق  
ص ١١٢ - ١١٥ ، وكذا

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 12-14.

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 116-118.

وكذا



جاءت هذه الأسطورة على بردية « شستريتي الثانية » ، والمحفظة بالمتحف البريطاني برقم ١٠٦٨٢ وترجع الى أيام الأسرة التاسعة عشرة ، وقد فقدت بدايتها ، هذا وقد قام بنشرها « سير آلن جاردنر » (١) ، وترجمها وعلق عليها كثير من العلماء ، من أمثال جوستاف لوفيفر (٢) وويت (٣) وارمان (٤) وجريفث (٥) وماكس بيير (٦) وغيرهم (٧) . كما اهتم بها من العلماء المصريين سليم حسن (٨) وعبد العزيز صالح (٩) .

وقصة الأسطورة بها تبه من أسطورة « أوزير وست » - والى حد ما من « قصة الأخوين » - غير أنها لم تذكر أوزير وست صراحة ، وإنما كتبت كاتبها عنها بإسئى معنويين ، هما « الحق والبهتان » أو الصدق والبهتان ، وكانا أخوين عاشا بين البشر .

وأسلوب الأسطورة بسيط ، وتعبيراتها متشابهة ، وفيها شيء من خوارق العادات ، فيما يتصل بالمخبر والثور ، كما أنها أبانت لنا بعض عادات المصريين القدامى على أيام الرعامسة ، كاستخدام الأعمى من الرجال فى حراسة الأبواب ، وإيداع الثور عند راع فى مقابل أجر ضئيل ، فضلا عن تقديم صورة حية لحياة الفلاح وقت ذلك ، وكذا الحياة المدرسية ،

A. H. Gardiner, LES, p. 30-36, Hieratic Papyri in The British (١)  
Museum, Third Series, Chester Beatty Gift, London, 1935, I, 2-6, 153,  
II, Pls. 1-4.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 159-168. (٢)

E. F. Wente, Op-Cit, p. 127-132. (٣)

A. Erman, Forschungen und Fortschritte eighth year No. 4 (٤)  
(1932), p. 43-44 LAE, p. 3 F.

J. G. Griffith, JEA, 53, 1967, p. 89-91. (٥)

M. Pieper, ZAS, 70, 1934, p. 92-97. (٦)

A. Theodorides, RdE, 21, 1969, p. 85-105. (٧) انظر

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 211-214. وكذا

S. Schott, Altgyptische Liebeslieder, Zurich, 1950, p. 205-208. وكذا

(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٦ .

(٩) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٣ - ٣٣٤ .

ولعل مما يلفت النظر ، فيما يرى الدكتور سليم حسن ، أسماء بطلى القصة « الصدق والبهتان » اللذين خلعا على الأخوين المتخاصمين ، لأن ذلك لم يكن منتظرا ، حيث أن كلمة « صدق أو عدالة » من الأسماء المؤنثة فى اللغة المصرية القديمة ، وإن كان اطلاق أسماء معنوية على صور حسية إنما هى من الأمور الشائعة عند القوم من قديم الزمان ، ومثالنا الالهة « ماعت » (مات) التى تدل على الصدق والعدالة « وأحيانا النظام والاستقامة (١٠) ، وهذا أقدم مثال للكناية (١١) .

تقول الأسطورة : أن « البهتان » أراد أن يكيد لأخيه « الصدق » فترك خنجره ودبعة لديه ، ثم استلبه منه خفية ، وعاد فطالبه به ، ولما اعتذر له أخوه عن ضياعه لم يقبل عذره « كما لم يقبل أن يعوضه عنه ، وشكاه الى الأرباب مدعيا أن سلاح خنجره كان فى ارتفاع الجبل ، وأن مقبضه فى ارتفاع الشجر ، ففوض له الأرباب التعويض الذى يجهه ، فأصر على أن يقتل عيني أخيه ، وأن يستخدمه حارسا لداره ، فأجاب الأرباب الى ما أراد ، وأذل البهتان أخاه ، وجعله حارسا لبابه ، ولكنه كلما نظر اليه أحس بخزيه ، وبأن الضرر ما زال يحتفظ بوقاره وجماله ، ومن ثم فقد دير أمر قتله ، وههد بذلك الى عبيدين عنده ، غير أنهما لم ينفذا جريسته ، وتركوا « الصدق » عند سفح الجبل .

ومر حين من الدهر ، وشهدت الصدق أثنى بارعة الجمال ، فأحبته وتزوجته ، وإن لم تعلن ذلك الزواج حتى لا يمايرها الناس به ، ولكنها خصصت للزوج غرفة بجانب باب دارها ، ومرت الأيام ورزق الزوجان بسلام تعهدته الأم بالتربية الصالحة ، وأخفت عنه سر أبيه ، وألحقته بمدرسة أتقن الكتابة فيها ، وتعلم فنون الرياضة والنزال وتفوق على أقرانه فيها ، وإن نقص عليه هذا التفوق أن زملاءه كثيرا ما كانوا عن أبيه ، بل وكانوا أحيانا يسرونه بأنه لا أب له ، وعندما عرف الحقيقة ، وأن أباه إنما هو

(١٠) أنظر عن عن الالهة «ماعت» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ٣٥٠ - ٣٥٢) .  
 (١١) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٢٢ - ١٢٣ .

ذلك البواب الأعمى ، كظم غيظه ، وان الملح الى أمه أن موتها خير من حياتها « كان خيرا لك أن تجمعي أهلك حتى يأتوا لك بتساح يلتهمك » .

وفي نفس الوقت بدأ يفكر فى أن يكيد لعمه « البهتان » ، كما كاد هو لأبيه من قبل ، فاشترى ثورا وعهد به الى أحد رعاة عمه ، وطلب منه أن يرعاه حتى يعود من سفره فى مقابل أجر أعطاه إياه ، وفى يوم من الأيام رأى البهتان الثور ، فأعجب به وذبحه ، رغم معارضة راعيه ، ومرت شهور وجاء الغلام ، وعلم بما حدث ، فشكا الراعى وسيده الى الأرباب وادعى أن ثوره كان ينجب ستين عجلا كل يوم ، وأنه اذا وقف وسط الدلتا بلغ احد قرية جبالها الشرقية ، وبلغ الآخر جبالها الغربية ، وتعجب الأرباب من دعواه . واتهموه بالمبالغة التى لا تصدق ، فأجابهم : وهل رأيتم من قبل خنجرا بضخامة الخنجر الذى حكم على أبى بالعمى من أجله ، وهنا علم الأرباب أن البهتان قد خدعهم ، فردوا على الحق بصره ، وأمروا بجلد البهتان مائة جلدة ، وبجرحه خمسة جروح بالغة ، وفقه عينيه ، وبأن يصبح بوابا لأخيه ، جزاء وفاقا على ما فعل بأخيه من قبل ، وهكذا عبر القصاص بهذا العقاب ربما عما أصبحت عليه العقوبات البدنية فى عصره ، كما عبر بتربية الابن تربية صالحة — كناية ورياضية وعسكريف — عما كانوا يستحبونه لتربية أبناء الكبراء فى أيامهم (١١) .

(١٢) عبد العزيز صالحي : الشرق الادنى القديم ١/٣٣٣ - ٣٣٤ -  
(القاهرة ١٩٦٧) .

كانت ولاية العرش فى مصر الفرعونية تنحصر فى الابن الملكى الأكبر من الدم الملكى الخالص ، ثمة زواج الأخ الملكى من الأخت الملكية من الأبنين الملكيين وهكذا كانت القاعدة الثابتة أن يعتنى عرش مصر من تسرى فى عروق أمه وأبيه الدماء الملكية النقية ، أما اذا كان ابنا لزوجة مصرية غير ملكية ، فكان عليه أن يلجأ الى الزواج من أميرة من الفرع الملكى الخالص ، ليقوى بذلك شرعية مركزه ، ويصبح أهلا لتولى عرش الفراعين<sup>(١)</sup> ، ومع ذلك فان زوج الأميرة الملكية انسا يعتبر مجرد أمير ، وأما أبناؤها - ثمة هذا الزواج - فقد كانوا يعتبرون ورثة شرعيين ، وفى بعض الحالات قد يصبح زوج الملكة الوارثة ملكا ، حين تكون هذه الملكة كبرى نساء البيت المالك منا ، كان تكون أرملة ملك أو كبرى بناته ، أو أبعد من ذلك

• قرابة (٣) •

ولعل ذلك انما يعنى أن العرش المصرى انما كان ينتقل عن طريق المرأة ، ومن هنا كانت الزوجة الملكية الكبرى للملك هى الورثة التى يستطيع هذا الملك الوصول الى العرش عن طريق الزواج بها ، ولم يكن مولد الملك مهما ، بقدر ما يكون مولد الملكة ، فقد يكون من أية طبقة ولكنه يصبح ملكا حين يتزوج من الملكة ، ونستطيع أن نقول ان الملكة ملكة بحق للولد ، وأن الملك ملك بحق الزواج ، ولا يستطاع تفسير هذه الزوجات الملكية بغير عادة التسلسل الأموى ، وانتقال التاج عن طريق خط الأتى<sup>(٢)</sup> ، ولعل هذا هو الذى جعل نظرية تولى العرش فى مصر،

Percy E. Newberry, King Ay, The Successor of Tut-Ankh (١)  
:mun, in JEA, 18, 1932, p. 51.

(٢) انظر : محمد بيومى مهران : اخناتون - عصره ودعوته -  
القاهرة ١٩٧٩ ص ٥٠ - ٥١ .

A. M. Margaret, Splendour That Was Egypt, London, 1950. (٣)  
p. 102.

تنص على أن تكون أم الملك من نسل ملكي خالص ، فهي اما أن تكون ابنة ملك ، أو زوجة ملك ، أو أم ملك ، وقد تكون الثلاثة معا .

وانطلاقا من كل هذا ، فإن الملك الذي يجلس على عرش مصر ، من غير أبناء الأسرة المالكة ، كان عليه أن يتزوج من إحدى أميرات البيت الملك . حتى يأتي خلفه ، والدماء الملكية تجري في عروقه ، ذلك لأن الملكات انما كن ممثلات للدم الملكي ، ويحافظن على التقاليد الملكية بارتباطهن بالأسرة الجديدة - سواء آكان أول ملوكها زوجا للملكة أو أحد أبنائها ، هذا وقد اعتبر المصريون القدامى الزوجة الرئيسية هي «زوجة الاله» ( زوجة الملك المؤله ) ، وان كانت من نسل ملكي سابق لكن جيء بها من صلب جسد مؤله ، ومن هنا نشأت نظرية تولي العرش ، ورغم أن للملوك الحق في الزواج من أكثر من واحدة ، غير أن الزوجة الرئيسية انما كانت تعتبر ألقى الزوجات ، ولعل ذلك هو السبب في زواج الأخ بأخته التي لجأ اليها بعض الملوك ( وليس المصريون عامة ) بغرض تأكيد صفاء الألوهية من ناحية ، فضلا عن التقليل من عدد المتطلعين الى العرش من ناحية أخرى (٤) .

على أن هناك بعضا من الملوك انما قد لجأوا - في تبرير شرعيتهم للعرش - الى قصص الولادة الالهية - كما فعلت حتشبوت وأمنحتب الثالث - في نصي الولادة المشهورين ، الواحد : في معبد المدير البحري في طيبة الغربية ، والثاني في معبد الأقصر في طيبة الشرقية ، ويتحدث الأول عن ولادة حتشبوت من الاله آمون ، ومن أحسن ، زوج تحوتنس الأول (٥) ، ويتحدث الثاني عن ولادة أمنحتب الثالث من الاله آمون ،

J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, (٤)  
p. 96-97.

E. Naville, The Temple of Deir El-Bahari, Part, II, 1896, p. (٥)  
46-56.

J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1927, Parag. 192-220, p. وكذا  
78-89.

ومن « موت ام ويا » زوج الملك تحوتس الرابع (٢١) ، وفي كلا النصين نرى الاله آمون يتخذ شخصية « الزوج الأب » ثم يتصل بالملكة الأم ( أحس أو موت ام ويا ) اتصال الرجل بزوجه ، فتحمل الملكة وتنجب الفرعون (٢٢) .

وعلى أية حال ، فإن التاريخ انما يحدثنا أن « تحوتس الأول » (١٥٢٨-١٥١٠ ق.م) لم يرزق بولد ذكر من زوجه الرئيسية «أحس» وانما ، وضعت له بنتا دعوها « حثبسوت » ، كان المفروض أن تخلفه على العرش ، لولا أن سوابق حكم الملكات في مصر القديمة لم تشجعه ولم تشجها على ذلك ، ذلك لأن القوم ، فيما يبدو ، ما كانوا يستيفون أن تحكمهم امرأة ، رغم أنهم ما كانوا ينكرون حق الأث في وراثة العرش ، بل ان العرش نفسه ، كما قلنا ، انما كان ينتقل عن طريق المرأة ، وليس الرجل ، ومن ثم فقد زوج تحوتس الأول ولده تحوتس الثاني من ابنته « حثبسوت » ، صاحبة الحق الشرعى فى العرش ، وأجلسه خليفة له على عرش مصر ، غير أن زوجه وأخته « حثبسوت » انما كانت قوية الشكيمة ، ومن ثم فقد نجحت فى أن تؤكد شخصيتها فى عهده « وفى أن تمهد لخلافتها اياه » ، ثم مات بعد أن أنجب منها بنتين ، كما أنجب ولده « تحوتس الثالث » من زوجة غير ملكية هى « ايزة » وهو الذى خلفه على العرش تحت وصاية عمته وزوج أيمه « حثبسوت » غير أن هذه الوصاية سرعان ما أصبحت حكما حقيقيا ، عندما أبعدت حثبسوت تحوتس الثالث عن العرش ، وانفردت بحكم مصر قرابة اثنين وعشرين عاما (٢٣) .

(٦) A. Gayet, Le Temple de Louxor, Cairo, 1895, Pls. 62-73, fig. 205.

(٧) أنظر : محمد بيومى مهران : مصر والشرق الأدنى وقديم - الجزء الثانى - مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٠١-١٠٤ .

(٨) W. C. Hayes, CAH, II, Part, I, Cambridge, 1975, p. 317.

H. Gauthier, le Livre des Rois d'Egypte, II, Cairo, 1912, p. 236. وكذا

J. Yoyotte, Kemi, 1968, p. 85-91. وكذا

A. Weigall, A History of The Pharaohs, II, London, 1925. وكذا

p. 106-108.

وفى الواقع أن ذلك لم يكن أمرا ادا فى تاريخ الفراعين « فقد فعلت ذلك امرأتان من قبل ، على الأقل ، الواحدة « نيتوكريس » فى آخر الاسرة السادسة ، والاخرى «سوبك نفرو رع» فى آخر الاسرة الثانية عشرة ، وان اتهمت الأستين بكل منهما ، ولكن الجديده هنا أن أثى ظهرت بمظهر الرجال وارقدت زيهم « وان حدث ذلك فى شيء من التردد ، أول الامر ، ثم أصبح أمرا عاديا بعد ذلك ، حيث نرى بعد ذلك «حتشبسوت» تظهر بزى الرجال فى أماكن كثيرة فى الكرنك « ولم يقتصر الأمر على ذلك بل ان المرأة الفرعونية انما كانت تصر على أن تلبق نفسها بلقب « ملك » وليس « ملكة » ، وان تستخدم ضمير المذكر ، وليس المؤنث (٩) .

ولم تكف « حتشبسوت » بذلك ، وانما زعت لنفسها فى أسطورة سياسية ، مولدا للها ، من الاله آمون نفسه ، وسجلته على معبد الديبر البحرى فى طيبة الغربية ، تقول الأسطورة : أن مجلس أرباب الوادى قد انعقد برياسة آمون للتشاور فىمن يخلقه ليجلس على عرش الكنانة ، واذا برى الحكمة « تحوت » يتقدم الى آمون ليذكره بأحسن الجميلة ، زوج الملك تحوتس الأول ، واذا بآمون يعلن للأرباب أنه سيهب الملكة الجميلة مولودا من صلبه يعتلى العرش ، وأنه قضى أن يكون الولد أثى وسرعان ما تحققت المعجزة بأن مضى آمون الى قصر الملكة فى غيبة زوجها — بعد أن قمص بصورة وتزى بزىه — ثم دلف الى مخدع الملكة فوجدها وسنانة ولكن شذى عطره قد نفذ الى أنفها فأيقظها ، ولم تكن تنو اليه بناظرها حتى تمثل لها بشرا سويا ، رأت فيه زوجها ، فقالت : هيت لك ، فجلس منها مجلس الرجل من المرأة ، ولما قضى منها وطره ، بأها عن يكون ، ففرحت بذلك وتهللت واستبشرت بما أودع فى رحمها قبل أن يهم آمون بمحادثة مخدعها ألبأها بأنها ستضع أثى ، وسوف

H. Chevrier, ASAE, 34, 1934, p. 170-172.

Suzanne-Ratic, la Reine-Pharaon, Paris, 1972, p. 20-22, 262.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 181-184.

W. C. Hayes, Op-Cit, p. 317-318.

(٩)

وكذا

وكذا

وكذا

يكون اسمها « حثشبسوت خمنت أمون » بمعنى « ذروة النييلات ،  
صفية أمون » .

تم أوحى أمون الى « خنوم » - الاله المتكفل بخلق البشر - أن  
يصور بدن الجنين من صلصال ، ثم قال له : لتصنع ابنتى هذه وقرينتها من  
أعضائى ، ولتسكلها بجمال لا مثيل له بين الآلهة ، اصنع لى ابنتى هذه  
التي افجبتها ، لقد وهبتها الحياة والسعادة والقوة ، سأمنحها كل شيء  
لتصبح مثل رع الأبدى ، فأجاب خنوم : سأصنع لك ابنة اسمها  
حثشبسوت ، لها الحياة والصحة والسعادة ، سوف يفوق جمالها جميع  
الآلهة ، حتى ينق مع مكاتها كملك لمصر العليا والسفلى .

ولما جاء المخاض الملكة اجتمع الأرباب فى ساحة القصر ، وهرع  
اليها منهم من يستطيع مساعدتها فى ساعة العسر ، ولما خرجت حثشبسوت  
الى الدنيا تلقتها الالهة حاتحور ، وقدمتها الى أمون الذى سعد بها كثيرا  
ثم قال : انت يا أعظم جزء منى ، ستصبحين « ملكا » على مصر ، سوف  
تجلسين على عرش حور الى الأبد ، ثم قدمها أمون الى بقية الأرباب ،  
باعتبارها وريثة عرش الفراعين ، ثم خاطبهم بقوله : ها هى ابنتى  
حثشبسوت معكم ، لتحيطوها بحبكم وعطفكم ، فأجابت الالهة ، هذه  
هى ابنتك حثشبسوت التي تحيا سوف تحيطها بحبنا وعطفنا ، وستحيا  
فى سلام وهدوء ، انها ابنتك التي خلقتها من نفسك ، انك أعطيتها  
روحا من روحك ، انك أسبغت عليها قوة سحرية من قوتك ، لقد  
امتلكت البلاد وكل ما تفلله السماء ، بينما كانت فى بطن أمها ، انها  
صاحبة كل ما تحويه البحار ، هذا ما صنمته لها ، انك أعطيتها حظحور  
فى الحياة ، لقد وهبتها منى من السعادة .

ثم سرعان ما تلقى أبوها ( تحونمس الأول ) البشرى ، راضيا شاكرا  
وأعلنها على الناس كافة ، ولما أصبحت الطفلة شابة كانت جميلة جمالا  
رائعا ، وكان النظر اليها أمتع من النظر الى أى شيء فى الدنيا ، كانت  
صورة اله : تتصرف كما يتصرف الآلهة ، ولها روعتهم وبهاؤهم ، وكانت



تضارع الربة « لحو » فى زمانها ، ثم طاف بها أبوها على المعابد الكبرى وأعلنها خليفة له على عرش الكنانة .

وهكذا حاولت حتشبسوت بكل الوسائل أن تزيل من أذهان القوم كراهيتهم لحكم الأثاث ، ولسنا ندرى مدى تصديق المصريين لهذه الادعاءات الأسطورية، ولكن حسبها — من الناحية السياسية — ما تدل عليه من اعتقاد الفراعين بأن الأمر الواقع فى ارتقاء العرش ، والهيمنة على السلطة لا يكفى ، وأنه لابد من تأييده بسند من الدين ، يرضى الكهان والخاصة والعوام (١٠) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن تحوتس الثالث أراد أن يرد على أسطورة خصيمته حتشبسوت عن « المولد الالهى » الذى زعمته فى هذه الأسطورة ، بأسطورة « الاختيار الالهى » له ، وذلك عن طريق دعوى صورها على معبد الكرك ، وزعم فيها أن أباه تحوتس الثمانى قد بعث به طفلا الى دار أمون لينشأ فى ظله ، ولينربى فى كتفه ، وتحت رعاية كهانه ، وقد حدث خلال الاحتفال بعيد دهى كبير ، أن اتحنى تحوتس الثالث جانبا من البهو الشمالى فى معبد الكرك ليشهد منه موكب ربه أمون ، وعندما مر الموكب — والفرعون فى مقدمته — تعمد تمثال الاله أن يحوم حول مكان تحوتس الصغير ، وقد تبعه الكهان ورجال الدولة دون أن يدروا عن هدفه شيئا ، حتى بلغ موضع تحوتس من أمامه ، هناك أخذ الرعب فخر صعقا ، فلما أفاق رأى ربه ينهضه ثم يأخذ بيده فيقوده الى أقدس مكان فى المعبد ، هناك كشف عنه غطاءه وفتح له أبواب السماء ، فطار اليها حيث تلقى ألقابه وجعلت الدييات تحت

(١٠) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ٢٠٠/١ ، الاسرة والمجتمع ص ٢٥ - ٢٩ ، عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ٩٧ - ١٠٨ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1927, p. 78-89.

E. Noville, The Temple of Deir El-Bahari, II, London, 1896, وكذا p. 46-56.

قلميه ، والنصر في ساعديه ، ثم مد له حدود ملكه ، لأنه أحبه حبا لم  
يحبه أحدا من قبل (١١) .

وهكذا رد تحوتس الثالث على أسطورة حتشبسوت بأسطورة  
مثالها ، وسوف يفعل أمنحتب الثالث فيما بعد ، ما فعلته حتشبسوت  
الآن ، كما أشرنا من قبل .

---

(١١) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٠٠ ، وكذا

Urk., IV, p. 157-159, 186-190.

W. C. Hayes, CAH, II, Part, I, p. 317.

وكذا

## الفصل الثالث

ادب القصة

يتفق الباحثون — أو يكادون — على أن مصر انما كانت اول بلد نشأت فيه القصة القصيرة ، فلقد عرف القوم الأدب القصصى منذ فجر حياتهم ، وبرعوا فى صياغته ، وان لديهم منه ألوان رائعة ، منها ما يصور بعض ما حدث فى أيامهم ، ومنها الخرافى الأسطورى ، يقصدون من روايته العبرة والموعظة الحسنة ، ومن ثم فقد جمعت قصص القوم فى سياقتها « بين حقائق موضوعية ، وبين صياغة فنية ، وبين أخيلة تصور المعجزات وفنون اسحر ، وبين آراء خاصة ، وأمانى عامة ، عبر القصص عنها بطريق الرمز » .

ولعل أقدم القصص تلك التى جاءت على بردية « وستكار » ، والتى تتناول روايات السحر وأهله ، وبعض ما يأتون من فنونه وألوانه ، وأثر ذلك كله فى حياة الناس « وقيل انما قصت على الملك « خوفو » — تالى ملوك الأسرة الرابعة ، وصاحب الهرم الأكبر — تصور له بعض أيام أسلافه ، ومع أن القصص قد كتب بعد أيام خوفو بعشرة قرون — تزيد قليلا أو تنقص كثيرا — غير أن أصله يرجع الى أيامه على أية حال ، وهى قصص ، أيا كان الغرض منها ، فهى تصور لنا الترف واليسار الذى كان يشيع فى حياة القصور يومئذ ، ويصور ألوانا من سلوك الناس ، ومن تفكيرهم وعاداتهم وشرائعهم فى ذلك العهد البعيد من تاريخ مصر .

غير أن العصر الذهبى للقصة ، انما يبدأ منذ عهد الثورة الاجتماعية الأولى ، حيث مرت البلاد ابانها بأحداث كثيرة ، ازدهر الأدب بعدها ، بل ان المؤرخين انما يكادون يجمعون على أن هذا العصر ، بقدر ما ضمن عى الباحثين بمصادره الأثرية ، بقدر ما منحهم قدرا من الأدب يكاد يعطينا صورة عن الحياة الاجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصر ، ولعل من أروع المقطوعات الأدبية التى تسب الى تلك الفترة انما هى « قصة الفلاح التصيح » ، والتى تمد آية فى بلاغة الأسلوب ، كما أن بيان الشكوى رائع أخاد ، فيه كثير من التورية ، وفيه كثير من التهكم الرائع ثم ان الصورة التى عرضها ذلك القروى التصيح انما تعد مظهرا صادقا ،

لما كان واقعا يؤمئذ من ضيق الناس بحال البلاد ، وتبرمهم بالفوضى  
التي منادت حياتهم .

ومن أيام الدولة الوسطى تجيء « قصة سنوهى » ، ذلك الرجل  
الذى فر الى فلسطين فى ظروف سياسية معروفة ، وأقام بها حتى صدر  
غزو فرعونى عنه ، وهى من القصص الواقعى الذى يلقى ضوءا على  
انحرادث التي حزت فى مطلع الأسرة الثانية عشرة ، وتصور أحوال البلاد  
انسيامية والاقتصادية والحربية وقتئذ ثم هى مرآة صافية لوجه الحياة  
فر فلسطين . وظاهر أن المصريين قد فتنوا بها ، وظلوا ينسخونها  
ويتداولونها دهرًا طويلا .

ثم هناك « قصة البحار » التي ترجع أيضا الى أيام الدولة الوسطى ،  
وتشبه الى حد كبير « قصص السندباد البحرى » فى « ألف ليلة وليلة »  
فهى تحدثنا عن بحار حملته الأمواج — بعد أن نهطت سفينته — الى  
جزيرة نائية ، بها حية ضخمة ، أكرمته وحمته ، وظلت ترعاه حتى عاد الى  
وطنه ، وقد وضعت القصة فى أسلوب رقيق يعبر عن أجمل العواطف ،  
ويستثير روح البطولة والمجازفة ، ويعصور حياة الملايين تصويرا دقيقا وهى  
تشير كذلك الى حب الوطن الذى ملأ قلوب المصريين ، بحيث أضفى  
لديهم من قواعد الايمان .

ولعل ما تجدر الاشارة اليه هنا ، أن القصص الذى وصلنا منذ  
عهد الدولة الوسطى ، انما يشير الى نضج ينم عن وجود مرحلة سابقة  
لمعالجة هذا اللون من الأدب ، قد نستطيع أن نستشف وجوده من معالجة  
الأمطير فى متون الأهرام من عهد الدولة القديمة « ومهما يكن من أمر ،  
فإن غياب القصة فى عهد الدولة القديمة لا ينهض دليلا على عدم وجودها  
فقد يكشف يوما عن عناصرها الأولى فى هذه العهود البعيدة ، وعلى أية  
حال ، فإن أدب القصة فى عهد الدولة الوسطى ، لا يمثل مرحلة تطور  
فحسب ، بل يمثل مرحلة كمال نسبي ، بل انه يمثل ذروة الأدب القصصى  
فى مختلف عصور الحضارة المصرية القديمة .

وأما القصة الذي يرجع الى عهد الدولة الحديثة والعصر المتأخر فكثير ومتنوع ، فهناك قصة « فتح يافا » التي تبين لنا كيف أصبح المصريون دعاة في الخدع والمهارات الحربية ، وهنا « قصة ون أمون » التي تشير الى مدى ضعف نفوذ مصر الخارجى بعد أيام الامبراطورية المجيدة ، ثم هناك « قصة الأخوين » ، والتي كتبت باللغة الشعبية ، وحلق بها كاتبها فى آفاق الخيال طويلا ، وهى تمثل الصراع الدائم بين اغراء المرأة حين تطيش ، وعفة الرجل حين يفتح الضمير الحى عينه على سة الفتنة ، وهناك « قصة الأمير المقدور عليه » ، والتي توضح الصلة بين مصر وبلاد الشرق فى أخريات أيام الدولة الحديثة ، والتي تصور آمال الوالد ولهفته حين ينتظر الولد ، وقد طال شوقه اليه وأمله به ، ثم حلمه واشفاقه من المستقبل حين تحدثه نفسه ، بما يمكن أن يصيب الولد من مكروه .  
وأما « قصة الصراع بين الحق والباطل » فهى من القصص التعليمية الذي يقصد به أصحابه الى العبرة والموعظة الحسنة (١) ، سوف نحاول هنا أن نتعرض — بالشرح والمناقشة — للقصص التالية :

- ١ — قصة خوفو والسحرة .
- ٢ — قصة البهلاج الفصيح .
- ٣ — قصة سنوهى .
- ٤ — قصة الملاح والجزيرة النائية .
- ٥ — قصة فتح يافا .
- ٦ — قصة الأخوين .
- ٧ — قصة ون أمون .

(١) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٧٢ - ٧٤ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٢ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٤ - ٥ ، ١٥ ، ٢١ .

لعل من الجدير بالاشارة - بادىء ذى بدء - أن قصة خوفو والسحرة هذه « ليست قصة واحدة » وإنما هي عدة قصص ، منتظمها قصة واحدة ، تصور لنا ما كان منتشرًا بين الناس في عهد الدولة الوسطى من أقاصيص نسبوها الى القدماء « ليضيفوا عليها حالة من التمجيد والتعظيم ، ومن ثم فقد اختاروا نسبة حوادثها الى عصور ملوك اشتهروا في التاريخ ، وكانت أعمالهم وآثارهم ماثلة أمام عيون من جاءوا بعدهم . وكانوا ينظرون الى أيامهم نظرة اصجاب واعزاز ، وهكذا كانت شخصيات هؤلاء القرائين محورًا لعدد كبير من القصص ، للرسمية منها والشعبية ، وقد جمعت قصصهم في سياقها بين حقائق موضوعية ، وبين صياغة فنية ، وبين أخيلة تصور المعجزات وفنون السحر ، وبين آراء خاصة وأمانى عامة عبر القصاص عنها بطريق الرمز .

هذا وقد حفظت هذه القصص في بردية محفوظة في متحف برلين ( برقم ٣٠٣٣ ) ، وكانت قد أحضرتها الألسة « وستكار » من مصر وسلمتها الى العالم الألماني « كارل ريتشارد لسيوس » ( ١٨١٠ - ١٨٨٤م ) حينما كان مقيمًا في إنجلترا ( عام ١٨٣٨/١٨٣٩م ) ، ثم أودعت بمتحف برلين بعد وفاة لسيوس ، وعلى أية حال ، فلقد عرفت البردية بين علماء المصريات باسم « بردية وستكار » ، وقد كتبت في عهد الدولة الوسطى ، وان كان هناك من ينسبها الى عصر الهكسوس (١) .

وكان أول من نشرها « أدولف ارمان » (٢) و « كورت زيتس » (٣) ، ثم

(١) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٩٦ ، عبد العزيز مسالحو : المرجع السابق ص ٢٣٥ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ١٩١ ، وكذا Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1973, p. 215-216.

(٢) A. Erman, LAÉ, 1927, p. 36-47 and A. Erman, The Ancient Egyptians p. XXIV, LZVIII-LXIX, 36-49 (New York, 1966).

(٣) K. Sethe, Ägyptische Lesestücke, Leipzig, 1924.

K. Sethe, BrL, Leipzig, 1927, p. 32-45.

ترجمها «ارمان» و«جوستاف لوفيفر»(٤) ، و«ارك بيت»(٥) ، و«ماكس بير»(٦) و«جاستون ماسيرو»(٧) و«سكوت»(٨) و«بوزر»(٩) وغيرهم(١٠) ، هذا فضلا عن الترجمات العربية للبردية(١١) .

ولعل من الجدير بالإشارة أن تلك القصص التي جاءت على «بردية وستكار» ، إنما يعدها علماء المصريات من أقدم — إن لم تكن أقدم — القصص التي تتناول روايات عن السحر وأهله ، وبعض ما يأتون من فنونه وأنواعه ، وأثر ذلك كله في حياة الناس ، وقيل أنها قصت على «خوفو» تصور له بعض أيام أسلافه ، ومع أن القصص قد كتب بعد عصر خوفو بمشرفة قرون ، إلا أن أصله يرجع إلى أيامه على كل حال ، وهي قصص أبداً كان الغرض منها ، فالحقا «كما أشرنا من قبل» ، إنما تصور لنا الترف واليسار الذي كان يشيع في حياة القصور يومئذ ، ويصور ألوانا من سلوك الناس ومن تفكيرهم ومن عاداتهم وشرائهم في ذلك العهد البعيد من عهود مصر الفرعونية .

وعلى أية حال ، فإن موضوع البردية أن أبناء الملك «خوفو» —

G. Lefebvre, *Romans et Contes égyptiens de L'époque Pharaonique*, Paris, 1949, p. 70-90. (٤)

E. Peet, *Op-Cit*, p. 41 F. (٥)

M. Piepe-, *Op-Cit*, p. 55 F. (٦)

J. Maspero, *Op-Cit*, p. 21 F. (٧)

S. Schott, *Altägyptische Liebeslieder*, Zurich, 1950, p. 176-187. (٨)

G. Posner, *Littérature et Politique dans L'Égypte de la XIIe Dynastie*, Paris, 1956. (٩)

E. Brunner-Traut, *Altägyptische Märchen*, 1965, p. 11-24 (١٠)

William Kelly Simpson, *The Literature of Ancient Egypt*, وكذا

London, 1977, p. 15-30.

M. Lichtheim, *Op-Cit*, p. 215-222. وكذا

(١١) سليم حسن : المرجع السابق ص ٧٤ — ٨٧ ، أحمد فخري :

المرجع السابق ص ٣٩٦ — ٤٠٢ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص

٣٣٥ — ٣٣٧ ، محمد بيومي مهران : إسرائيل ١/٢٢٠ — ٢٢٣ .



صاحب الهرم الأكبر - أخذوا يقصون عليه واحدا بعد الآخر أحاديث  
عجيبة عن أعمال البحرة ، وما يمكنهم أن يأتوا به من معجزات (١٢) ،  
وما يستطيعون الانباء به من أخبار الغيب وما سيحدث في المستقبل ،  
وأول البردية مكسور ، ومن ثم فنحن لا نعرف كيف كانت بدايتها أو  
محتويات ما غاب منها ، كما أننا لا نعرف أيضا من هو ذلك الأمير ابن  
الملك خوفو ، الذي قص عليه تلك القصة التي حدثت في عهد الملك  
« زوسر » - صاحب الهرم المدرج في سقارة ، وأول ملوك الأسرة  
الثالثة (١٣) - ذلك لأن الجزء المحفوظ من البردية انما يتحدث فقط عن  
ترحم الملك « خوفو » على جده « زوسر » ، وتقديم القرابين له ، كما

(١٢) من المعروف ان الله تعالى انما قد اختار معجزة نبيه موسى عليه  
السلام من نوع السحر الذي برع المصريون فيه ، ذلك لان معجزات الانبياء  
ما كانت لتنزل الا في أمر من واقع حياة الناس ، وما يدور بأذهانهم ،  
فتكون محققة في أعينهم ، على غير قاعدة ولا قياس لخارق الاعمال ،  
والمصريون طالما فكروا في السحر ، وسحروا به ، وضربوا به في أغوار  
الوهم وتخيلوه ، وقد ورد لنا عن الحياة المصرية القديمة من أحاديث السحر  
والمسحارين ما كان الناس يخرجون به الى عالم الغيب من عالم الشهادة ،  
ومن دنيا الواقع الى آفاق الحياة ، والمصريون انما كانوا - فيما تشهد به  
قصص أدبهم كقصتنا هذه - بحبون أحاديث السحر وخوارق الاعمال ، هذا  
فضلا عن ان المصريين - كما يشهد القرآن الكريم بذلك - قد برعوا في  
السحر ، حتى أنهم سحروا أعين الناس واسترهبوهم ، وحتى خيل لموسى  
عليه السلام ، أن حبالهم وعصيهم قد أصبحت حيات تسعى ، فأوجس في  
نفسه خيفة موسى ، قال تعالى «قالوا يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون  
نحن الملقين ، قال القوا ، فلما ألقوا سحروا أعين الناس واسترهبوهم ،  
وجاءوا بسحر عظيم (الاعراف : آية ١١٥ - ١١٦) ، وقال تعالى «قالوا  
يا موسى اما أن تلقى واما أن نكون أول من ألقى ، قال بل القوا ، فإذا  
حبالهم وعصيهم يخيل إليه من سحرهم أنها تسعى ، فأوجس في نفسه خيفة  
موسى ، قلنا لا تخف انك أذنت الاعلى ، والقي ما في يمينك تلقف ما صنعوا  
انما صنعوا كيد ساحر ، ولا يفلح الساحر حيث أتى» (سورة طه : آية  
٦٥ - ٦٩) .

(١٣) أثبتت الحفائر الحديثة أن «زوسر» لم يكن أول ملوك الأسرة  
الثالثة ، وأسبقه الى العرش المصري الحور «سانخت» الذي تجعسله كل  
الاحتمالات المقبولة أبا أكبر للملك زوسر ، غير أننا لا نعرف عنه شيئا ،  
سوى انه الجنازى الذي يحتمل انه قد استخدم كمنطقة بداية لهرم زوسر  
المدرج (انظر :

R. Weill, *Les IIe et IIIe Dynasties Egyptiennes*, Paris, 1908, p. 128.

J. P. Lauer, *Les Pyramide a degres*, in *Rev. Arch.*, 47, 1956, p. 17.

يتحدث عن ذلك الساحر الذي عاش في عهده ، والذي وجد اسمه مكسور  
أيضا في البردية .

وعلى أية حال ، فإن « بردية وستكار » انما تروى قصصا ثلاثة :  
قصة الزوجة الخائنة ، وقصة سنفرو وفتيات القصر ، وقصة خوفو  
والسحرة .

#### ١ - قصة الزوجة الخائنة :

حدثت هذه القصة - طبقا لما جاء في البردية - على أيام الملك  
«نب كا» - من الأسرة الثالثة ، وربما كان هو الملك «سانخت»<sup>(١٤)</sup> -  
وقد قصها الأمير « خفرع » ( خع اف رع - صاحب الهرم الثاني في  
الجيزة ) وقد جاء فيها : عندما كان الملك « نب كا » في زيارة لمعبد بتاح  
في منف ، كان « أوبا أونر » كبيرا للكهنة المرتلين في المعبد ، وكان  
متزوجا من امرأة داعرة ، كانت على علاقة جنسية بشاب من أواسط الناس ،  
وأهمها كان يلتقيان - في غياب زوجها - في منزل ريفي يملكه الزوج  
الكاهن على حافة بحيرة ، حيث كانا يعاقران الخمر ، ويرتكبان ما حرم  
الله ، ثم ينزل القتي آخر النهار - فيغتسل في البحيرة ، على أن حارس  
البيت ، وقد سدرت المرأة في غيها ، ومضت في ضلالها زما ، قد عمد  
فمشى بخيرها الي زوجها ، الذي صنع من الشمع كهينة التمساح ، فالتقاءه  
بي البحيرة بمد أن قرأ عليه من عزائم السحرة ، ما حوله الي تمساح  
مفترس عظيم ، فلما نزل القتي الي الماء قبض التمساح عليه ونزل به الي  
أسفل الماء ، ومكث تحته سبعة أيام كاملة ، ثم تحدث الكاهن بخبر  
زوجته الخاطئة الي الملك ، ودعاه الي بيته ليشهد المشيق الشاب بين فكي  
التمساح وهناك على حافة البحيرة وقف الملك مع الكاهن الذي نادى  
التمساح فخرج اليهما بفريسته ، فما أن رأى الملك التمساح حتى ارتاع  
وفزع لمراه ، ولكن الكاهن ما كاد ينحني عليه ليلتقطه حتى عاد سيرته  
الأولى دمية من الشمع ، ثم أمر الملك التمساح أن يفتك بالقتي الزاني جزاء

E. Drioton et J. Vandier, L'Egypte, Paris, 1962, p. 639 F. (١٤)

جرمه ، وقضى على الزوجة الزانية بالحرق ، وذر رمادها فى النهر ، ولعل ذلك انما كان جزاء الزانى والزانية عند القوم ، للقتل حرقا أو غرقا .

وعلى أية حال ، فما أن انتهى الأمير « خضرع » من قصته ، حتى يأمر أبوه الملك خوفو بأن تقدم القرايين للملك « فبكا » ، ألف رغيف من الخبز . ومائة اءاء من الجعة وثورا وكيلين من البخور ، وأن يقدموا قربانا لكبير الكهنة المرتلين « أوبا أونز » رغيفا واءاء من الجعة وقطعة كبيرة من اللحم ، وكيلا من البخور .

## ٢ - قصة سنفرو وفتيات القصر :

تروى بردية وستكار أن الملك « سنفرو » - رأس الأسرة الرابعة - قد أحس ذلت يوم ضبقا فى العمار . وحزنا فى النفس ، فأشار عليه كاهنه « جاجام غنخ » بأن يلتبس التسرية فى الخضرة والماء والوجه الحسن ، وأن يستقل فاربا ويصطحب معه عددا من العذارى ، ويطلق البصر فيما أفاءه النيل على جانبيه من خضرة وخير عميم ، وعمل سنفرو بالنصيحة واصطحب فى قاربه الكبير عشرين عذراء ، وعهد اليهن بالتجديف والغناء ، فاصطفن على جانبي القارب ، وجدفت كل منهن بمجداف من الأبنوس المرسح بالذهب - كما تدعى القصة - وانطلقن فى التفريد والتجديف ، وكانت كل منهن تحلى جبينها باكليل تزينه حلية على هيئة السمكة ، فتسربت الى الملك البهجة ، وسرى الى نفسه السرور ، بما شهد من فتيات ليس عليهن من الثياب ، الا ثياب من شباك لا تكاد تستر شيئا ، وبما سمع من غنائهن ، وهن يسرين به فى أمواه البحيرة وسط الضمائل والأغصان ، لولا ما رأى من توقفهن عن التجديف ، وتهدل شعر رئيستهن على وجهها ، فأزاحت يدها ، وعندئذ سقطت حليتها فى الماء ، فوعدها بأن يموضها عنها بما هو خير منها ، ولكنها آبت الا حليتها ، فاسقط فى يد سنفرو .

وسرعان ما استدعى الكاهن « جاجام غنخ » على عجل ، فما أن علم بالخبر ، حتى قرأ من عزائم السحر ، الذى انشقت له مياه البحيرة ،

جث انطوت نصف على نصف ، فأصبح ارتفاع الماء فى البحيرة أربعة وعشرين ذراعاً فى أحد الجانبين ، بعد أن كان اثنى عشر فقط ، ورأوا فى قاع البحيرة تلك الحلية ، وقد استقرت فوق قطعة مكسورة من فخار ، فأشار إليها الكاهن ثم سلمها الى صاحبها .

ولعل مما تجدر اليه الاشارة فى هذه القصة أن قصاصها لم يتخيل مبيكه ربا مطلقا قادرا مقتدرا ، كما اعتادت النصوص الرسمية أن تصف ملوكها ، ولم يجد بأسا فى أن يصوره عاجزا عن أن يفعل بعض ما يستطيع كاهن من رعيته أن يفعله ، وأن هذا الملك - وإن خاطبه رعاياه بلقب الربوبية الا أنه لم يعتقد فى نفسه الربوبية الفعلية ، بحيث لم يكن من المستبعد عليه - بما لذلك - أن يخاطب أهل فى عصره بلفظ « الأخوة » كما خاطب كاهنه المرتل .

والواقع أن الملك « سنفرو » قد خلف وراءه شهرة عريضة للحاكم المثالى فى الخير ، وحسن التصرف ، شديد الحرص على أن يسود العدل رعيته ، حتى أنه اتخذ العدالة شعارا له ، فلقب نفسه « لب ماعت » ( سيد أو رب العدالة ) ، ومن ثم فقد ظلت ذكراه عدة قرون بين المصريين ، وكانوا يشيرون اليه بقولهم « الملك المحسن » و « الملك الرحيم » و « الملك المحبوب » و « الملك القاضل » ، كما صورته الوثائق متواضعا ، يميل الى المعرفة ، ويكرم العلماء ، ويحسن الاستماع لهم ، ويكتب بنفسه ولا يبالى أن يسأل عما لا يعرفه ، ومن ثم فقد اختار بعض ملوك الأسرة الثانية عشرة ، بعد وفاته بحوالى سبعة قرون ، نفس المنطقة التى دفن فيها لتكون مثولهم الأخير ، تيمنا به وتبركا .

٣ - قصة خوفو والساحر جسدى :

نروى بردية ومستكار أن الساحر « جدى » ( ددى ) الذى بلغ من سحره أن يلحم الرأس المقطوع ، ويدلل الأسد لارادته ، أن قد دعى الى حضرة الملك خوفو ، حيث عرض سحره عليه ، وأوقفه بأوزة ثم نور ، فصل رأس كل منهما عن الجسد ، ثم ما زال يقرأ من عزائمه ، والرأس

بقترب من الجسد ، حتى التبحا ، وعادت الحياة الى كل منهما ، ثم أعاد التجربة مرة ثانية فى بطة ، ثم فى ثور ، فنجح فى ذلك كله ، وذلك على النحو التالى :

جاء دور الأمير « حور ددف » فقال لأبيه خوfo : لقد سمعت حتى الآن أمثلة مما قالوا بأنه حدث قبل أيامنا ، ولا يعرف الانسان ، اذا كان ذلك صحيحا أم غير صحيح ، ولكن يوجد ساحر يعيش فى عهدك بنف من سحره ان يلحم الرأس المقطوع ، ويذل الأسد لارادته ، ويعيش فى بلدة « دد - سنفرو » ويبلغ من العمر مائة سنة وعشرا ، ويأكل فى اليوم خمسمائة رغيف من الخبز ، وفخذ ثور من اللحم ، ويشرب مائة انا من الجمعة ، ويعرف سر مغاليق هيكل الاله تحوت ، وكان خوfo حريصا على معرفة هذا السر ، ومن ثم فقد أرسل ولده « حور ددف » ليحضر هذا الساحر بنفسه ، وهكذا أخذ الأمير السفن ونزل فى النيل ، حتى وصل الى القرية التى يعيش فيها الساحر العجوز ، وانتقل هناك من سفينته الى بيت الساحر فى محفة من الأبنوس ، عوارضها من خشب السسّم ومقلقة بالذهب ، واستقبله الساحر بما يليق ومقام الأمراء ، ورد الأمير التحية بأحسن منها ، وهناك على تمام صحته ، وأعلمه ان الملك يدعوه الى القصر ليتمتع بأطياب الطعام ، ولينال بركة الملك بعد وفاته ، ولبنى الساحر الدعوة راضيا شاكرا ، وان طلب أن تخصص سفينة لنقل عائلته وكتبه ، فخصص له الأمير سفينتين .

وبما وصل الساحر « جدى » الى القصر الملكى ، قال له خوfo : ما هذا يا جدى ، وكيف لم نرك حتى الآن ؟ فأجاب جدى : مولاي ، من دعى أجاب ، ولما دعوتنى لبيت ، ومعنى هذا أن الرجل لم يكن يجده ما يلزمه بأن يسمح بيلاط الملك من تلقاء نفسه ، أو يقصد اعتابه رجاء فضله ، وعلى أية حال ، فلقد طلب خوfo من جدى أن يجرى معجزاته وسحره على سجين ، فاعتذر الرجل وأجاب فى عناد : ولكن ليس على انسان يا مولاي الحاكم ، وحسبك أن أحدا لم يطلب أداء شيء من ذلك

على هذا الشعب النيل ، وهكذا لم يأب جدى أن يرد على ملكه العظيم  
بما يعتقد ، ولم يأب أن يعتبر السجن المصرى فردا من شعبه نيل ،  
على الرغم من جرمه الذى دخل السجن بسببه ، وفضل أن يجزى تجاربه  
على حيوان أو طير .

وهكذا أحضروا له أوزة ، وقطعوا رأسها ، ووضعوا جسدها فى  
الناحية الغربية من القاعة ، ورأسها فى الناحية الشرقية منها ، وقرأ جدى  
من عزائم السحر ما جعل جسد الأوزة يتحرك ، كما تحرك رأسها ، حتى  
تلاقيا فركب الرأس فى مكانه من فوق الجسد ، وبعث الأوزة حية مرة  
أخرى ، وأخذت تصيح ثم أعادوا التجربة مرة ثانية فى بطة ، ثم ثالثة فى  
ثور ، فنجح فى ذلك كله ، ثم سأله خوفو عن سـ مغاليق هيكل تحوت  
فأجاب أنه لا يعرف سرها ، ولكنه يعرف مكانها ، وأنها فى صندوق من  
حجر الطران على إحدى قاعات معبد هليوبوليس ، وأنه لا يستطيع  
أحضارها ، وإنما الذى يستطيع ذلك هو أكبر أطفال ثلاثة تحمل بهن «رد -  
ددت» .

وهكذا ظل « خوفو » على جهل بسر مغاليق هيكل الاله تحوت ،  
على الرغم من أن نصوصه الملكية ونصوصه الرسمية ونصوص رجال  
حاشيته ، كانت تلقبه بلقب « ثرعا » أى « الاله العظيم » ، ولسنا نشك  
فى أن ذكر السحر فى هذه القصة محض اختلاق وخيال ، وإن كنا لا نتكر  
على المصريين معرفتهم بالسحر وبراعتهم فيه وأن اعتذار الحكيم عن  
آدائه لا يزيد عن مجرد تخلص لبق لطيف ، ولكن حسبنا من القصة أنها  
كشفت عما كان مؤلفه يتخيله عن بشرية خوفو ، واحتمال عبزه عن آداء  
ما يؤديه بعض رعائيه ، وكشفت عما كان الناس يودون أن يظهر به حكيم  
من الشعب فى مواجهة الملك العظيم ، صاحب الهرم الأكبر ، من عزة  
النصر ، والاعتراف لقومه بنبالة الأصل .

ثم يكمل الساحز قصته عن أبناء « رد - ددت » فيقول : انه يوجد  
فى مدينة « ساخيو » - وتقع على الضفة الغربية للنيل ، قرينا من منطقة

هليوبوليس - كاهن يدعى « وسر رع » وأن زوجته « رد - ددت » سوف ترزق بأولاد ثلاثة من صلب الاله « رع » ، وأن الاله رع قد بشرها بأن أولادها الثلاثة سوف يجلسون على عرش مصر ، الواحد تلو الآخر ، وأن أكبرهم سوف يكون كبير الكهان فى « أون » ( هليوبوليس ) فحزن قلب خوفو لتلك الأنباء ، ولكن للساحر لمأله على عرشه ، بل وسيخلفه من بعده ولده ، ثم حفيده ، ثم يأتى من بعد ذلك أبناء « رد - ددت » ( رود جدت ) من رع .

وتستمر القصة فى وصف أيام الحمل ، وما اقترن به من معجزات حتى تأتى ساعة الوضع ، وتحضره آلهات الولادة متكررات فى زى راقصات وموسقيات ، بنية تقديم العون للسيدة الحامل ، أبان وضعها لحملها المبارك ، فادعت القصة - أو قل الأسطورة - أن «رود - جدت» حين أتتها المخاض لم يكن عندها من يعينها عليه ، وأن الاله الأكبر رع أراد أن يعينها على الوضع ، فأرسل إليها أربع ربوات على هيئة البشر - قابلة وهى الربة ايزة ، وثلاث مساعدات وهن نفيس وحقت ومسخت ، فضلا عن تابع عجوز حمل كرمى الداية وحاجيات التوليد ، وهو المعبود خنوم .

واستمرت الأسطورة فى وصف ساعة الوضع وما ظهر خلالها من الترامات « فذكرت أن المولدات الفردن بالحامل فى غرفتها ، وأوصدن الباب عليهن ، وجلست ايزة أمامها تقوم بعملية التوليد ، بينما جثت نفيس خلفها ، لتشد عليها بذراعها ، وتكون سندا لها عين المخاض ، وعونا على دفع المولود ، وجلست « حقت » تنعجل الوضع ، أو تحمى الطلق - كما تقول نسوة اليوم - واكتفت « مسخت » بالتشجيع والمهمة شأن العجائز المجربات المباركات ، وكلما ولدت الوالدة توأما بشرته « مسخت » بما قدر له من حظ سعيد ، وقالت « ملك يتولى الحكم فى هذه الأرض كلها » ، وغسلت المولدات الأطفال ، وقطعن لكل منهم حبله السرى وأرقدته فوق مهد متواضع صغير غطيته بغطاء كثائى بسيط ،

وطمان خنوم الوالدة على سلامة أبنائها الثلاثة . وزودهم بدعائه المبرور ،  
 ويقدم والد الأطفال الثلاثة المكافآت للربات على عونهن لزوجته في وضعها  
 مكاييل من الشعير . الذى تضعه الربات فى مخازنه ، ثم ينصرفن سرا ،  
 وسرعان ما تصدر من الغرف أصوات موسيقية خفية ، ويقال أن التيجان  
 الملكية وجدت مخبأة فى الشعير ، وتضيف الأسطورة أن الخادمة كادت أن  
 تنشى السر كله للملك خوفو ، لولا أن تمساحا اقتض عليها ، وهى تملأ  
 جرة ماء من النهر .

ويدهى أن القصة - على هذه الصورة - إنما تناولها هواتف الريبة  
 والشك من كل جانب ، ولكنها ، على أي حال ، إنما تمثل الناحية الشعبية  
 من قصة استيلاء كهنة رع على الملك فى نهاية الأسرة الرابعة ، كما أنها فى  
 الوقت نفسه ، تبين الوسائل التى يلجأ إليها الفرععين لتثبيت عروشهم ،  
 حين أعوزهم الحق الشرعى فيه ، وسرى فى عصور تالية فرععين يفعلون  
 ذلك ، حين يفتسبون الى الآلهة أمون ، كما يبدو ذلك واضحا فى نص  
 الولاة الشهيرين ، الواحد بمعبد الدين البحرى فى طيبة الغربية ، ويتحدث  
 عن ولادة الملكة « حتشبسوت » من الآلهة أمون ، ومن « آحس » زوج  
 الملك « تحوتس الأول » ، والثانى فى معبد الأقصر ، ويتحدث عن ولادة  
 « أمنحتب الثالث » من الآلهة أمون ، ومن « موت أم ويا » زوج تحوتس  
 الرابع - كما أشرفنا الى ذلك من قبل -

وأيا ما كان الأمر ، فلسنا ندرى مدى قبول الناس لما رويته القصة  
 أو الأسطورة ، ان كانوا قد قبلوها عن ايمان وتصديق ، أم اعتبروها  
 مجرد دعاية من الكهان وأهل البلاط لصالح ملوكهم ، ولكننا ندرى أن  
 ملوك الأسرة الخامسة ظلوا أوفياء لآلهة رع ، صاحب الفضل فى ارتقاؤهم  
 العرش ، وظلوا كذلك أوفياء لكهنوته الذين آزرهم فى حكم البلاد (١٥) .

(١٥) عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ١/٢٣٥ - ٢٣٧ ،  
 الأسرة فى المجتمع المصرى القديم ص ٣٩ - ٤١ ، أحمد فخري : المرجع  
 السابق ص ٣٩٦ - ٤٠٢ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٧٧ - ٨٧ ، محمد  
 بيومى مهران : مصر ١٥٨/٢ - ١٦٠ (الاسكندرية ١٩٨٨) ، وكذا =



## ٢ - قصة الفلاح الفصيح

اختلف المؤرخون في اسم هذه القصة ، فيسميها البعض « احتجاجات أو شكاوى الفلاح الفصيح » ، ويسميها آخرون « شكوى الفلاح الفصيح » ، ويرى فريق ثالث أنها « قصة فلاح من الواحة المتاخمة لوادى النطرون ، ويذهب أستاذنا الدكتور أحمد فخرى ، طيب الله ثراه » أننا لا نملك أى دليل على أن صاحبها كان فلاحا يعمل فى الأرض ، وإنما الأرجح أنه أحد الأهالى الذين يعملون فى التجارة ، على أن « جوستاف لوفيفر » إنما يفضل تسميتها « قصة الواحى » ، غير أن اطلاق كلمة « الواحى » على أحد سكان وادى النطرون أمر لا يستقيم مع العرف ، ذلك لأن سكان الواح إنما هم سكان سيوة والبحرية والقرافة والداخلة والخارجة فقط ، ولهذا يسميها البعض « قصة القروي الفصيح » ، لأن صاحبها - سواء كان يعمل فى التجارة أو فى الفلاحة أو فى استخراج النطرون أو الأعشاب - فإنه كان يعيش فى ذلك المكان الذى لا يعدو أن يكون قرية صغيرة ، ولم يكن من أبناء المدن المتعلمين ، وكان الاعجاب به لأنه كان شخصا بسيطا من سكان الأماكن النائية ، ومع ذلك فقد أوتي قدرا عظيما من الفصاحة وحسن التعبير (١) .

Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 216-222.

W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 16-30. وكذا

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, London, 1927, p. 36-47. وكذا

G. Lefebvre, Romans et Contes egyptiens de L'epoque Pharaonique, Paris, 1949, p. 70-90. وكذا

وانظر الترجمة العربية (جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى - ترجمة على حافظ ص ١٤٠ - ١٥٧) .

(١) أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٣٩٤ .

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 407.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 112. وكذا

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 31. وكذا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 169. وكذا

وكان « شايبا » أول من لفت الأنظار إلى هذه البردية في عام ١٨٦٣ م ، وفي عام ١٩١٣ م قام « فوجلز انج » بنشر نصوصها نشرًا كاملاً (٢) ، وفي عام ١٩٢٣ م قام « جاردنر » بنشر إضافات وتصحيحات لها (٣) ، وهناك ترجمات كثيرة للبردية ، منها ترجمة « ماسيرو » ، و « رويدر » و « سايس » و « ارمان » و « لوفيفر » ، كما حلل نصوصها واقتبس منها وناقشها كثير من العلماء الأجانب وبلغات مختلفة (٤) .

وأما ترجمة الوثيقة باللغة العربية ، فهناك ترجمة الدكتور سليم حسن (٥) ، هذا فضلاً عن ترجمات موجزة لأهم عناصر البردية في كتب

F. Vogelsang, Kommentar Zu den Klagen des Bawern, Untersuchungen, b, Leipzig, 1913, 1964. (٢)

A. H. Gardiner, JEA, 9, 1923, p. 5-25. (٣)

De Buck, Roadbook, p. 88-90. (٤) أنظر

K. Sethe, Agyptische Lesestücke, Leipzig, 1924, p. 17-25.

K. Sethe, Erl., Leipzig, 1927, p. 21-32.

A. Erman, LAE, London, 1927, p. 116-131.

F. Lexn, Arch. Or., 7, 1935, p. 372-383.

F. Lexn, RT, 34, 1912, p. 218-231.

A. H. Gardiner, PSBA, 35, 1913, p. 264-276.

E. Suys, Etude sur le Conte du fellah Plaidour, Rome, 1933.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 41-69.

A. M. Blackman, JEA, 20, 1934, p. 218-219.

F. W. Von Bissing, Altägyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, p. 155-170.

ولعل من أحدث ترجمات البردية :

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 169-184.

J. A. Wilson, ANET, P. 407-410.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, p. 31-49.

S. Herrmann, ZAS, 80, 1955, p. 34-39.

S. Herrmann, ZAS, 82, 1958, 55-57.

G. Lanczkowski, Altägyptischer Prophetismus, Wiesbaden, 1960.

(٥) سليم حسن : المرجع السابق ص ٥٤ - ٧٠ .

هذا وقد حفظت لنا البردية فى أربع نسخ من عهد الدولة الوسطى منها ثلاثة بمتحف برلين ( الأولى برقم ١٠٤٩٩R ، والثانية برقم R١ ٣٠٢٣ ، والثالثة برقم R2 ٣٠٢٥ ) واما النسخة الرابعة ففى المتحف البريطانى ( برقم ١٠٢٧٤ ) ، هذا عدا المقتطفات الأخرى ، ومن حسن الحظ أن ابردية لم تصل إلينا عن طريق نسخة متأخرة معرفة أو بالية - ككثير من المخطوطات المصرية القديمة - واما بقيت محفوظة جيدا ، حتى وصلت إلينا فى لفافة من البردى الفخم الذى كتب فى ذلك العصر الاقطاعى الأول ( عصر الثورة الاجتماعية الأولى ) (٧) •

وقد اختلف المؤرخون فى عصر الملك الذى جرت فى عهده أحداث « قصة القروى للتصحيح » وربما كان السبب فى اختلافهم هذا ، هو اختلافهم فى ترتيب ملوك العهد الاهناسى ( الأسرتين التاسعة والعاشره ) ، وهكذا فانهم يتفقون على أن القصة حدثت فى عهد الملك « نب كاورع » ولكنهم يختلفون فى مكان هذا الملك من العهد الاهناسى ، وبالتالي يختلفون فى الأسرة التى حدثت على أيامها هذه القصة ، فبينما يضعها فريق فى الأسرة التاسعة ، يضعها آخرون فى الأسرة العاشرة (٨) ، وهكذا رأينا « الكسندر شارف » يرى أن القصة قدمت لأحد ملوك الأسرة العاشرة (٩) ، ويذهب « وليم هيز » الى أن الملك « نب كاورع » ( اختوى

(٦) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٩٣ - ٣٩٦ ، عبد العزيز صالح : الشرق الاحدى القديم ١/٣٦٢ - ٣٦٥ ، جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعونى - ترجمة على حافظ ص ٩٠ - ١٢٥ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٩٧ - ٥٠١ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٠٨ - ٣١٤ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الأولى ص ١٥ - ٢١ ، مصر ٢/٣١٥ - ٣٢٤ •

R. O. Faulkner, M. Lichtheim, Op-Cit, p. 169-170. (٧)

(٨) انظر عن ترتيب ملوك الاسرتين التاسعة والعاشره (محمد بيومى مهران : مصر ٢/٢٨٤ - ٢٩٠ الاسكندرية ١٩٨٨) •

(٩) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٧٣ •

الخامس) هو آخر ملوك اهناسيا ، وربما كان الفرعون الذي جاء ذكره في قصة الفلاح النصيح<sup>(١٠)</sup> ، ويرى « ونلوك » أن هناك اقتراضا عاما بأن الملك « نب كاو رع » ( اختوى - خيتى ) الذي حدث في عهده قصة الفلاح النصيح ، قد خلف الملك « مري كارع » على عرش الكنتانة وقد حكم البلاد حتى استسلمت اهناسيا لأمرأ طيبة ، وبمعنى آخر أن « نب كارع » هو آخر حكام العهد الاهناسي<sup>(١١)</sup> .

على ان الدكتور أحمد فخرى انما يرى أن حوادث قصة القروي النصيح كانت في عصر الملك « نب كاو رع » أحد ملوك اهناسية في الأسرة العاشرة ، ولكنها كتبت بعده بفيل ، وهذا يعنى أنها كتبت في الأسرة الحادية عشرة على الأقل ، على أساس أنها حدثت في عهد « خيتى الخامس » ، الذي لم يبق على العرش طويلا ، فقد عاودت جيوش طيبة هجومها ، فقضت على عائلته في اهناسيا<sup>(١٢)</sup> ، واخضعت مصر كلها ، وبدأت الأسرة الحادية عشره عهدا جديدا .

واننى لأميل الى أن قصة القروي النصيح هذه ، انما قد حدثت على أيام الأسرة العاشرة ، وذلك لأنه رأى الغالبية من المؤرخين ، ولأن هناك اتفاقا على أنها حدثت على أيام الملك « نب كاو رع » ، وهو - فيما نرى جمهرة المؤرخين - أحد ملوك الأسرة العاشرة ، وربما كان آخر الحكام الاهناسيين<sup>(١٣)</sup> والذي تم في ايامه انتصار امرأ طيبة على ملوك

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, New York, 1953, p. 145. (١٠)

H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom (١١)  
in Thin Thebes, N. Y., 1947, p. 23.

(١٢) أحمد فخرى : مصر الفرعونية ص ١٧١ ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٣٩٤ .

(١٣) اهناسية : كانت عاصمة البلاد في عهد الامرتين التاسعة والعاشره ، واسمها المصري «نن - نيسو» وسماها العرب «اهناس» ، وهي «اهناسية المدينة» الحالية ، احدى مراكز محافظة بنى سويف ، وتقع على الضفة الشرقية لبحر يوسف ، في مقابل مدينة بنى سويف ، وعلى مسافة ١٦ كيلا الى الغرب منها (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ١٦٧) .

امناسية ، ثم كتب لهم بعد ذلك ان يعيدوا الوحدة للبلاد ، تلك الوحدة التي فقدتها مصر على أيام الثورة الاجتماعية الأولى ، والتي أقامها منذ فجر التاريخ أقرباء لهم من أمراء «نخن»<sup>(١٤)</sup> (البصيلية - مركز ادفو - بمحافظة أسوان) .

وعلى أية حال ، فإن قصة القروي الفصيح انما تكون من مقدمة وتسع خطب أو شكاوى ، عنى الكاتب بإقتفاء معانيها ، وتعبيراتها وألفانها كل العناية ، وهى الواقع أن القصة انما تعد آية فى بلاغة الأسلوب كما أن بيان الشكوى رائع أخاذ ، فيه كثير من التورية ، وفيه كثير من التهكم الرائع ، ثم إن الصورة التي عرضها ذلك الفلاح - أو القروي - انما تعد مظهرا صادقا ، لما كان واقعا يؤمئذ من ضيق الناس ، بحال البلاد ، وتبرمهم بالفوضى التي سادت حياتهم السياسية والاقتصادية والاجتماعية ، كما أن فى تكرار موضوع الشكوى تسع مرات ، مع ما تغلغل ذلك من دعاية الحديث ، مما يدل على الروح التي سادت هذا العصر ، وعلى الحزن على العدالة ، واعطاء كل ذى حق حقه ، وحماية المعير من سطوة الاغنياء واصحاب النفوذ ، وقد كتب لصاحبها نجحا بعيد المدى فى أن يوضح لنا بصور شتى ما كان يدور فى عقل ووجدان ذلك القروي البسيط ، بل ما يدور فى عقل ووجدان كل مصرى عضه الجوع ، ومر عليه البأس ، ووقع فريسة لأصحاب الجاه والسلطان .

وتتلخص قصة القروي الفصيح هذه فى أن قرويا يدعى «نخن أبى» خرج من قريته - وهى بلدة تسمى «حقل النطرون» من اقليم وادى النطرون بمقاطعة الفيوم ، على رأى ، وهى واحة متاخمة لوادى النطرون على رأى آخر - وهى بلدة «غيظ الملح» التي لا نعرف مكانها على وجه التحديد ، وإن علب على الطن انها كانت فى نواحي الفيوم على رأى ثالث - بغية التجارة فى شتى السلع من القاب والنطرون والملح والأخشاب

(١٤) انظر عن «نخن» ودورها السياسى والحضارى ( محمد بيومى  
مهرا ن : مصر ٥٩/٢ - ٧٤ - الاسكندرية ١٩٨٨ ) .

وبعض الجلود وبعض محاصيل النباتات التي كانت تنمو في تلك الواحة قديما ، وبعض أنواع من الحجارة وبعض الطيور ، وكثير من الحبوب التي كانت تنمو هناك ، ليستبدل ذلك كله بمحاصيل الوادي في العاصمة اناسيا ، ومن ثم فقد قال ازوجته « مرية » أو « مارية » : « أنظري اني شاخص الى العاصمة لأجلب المؤونة لأولادي ، من فضل تجارتي فانطلقى فاكتالى لى الشعير الذى تركته فى المخزن، فاكتالها له فكانت ثمانية مكايل ثم قال لها : عندك كيلان لك ولأولادك ، ولكن اصنعى لى من المكاييل الستة الباقية خبزا وجعة عن كل يوم أقضيه هناك » .

وهكذا ترك الرجل قريته ، ولم يترك لزوجه وأولاده ما يكفيهم الا لأيام معدودات ، ثم حمل حميره بشتى السلع بغية أن يبيعا في العاصمة اناسيا ، وهناك وعلى مقربة من اناسية ، وفي قرية — وربما ضيعة — تدعى « ير — فينى » كان يتولى أمرها موظف شرير يدعى « تحوت — نخت » نيابة عن موظف كبير ، كان يتولى وقت ذلك منصب كبير حجاب قصر فرعون ، أو ناظر الخاصة الملكية ، ويدعى « رنسى بن مرو » ، وطمع « تحوت — نخت » فى تجارة القروى وحميره ، وأراد أن يكون له نصيب منها ، ان لم يستول عليها كلها ، وتفتى ذهنه عن حيلة خبيثة ، فاعترضه على طريق زراعى ضيق ، كان لا بد أن يمر عليه، وأوعز الى خادمه أن يسط على الطريق قماشاً يغطيه بالعرض ، ولما تقدم القروى على الطريق فهام « تحوت — نخت » أن يمر على قماشه المروى ، فاعتذر القروى بأنه كان حسن النية فيما أقدم عليه ، وابتعد عن القماش وسار قرب الزراعة فنهزه « تحوت — نخت » مرة أخرى ، وفجأة قضم أحد حمير القروى قضمه من سنابل اللال ، فاعتبرها « تحوت — نخت » فرصة وأصر على أن يستولى على الحمار جراه جرمه ، ويحتج القروى ويهدد بإبلاغ الأمر الى ناظر الخاصة صاحب الأرض قائلاً : اننى أعرف رب هذه الضياع ، انها للسمير الكبير رنسى بن مرو ، انه يلجم كل لص فى هذه البلاد كلها ، أم ترانى أسرق فى ضياعه .

وينضب « تحوت - نخت » ، وتأخذ العزة بالاثم ، ويستولى على بضاعة الرجل وحميره ، ثم يتناول غصنا من الأكل الأخضر ، وينهال على الرجل فى كل أجزاء جسمه ، ويصيح القروى باكيا ، ولكنه كلما بكى ، كلما أعاد « تحوت - نخت » ضربه أمرا اياه بالسكوت وعدم الشكوى . فيرد القروى : أتضربنى وتسرق مالى وتمنعنى أن أشكو ، ويظل القروى يبابه عشرة أيام يستعطفه ويتضرع اليه ، ولكنه لم يمره التفاتا ، مما اضطره الى أن يشكو الى ناظر الضيعة « رنسى بن مرو » .

ويتقدم القروى بشكايته الى النبيل « رنسى بن مرو » وقد قابله ذات صباح وهو فى طريقه من داره الى النهر ليستقل قارب المحكمة ، فرجاه أن يرسل معه تابعا من عنده حتى يعهد اليه بقضته ، ورجع التابع بنص القصة الى رئيسه ، ويتمكن القروى من أن يثير إعجاب « رنسى بن مرو » بيلافة لفظه ، وفصاحة تعبيره ، ويرفع « رنسى بن مرو » الأمر الى القضاء لعلهم ينصفوا ذلك القروى من « تحوت - نخت » ولكنهم لم يفعلوا شيئا وأجابوا : ربما كان ذلك القروى أحد فلاحى « تحوت - نخت » ، وأله أراد تركه والعمل عند غيره ، وطلبوا من « رنسى بن مرو » أن يطلب من عامله « تحوت نخت » أن يعوضه عن كمية النظرون ، وتجاهلوا الحمير كلية ، وهى التى أعز على القروى من كمية النظرون ، ولكن « رنسى بن مرو » لم ير حكمهم الظالم أى اهتمام ، وأسر فى نفسه أمرا عزم على تنفيذه .

واستتبلا القروى رد «رنسى بن مرو» فوجه اليه عتابا رقيقا ليئا ، حاول أن يستثير فيه نخوته ، فحبيه فى العدل ، ووصفه بما يجب أمثاله أن يوصفوا به ، وكان من قوله له : اذا كنت حقا أبا لليتيم ، وزوجا للأرملة وأخا للمرأة المنبوذة ، وردأ لمن لا أم له ، فشجعتنى عنى أن أنشر سمعتك فى الأرض بما يتفق مع القانون الصحيح ، وعساك تكون حاكما بريئامن الجشع « ونبيلامنزها عن اللنية ، تزهق المباطل وتحقق الحق ، وتطلبى نداءه ها أنذا أقول وأنت تسمع ، أقم العدل أمحك ويمسحك الملاحون ، أزل كرىي واحمنى ، فقد وهنت قوتى ، وضلت حيرتى » .

وهنا لعل سائلا يتساءل : ما بال هذا القروي المظلوم لم ينصف على عجل ، وهل يجوز لنا أن نرمي حكام مصر بالاهمال والحماة ؟

في الواقع أن الأمر لم يكن كذلك ، فالحاكم الكبير ( رنسى بن مرو ) قد أعجبتة فصاحة « خون - ابو » فأخبر الملك أن في رعاياه « قرويا فصيحاً » ، وكان الملك - كما يقول جوستاف لوفيفر - في حاجة الى من يسرى عنه ، فلتتيز الفرصة ، وطلب ألا يبيت في شكوى للقروي ، استزادة من فصاحته ، على أن تسجل شكاياه وترفع اليه ، يقول الملك لكبير حجابيه : « دع امره يقضى فيه على مهل ، ولا تجبه في شيء مما يقول ، والزم الصمت حتى لا يكف عن الكلام ، وأكتب ما يقوله حتى نسمعه ، على أن تتكفل برزق زوجه وعياله ، وذلك لأن القروي لا يأتي ( الى العاصمة ) الا بعد املاق » ، وهكذا ، وبناء على توجيهات سيد البلاد فلقد « أعطوه في كل يوم عشرة أرغفة ، واثاءين من الجبة » ، وقد تمود كبير الحجاب « رنسى بن مرو » أن يعطى ذلك لأحد أصدقائه الذي اعتاد ( بدوره ) أن يعطيها له ( أى الفلاح ) كما أرسل كبير الحجاب ( رنسى بن مرو ) الى شيخ بلدة ( حقاقات ) « سخمت حموت » ليصنع طعاماً لزوجة هذا القروي ، ومقداره ثلاثة مكابيل من الشعير في كل يوم .

وهكذا يتناقل كبير الحجاب عن الرد على شكايات القروي الفصيح الذي يظن أن أمره قد أهمل ، فتحول من الاستعطاف الى الشكاية ثم الى الشراسة ، وتحول من لين الحديث الى العنف والنقد الصريح ، وتوجه الى « رنسى بن مرو » بشأن شكايات متتابعة ، بعد استعطافه الأول ( شكايته الأولى ) ، لم يسلم حين تقديمها من الأذى ، وضرب الحجاب ، وإهانة الحراس ، ولكنه لم يتخل عن عناده ، واستمر يصر على اسماع صوته للحاكم ، ولو ناله الضرب والأذى « وعمل على أن يصور في هذه الشكايات كل مبادئ المدالة الاجتماعية والسياسية والتأخونية التي كان يطمح فيها المفكرون في عصره .

وهكذا أخذ القروي في شكايته الثانية يحذر « رنسى بن مرو »



قالا : يا كبير الأمانء يا شريفى ، انك أعظم العظماء ، وأغنى الأغنياء ، أنت الذى تتمثل فيك عظمة العظماء ، وغنى الأغنياء ، انك دفة السماء ، وسارى الأرضى ، وحبل الميزان الذى يحمل الثقل ، فيا أيها الدفة لا تتحرفى ، ويا أيها السارى استقم ، ويا أيها الميزان لا تمل « ، وحين لا يجد أذنا صاغية فانه يقول : « هل أبحتم للشريف أن يسلب رجلا ليس له ولى » وينهب رجلا ليس معه أحد ، ان الموت يدرك الغنى ومن فى كتفه على السواء « فهل أنت حى خالد ؟ أليس من القبح أن تميل الموازين ، وتختل المعايير ، وان ينقلب العادل القويم خبيثا ، ان كبار الموظفين يرتكبون السيئات ، ويحيد القوم عن الطريق السوى ، ويسرق القضاة ، ان الذى ينبغى أن يقسم بالعدل قد أمسى سارقا ، والذى ينبغى أن يقضى الحاجات قد أنزل الحاجة بالناس حتى عم العوز المدينة ، والذى ينبغى أن يستأصل الشرور ، هو نفسه الذى يرتكب المظالم ، ان وازن الحبوب يطفط غشا ، والذى ينبغى أن يبين سبيل القانون يأمر بالسرقة » •

ثم يقول « ان الاصلاح قد يتم فى ساعة ، ولكن الفساد يكث طوليا وتعود الحسنه الى حيث كانت بالأمس ، وتلك هى الحكمة : عامل بالحسنى من أحسن حتى يظل محسنا » ، ثم ينبه الى واجبات وظيفته : « فلتكن عصاة للمظلوم ، وليكن شاطئك آمنا ، فان التماسيح تمث فى الأرض من حولك ، وليكن لسانك عادلا ، فلا تفضل سواء السبيل ، اذ يكون جزء من الجسد سببا فى هلاك صاحبه ، لا تقل كذبا ، واحذر كبار أشرافك ، انما يفسد القضاة سلة من فاكهة ( يلوح أنه يعنى الرشوة ) ، والكذب مرعاهم الخصيب ، وهو بذلك أيسر ما تهوى قلوبهم ، وأنت يا أعلم للناس ، أفتبقى جاهلا بأمرى ، وأنت يا من تجنب الناس كل قحط فى المساء ، ألا فانظر ، ان لى طريقا ليس فيه سفينة ، وأنت الذى تنتشل العريق ، وتنتقد الهالك ، اتقذنى » •

ثم يضرع اليه فى « شكايته الثالثة » ، ويشبهه بالاله « رع » فيقول :  
انك أنت رع سيد السماء ، ومعك حاشيتك ، ان بقاء الناس جيما مرجحه

اليك ، أنت فيهم فيض عظيم ، أنت « حابى » ( حصبى ) (١٥) الذى تخضر به المراعى ، وترد الأرض المجددة خصيبا ، ادفع السارق ، واحم المسكين ولا تكن تيارا جارفا على من استجار بك ، اتق دنو الآخرة ، واذا عاقبت من يستحق العقاب ، فلن يتسامى الى استقامتك أحد ، انظر : هل يختل ميزان اليد ، أو يميل ميزان القبان من ناحية دون أخرى ، اذا حابى الاله « تحوت » جاز لك أن ترتكب السوء ، كن ثانى هؤلاء الثلاثة ، فان حابوا جاز لك أن تحابى ، لا تجعل السيئة مكان الحسنه ٠٠٠ لا تقل كذبا فانك كبير ، ولا تكن هينا فانك عظيم ، ثم يقول له فى تشبيه لطيف ، وتجسيم للصورة : « أنت رئيس وييدك ميزان ، اذا اختل الميزان فانت مختل ، ولسانك هو لسانه الصغير ، وقلبك صنجته ، وشفطاك كفته ، فاذا أدرت وجهك شطر الظالمين ، فمن الذى يرد الضلال ، ويرفع العار » .

ويدرك القروى أن شكاياته لا طائل منها ، ومع ذلك يستمر فيها ، ولكنه يشتد على « رنسى بن مرو » فيقول له : « أنت قادر ومقتدر ، وذراعتك طائلة ، ولكن فؤادك قاس ، والرحمة قد تجاوزتك ، وما أتمس المخزون الذى تعظمه ، لكأنك رسول لرب التمساح ، بل انك زدت عن ربة الوباء ، واذا كان العدم يرتجى منها ، ارتجى منك العدم ، وعندئذ يأمر « رنسى بن مرو » بضرب القروى بالسياط ، فينزعج القروى ويقول : « ضل ابن مرو طريقه ، انه أعمى عما يرى ، أصم عما يسمع ، سادر عما يروى له ، انك أشبه بقرية لا عمدة لها وجماعة لا كبير لها ، وسفينة لا ربان لها ، وعصبة لا هادى لها ، أنظر : انك لى حاكم يصادر أملاك

(١٥) يشبه القروى هنا «رنسى بن مرو» باله النيل حصبى، والمعروف أن المصريين قد أطلقوا على النيل (ايترو - عا = النهر العظيم) اسم «حصبى» ، على أن حصبى لم يكن هو النهر المقدس ، وإنما كان ذلك الاله أو الروح التى تكمن وراء هذا النهر العظيم ، والتى تدفع بمياهه فيضه حاملة الخصب والنماء ، وقد صور المصرى هذا الاله فى هيئة بشرية تجمع بين الانوثة والذكورة فى هيئة صياد سمك يلتحن باللحبة التقليدية للالهة ، له ثديا امرأة ، ويظن مترهل (محمد بيومى مهران : مصر ٢٩٨/١ - ٣٠٥) .

الفلاحين ، ورئيس مقاطعة وظيفته القضاء على النهب ، ولكنه يصبح نموذجاً لمركبيه ، لا تسرق وضيعاً أملاكه ، ولا ضعيفاً تعرفه ، ان أملاك الفقير هي أنفاسه ، فمن أخذها منه فقد كتم أنفاسه ، لقد عينت لتسمع الشكايات ، وتفصل بين الخصوم ، وتقضى على اللصوص ، لقد وضع الناس قمتهم فيك ، فأصبحت معتدياً ، وانما أقمت سداً منيعاً للفقير تحميه من الفرق ، أيها السمير الكبير ، أقم الحق ، ان زارع الشر يروى أنامه بالشر ، ولكن الحق باق أبداً ، وهو ينزل مع فاعله الى العالم الآخر . فلا يحمي اسمه من الأرض ، ولكنه يذكر لصلاحه ، وذلك ما ورد في كلام الاله « .

ويستمر القروي في شكائاته التي بلغت تسعاً ، وفي كل واحدة منها يتفنن في المطالبة بحقه ، ويذكره بمسئوليته عما حدث له ، ويعذره من غضب الله تعالى عليه لمناصرتة الظلم والظالمين ، ثم يقول له في شكواه الأخيرة : « ان السنة الناس موازينهم ، ان الميزان هو الذي يبين السرقة شعاقب من يستحق العقاب » ، ثم يحذره في نهليتها قائلاً : « لا تطعم قلبك ولا تخف وجهك عن عرفت ، ولا تكن أعمى عما رأيت ، ولا تنهر من أتاك مستجيراً ، أخرج من بطئك ، واقض ما أتت به قاض ، لا صديق لمن يصم آذانه عن العدل ، أنظر : الى تضرعت اليك ، وما أراك منصتاً لي أنظر : الى ما ذهب الآن ، وسأرفع شكواي ضدك الى الاله « أنوييس » .

ويبدأ القروي يسير بعيداً عنه معتزماً تنفيذ ما هدد به ، وهو أنه ذاهب الى أنوييس ، اله الموتى ، غير أن « رنسى بن مرو » سرعاناً ما يرسل وراءه اثنين من رجاله عادداً به ، وكان خائفاً من أن يماقيه « رنسى بن مرو » على ما بدر منه في شكواه ، ولم يصدق في أول الأمر ، عندما طمأنه « رنسى بن مرو » كبير الحجاب قائلاً : « لا تخف أيها القروي فقد أهملنا شكواك لتبقى معنا ، وسرعاناً ما يخرج له « رنسى بن مرو » قرطاساً من البردي ، قرأ فيه كل شكائاته ، ثم حمل هذا القرطاس الى الملك « فبكاورع » الذي سر كثيراً بهذه الشكايات ، وأمر بأن ينتقم

للقروي من ظالميه دون وجه حق ، حتى ليعطى كل أملاك « تحوت -  
نخت » ، بل ويسمح له بالاقامة فى العاصمة اهناسيا كذلك .

وقصة القروي الفصيح هذه ، كوثيقة تاريخية ، هامة جدا ، وذلك  
لأنها تصور لنا الحالة الاجتماعية فى تلك الفترة من تاريخ مصر ، وتصور  
لنا كيف يستغل بعض الموظفين ووظائفهم فى ظلم الفقراء من الناس ، بينما  
يعنى كبارهم يتقبل شكوى المظلومين ورد حقوقهم اليهم ، لأنهم هم  
المستولون عن ذلك ، وتصور لنا أن الوظيفة الكبيرة ذات المرتب  
الضخم ، ليست فى كل الأحوال سياجا تعفى صاحبها من أن يظلم الناس  
كما أنها ليست دائما درعا يحمى الفقراء من اضطهاد الحاكمين - وأحيانا  
سلبهم أوقاتهم - وتصور لنا كيف ساء الحال ، وأهل الموظفون واجباتهم  
وكيف اضطرب الأمن فى الطسوق ، وانتشرت السرقات وتفشى النهب  
والخداع ، وكيف فسد الحكم ، حتى وصل الأمر الى القضاء فانهرف  
عن واجبه المقدس ، وتصور لنا مكانة الثقافة ، أو بعبارة أخرى ، مكانة  
الفصاحة ، حتى أن مؤلف قصة الفلاح الفصيح لم يأبه أن يصور فرعون  
عصره يستعذب فصاحة قروي من رعاياه ، ويتمنى أن يستزيد منها ،  
ثم يأمر بالاحسان اليه فى عاصمته ، دون أن يعرف من هو المحسن اليه ،  
ودون أن يشعر بفضل أحد عليه فضلا عن الاحسان الى أسرته فى قريتها  
والتكفل بأمر معيشتها .

على أن قصة الفلاح الفصيح ، بما تصور لنا - من ناحية  
أخرى - كيف أثرت الثورة الاجتماعية الأولى فى المجتمع ، فأعلنت من  
شأن الفرد ، وأعطت الفرصة لأهل الناس فى أن يتقدم - بكل جرأة  
وشجاعة - ويطالب بحقه المهضوم ، بل ويتهم كبير حجاب قصر فرعون  
بتهم أشد قسوة ، لأنه لم يأبه بتطبيق العدالة معه ، وأن يعيد اليه بضاعته  
التي سلبها إياه أحد موظفى كبير الحجاب هذا ، فهو يمثل شخص  
لا يهمه الا الكسب بأية وسيلة ، حيث يقول له : «أنظر أنك غاسل ثياب  
نفس ، جشع فى اضراءك بالصديق ، انك كمن يترك شريكه من أجل

عميل ، أفطر اناك معداوى لا يعدى الا من كان معه اجرا ، اناك تاجر  
بارت تجارته ، أفطر اناك ساقى لذته فى القتل ، وتسويه ما ليس  
مسئولا عنه » .

ثم يعبر له عن أن الحكم السلبي الذي لا ينشد بحق فعل الخير ،  
لا يمكن أن نسيه حكما . يقول القروى الفصيح : « أفطر ، اناك  
أشبه بقرية لا عمدة لها ، وجماعة لا كبير لها ، وسفينة لا ربان فيها »  
وتحالف بلا زعيم ، لقد أقمت سدا منيعا للفقير تحميهِ من الفرق ، ولكن  
أفطر فقد أصبحت البركة التي يفرق فيها الناس » ، ثم يستمر فى شكواه  
مناديا بأن الباطل دولته قسيرة الأجل ، أما دولة الحق فللابد ، يقول  
القروى : « أفطر : اذا مشى الباطل يضل الناس الطريق ، انه لا يعدى  
فى قارب التعدي ، انه لا يتقدم ، ان الذى يفتنى بالباطل لا أولاد له ،  
وسيزول ورثته من الأرض ، أما « ماعت » فهي باقية الى الأبد ، وتصعب  
من يفعلها الى القبر ، وعندما يموت ، ويدفن لن يسحق اسمه من الأرض ،  
فأعماله الخيرة تذكره ، هذا هو المبدأ الذى أمر به الاله » .

وتصور لنا القصة اضطراب الأمور فى البلاد ، وانحلال الموظفين ،  
وبدهم عن الجادة من الطريق ، وأن اتقاء الشعب هذا الهوان واقاذه  
منه ، لن يكون الا على يد ملك عادل حازم ، يماونه جمهرة من الموظفين  
الأمناء الأكفاء المدول ، وتصور لنا أمر الخوف من عقاب المنتقم الجبار ،  
وكيف كان القروى الفصيح يكرر على مسمع رئيس حجاب القصر الملكى  
بأنه سيقف يوما أمام الله تعالى الذى سيحاسبه عما فعل لرد الظلم عنه ،  
ولارجاع الحق الى أصحابه ، فالحاكم راع مسئول عن رعيتة ، مكلف  
بالسهر على راحتها « فان أحسن فله نعم الثواب ، وان أساء وأهمل فسوء  
المصير ينتظره فى الحياة الأخرى » .

وأخيرا ، فان صاحب قصة القروى الفصيح قد شبه العدالة — ولأول  
مرة فى تاريخ آداب العالم — بالميزان « واتخذ من أجزائه اختارات  
وأوصاف لنواحى العدالة ، ثم ساد هذا التشبيه فى جميع لغات العالم ،

وقد ظهر بصورة واضحة في القرآن الكريم ، يقول القروي : « تعذ العقاب فمن يستحق العقاب ... انظر : هل يختل ميزان اليد ، أو يعيل ميزان القبان من ناحية دون الأخرى ... لا تقل كذبا فالك كبير ، ولا تكن هينا فالك عظيم ، ولا تنطق بالكذب لأن الموازين ... أنت رئيس ويبدك ميزان ، اذا اختل الميزان فأنت مختل ، ولسانك هو لسانه الصغير ، وقلبك صنجته ، وشفتاك كفته ، فاذا سترت وجهك عن يطفف ، فمن الذي يرد الضلال ، ويرفع العار » .

هذا وقد كان لهذه القصة مكانة عند المصريين ، حتى أنها لقد بقيت معروفة عند الأدباء حتى عصر الرعامسة ، فهناك قطعة بها مقالة مهلهلة لتلميذ كسول ، جاء فيها ما ترجمته الحرفية : « أنت في حالة الذي يقول : أنت تقتل ، أنت تسرق حبيرى ، خذ التحذير من فى » ، وهنا نجد اقتباسا خاطئا جدا فى كلمات الفلاح أو القروي الفصيح التى تقول : ثم قال الفلاح : « أنت تضربنى ، أنت تسرق بضاعتى ، وعندئذ خذ الشكوى من فى » ، مما يدل بوضوح على أن قصة القروي الفصيح انما كانت تتمتع بشهرة عرضة فى المدارس حتى عصر الرعامسة (١٦) .

(١٦) جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٩٨ - ١٣٥ ، عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ١/٤١٤ - ٤١٧ ، الشرق الأدنى القديم ١/٣٦٢ - ٣٦٥ ، محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى ص ١٥ - ٢١ ، ١٧٠ - ١٧٣ ، مصر ٢/٣١٥ - ٣٢٢ ، سليم حسن ١/٥٦ - ٧٠ ، وكذا

J. H. Breasted, *The Dawn of Conscience*, New York, 1939, p. 183-193.

A. H. Gardiner, *JEA*, 9, 1923, p. 5-25.

J. A. Wilson, *ANET*, 1966, p. 407-410.

A. Erman, *LAE*, 1927, p. 116-130.

O. R. Faulkner, *Op-Cit*, p. 31-56.

M. Lichtheim, *Op-Cit*, p. 170-183.

A. M. Blackman, *JEA*, 20, 1934, p. 218-219.

كانت قصة سنوهى من أحب القصص الى نفوس المصريين طوال عهد الدولتين الوسطى والحديثة ، وقد وصل الينا كثير من أجزائها مكتوبا على البردى أو على اللخاف (الاستراكا) ، مما يدل على اقبال الناس عليها ، وبخاصة المدرسين الذين كانوا يملونها على تلاميذهم ، وهناك اجماع بين علماء المصريين على أن قصة سنوهى انما هى خير ما ورد فى القصص المصرى ، وأنها تتفوق على ما عداها بأسلوبها وتركيبها ولغتها ، وما لاجتماع لها من العناصر للقصة الناجحة ، ولم يقتصر أمر الاعجاب بها على علماء المصريين ، بل ان غيرهم من رجال الادب فى العالم يشاركونهم هذا الاعجاب ، ويذهب بعضهم مثل «روديارد كبلنج» الى اعتبارها جديرة بأن توضع بين روائع الآداب العالمية (١) .

وليس هناك من شك فى أن صاحب هذه القصة «سنوهى» (٢) ، انما كان شخصية حقيقية ، عاش على أيام الملكين «أمنمحات الاول» (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق م) مؤسس الاسرة الثانية عشرة ، وولده وخليفته «سنوسرت الاول» (١٩٧١ - ١٩٢٨ ق م) (٣) ، وكانت منامراته موضع اعجاب معاصريه ، ومن جاءوا بعده ، وربما كانت نواتها الاولى هى تأريخ حياة سنوهى نفسه ، بغية أن تكتب على أحد جدران قبره ، أو على لوحة تقام فى ذلك القبر ، كما كانت عادة المصريين فى ذلك الوقت .

(١) انظر خطاب «كبلنج» الى «سير الن جارذنر» المنشور فى كتاب

(The Legacy of Egypt, 1943, p. 74)

(٢) الاصل المصرى لاسم «سنوهى» هو «سانهت» أى ابن الالهة الجميزة ، ونظرا لان التاء فى آخر الكلمة كانت تسقط ، وأن كلمة الجميزة كانت تنطق «نوهى» فى القبطية ، فقد نطق الكاثاريون الاوائل اسم «سانهت» ، «سنوهى» ، وهو أنسب نطق للاسم .

(٣) يلاحظ القارئ أن هناك تداخلا فى فترة حكم «أمنمحات الاول» وولده «سنوسرت الاول» ، والسبب فى ذلك فترة الحكم المشترك بينهما ، ذلك لان مصر انما عرفت الحكم المشترك على أيام الاسرة الثانية عشرة ، ذلك لان الضرورة كانت ماسة لاتخاذ احتياطات واسعة للحفاظ على سلطان الملك ، وربما كان أمنمحات الاول فى أواسط العمر ، حين اعتلى العرش ، وقد أشرك معه ولده «سنوسرت الاول» فى العام العشرين (حوالى عام ١٩٧١ ق م) ، وحكما معا حشر سنوات بعد ذلك ، وقد أتبعته هذه السنة

هذا ويختلف المؤرخون في صلة «سنوهي» بالعائلة المالكة ، فهناك من يرى فيه مجرد ثلث تربي في البلاط الملكي ، وهناك من يرى أنه يرتبط بالاسرة المالكة برابطه من قرابة ، وهناك من يرى فيه واحدا من رجال البلاط في عهد الملك أمنمحات الاول ، ولكنه كلن من الحزب المعارض للملير «سنوسرت الاول» ، بل ان هناك من يرى فيه أحد أبناء الملك من أم غير ملكية<sup>(٢)</sup> ، ويبدو لى أن «سنوهي» انما كان واحدا من رجال البلاط المشهورين في عهد أمنمحات الاول ، وأن هناك حزبا كان يعارض في تولية سنوسرت العرش ، بعد أبيه «أمنمحات الاول» (سحتب ايب رع) ، وأن سنوهي كان واحدا من رجال هذا الحزب الاقوياء ، حتى رأينا «سنوسرت الاول» يصحبه معه في حملته على ليبيا ، ربما خوفا منه ، وربما اضعاافا للحزب المعارض له عند غياب سنوهي \*

وعلى أية حال ، فالنص الكامل لهذه البردية محفوظ في برديتين بمتحف برلين ، الاولى برقم ٣٠٢٢ ، والثانية برقم ١٠٤٩٩ ، وقد قام بنشر البردية جاردر<sup>(٥)</sup> وبلاكمان<sup>(٦)</sup> وبارنز<sup>(٧)</sup> ، وزيت<sup>(٨)</sup> ، كما قلم بترجمتها

بعد ذلك طوال عهد الاسرة الثانية عشرة ، ومع ذلك فربما لم يكن ذلك لي بداية الامر تجسيدا كاملا ، لان لدينا ما يشير الى أن «ببى الاول» من الاسرة السادسة ، ربما فعل مثل ذلك الامر من قبل ، وأما في عصر الدولة الحديثة فقد ثبت فيه قيام عدة حالات من الحكم المشترك ، حدث ذلك بين بعض ملوك الاسرة الثانية عشرة والتاسعة عشرة (انظر :

A. H. Gardiner, *Egypt of The Pharaohs*, Oxford, 1961, p. 97, 129.

D. B. Redford, *History and Chronology of The Eighteenth Dynasty of Egypt*, Tronto, 1967, p. 24-28)

J. H. Breasted, *ARE*, II, 1927, p. 74.

(٤) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ٢١٥ ، تاريخ الحضارة المصرية القديمة ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ، وكذا

A. H. Gardiner, *Op. Cit.*, p. 131.

A. H. Gardiner, *Die Erzählung des Sinuhe und Hirengschichte*, 1909. (٥)

A. M. Blackman, *The Story of Sinuhe*, BA, II, Brussels, 1932, p. 1-41. (٦)

J. W. B. Barns, *The Ashmolean Ostracon of Sinuhe*, London, 1932. (٧)

K. Sethe, *Lesestücke*, p. 3-17, Idem, *Erl.*, p. 5-21. (٨)



وتحليلها والتعليق عليها - كليا أو جزئيا - كثير من علماء المصريات ،  
 من أمثال سير الن جاردنر<sup>(٩)</sup> ، وهرمان جرابو<sup>(١٠)</sup> وأدولف ارمان<sup>(١١)</sup>  
 وجوستاف لوفيفر<sup>(١٢)</sup> وايدل<sup>(١٣)</sup> وجون ويلسون<sup>(١٤)</sup> وبوزنر<sup>(١٥)</sup> وآلت<sup>(١٦)</sup>  
 وبلاكمان<sup>(١٧)</sup> ودي بك<sup>(١٨)</sup> وبرونز<sup>(١٩)</sup> وجحكه<sup>(٢٠)</sup> وجان يويوت<sup>(٢١)</sup>  
 وبارنز<sup>(٢٢)</sup> وكليز<sup>(٢٣)</sup> وسحبسون<sup>(٢٤)</sup> وغيرهم<sup>(٢٥)</sup> ، هذا فضلا عن  
 الترجمات العربية ، جزئيا أو كليا<sup>(٢٦)</sup> .

- A. H. Gardiner, Notes in The Story of Sinuhe, Paris, 1916. (٩)  
 H. Grapow, Der Stilistische Bau der Geschichte des Sinuhe, (١٠)  
 Berlin, 1952.  
 A. Erman, LAE, 1927, p. 14-29. (١١)  
 G. Leobvre, Op-Cit, p. 1-28. (١٢)  
 E. Edel, in Textbuch zur Geschichte Israel, Tubingen, 1968, (١٣)  
 p. 1-12.  
 J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 18-21. (١٤)  
 G. Posener, Literature et Politique dans l'Egypte de la XIIIe (١٥)  
 dyansty, Paris, 1956. p. 87-115.  
 A. Alt, ZAS, 58, 1923, p. 48-50, Idem, PJ, 37, 1941, p. 19 F. (١٦)  
 A. M. Blackman, JEA, 16, 1930, p. 63-65. (١٧)  
 A. de Luck, Griffith Studies, p. 57-60. (١٨)  
 H. Brunner, ZAS, 80, 1955, p. 5-11, Idem, ZAS, 91, 1964, (١٩)  
 p. 139-140.  
 H. Goedicke, JEA, 43, 1957, p. 77-85, Idem, JEA, 51, 1965, (٢٠)  
 p. 29-47.  
 J. Yoyotte, Kemi, 17, 1964, p. 69-73. (٢١)  
 J. W. B. Barns, JEA, 53, 1967, p. 6-14. (٢٢)  
 J. Clere, JEA, 25, 1939, p. 16-29. (٢٣)  
 W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, (٢٤)  
 1977, p. 57-74.  
 M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, (٢٥)  
 p. 222-235.

G. Lanczkowski, MDIK, 16, 1958, p. 214-214-218. وكذا  
 W. Westendorf, Schott Festschrift, p. 125-131. وكذا

(٢٦) سليم حسن : المرجع السابق ص ٣١ - ٤٦ ، أحمد فخري :  
 المرجع السابق ص ٣٨٣ - ٣٩٠ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص  
 ٣٦٢ - ٣٦٥ ، عبد العزيز صالح : الشرق الأدنى القديم ١/١٧٨ ، ٣٤٣ -  
 ٣٤٤ ، محمد بيومي مهران : مصر ٢/٣٤٥ - ٣٤٧ ، أحمد بدوي : في  
 موكب الشمس ٢/١٠٥ - ١٢٠ .

وتبدأ قصة سنوهى كالتالى : «الحاكم الامير ، مدير املاك الملك فى بلاد الاسيويين ، صديق الملك بحق ومحبوه ، الرفيق سنوهى يقول : كنت رفيقا يتبع مولاه ، وخادما للحريم الملكى للسيدة العظمى ، التى يكثر (الناس) من محبتها ، الزوجة الملكية لسنوسرت فى «خنم سوت» ، والابنة الملكية لامنمحات «كانفرو»<sup>(٢٧)</sup> الملكة نفرو المبهجة .

السنة الثلاثون، الشهر الثالث من فصل الفيضان، اليوم السابع ، سعد الاله الى افقه ، ذهب ملك مصر العليا والسفلى ، سحبت ايب رع ، الى السماء ، واتحد مع الشمس ، وامتزج جسد الاله بمن خلقه ، فصل الصعت بالعاصمة ، وغلقت أبواب القصر ، وجلل الحزن القلوب ، وجلس رجال البلاط ورؤوسهم بين سيقانهم ، وحزن الناس .

وكان جلالته قد أرسل جيشا الى أرض «التحنو»<sup>(٢٨)</sup> فى ليبيا ، وكان على رأسه اولاده الاله الطيب سنوسرت الذى أرسل ليضرب البلاد الاجنبية ، وليقوم باسر السكان فى أرض تحنو ، وكان فى طريق العودة ، ومعه أسرى احياء من التحنو ، وأنواع من الماشية بغير عدد ، وأرسل رفقاء القصر الى الجهة الغربية ليمنحوا الى ابن الملك امر الموقف الذى جد فى القصر الملكى ، ولقيه الرسل على الطريق ، وكانوا قد وصلوا ليلا غلم يتكأ لحظة ، طار الصقر مع أتباعه ، دون أن يدع جيشه يعلم بالامر ، وأرسل فى طلب أبناء الملك الذين كانوا يصحبونه فى هذا الجيش ، ثم استدعى واحدا منهم» .

وكان سنوهى شابا نشيء فى القصر الملكى ، وتصادف أن كان واقفا حين أنهى السر الكبير ، فذعر أشد الذعر ، وأصابته القشعريرة كل أعضاء جسده ، ومن ثم فقد أخذ يعدو ليجده له مغبأ ، وسرعان ما وجده أخيرا

(٢٧) خنم سوت : اختصار من «خبر كارع خنم سوت» ، ومعناها «خبر كارع» (اسم سنوسرت الاول) هو الذى يضم نفسه الى اماكنه وهو اسم هرم هذا الملك فى منطقة اللشت، واما «كانفرو» فهو اسم هرم امنمحات الاول فى نفس المنطقة .

(٢٨) انظر عن «التحنو» (محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٣٧ - ١٤٥) .

بين شجرتين ، ولعل ذلك انما يشير الى أن سنوهي انما كان هواليا لحزب يعارض في تولية «سنوسرت الاول» عرش الكنانة بعد أبيه ، فلما علم بوفاة «أمنمحات الاول» - وهو في قبضة سنوسرت - فر الى الشرق ، فقد خشي أن يصيبه الاذى ، بعد أن فقد أكبر معين له في القصر وحام ، وربما خشي أن تشب فتنة على العرش في العاصمة « يعز عليه أن يلتزم الجانب المصالح فيها ، فأثر البعد بنفسه » واستخفى عن الجيش واعتزله ، وتخطى الحدود الشمالية الشرقية وهيدا . وربما كان في بلاط أمنمحات الاول جنطخان ، الواحد على رأسه سنوسرت ، والآخر ، ربما زوجه التي لم تكن شقيقته ، ولكنها صاحبة الحق في العرش ، وأن واحدا من أخوتها - من أبناء الاسرة الملكية السابقة - كان ينافس سنوسرت على العرش ، وأن سنوهي كان من أنصار الحزب الثاني ، فلما أخفق حزبه هذا ، وانتهت ولاية العرش الى سنوسرت خشي على نفسه ، وفر الى فلسطين .

وأيا ما كان الامر ، فان سنوهي قد واصل فراره على طرف الصحراء ، فبلغ رأس الدلتا في اليوم التالي ، وما يكاد يفلح حتى يقع على زورق على متن النهر ، وظلت تدفعه حتى بلغ محاجر الجبل الاحمر من وراء العباسية ، ممضى وجهه شمالا ، حتى بلغ حصنا يقال له « قلعة الحاكم » بالشاطيء ، وما يكاد يركبه حتى هبت ريح من المغرب فدفقته في غير عسر أو «سور الامير»<sup>(٢٦)</sup> ، ثم يستأنف سنوهي حديثه قائلا : هناك خبأت

(٢٦) بدأ أمنمحات الاول في تنفيذ سياسة السلام المسلح القائم على التحصين واليقظة ، فاهتم بحدوده الشرقية ، ونعرف من «نبوءة نفرتي» انه قضى النصف الاول من حكمه في طرد البدو الاسيويين الذين نزحوا الى الدلتا واستقروا فيها ، خلال فترة الاضطرابات التي كتب على البلاد أن تعيشها في اخريات أيام الاسرة الحادية عشرة ، ورغبة من الفرعون في عدم عودة الاسيويين مرة أخرى الى الدلتا ، فقد شيد أمنمحات الاول سلسلة من الحصون على حدود الدلتا الشرقية ، عرفت باسم «اسوار الحاكم» أو «قلعة الحاكم» ، ورغم أننا لا نعرف على وجه اليقين : أين كانت تقع تلك الاسوار ؟ غير أن ذكرها مرتين انما يكفي لجعلنا ندرك مدى الخطر المتوقع من هذه الناحية ، وهي ، على أية حال ، سلسلة من الحصون والتحصينات اقيمت للاشراف على الممرات التي تؤدي الى داخل مصر من ناحية حدودها الشرقية الشمالية، وربما كان أكثرها في وادي طميلات (محمد بيومي مهران: مصر ٢٨٧/٢ - ٢٨٨ ، وكذا

J. Vercoutter, in the Near East, London, 1967, p. 361-362.

نفسى بين الحشائش ، فقد خشيت أن يرانى الحارس المكلف بالمراقبة فى ذلك اليوم» ، ولما أمن عين الرقيب وأصل سيره بالليل ، وعند الصباح بلغ البحيرات على طريق السويس ، وهناك غلبه الظما ، وجف حلقه ، يقول سنوهى : «وعندما وقفت فى جزيرة «كم ور» (احدى البحيرات فى برزخ السويس) ، وقعت فريسة العطش ، فاكثويت بناره ، وجف حلقى ، وقلت لنفسى : هذا هو طعم الموت ، ولكن قلبى انتعش ، وجمعت أعضاء جسمى ، عندما سمعت حوار الماشية ، ورأيت بعض البدو ، وعرفنى شيخ من بينهم ، كان قد زار مصر ، فأعطانى ماء ، وطبخ لى لبنا ، وذهبت معه الى قبيلته فأحسنوا معاملتى» .

ويستمر «سنوهى» فى قص مغامراته ، فيذكر لنا أن بلدا أسلمه الى بلد ، حتى وصل الى «جبيل» شمالى بيروت ، ثم غادرها الى «كوى» ، حيث أمضى بها ستة شهور ، ويبدو أن سنوهى كان يعرف تلك البقاع ، وكان يعرف بعض أهلها ، وفى ذلك ما يشير الى وجود صلة بين مصر وبين بقاع الشرق الاغنى القديم ، ولا غرابة فى ذلك ، فمصر كانت على اتصال دائم بجيرانها من قبائل الشرق ، تبعت بسفنها الى سواحل لبنان لاجتياز الخشب من غاباتها — كما فعل سنفرو مؤسس الاسرة الرابعة — وترسل البعثات على البر والبحر لضرب المنيرين على حدود الوادى من بدو الصحراء — كما حدث فى حملة «لبنى» على أيام الاسرة السادسة — .

ويتجه سنوهى بعد ذلك الى مكان آخر يقضى فيه أيام منفاه — بعيدا عن سلطان الملك الجديد — يتجه الى «رتنو العليا»<sup>(٣٠)</sup> ، وهى بلاد ينبت فيها التين والعنب وأشجار الزيتون ، فضلا عن الشعير والقمح ، وكان فيها أيضا قطعان الماشية ، ولكنها فى الوقت نفسه كانت قريبة من الصحراء

= A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 105).

(٣٠) بلاد رتنو : هو الاسم الذى كان يطلق على فلسطين وسورية فى ذلك الوقت ، وربما كان المكان الذى استقر فيه سنوهى يقع الى الشرق من جبيل ، وعلى الأرجح فى «البقاع» على الطريق الرئيسى بين الشاطئ ودمشق .

وكان يمكن الصيد فيها ، وكان هناك مصريون آخرون يعيشون في تلك المنطقة ، وربما كلنوا منفيين مثل سنوهى ، وعلى أية حال ، فإن سنوهى رغم أنه كان آمنا من أن يوقع به فرعون أى عقاب ، فإنه كان يكرم وفادة ناقلى الرسائل المصريين الذين كانوا يسافرون جيئة وذهابا ، الى العاصمة المصرية (المثت) ، ولعل ذلك لانما يشير الى أن الارض التى اختارها سنوهى لنقاء ، انما كانت تقع قريبا من الطريق الرئيسى بين لبنان وشرقى سورية .

وعلى أية حال ، فلقد نزل سنوهى ضيفا على «عاموننشى» أمير رتنو العليا ، الذى حيب اليه الإقامة في جواره ، حيث قال له «ولسوف تجد ادى ما يطيب لك ، وتسمع عندى أخبار مصر» ، ويدهى أن الرجل لم يقل ذلك الا لانه عرف قدر سنوهى وقيمته في قصر فرعون ، فهو قد سمع عنه من أولئك الذين كانوا يقصدون وطنه أو يهرون به من أبناء البلاد ، وفي ذلك ما يدل على شهرة سنوهى التى لم ييلنها الا لانه كان يخدم في بلاط فرعون ، وأن أثر فرعون في بقاع الشرق قد كان عظيما ذا خطر .

ويمضى سنوهى في قصته فيقول : هنالك سألنى الرجل ، ما الذى جاء بك الى هنا ، هل وقع شئ في القصر ؟ فقلت : ان الملك أمنمحات قد لحق بالرقيق الاعلى ، وما يدرى امرؤ ماذا يكون بعد ذلك ، ونباته مراوغا أننى تلقيت خبر ذلك عند عودتى من ابيدان الليبى ، فهلع فؤادى وطار ابنى ، وسرت على غير هدى ، أهيم مدلجا في رمال الصحراء ، ومع ذلك غلم يش بى انسان ، ولم يتجسس على أحد» ، وفي مقالة سنوهى هذه مايكفى دليلا على أنه كان صاحب أثر في شئ ما يتعلق بأخطر أمور القصر ولم يكن هناك أخطر من تلك المؤامرة التى حبرت لقتل الملك ، واقصاء سنوسرت عن العرش ، وليس معنى ذلك أن سنوهى قد شارك في تدبير قتل الملك ، أنظر اليه ، اذ يقول : «لم يش بى انسان ، ولم يتجسس على أحد» ، فالرجل قد ظل مراقبا بعد أن آلت ولاية العهد الى سنوسرت ، وكان يعلم أن من ورائه أناسا يراغبون حركاته ، وأن حياة الملك الشيخ كانت حزره اللوحيد ، ومن ثم فقد أكثر سنوسرت أن يأخذه معه الى ميدان القتال ، ليجعله تحت عينيه ، وليأمن أثره في القصر ، كما أشرنا آنفا .

وعلى أية حال ، فلان سنوهى ، بعد أن قص خبر وفاة أمنمحات ، وتولية سنوسرت خلفا له على عرش الفراعين ، انما يببالغ كثيرا فى مدح المعامل الجديد ، أملا فى أن يصل ذلك الى فرعون عن طريق أولئك الذين يجيئون الى فلسطين ، وينزلون ضيوفا على هذا الشيخ البدوى ، ثم يستطرد مع الشيخ فى حديثه عن نشاط الملك سنوسرت الاول وقدراته الحربية ، وضره البدو الرحل ، ثم هو بعد ذلك يحاول أن يكون سفيرا لفرعون ، ولمصلحة مصر ، مما يدل على حبه وإخلاصه لوطنه ، أيا كانت ظروفه ، فيقول للشيخ البدوى : «أرسل اليه عليك أن تعرفه باسمك ، ولا تتكلم شيئا ضد جلالته ، ولا شك أن جلالته سيعمل الخير لكل قطر يناصره» ، ثم يقول : ان مصر ستسعد فى أيامه .

ويبالغ الشيخ البدوى فى إكرام سنوهى ، فينزله إكرام منزل بويجمله على رأس أبنائه جميعا ، ثم يزوجه من كبرى بناته ، «ويهبه بعض أملاكه» ، فيقطع له بقعة من أحسن بقاع أرضه ، فيها تين وأغلب ، وفيها الخمر أكثر من الماء ، غسلها وفير ، وزيتها كثير ، وشجرها يحمل أطيب الثمر ، وفيها القمح والشعير ، وفيها الماشية يخطئها العدد من كل نوع» ، ثم يعينه قائدا لجيشه المحلى «عندما أصبح الاسيويون جريئين الى الحد الذى جعلهم يقررون مقاومة حكام البلاد الاجنبية ، كنت أقدم المشورة فى تمركزهم» ، وربما يشير سنوهى بذلك — فيما يرى جون ويلسون — الى خطر ممين جديد تعرض له الشرق الأدنى ، وهى مجىء جمافل مكونة من اجناس مختلفة ، من اقوام رحل ، انحدروا من الشمال ومن الشرق ، وهم الذين عرفوا فيما بعد باسم «الهكسوس» ، فالكلمات المصرية لجملة حكام البلاد الاجنبية هى «حقاو — خسوت» ، وهى الاصل الذى اشتقت منه كلمة «هكسوس» ، ويتضح من الاشارة الى هجماتهم على الاسيويين المستقرين أن هؤلاء الغزاة كانوا ينحدرون من بلادهم متجهين الى الجنوب مفرقين سورية وفلسطين .

وهكذا لجأ سنوهى الى رتنو العليا فارا من سوء يحتمل أن يصيبه ، ولكنه لم ينس حبه لمصر ولفرعون ، ومن ثم فرغم الضيافة الطيبة ،

واللقاء الحسن ، والاقامة المريحة ، فاننا سوف نرى فيما بعد أنه يفضل العودة الى أرض النيل الطيبة « كما أنه لم يتكلم بسوء ضد أحد ، وأما الكرم الذي لقيه من الشيخ البدوي ، فمرد ذلك أن الكرم وحسن الضيافة من طباع العرب الاصيلية ، وأهل البقاع الذين نزل عندهم سنوهي من هؤلاء العرب ، فضلا عن أن الشيخ البدوي انما قد أحس مما رآه من سنوهي أنه مدير ماهر « أحسن تدبير ضيمته فأفاد منه اقتصاديا ، كما كان يأمل ، ان عاد سنوهي الى مصر ، فيصبح صاحب مكانة « وعندئذ سيذكره عند فرعون ، ومن ثم فان الشيخ البدوي قد غنم غنما سياسيا بايوائه رجلا من بلاط فرعون ، وغنما أدبيا اذ زوجه من احدى بناته ، وغنما اقتصاديا اذ أدار له مزرعته ، وغنما حربيا اذ استخدمه في كثير من الدفاع أو الهجوم على بعض الضياع ، وقد كان سنوهي بطلا ، وكثيرا ما نازل بعض فتيان القبائل فقهرهم ، وان عرضه ذلك لكثير من الاخطار »

وهكذا يحدثنا سنوهي أنه في يوم من الايام تحداه بطل من «رتتو» ، عرف بقوته وخضع له الناس ، وقد أقسم أن ينازل سنوهي ويقتله ، واستدعاه الشيخ البدوي وأبلّغه بذلك ، فرد سنوهي : «اننى في الحقيقة لا أعرفه ، ولست من ذويه ، ولم أذهب أبدا الى مضرب خيامه ، هل فتحت يوما بلبه ؟ هل هدمت سوره ؟ كلا انه الحسد ، لانه يرانى أنفذ ما تطلبه» ثم يفتم سنوهي حديثه الى صهره بقوله : « وما كنت الا كتور لقي رزقه في غير مرعاه ، واننى لغريب لا يصبه أحد ، ومع ذلك ان كان هذا الفتى يقدر أنه فعل يهوى الصراع ، فاننى فعل نزال أيضا ، ولست أخشى لقاءه ، فاذا ما كانت نفسه تهوى الى النزال فليفعل اذا ما يريد» .

وليس هناك من شك في أن تحدى هذا الفتى قد أفرغ سنوهي وروع قلبه ، واقض مضجعه ، وأرق نومه ، ففرغ الى مضيفه وصهره يشكو اليه أمر ذلك ، راجيا أن يستغل نفوذه في رد الفتى عن منازلته ، ويبدو لى أن ذلك انما كان لكبر سن سنوهي ، وربما لانه أراد ألا يجعل بينه وبين احدى القبائل المجاورة ثارا ، وأيا ما كان الامر ، فاننا نراه — وقد

أصر الفتى على منازلته ، يستعد للمراك دون خوف ، فلما جن الليل شد قوسه ، وجهاز سهامه وخنجره ، حتى اذا ما أصبح الصبح ، وحان موعد اللقاء ، وراه أهل الحى فى عدته وعتاده ، عطفوا أفئدتهم عليه ، واحتاجت لأمه نساء الحى ، وأشفقوا عليه القلوب جميعا ، وبدأ الناس يثرثرون : أليس هناك رجل شجاع آخر يستطيع أن ينزل هذا الفتى .

وجاءت ساعة النزال ، والمتقى الخصمائل فى ميدان القتال ، وبدأ المبتلى الاسيوى فى اطلاق سهامه ، فتصادها سنوهى ، ثم اقتربا من بعضهما ، وهجم الواحد منهما على الآخر ، واستطاع سنوهى أن يطلق سهما استقر فى عنق غريمه ، فصاح وخر على وجهه ، ثم أهوى عليه بفأس فقتل عليه ، ثم وطئه بقدميه « يهدئنا صاحبنا البطل المصرى عن ذلك بقوله : «وعندما اقترب كل منا من الآخر ، هجم على فأصبته ، واستقر سهمى فى عنقه ، فصرخ وارتمى على أنفه ، فأجهزت عليه بفأس قتاله ، وصرخت صرخة النصر ، وقد وقفت فوق ظهره» .

وهنا خرج الاسيويون جميعا ، بينما أخذ سنوهى يصلى شاكرا لرب الحرب «مونتو» ، وهنا أقبل صهره ، «عاموننشى» ، فضم سنوهى الى صدره ، ثم أعلن نصره على خصمه ، فذهب متاعه وسلب أنعامه ، وأنزل به ما قدر لخصم أنه فاعل به ، وأخذ كل ما كان فى مضيئه ، ونهب جميع ما كان فى منزله ، ثم يختم سنوهى وصف هذا الحادث بالاشطار التالية :

فى يوم من الايام كنت أحد الهاربين —

ولكن صيتى الآن قد وصل الى القصر

فى يوم من الايام كنت ثقيلآ أتضاعل بسبب الجوع —

والآن أعطى الخبز لجارى

فى يوم من الايام ترك شخص بلده بسبب العرى —

والآن اتلألا فى بيض الثياب وفى ملابس الكتان

فى يوم من الايام كنت اسرع المسير لانه لم يكن لدى من أرسله —

والآن لدى عدد كبير من الارقاء

ان بيتى جميل ومسكنى رحب — ويذكرنى الناس فى القصر



وتستد لوعة سنوهى الى ارض الكنانة — الى مصر وطنه الحبيب —  
ويتمنى أن يراف الله تعالى به ويعيده الى القصر الملكى فى اللشت ، يبدو  
ذلك واضحا من قوله : «يارب هل قدرت لى أن أرى الديار التى أحب ،  
فليس أعظم عندى من أن أقبر فى الارض التى ولدت فيها ، معونتك اللهم  
وعسى أن يكون الفرج قريبا ، وعسى ربى أن يرزقنى من فضله ، ألا غليغفر  
لى فرعون حتى استطيع العيش فى ظله ، وحتى أمتع نفسى بخدمة ربة  
القصر» •

ويصل رد الفرعون لسنوهى : «عد الى مصر حتى ترى الارض التى  
ولدت فيها ونشأت ، وقبل الارض عند البوابة الثنائية العظمى ، والتحق  
بالبلاط ، لقد هزمت الآن ، وعز نشاطك ، فتذكر يوم الدفن ، وليلة اعداد  
الطيوب والاكمان ، ويوما يعد لك فيه موكب متهود ، وتلبوت ذهبى  
بقناع من لازرد ... لا ينبغي أن تموت فى بلد غريب ، ولا ينبغي أن  
يفخرك أبود ، أو أن تكفن فى جلد ثاة ، حنا ليس أوان الطواف فى  
الارض ، فعد واحذر المرض» •

ويقول سنوهى أن الامر الملكى قد وصله ، وهو بين رجال قبيلته ،  
وترى عليه ، فاستدت فرحته ، ونسى فى تلك اللحظة فضل تلك البلاد  
عليه كل هذه السنين الطويلة ، «فارتميت على بطنى وأمسكت التراب  
وعفرت به شعرى ، وأخذت أجرى بين المساكن فرحا ، وأنا أقول : كيف  
تحدث كل هذه الاشياء لخادم أضله فؤاده ، فأتى الى بلاد متوحشة» ،  
ثم يسرع سنوهى فى الرد على الملك «سنوسرت الاول» ، شاكرآ له فضله ،  
مؤكدآ له « مرة أخرى ، أن هربه من مصر لم يدبره ، ولم يفكر فيه :  
«لست أدرى ما الذى جعلنى أمارق مكانى ، كان ذلك أشبه بالحلم ، كما  
يحدث لشخص من أهل الدلتا عندما يرى نفسه فجأة فى « اليفانتين »  
(جزيرة أسوان) ، أو أن شخصا من المستنقعات (فى الدلتا) يرى نفسه  
فى النوبة ، لم يكن هناك ما أخافه ، ولم يضطهدنى أحد ، ولم أسمع قولا  
جارحا» •

على أننا نقرأ فى نفس الرد شيئا آخر ، لقد هاجر سنوهى الى بلاد

«سورية - فلسطين» وكون لنفسه هناك مركزا ممتازا ، وأصبح كل ولد من أولاده زعيم قومه ، كما ارتبط برباط المودة مع كثير من الزعماء ، وفي خطابه هذا ، انما يعتبر نفسه وكأنما هو يحكم باسم ملك مصر ، ويستأذن سنوهى سنوسرت في العودة الى مصر ، ويقول له : أنه ترك عمله هنا تنفيذاً لرغبة جلالته ، ويوصيه خيرا ببعض أمراء البلاد الذين كانوا موالين دائما لملك مصر ، ويسأله أن يدعوهم اليه .

ويعود سنوهى الى سرد قصته مرة أخرى ، فيقول : انه بعد أن تلقى عفو الملك عنه والسماح له بالعودة الى مصر ، لم يمكث الا يوما واحدا في «ليا» ، فأوصى بأملكه لأولاده ، وأعلم كبيرهم شيخا على الحى ، وعهد اليه بكل شئونه هناك ، وعندما وصل سنوهى الى «طريق حور» من وراء الحدود المصرية ، بحث ضابط الحدود بأمره الى فرعون ، فبعث فرعون بسفائن له تحت اشراف رجل من أمهر رجاله وحملها كثيرا من الهدايا الى أولئك الاعراب الذين رافقوا سنوهى ، والذين قدمهم فردا فردا الى الموظفين المصريين الذين جاؤوا من القصر ، ثم ودعهم وعاد مع رجال فرعون الى القصر الملكى فى العاصمة .

وفى الصباح المبكر جاءه من القصر من يدعوه ، فسره أن يرى فى ركابه عشرات الرجال يرحلون ويقعدون بأمره ، وكان أبناء الملك ينتظرونه عند الباب الخارجى ، فلما دخلوا به الى قاعة العرش ، يقول سنوهى : ووجدت جلالته فوق عرشه العظيم فى البوابة الذهبية ، وعندما ارتعيت على بطنى ، تولى عنى ذكائى فى حضرته ، بالرغم من أن ذلك الاله (الملك) قد خاطبنى برفق ، فقد كنت كرجل خطفوه فى الظلام ، فرت روحي ، وارتعش جسدى ، ولم يمد لقلبي وجود فى جسدى ، ولم أعد أعرف أكنت حيا أم ميتا» ، ولعل ذلك انما يشير الى أن سنوهى انما كان جليزا ليشعر بجريته ، ويص لذلك ألما لاذعا أفقده صوابه فى حضرة فرعون ، وسواء أصبح هذا أم لا ، فإن فرعون سرعان ما أمر بانهاضه ليتحدث اليه قائلا : «ها أنت قد عدت الينا بعد أن طفت بأقطار الارض ، والآن بعد أن بليت من الكبر عتيا ، فلا أقل من أن يدفن جسدك فى أرض الوطن ، بدلا من أن يدفنه برابرة الامسيويين فى أرضهم» .

ويتحدث سنوهى بعد ذلك عن كرم الفرعون وعطفه — بعد أن طلب إليه أن يتحدث — فيصف كيف أنه لم يستطع أن يتحدث في سهولة : ما الذى يقوله لى سيدى ، ليتنى أستطيع الاجابة فلتنى لا أقدر ، وأخيرا أمر فرعون بإدخال الاطفال الملكيين ، وقال للملكة : أرايت كيف تغير سنوهى ، فأصبح كأحد الاسيويين ، غمرخت الملكة وصرخ الاطفال الملكيون جميعا ، وقالوا لجلالته : انه ليس هو حقا يا سيدى الملك ، فرد الملك : انه هو حقا ، والواقع انه ليس عجيبا أن تنكر الملكة ، وأن ينكر الامراء مظهر سنوهى ، ذلك لانهم انما كانوا ، منذ أن سمعوا بقصته ، يفقدون أن يروا شيخا مصريا ، كانوا يعلمون مكانه من الماضى ، ويحسون ما كان له من هيمة وخطر ، فلما رأوه فى القصر رأوا شيخا بدويا ، أغمر أخبر أنسحت ، أضناه البعاد ، وأتعبته الهموم ، وأحنت السنون ظهره ، ومن ثم فقد طلبوا أن يمنحهم «ذلك الشيخ ابن آلمة الشمال ، ذلك الهمجى الذى ولد فى مصر ، انه فر خوفا منك ، وترك البلاد رهبة منك ، ولكن الوجه الذى يرى جلالتك لن يجزع بعد ذلك ، والعين التى تقع عليك لن تخلف» .

ويرد الملك على أبنائه بأن سنوهى لن يخاف ولن يجزع بعد اليوم ، وأمر بتعيينه أمينا من أمناء القصر ، وجعل مكانه بين كبار الموظفين فى البلاط ، ويصف سنوهى بعد ذلك ما حدث له ، وكيف أخذوه الى بيت أحد الامراء ، وأعدوا له حماما ، وكيف عطروه وألبسوه فخر الثياب ، وكان القدم يلبون كل اشارة له ، «وجعلوا السنين تغادر جسمى وانسلخت عنى ، وسرحوا شعرى ، وألقوا الى الصحراء بحمل من القاذورات ، وألقوا بملابسى الى ساكنى الصحراء ، وألبسونى أفخر الثياب ، وعطرونى بأحسن أنواع العطور ، ونمت على سرير ، وتركت الرمل لن هم فيها ، وزيت الخشب لم يلطخ نفسه به» ويطلب سنوهى فيها أعقد عليه الملك ، اذ أعطاه بيتا يليق بأحد أمناء القصر وزينه له ، ورتب له طعاما من القصر «يأتون به ثلاث مرات وأربع مرات فى اليوم الواحد» ، ويصدر الملك أوامره الى كبير مهندسيه بلقامة مقبرة له ، وعينوا لها أمر الصناع ، وانتقوا أحسن الاثاث الجنازى ، وعينوا لها الكهنة اللازمين ، وأوقفوا

لها الحصول اللازمة ، ووضعوا له في المقبرة تمثالا منقوشا بالذهب ، وكانت نقبة ذلك التمثال مصنوعة من الذهب الخالص ، وأخيرا يختم سنوهي قصته قلئلا : كان الملك هو الذي أمر بعمل ذلك ، ولم يحدث أن عملت هذه الاشياء لرجل بسيط مثلي ، وهاأنذا أعيش يعمرني فضل الملك حتى يحين يوم وفاتي» .

واننى لأظن أنه يجب علينا — قبل مناقشة القصة وتقويمها كمصدر تاريخي — أن نناقش الدوافع التي كانت من وراء هروب «سنوهي» ، ومن ثم كتابة القصة نفسها، كان سنوسرت الاول أكبر أبناء الملك أمنمحات الاول ، ما في ذلك من ريب ، وربما ولد له حين كان يشغل منصب «الوزير» في بلاط المناطة من ملوك الأسرة الحادية عشرة ، فلما دفعت الحوادث بأمنمحات الاول الى عرش الكنانة، جعلت منه ملكا لمصر العليا والسفلى، تزوج بامرأة أخرى — في غالب الظن — ولعلها كانت أرملة آخر فرعين المناطة ، ولعلها كانت إحدى أميرات البيت الملك الزاتل ، تستطيع أن تجعل عرشه شرعيا — من جانب حزب الوراثة — وكان صاحبنا ، في أغلب الظن ، من أتباعها ، ثم رزقت بأبناء أصبحوا أصحاب الحق الشرعي في العرش المصري .

وهنا أصبح الموقف صعبا بالنسبة للامير «سنوسرت» ، فهو أكبر أبناء أبيه جميعا ، وهو قد شارك في جهاده العظيم « حتى انتهى به الامر الى العرش ، في الوقت نفسه ، لم يكن صاحب الحق الاول في العرش ، وربما فكر أبوه في أن يجعل منه وليا للمهد ، ولكنه خاف أن يعلن ذلك ، خشية أن يخالف قانون الوراثة المعروف ، وليس من المستبعد أن تكون الاميرة التي تزوج منها أمنمحات الاول قد أحست بما انطوت عليه نفسه، وأدركت ما سوف يكون عليه مصير ولدها ، فامتلات نفسها ثورة عليه ، وشاركتها في ثورتها هذه ولدها ومن معه من الموالين والانصار ، وهكذا كانت المؤامرة المشهورة على أمنمحات الاول ، وحين خطب ظنهم وغشل سعيهم ، وانكشف أمرهم ، جمع الملك شجاعته ، وأعلن سنوسرت وليا للمهد ، وشريكا في الحكم ، وان كان هناك ما يشير الى أن مشاركة

سنوسرت الاول أباه في ادارة شؤون البلاد ، انما كانت طوال الاعوام  
 العشرة الاخيرة من حكم ابيه ، أى منذ عام ١٩٧١ ، كما أشرنا من قبل .  
 وعلى أية حال ، فليست اعتقد أن سنوهى قد شارك المتآمرين في قتل  
 أمنمحات الاول ، ذلك لانه قد لجمع فيه ، حين صحبت روحه الى بارئها ،  
 ولم يأمن عواقب موته ، ومن ثم فقد كان هروبه الى فلسطين ، ولكنى  
 أميل الى أن سنوهى انما خشى أن يفتك به الفرعون الجديد (سنوسرت  
 الاول) كواحد من الموالين لمنافسيه ، ويبدو لى أن أمنمحات الاول بعد أن  
 أعلن ولاية الهود لولده سنوسرت قد زوجه من كبرى بناته من زوجه  
 الملكية ، صاحبة الحق الشرعى فى العرش ، وكان سنوهى من أتباعها ،  
 وأتباع أمها من قبلها ، ومن هنا كانت شفاعتها له عند سنوسرت ، وحفظت  
 عليه حياته وردته الى الوطن ، وأعادته الى القصر ليستأنف خدمته فى  
 البلاط .

هذا وتدل ظواهر الامور على أن المتآمرين انما كانوا يطمعون فى  
 بلوغ مآربهم — بعد فشلهم الاول — من وراء موت الملك ، وأن أنصار  
 سنوسرت قد تمكنوا من إنهاء خبر وفاة الملك اليه على جناح السرعة ،  
 والظاهر أنهم استطاعوا أن يكتموا خبر الوفاة عن الشعب الى أن يعود  
 سنوسرت الذى طار الى القصر سريعا ، وتمكن من الاستيلاء على ناصية  
 الامور ، فصاحبنا سنوهى انما كان ضالعا مع الفريق الذى نافس  
 سنوسرت ، وكره أن يؤول العرش اليه ، فاستراقه السمع عند مجيء  
 الرسل ، وعلمه عند سماعه الخبر ، وفراره الى فلسطين ، كل تلك أمور  
 تدل على أن له نصيبا فى المؤامرة التى استأنفها أصحابه لاجساد سنوسرت  
 عن العرش .

وأما أهمية القصة — كوثيقة تاريخية — فهى تقدم لنا فكرة عن أن  
 المصريين — رغم اعتقادهم ببدأوة سكان الصحراء الشرقية — فإن هذا  
 لم يمنع رجلا مثل سنوهى من أن يعترف لبعضهم بالكرم والمروءة  
 والنجدة .

ولم تمنع العواصم المصرية من أن تستقبل وفودا منهم للتجارة أو

الريارة ، فيتعرفوا فيها على شخصياتها البارزة التي يسمعون عنها ، ونفهم من القصة كذلك أن اللغة المصرية — لغة سنوهى — كانت معروفة لبعض أهل الشام ، وأن التجار المصريين كانوا يترددون على تلك المناطق التي كان يقيم فيها سنوهى ، بل وقد كانوا يهرون بها الى أبعد منها ، وأن الحكام السوريين كانوا على اتصال بمجريات الامور في مصر ، ويحبون ان يستريدوا من أخبارها .

ويفهم من القصة كذلك أن سنوهى قد اشتراك — مع فرقة من السكان المحليين — في مقاومة جماعات سمي رؤساؤهم باسم «حقاو — خسوت»، وربما كانت اشارة سنوهى الى هؤلاء آل «حقاو — خسوت» ، فضلا عن الاشارة الى القلاقل التي كانت تسود منطقة «فلسطين — سورية» انما هي بداية الاضطراب الذي سيسود المنطقة في أعقاب هجرة قبائل من وسط آسيا ، أخذت منذ ذلك العهد تهاجر في موجات لتستقر في مختلف بلاد الشرق الادنى القديم وفي غيرها ، وهي المسماة بالشعوب «الهندو — أوربية» التي كان لها أثر كبير فيما بعد ، مع ملاحظة أن هذه الهجرات كانت وقت ذلك ماتزال قليلة ضعيفة .

وأما أهمية القصة من الناحية الادبية ، فهي من حيث الشكل قصة واقعية لتجربة شخصية حدث في زمان ومكان محددين ، ولها بداية ونهاية كذلك ، ثم هي قد تضمنت في سياقها معلومات بسيطة مشوقة عن فلسطين وسورية وأهلها ، كما تضمنت من شعر المدايح والامثال الجارية ، ومن صيغ التراسل ، ولياقة الاستعطاف ، ورقة الاعتذار ، ما كان المعلمون والطلبة المصريون يلذ لهم الاستشهاد به ، وترصيع كتاباتهم به ، ثم هي من الناحية الفنية قد أبدعت في تصوير مشاعر الايمان ، ومشاعر الخوف ، ومشاعر الغفر بالنصر ، وأخيرا في تصوير أسمى المشاعر وهي — فيما اعتقد — مشاعر الوطنية «والحنين الى الوطن ، وطننا العظيم ، مصر ، كنانة الله في أرضه» (٣١) .

(٣١) أحمد بحوى : في موكب الشعب ١٠٥/٢ - ١٢٠ ، أحمد

ترجع هذه القصة الرمزية الى أيام الدولة الوسطى ، وهي الفترة التي أغرم القوم فيها بحب المغامرة ، وتسمى هذه القصة بقصة البحار أو قصة الملاح والجزيرة النائية أو قصة الملاح الغريق ، بل ويسمىها البعض قصة الجزيرة المسحورة ، وهي على أية حال ، تشبه الى حد كبير قصص «السندباد البحري» في «الف ليلة وليلة» وقصة «روبنسون كروزو» في الادب الانجليزي ، وتحدثنا عن بحار حملته الامواج - بعد أن تحطمت سفينته - الى جزيرة نائية ، بها حية ضخمة أكرمته وهدمته ، وظلت ترعاه حتى عاد الى وطنه ، وقد وضعت القصة في أسلوب رقيق يعبر عن أجمل العواطف ، ويستثير روح البطولة والمجازفة ، ويصور حياة الملاحين تصويرا دقيقا ، وهي تشير كذلك الى حب الوطن الذي ملا قلوب المصريين ، بصيت أضى لديهم من قواعد الايمان<sup>(١)</sup> .

هذا وقد وصلت اليينا هذه القصة كاملة في بردية ائمتراها الاثرى الروسى «فلاديمير جوليشف» من مصر ، وان لم يعرف على وجه اليقين المكان الذي عثر عليها فيه (ربما في وادى الحمامات أو في سيناء) ، وتعرف البردية باسم (بردية لينجراد رقم ١١١٥ = P. Leningrad 1115 ) وهي

فخرى : المرجع السابق ص ٣٨٤ - ٣٩٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٧٨ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٦٢ - ٣٦٥ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٣٤ - ٤٦ ، محمد بيومي مهران : مصر ٣٤٥/٢ - ٣٤٧ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٣٩ - ٦٨ .  
A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 130-132.

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 58-74.  
J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 18-22.  
A. Erman, LAE, 1927, p. 14-29.  
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 223-233.  
J. B. Barns, JEA, 53, 1967, p. 6-14.  
J. Clere, JEA, 25, 1929, p. 16-29.  
A. Blackman, BA, II, p. 1-14.  
G. Posener, Op-Cit, p. 57-115.

(١) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٧٣ .

الآن في موسكو ، وقد قام بنشرها جولينشف (٣) وارمان (٢) وبلاكمان (١) كما ترجمها ارمان (٥) ولوفيفر (٦) وسمبسون (٧) ، وغيرهم (٨) .

ومسرح أحداث القصة هو البحر الاحمر ، ومن المعروف أن المصريين كانوا يرسلون الحملات الى بلاد «بونت» (٩) عبر البحر الاحمر ، منذ أيام الحولة القديمة (١٠) ، للحصول على خيرات تلك البلاد ، وعلى الاخص البخور وأنواع العطور المختلفة ، وكل ما يجدونه في تلك البلاد ، سواء مما كانت تنتجه أو مما كان يأتي اليها كسلع تجارية . وتدور أحداث هذه القصة الرمزية في جزيرة نائية في البحر الاحمر يسميها النص «الجزيرة الروح» ، وهي جزيرة مسحورة خالية من البشر ، وان كانت تعمر بكل أطايب الدنيا ، ويسكنها ويحكمها كائن غير عادي ، ثعبان هائل الحجم ، يستطيع أن يتحدث وينبئ عن الغيب ، ولكنه غير شريد ، بل يساعد الذين في حاجة الى المعونة ويندق عليهم عطاياها ، ومن ثم فهي أقرب الى الاسطورة منها الى القصة الحقيقية .

W. Golénisheff, Recueil des Travaux, 1906 p. 753. (٢)

W. Golénisheff, Conte du Naufrage, Bibliothéque d'étude 2, Le cairo, 1912.

E. Erman, ZAS, 43, 1906, p. 1-26. (٣)

A. M. Blackman, Middle Egyptian Stories, Bibliotheca Aegyptiaca, II, Brussels, 1932, p. 41-84. (٤)

A. Erman, LAE, 1927, p. 29-35. (٥)

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 29-40. (٦)

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 50-56. (٧)

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 211-215. (٨)

H. Brunner-Traut, Op-Cit, p. 5-10. وكذا

(٩) أنظر عن بلاد بونت (محمد بيومي مهران : العرب وعلاقتهم الدولية في العصور القديمة - الرياض ١٩٧٦ ص ٣٠٧ - ٣١٠ ، مصر ٢٤٥/٢) .

(١٠) أنظر : محمد بيومي مهران : مصر والعالم الخارجي في عصر رعمسيس الثالث ، الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢٥٢ ، جورج فضل حوراني : العرب والملاحه في المحيط الهندي ص ٣٠ ، وكذا

J Hornell, Sea-Trade in Early Times, 1941, p. 240-246.

E. Noaville, The Temple of Deir-El-Bahari, III, London, 1898, Pls. 69-85.



وتحكى قصة البحار هذه قصة رجل كان في طريق عودته بالنيل من مهمة كلفه بها فرعون عصره ، وان لم يكتب له فيها نصيب من نجاح ، وعندما اقترب من العاصمة جاءه تابع وفي له يهنئه بسلامة العودة ، «ليطمئن قلبك أيها الامير ، انظر لقد وصلنا الى الوطن ، لقد أمسكوا بالمطربة ودقوا الوتد ، ومدوا حبل المقدمة (مقدمة السفينة) على الارض ، وأقيمت الصلوات ، وعنق كل رجل أخاه ، لقد عاد بظرتنا سالمين » ولم ينقص من حملتنا أحد . لقد وصلنا آخر بلاد «اواوات» (المنطقة ما بين أسوان وكورسكو) ومررنا بجزيرة «السمنت» (جزيرة بيحة أمام جزيرة هيلة جنوبى أسوان) ، انظر : لقد عدنا ووصلنا أرضنا» ، غير أن الرجل انما ظل مهموما يتخوف عاقبة فشله ، فانبرى الملاح يسرى عنه ويهون عليه ، ويبعث الامل في نفسه ، وقص عليه قصة تداولت عليه فيها شدايد ، ظن أنه لا نجاة له منها ، ولكنه نجى وسلم وعاد الى وطنه ، واستمتع باجتماع شمله بأهل بيته . قال الملاح : نزلت الى الاخضر العظيم في سفينة بحرية ، بلغ طولها مائة وعشرين ذراعا ، وبلغ عرضها أربعين ذراعا ، واستقلها مئى مائة وعشرون بحلرا من خيرة البصرة في مصر ، اذا نظروا الى السماء أو نظروا الى الارض فقلوبهم أقوى من الاسود ، كانوا يستطيعون التنبؤ بالرياح قبل أن تاتي ، وبالعاصفة قبل أن تهب ، وفجأة هبت الرياح ، ونحن في الاخضر العظيم (الواسع) قبل أن نصل الى الشاطئ ، عصفت الرياح ثم عصفت ، فارتفع الموج الى ثمانية أذرع ، فضربت الصارى وضربها الصارى ، فغرقت السفينة بمن كان فيها ، وأما أنا فقد ألقنتى موجة من أمواج الاخضر العظيم على جزيرة أمضيت بها ثلاثة أيام في دغل لا أنيس لى فيه ولا معين ، ثم أخذت طريقى في أرضها أبصت عن شىء أضمه في لى ، فوجدت تينا وعنبا ، وكثيرا من الخضر بأنواعه المختلفة ، وكذا جميزا وخيارا ، وأسماكا وطيورا ، فطعمت وشربت ثم أخذت عصا وأشعلت نارا وقدمت للارباب قرايينا ، وفجأة سمعت دبيبا قاصفا يقبل على ، فظننت أنه موج من أمواج الاخضر العظيم ، وعندما أزعجت الغطاء عن رأسى وجدت أنه أفعوانا ضخما طولها ثلاثين ذراعا ويزيد أثر دبيبه على الارض عن المترين عرضا ، وجسده مغطى

بالذهب . وحاجباه بلون الزبرجد ، ففتح فمه نحوى ، وكنت ساجدا على  
 بطنى فسألنى : من أحضرك هنا ؟ من أحضرك هنا أيها الصغير ، ان تأخرت  
 فى أن تخبرنى بمن أحضرك الى هذه الجزيرة ، سأحملك شملة نار ، فقلت :  
 أنت تكلمنى ، ولكنى لست أسمع ما تقول ، أنا أمامك ولست أرى غائب  
 عن الوعى .

وحمله الثعبان فى فمه الى جحره ، وترفق به حتى أترخ روعه ، ثم  
 أعاد عليه سؤاله ، فقص عليه البحار قصته ، وهنا هون عليه الثعبان  
 القضية ، وذكره بالآء ربه ، الذى قدر له الحياة وأرساه على « جزيرة  
 الروح » التى تمتلئ بكل الاشياء الجميلة ، ثم بشره بأنه سيعود الى  
 وطنه ، وأن سفينة مصرية سوف تاتى اليه بملاحين يعرفهم ، ولكن ذلك  
 لن يكون الا بعد أن تمضى أشهر أربعة ، وعندئذ يرجع الى بلده ويموت  
 فيها ، وسرعان ما يستأنس الثعبان بالرجل ويقص عليه قصته ، فإذا  
 ببلاواه لا تقلل عن بلاواه ، فقال له : كنت أقيم مع اخوانى وأولادى ، وكنت  
 عدتنا سبعة وثلاثين ، عدا حافلة رزق بها بعد أن ارتجأها طويلا ، وفجأة  
 سقط شهاب من السماء فاحترقوا بناره جميعا ، ولم ينج منهم سواه .  
 فكاد يموت حزنا عليهم بعد أن وجدهم جميعا جثتا لا حياة فيها ، وأبى  
 الثعبان أن يعكس حزنه على ضيفه ، فقال له مشجعا : اذا تشجعت  
 وشددت قلبك فليسوف تملأ حوضك بأولادك ، وليسوف تقبل زوجك وترى  
 دارك ، وليسوف تصل الى العاصمة وتعيش بين اخوانك .

وأكبر الملاح الثعبان ، وأبلغه — ان تصقت مقالته — وعاد الى وطنه —  
 أن يقص قصته على الملك ، وأن يسأله أن يرسل له الهدايا من الزيوت  
 العطرة ، ويخور المطبخ التى تشر الالهة ، وسوف يروى للناس مارآه من  
 قوته ، وسوف يثنى عليه فى العاصمة أمام العظماء ، وسوف يضحى من  
 أجله بثور ، وسوف يرسل له من مصر سفينا محملا بكل ثمين فى أرض  
 مصر ، ولكن الثعبان سخر منه ، وأعلمه أنه هو أمير بلاد بونت (١١) . وأنه

(١١) لقد قام جدل طويل بين العلماء حول موقع بلاد بونت (بوينى

صاحب كل ما فيها من العطور والبخور ، كما أخبره أنه بمغادرته لهذه الجزيرة ، فلن يصبح لها وجود وسوف تصبح ماء ، بعد أن يتلعمها الموج .  
وما أن تضى الشهور الأربعة حتى يتحقق وعد الثعبان « وتقبل سفينة ، ويتعرف الملاح على من فيها ، فنزل اليهم مزدودا بكميات هائلة من المر والتوابل وذيول الزراف والصبوغ والبخور وأنياب المساج ، والفهود والنسانيس ، وكل النفائس الطيبة » وعاد الرجل الى بلده بعد شهرين ، يملأه الأمل بما وعده الثعبان من سعادته في داره ، ولقائه لاطفاله ، ووقته في وطنه .

ويختم الملاح قصته بان ينبه الامير الى ما ناله ، ويوصيه بان يستمع

فيما يرى جاردرنر ) ، ولعل أهم الآراء تدور حول اتجاهات أربع : أولها : انها بلاد العرب الجنوبية (اليمن ومجاوراتها) ، وثانيها : أنها على الشاطئ الأفريقي للبحر الأحمر ، وثالثها : أنها كلمة عامة تشمل الأقاليم الاستوائية في نظر المصريين ، ورابعها : أنها تقع على الساحل - الآسيوي والأفريقي للبحر الأحمر ، على مقربة من بوغاز باب المندب .  
ويذهب « ادوارد نافيل » الى أنه من الخطأ تعيين موقع بونت بمنطقة محددة بعينها ، لأنها لم تكن تدل على بلاد ذات حدود واضحة ، وإنما كانت اسماً لسلسلة بشرية انتشرت في بلاد العرب الجنوبية - وحتى الخليج العربي - فضلاً عن الساحل الشرقي لأفريقيا ، وأن المصريين ينتمون الى هذه السلسلة ، وكذا الفينيقيين الذين هاجروا من سواحل الخليج العربي الى سواحل الشام ، كما أن اسم « بونت » دل في المقام الأول على البلاد المنتجة للبخور ، وكان المصريون يحصلون عليه من بلاد بونت ، وأن خير أنواع البخور إنما كانت تنبت في بلاد الشجر والمكلا وظفار وجزيرة سوقطرة وكلها على الشاطئ الجنوبي لشبه الجزيرة العربية ، كما أن الأشجار المرسومة على معبد الدير البحري إنما تنبت في ظفار ، وان كان بعضها بنبت في الصومال (انظر :

R. P. Dougherty, The Sealand of Ancient Arabia, New Haven, 1932, p. 170-72.

K. A. K. Kitchen, Punt and How to get there, 1971, p. 188 F.

P. K. Hitté, A History of the Arabia, 1960, p. 34-35.

وانظر : أحمد فخري : دراسات في تاريخ الشرق القديم ص ١٢٨-١٤٠ ، نجيب ميخائيل : مصر والشرق الأدنى القديم ٢١٨/١ - ٢١٩ ، محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣٠٧ - ٣١٠ - عبد المنعم عبد العظيم : محاولة لتحديد موقع بونت ص ٥ - ٣٤ .

لنصيحته ، ولكن الامر يجيبه : لا تكن مختالا يا صديقى ، فمن ذا الذى يعطى الماء لطائر سيذبح فى آخر النهار .

والقصة — كما يقول أستاذنا الدكتور عبد العزيز صالح — لا يزان تحديد جانب الحقيقة وجانب الخيال منها ، موضعاً لجدل طويل ، وان ذهب الخان الى أن مغامرة الملاح فيها كانت قرب «جزيرة الزبرجد» فى البصر الاحمر ، وان ما يعنيننا من القصة غلبة روح التفاؤل فيها ، وحرص كاتبها أو راويها ، على أن يفترض لكل مصيبة ما هو أشد منها ، كما يفترض لكل مصيبة مفرجا منها ، ومن هنا فقد أمّلت هذه الروح على الملاح صاحب المغامرة على أن يشجع أمير سفينته الذى تظوف غضب فرعون ، بقوله : استمع ايها النبيل ، وثق انى رجل برى من المبالغة ، اغتسل وضع الماء على أناملك حتى تهدأ أطرافك ، وأجب اذا سئلت ، وتحدث الى الملك وذهنك معك ، أجب دون تردد ، فمنطق الرجل يحميه ، وحديثه يكفل له ما يصون به وجهه ، وتصرف ما يميله عليك عطفك» (١٢) .

- 
- (١٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤١ - ٢٤٣ ، أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٣٩٠ - ٣٩٣ ، مفير مطى : الجزيرة المسحورة ص ١٠٥ - ١١٠ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٥٠ - ٥٤ ،  
G. Lefebvre, Op-Cit, p. 29-40. وكذا  
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 212-215. وكذا  
A. Erman, LAE, p. 29-35. وكذا  
W. K. Sempron, Op-Cit, p. 50-56. وكذا

## ٥ - قصة فتح يافا

وجدت هذه القصة في بردية هاريس رقم ٥٥٠ المحفوظة الآن في المتحف البريطاني تحت رقم ١٠٠٦٠ ، وقد عثر عليها في طيبة (الاقصر) ، وترجع الى عهد الأسرة التاسعة عشرة ، وربما الى أيلم رعسيس الثاني (١٢٩٠ - ١١٢٤ ق م) ، وقد نشرت وترجمت عدة مرات ، لعل من أهمها ترجمات : جاردنر<sup>(١)</sup> وبييت<sup>(٢)</sup> وارمان<sup>(٣)</sup> ولوفيفر<sup>(٤)</sup> وويلسون<sup>(٥)</sup> وجدكة<sup>(٦)</sup> وغيرهم<sup>(٧)</sup> ، وأما الترجمات العربية فأهمها ترجمات سليم حسن وأحمد فخري وعبد العزيز صالح ، والترجمة العربية لكتاب جوستاف لوفيفر<sup>(٨)</sup> .

هذا وكانت قصة «فتح يافا» هذه من القصص الشعبي الذي تناقلته الاجيال ، جيلا بعد جيل ، وقد ظهرت فكرتها في آداب أمم أخرى كثيرة ، وتتضمن القصة في السطور التالية :

كان «تحتوي» - احد قواد الفاتح العظيم تحوتمس الثالث (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) - يحاصر مدينة «يافا» الفلسطينية وقد ثار حاكمها على

A. H. Gardiner, Late Egyptian Stories, BA, 1, Brussels, 1932, (١)  
p. 82-85.

T. E. Peet, in JEA, XI, 1925, 225-227, 336-337. (٢)

A. Erman, LAE, 1927, p. 167-169, The Ancient Egyptians, (٣)  
p. XXXIII.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 125-127. (٤)

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 22-23. (٥)

H. Goedicke, The Computre of Joppa, Chronique d'Egypte, (٦)  
43, 1968, p. 219-233.

E. F. Wente, in The Literature of Ancient, London, 1977, (٧)  
p. 81-84.

H. P. Blok, De beide Volksverhalen Van Papyrus Harris 500 وكذا  
Verso, Leyden, 1925.

G. Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt, p. 108. وكذا

(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٩ - ١١٢ ، أحمد فخري :  
المرجع السابق ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص  
٣٣٧ - ٣٣٨ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٨٨ - ١٩٢ .

السيادة المصرية ، واعتمد بمدينة ، ولم يستطع القائد المصرى أن يخضعه ، وأن يستولى على المدينة ، ويعيدها الى حظيرة الامبراطورية المصرية ، بل ان الحاكم الفلسطينى انما حاول أن يستميل اليه القائد المصرى (تحوتى) ضد الفرعون ، أو يخذله ويوقعه فى حباله ، ومن ثم فقد دعاه الى الانضمام اليه هو وأهله ، فرد تحوتى على مكروه بمكر يساويه ، وأظهر له أن يميل الى مصادقته ، ودعاه من ناحيته الى مقابلاته فى معسكره ، فلما لبى الحاكم الفلسطينى دعوة تحوتى أكرمه ، وأسر اليه أنه يريد أن يلجأ اليه هو وأسرته ، وطلب اليه أن يبعث بفرسانه «المريانو» لرعاية خيولة خشية أن يعتدى عليها لمصوص الخيل من العلبيرو (٩) .

وفى أثناء وجود الحاكم الفلسطينى فى خيمة القائد المصرى طلب منه أن يرى مقمعة الفرعون تحوتمس الثالث (مولجان تحوتمس الثالث) التى كان من عادته أن يعطيها لقواده عند خروج أحدهم لقيادة الجيش ، فوجدها تحوتى فرصته ، وعاد اليه بمقمعة غليظة ، وقال وهو يواجهه : أنظر يا عدو يالفا ان «من خبر رع» الاسد المعسور ، ابن «سختمت» (ربة الحرب) (١٠) ، قد وهب أبوه أمون التأييد» ، وعاجله بضربة منها على جبهته أردته منشيا عليه ، فشد وثاقه واثقل على قدميه بأربعة أوزان من المعدن ، وتخير مائتين من جنوده المصريين بأمر زملائهم بأن يقيدوهم تقيدا خفيفا ، وأن يضعوهم فى جوالق كبيرة يفتنون عليها ليحبكوا حيلتها ويحرسها خمسمائة جندي وأوحى اليهم ببقيّة الحيلة : عندما تدخلون المدينة يجب عليكم أن تطلقوا سراح رفقائكم الذين فى الجوالق (الفرارات) وتقبضوا على كل رجل فى المدينة وتضعوهم فى الاغلال .

ثم أرسل سائق عربة أمير يالفا الى زوجته يبلغها أن زوجها الامير قد منحه ربه «سوتخ» النصر على عدوه فأسر القائد المصرى «تحوتى» ، وأن رجال الجيش المصرى قد انضموا اليه ، فيما عدا قلة منهم وأسروهم

(٩) أنظر عن العلبيرو (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢٢/١ - ٢٨ الاسكندرية ١٩٧٨) .  
 (١٠) انظر الالهة سختمت (محمد بيومى مهران - الحضارة المصرية القديمة ص ٣٤٨ - ٣٤٩ الاسكندرية ١٩٨٤) .

وكلبهم بالاغلال ، وهكذا تقدم سائق الامير الفلسطيني الموكب « وهو يصيح : أسرنا تحوتى ، نفتحت له المدينة أبوابها ، ودخل الجنود المصريون يحملون زملاءهم فى الجوالق ، فما أن جاوزوا الابواب حتى انقضوا على حراس المدينة وأسروهم ، ثم تنتهى البردية بهذه الكلمات : «وهكذا الساعد القوى لمرعون مصر أن يستولى على المدينة ، وفى الليل أرسل تحوتى رسالة الى سيده فى مصر ، الملك تحوتمس ، يقول له : أنعم بالا ، فقد أعطاك أمون ، أبوك الطيب ، أمير يافا وجميع رجاله وكذا مدينته ، ابعث بالرجال ليقودهم أسرى لكى تملأ بيت أبيك أمون بالعبيد والجوارى الذين يرتبه بن تحت قدميك الى الابد» .

وأما تحوتى — صاحب القصة — فهو أحد قواد تحوتمس الثالث العظيم ، وقد كشف عن مقبرته فى طيبة الغربية ، وقد وصف نفسه بأنه كن موضع ثقة الملك فى كل الاصقاع الاجنبية وفى جزر البحر المتوسط ، وأنه كان المشرف على الممالك الشمالية ، وأنه كان أول قائد صاحب الملك فى كل الارضين الاجنبية ، ومن ثم فيبدو أنه كان ذا شخصية عظيمة ، ولهذا فقد كان اسمه يتردد على ألسنة الناس دهورا طويلا بعد ذلك ، وهناك فى متحف «دارمستاد» خنجر له ، فضلا عن طبق من الذهب فى متحف اللوفر كان قد أهداه اليه تحوتمس الثالث .

وأما القصة نفسها ، فليس هناك شئ معروف على وجه اليقين عن مدى صدق أحداثها ، وإن لم يطل هذا دون الاعتراف بخصوصية خيال صاحبها أو مؤلفها ، بحيث يمكن اعتبارها سلفا قديما لهيلة قصيرة مع الزباء ملكة تدمر (١١) ، وقصة على بابا واللصوص الاربعين فى الادب العربى القديم ، وتتم القصة من ناحيتها عن اعتقاد أهل زمانها بأن أسلحة فرابعينهم الكبار أهل النصر والفتح ، انما كانت مؤيدة بقسوة سحرية خفية ، أو قدرة ربانية مباركة ، وأنهم كانوا يتوهمون أن قادتهم كانوا

(١١) انظر قصة قصير والزباء (محمد بيومى مهران : تاريخ العرب القديم — الرياض ١٩٨٠ ص ٥٤٨) .

يستمينون بها ليردوا فضل النصر الى اربابها ، ثم هي تتم أخيرا عن  
اعتقادهم بأن الفتن التي تنشب خارج الحدود تصدر في معظمها عن  
ذراري الهكسوس الذين ناصروا الاله «سونخ» (أى ست) واستعانوا  
به (١٣) .

- 
- (١٣) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، أحمد  
فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٨ - ٤٠٩ ، سليم حسن : المرجع السابق  
ص ١١٠ - ١١١ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٩٠ - ١٩٢ ،  
ارمان ورائكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ص ٤١٧ ، وكذا  
E. F. Wente, Op-Cit, p. 81-84. وكذا  
J. A. Wilson, ANET, p. 22-23. وكذا  
H. Goedicke, Op-Cit, p. 219-233. وكذا  
G. Lefebvre, Op-Cit, p. 125-127. وكذا  
A. Erman, Op-Cit, p. 167-169. وكذا



اشتهرت قصة الاخوين هذه بين الأثاريين بتسمية أخرى هي «بردية أوربيني» Papyrus D'Orbigny نسبة الى السيد «اليزابيث أوربيني» التي أبتاعتها من ايطاليا ، ثم باعتها للمتحف البريطانى عام ١٨٥٧م ، بعد أن أعلن متحف اللوفر عجزه عن الحصول عليها ، وعلى أية حال ، فالبردية محفوظة الآن بالمتحف البريطانى تحت رقم ١٠١٨٣ ، ويمكن تأريخها بعصر الاسرة التاسعة عشرة (حوالى عام ١٢٥٠ق.م) ، وقد نقلها عن الهيراطيقية من الهيروغليفية «سير آلن جاردنر»<sup>(١)</sup> ، كما اعتنى بها كثير من علماء المصريات - من أمثال هولر<sup>(٢)</sup> ، ولوفيفر<sup>(٣)</sup> وسكوت<sup>(٤)</sup> وبرونر - تروت<sup>(٥)</sup> ، ووينتى<sup>(٦)</sup> ، ويويوت<sup>(٧)</sup> وفاندييه<sup>(٨)</sup> وغيرهم<sup>(٩)</sup> ، هذا فضلا عن عدة ترجمات عربية للقصة ، جزئيا أو كليا<sup>(١٠)</sup> .

- 
- A. H. Gardiner, LES, in BA, I, 1932, p. 9-29 (١)  
 G. Moller, Hieratische Lesestücke ..., II, Berlin, 1927, p. 1-21. (٢)  
 G. Lefebvre, Op-Cit, p. 137-158. (٣)  
 S. Schott, Altägyptische Liebeslieder..., Zurich, 1950, p. 193-204. (٤)  
 E. Brummner - Traut, Op-Cit, p. 28-40 (٥)  
 E. F. Wente, Op-Cit, p. 92-107. (٦)  
 J. Yoyotte, RdE, 9, 1952, p. 157-159. (٧)  
 J. Vandier, Le Papyrus Jumilhac, Paris, 1961, p. 45-46, 105-106, 114-115. (٨)  
 Jan Assmann, in ZAS, 104, 1977, p. 1-25. (٩)  
 B. Siczianowski, in GM, 4, 1973, p. 35-40. وكذا  
 A. Erman, LAE, 1927, p. 150-161, The Ancient Egyptians, وكذا  
 N. Y., 1966, p. XXXII.  
 J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 23-25. وكذا  
 M. Lichtheim, Op-Cit, II, 1976, p. 203-211. وكذا  
 F. Jesi, Aegyptus, 42, 1962, p. 276-296. وكذا  
 E. Blumenthal, ZAS, 99, 1973, p. 1-17. وكذا

(١٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٣٩ - ٣٤١ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٨٧ - ٩٩ ، عبد الحميد زايد : الرمز والاسطورة الفرعونية - مجلة عالم الفكر ١٩٨٥ ص ٥٣ - ٥٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ - ٤١٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٩٨ - ٢١٧ .

والقصة تصور ما يمكن أن تأتيه الانثى الملعوب ، كما تصور الحياة الريفية وقت ذلك ، وقد جعلت أبطالها ثلاثة : انبو « الاخ الاكبر ، ثم زوجته ، ثم شقيقه الصغير «باتا» وان كان هناك من يذهب الى أنها تحتوى على بعض الاساطير المصرية القديمة ، وأن الاخوين - انبو وباتا ، ايسا سوى الالهين المعروفين بهذا الاسم ، وعلى أية حال ، فيمكن تلخيصها في السطور التالية :

كان «باتا» الاخ الاصفر ، شابا قويا مفتول العضلات ، هزلما لأخيه الاكبر ، خبيرا فى شئون الزراعة والمرعى ، عارفا بمنطق الحيوان ، لا يوجد له مثيل فى جميع أنحاء الارض ، وقد اعتاد أن يخرج بماشية أخيه مع الفجر فيحرق أو يحصد ، ويرعى قطيعه ، ثم يعود فى المساء محملا بخيرات الحقل ، والبسان البقر ، ويقدمها راضيا بين يدى أخيه وزوجه ، وما أن يتناول عشاءه حتى ينطلق الى حظيرة الماشية فينام فيها وحيدا قانعا ، فإذا ما اقترب الفجر أعد ابطار أخيه وقدمه اليه ، ثم أخذ ابطاره وساق ماشيته الى الحقل والمرعى ، وكان يحدث أحيانا أن تتسار الماشية فيما بينها ، بأن الكلا فى مكان بعينه وغير نصير ، فيفهم «باتا» قولها ، ويحقق لها رغبتها ، وينتجع بها ما توده من العشب والمرعى يومئذ ثم فلاذ كانت الماشية التى فى رعايته تزداد جمالا ، وقد تعددت مواليدها الى حد كبير .

ولما حل موسم الزراعة قال له أخوه : هلم أعد الثيران للحراثة ، فقد ادهسر الماء عن الارض وتهيأت للزراعة ، ثم احضر لنا البذور حتى نغرسها مبكرين ، فأطاع «باتا» وصحب أخاه الى الحقل ، وانشلا فى الحراثة ، ولكنهما اضطررا بعد فترة الى التوقف لنفاذ البذور ، فأرسل «انبو» أخاه «باتا» الى الدار لاجتياز المزيد من البذور ، وما أن بلغ «باتا» الدار حتى ألقى زوج أخيه مشغولة بتصفير شعرها ، فناداها قائلا : انهضى واعطنى بعض الحبوب لان أخى ينتظرنى ، فأجابته قائلة : اذهب وافتح الصومعة وخذ ما تريد ، لا تفسد على تصفير شعرى ، ثم ذهب للشباب وعاد ومعه حمل كبير من الشعير والقمح ، فتساعت امرأة

أخيه : ما وزن ذلك الذى تحمله على كتفك ، فرد قائلا : ثلاثة أكياس من  
المقمح ، و كيسان من الشعير « أى خمسة فى مجموعها ، فردت المرأة  
قائلة : انك تتمتع بقوة عظيمة ، وانى أرى كل يوم ما يدل على قوتك ؟  
وأرادت المرأة أن تعرف قوته كرجل .

وأسرت المرأة أمرا فى نفسها ، ثم هبت واقفة وتعلقت بالفتى اليافع  
وقالت : هيت لك دعنا نمرح ساعة ونضطجع معا ، فذلك خير لك ، ولسوف  
أخيط لك ثيابا حسانا ، وفوجيء الفتى بما حدث ، فأجفل وبدا فى هيئة  
فهد الصعيد الغضوب ، وأربد وجهه من هول ما دعتة اليه ، فأجفلت المرأة  
بدورها وخشيته خشية شديدة ، ثم تمالك الفتى نفسه ، واتجه الى هذه  
المرأة المداعة قائلا : اسمى « أنت بالنسبة لى فى منزلة الام ، وزوجك  
فى منزلة الاب ، فهو أكبر منى ، وهو الذى ربانى وليدا ، فلم كل هذا  
العار الذى تدعيننى اليه ، اياك أن تفتاحينى فيه مرة أخرى ، وأنا أعدك  
ألا أتحدث به لأحد ، ولن أذعه يفرج من فمى لأى شخص ، واحتمل  
«باتا» حمولته ، وانصرف الى الحقل ، فلما بلغ أخاه استأنف العمل  
كدأبه ، دون أن ينبس ببنت شفة .

وحان المساء وعاد الاخ الأكبر الى داره ، وبقي باتا فى الحقل يتمهد  
الماشية برعايته . حتى أكمل حمولته من خيرات الارض ، ثم ساق الانعام  
أمامه ليبيت بها فى حظيرته ، وخشيت المرأة عاقبة زلتها ، فاستعلمت بعمار  
(دهنا وشحما) جعلها كالمريضة أو المضروبة ، حتى يتسنى لها أن ترعم  
لزوجها بأن أخاه قد اعتدى عليها ، فلما عاد زوجها وجدها نائمة تدعى  
المرض ، فلم تصب الماء على يديه كما دتها ، ولم توقد المصباح قبل مجيئه ،  
فبات ليلته فى ظلام حالك ، بينما كانت هى تنهى ، ولما اقترب منها زوجها  
وسألها عن أساء اليها ، قالت : لم يسيء لى أحد سوى أخيك الأصغر ،  
فلقد أتى يأخذ البخور ، فلما وجدنى وحيدة راودنى عن نفسى ، وأمسك  
بشعرى ، فأبيت طاعته ، وقلت له : ألسنت كأمك ، أوليس أخوك الأكبر  
كأبيك ، هكذا أجبته ، فارتعد منى خوفا وضربنى ، حتى لا أخبرك بما  
حدث ، فاذا تركته يعيش مت أنا ، وأخشى اننا رجع فى المساء وفتاحته فى

عاره « نسب السوء الى ، وأربد وجه الزوج ، وشعد خنجره ، واختبأ وراء باب الحظيرة ، ونوى أن يقتل أخاه حين رجوعه .

وعاد «باتا» في الغروب « محملا بخيرات الارض كعادته ، فلما دخلت أولى بقراته الحظيرة همست له : احذر ان أخاك واقف هناك ينتظرك ليقتلك بخنجره ، فاهرب من أمامه ، وفهم باتا قولها ، ثم سمعه من البقرة التي تليها ، وتطلع أسفل الباب فرأى قدمي أخيه « فالتقى حمله على الارض ، وشرع يدعو هربا من أخيه ، فجرى أخوه وراءه « وهنا استغاث «باتا» بالمعبود «رع حار أختي» (رع حور سيد الاق) ، فقال : مولاي الرحيم ، أنت تفصل بين الآثم والبريء ، فاستجاب رع لدعائه ، وفصل بين الاخوين ببخيرة ملاي بالتماسيح ، ووقف الاخوان أمام بعضهما ، وقال باتا لأخيه كل شيء ، واعلم أخاه بجريمة زوجته ، وأراد أن يثبت له برأته وعزوفه عن النساء ، فاستل بوصة حادة ، وقطع احليله ، ورماه في الماء ، حتى يؤكد لأخيه زهده في الخنا وأهل الخنا ، وكاد يخشى عليه من فرط الألم ، وندم الاخ الاكبر على ما فعل بأخيه ، ولم يتمالك نفسه فبكى ، ولكنه عجز عن أن يصل الى أخيه خوفا من التماسيح ، ثم أخذ «باتا» يذكر أخاه «انبو» بكل ما فعله من أجله ، ثم علمه آخر الامر أنه سوف يترك مصر نهائيا ، ويذهب الى وادي الارز ، وسيضع قلبه فوق شجرة أرز فان أحدا قطع الشجرة سقط قلبه ومات ، فاذا ما عرف «انبو» بوغاته فليذهب وليبحث عنه ويعيده الى الحياة ، ولايمل البحث عنه ، وان أنفق في ذلك سبع سنين ، وأما كيف يعيده الى الحياة ، فليضعه في ماء بارد ، ولسوف يعلم آية سقوطه حين تقدم اليه كأس جمعة ، فسوف يجدها قد أزيدت واعتكرت ، ويعد أن سمع «انبو» (أنوبيس) مقالة أخيه الضريئة ، عاد الى بيته ، وقد وضع يديه على رأسه ، ولوثه بالتراب ، وما كاد يصل الى داره حتى باذر بقتل زوجه الداعرة ، ورمى بها الى المكاب ، ثم جلس يبكي رحيل أخيه الصغير .

وهكذا فارق باتا مصر — كما أراد مؤلف القصة — الى وادي الارز في لبنان ، وهناك أسفقت عليه الالهة ، فقال «رع حار أختي» لخنوم :

اخلق لـ «باتا» زوجة حتى لا يظل وحيدا ، فخلق له خنوم صاحبة تؤنسه في وحشته ، وكانت هذه صاحبة ذات جسد بديع يفوق جماله وحسنه نظيره عند أى امرأة أخرى في البلاد كلها ، وكان بها بخرة من كل من الالهة ، وأتت الحوريات السبعة (ماتحور) لتراها فقالت في صوت واحد : ستموت تلك المرأة بحد السيف» •

وأحب «باتا» هذه المرأة وأخلص لها ، ولكنها عاشرتة على دخل ، ربما لانه أصبح عنينا ، ثم نقل البحر خصلة من شعرها الى فرعون مصر ، فسحره عطرها ، وأرسل رسلة يدهشون عنيا ، فقتلهم «باتا» الا واحدا عاد اليه بخبر بمقتل زملائه ، فأرسل اليها الفرعون جماعة أخرى ، ومنهم امرأة عجوز ، تحمل هداياه اليها ، فقبلت الزوجة هداياه وأنجذبت الى سلطانها ، وصحبت رسلة وسافرت اليه وتقربت منه ، وأوعت اليه باهلاك زوجها باتا ، وقطع الشجرة التي ائتمنها على قلبه ، فاستجيب الفرعون لكيدها ، وأمر بقطع الشجرة فمات «باتا» ، ولكن أخشاه تنبه الى آية اعتكار كأس البجة ، فظل يبحث عن قلب أخيه ثلاث سنين حتى وجده ، ودعا الارباب لمبعثوه في خلق جديد •

وأراد «باتا» أن يرد على زوجته عاقبة غدرها ، فنتكر لها في هيئة فحل شديد ، مزودا بكل الالوان ، وعرفت زوجها التي أصبحت حظية فرعون بذلك ، فنهضت الملك أن يقتله ففعل ، ولكن نقطتين من الدم سقطتا على الارض وهارتا شجرتين عظيمتين عند بوابة القصر ، فأغرت الملك بقطعهما ففعل ، وعند صنع أثاث منهما طارت شظية فحملت منها وأنجبت طفلا صار وليا للعهد ، ومات الملك ، وعوض الارباب «باتا» بعرش مصر وملكها العريض ، وانتقم من زوجته الخائنة فقتلها ، واستدعى أخاه الاكبر ونصبه أميراً وراثيا في البلاد جميعا ، ولا قضى على عرش مصر ثلاثين عاما ذهب الى الحياة (يعنى للحياة الآخرة) وصعد أخوه على العرش ، وأصبح ملكا بعده •

والقصّة ، كما نرى ، مليئة بالالوان السحر ، وهي تعالج أمر الزوجة الخائنة مرتين ، وتنتهى في المماتين بأن يقتل الزوج زوجته ، وفي الواقع ،

فلقد عالج القصاص المصرى القديم موضوع الزوجة الخائنة بمهارة ، فاضفى عليها لهجة مسرحية ولوحات تتحرك فيها شخصيات تنبض بالحياة وفيها مشاهد تشعر بقوة الشهوة والالام والغضب والاعتقار ، استطاع القصاص أن يعرضها ويقربها الى حد كبير من حياة الناس ، وكما يقول جوستاف لوفيفر ، كان ينبغى لهذه القصة التى تتروم على أسس نفسية ، لكى تكون ذات طابع مصرى ، أن يتدخل فيها عنصر الخيال ، وهذا ما حدث إذ نرى الحيوانات تتكلم ، والآلهة تتدخل ، والشخصية الرئيسية تتبنا بما سوف يحدث ، بل ان للاخوين أسماء آلهة ، اذ كان من المعروف عن اسمى «انبو» (أنوب = أنوبيس) و «باتا» أيام الدولة الصحيثة أنهما كان موضع عبادة فى إقليم «انبو» ، وهو الاقليم السابع عشر من أقاليم الصعيد ، وكانت عاصمة «كاسا» (ليتوبوليس الاغريقية) وهى «المقيس» الحالية ، على مبعده ؛ كيلا جنوبى بنى مزار ، بمحافظة المنيا ، وكان معبودها الرئيسى «انبو» (ابن أوى) \*

هذا وقد تميزت حوادث الجزء الثانى من القصة بالسحر فى سلسلة من المعجزات ، فالأخ الاصغر (باتا) ينزع قلبه ويخفيه فى زهرة أرز ، بعد أن ينفى نفسه فى واد فى لبنان ، وعندما يصبح جسدا بلا روح يتنرغ لمساعله اليومية حتى يأمر «رع حار اختى» الآله «خنوم» أن يصنع له زوجة ، أجمل من أية امرأة أخرى ، ويعلم فرعون بأمر تلك المرأة ، وهى من بنات الآلهة ، عن طريق خصلة من شعرها أخذها للبصر وجاء بها الى مصر ، فيرسل إليها من يحضرها من لبنان لتكون محظية له ، وسرعان ما تنكر فى خيلنة زوجها ، وتلعب نفس الدور الذى لعبته زوجة أنوبيس فى الجزء الاول من القصة ، فتطلب من فرعون أن يقتلع شجرة الارز التى تضم قلب باتا ، ولكنه يعود الى الحياة ثانية بفضل دعوات أخيه انوبيس ، اذ يعثر على قلبه ويضعه فى وعاء من ماء ، ثم يتحول «باتا» الى ثور ، ولكن زوجه تتعرف عليه وتأمر بنجحه ، ولكنه يعود الى الحياة من جديد حيث يتحول الى شجرة «لبخ» وتأمر ثانية باقتلاع الشجرة ، ويصمم باتا على العودة الى الحياة ثانية فى صورة قطعة من الشجرة تتطير فتدخل فم امرأته الغادرة ، فتحمل منه وتضع طفلا هو «باتا»

الصغير الذي ينشأ في قصر فرعون ويعيش فيه حتى يموت الفرعون فيخلده  
على ملك مصر .

هذا وتروى القصة أحداثاً تذكرنا بقصة أوزير ، فجزء جوهرى من  
القصة - وهى تجارب باتا في بيلوس وقصر فرعون شبيهة بقصة  
«بلوتارخ» لما وقع لايذة ، عندما كانت تبصت عن أخيها وزوجها أوزير في  
تلك المواقف نفسها ، على أننا يجب أن نلاحظ أنه على نقيض هذا التشابه  
في السياق ، فقد سلكت زوجة «باتا» طريقاً آخر ، غير الذى سلكته ايذة  
التي كانت ونية لزوجها .

وأما أسلوب القصة ، فأضعف من أساليب كثير من القصص غيرها ،  
وان وانفتت الخيال الشعبى وتمست مع مقتضياته ، ورغم ضعف الاسلوب  
وخلوه من الرشاقة التي يتسم بها عادة أسلوب العصر في التعبير ، الا  
أن الحكمة القصصية هنا متوفرة ، فهي تدأب على تشويق القارئ أو  
السامع بمفاجآت تتردد في ثناياها تعتمد جميعاً على مؤثرات خارجية لم  
تكن في الحساب ، هي مخرج للقصص يعتمد فيه على خوارق الطبيعة  
أو يد القدر (١١) .

---

(١١) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٥٤ - ٦٠ ، عبد العزيز  
صالح : المرجع السابق ص ٣٣٩ - ٣٤١ ، نجيب ميخائيل ، المرجع السابق :  
ص ٥٠٣ - ٥٠٤ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ٢٠٢ - ٢١٧ ،  
أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ - ٤١١ ، سليم حسن : المرجع  
السابق ص ٩١ - ٩٩ .

A. Erman, LAE, p. 150-161.

J. A. Wilson, ANET, p. 23-25.

E. F. Wente, Op-Cit, p. 92-107.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 203-213.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 137-158.

J. Yoyotte, RdE, 9, 1952, p. 157-159.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

سجلت هذه القصة أو الرحلة على بردية عثر عليها في بلدة «الحبية»<sup>(١)</sup> في عام ١٨٩١م ، واشتراها المصلح الروسي « فلاديمير جولينشف»<sup>(٢)</sup> وهو الآن بمتحف موسكو (رقم ١٢٠) بولكن «جولينشف»<sup>(٣)</sup> أول من نشرها ، ثم «جاردنر»<sup>(٤)</sup> كما ترجمها وعلق عليها كثير من علماء المصريات ، من أمثال ارمان<sup>(٥)</sup> ولوفيفر<sup>(٦)</sup> وويلسون<sup>(٧)</sup> وجاردنر<sup>(٨)</sup> وايدل<sup>(٩)</sup> ووينتى<sup>(١٠)</sup> ونمس<sup>(١١)</sup> وغيرهم .

(١) كانت مدينة «الحبية» الحالية عاصمة للأقاليم الثامن عشر من أقاليم الصعيد ، وتقع على مبعده ٥ كيلا جنوبى مدينة الفشن ، بمحافظة بنى سويف ، وهى «سبا» المصرية ، وربما كانت هى نفسها «حت نبو» (مفر طائر مالك الحزين) ، ومعبودها الرئيسى هو الآله «حور» ، كما عبد فيها كذلك الآله أنوبيس وسوكر .

H. Gauthier, Dictionair des Noms Geographiques, I, p. 84, IV, IV, p. 27, p. 193).

P. Lacan and H. Chevriar, une Chapelle des Sesostris Ier n وكذا  
Karnk, le caire, 1956, p. 224).

V. S. Golonishchev, RT, 21, 1899, p. 74-102. (٢)

A. H. Gardiner, LBM, in BA, 7, 1937, p. 61-76. (٣)

A. Erman, in, ZAS, 38, 1900, p. 1-14. (٤)

A. Erman, in, LAE, 1927, p. 174-185. وكذا

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 204-220. (٥)

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 25-29. (٦)

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 306-313. (٧)

E. Edel, in Gallig Textbuch, p. 41-48 (٨)

E. F. Wente, Op-Cit, p. 142-155. (٩)

C. F. Nims, in JEA, 54, 1968, p. 161-164. (١٠)

M. A. Korostovtsev, Puteshestvie un-Amwna V Bibl., Mos- (١١)  
cow, 1960.

E. Pest, Op-Cit, p. 47 F. وكذا

G. Maspero, Op-Cit, p. 202 F. وكذا

J. H. Breasted, ARE, IV, p. 274 F. وكذا

Wiedmann, Altgyptische Sagn und Marchen, Leipzig, 1900. وكذا  
p. 94-113.



هذا فضلا عن الترجمات العربية للبردية ، وأهمها ترجمة سليم حسن (١٣) وأحمد فخري (١٣) ونجيب ميخائيل (١٤) وعبد الحميد زايد (١٥) .  
وأما نص البردية - كما يقدمه لنا سير آلن جاردنر (١٦) - فهو كالآتي :

«العام الخامس ، الشهر الرابع من فصل الصيف ، اليوم السادس عشر ، في اليوم الذي ارتحل «نون أمون» كبير المشرفين على ضيعة أمون سيد عروش الارضين ليحضر الخشب للسفينة الكبرى لامون رع ملك الآلهة وهي التي على النهر وتسمى «أمون وسرحي» . وفي يوم وصولي الى تانيس مقر «نس بلنب دد» و«تنت أمون» أعطيتها رسائل أمون رع ملك الآلهة وقد قرئت في حضرتيهما وقالوا : «حقا اذا ستفعل كما قال ملك الآلهة أمون رع» .

وقد مكثت حتى الشهر الرابع من الصيف في تانيس (١٧) ، ثم أرسلني «نس بلنب دد» و«تنت أمون» مع قائد السفينة «منجبيت» وفي الشهر الأول من فصل الصيف نزلت بحر سورية العظيم ووصلت الى «دور» مدينة «الزكر» وأمر أميرها «بدير» بأن يؤتى لى بخصمين رغيفا وجرة نبيذ وقخذ ثور ، وهرب أحد رجال «سفينتي بعد أن سرق اذاء من الذهب يساوي «٥ حبات» وأربعة أولان من الفضة قيمتها عشرون دبنا وكيسا به فضة تعدل ١١ دبنا وكان مجموع ما سرقه «حبات من الذهب، ٣١ دبنا من الفضة وفتت في الصباح واتجهت الى حيث الامير وقتلت له : لقد سرقت في مينائك وأنت أمير هذه البلاد وضابط أمورها فابحث

(١٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٦١ - ١٧٠ .

(١٣) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٠٢ - ٤٠٦ .

(١٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٦ - ٥٠٧ .

(١٥) عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٧٩٠ - ٧٩٨ .

(١٦) A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 306-313.

وانظر الترجمة العربية (سير آلن جاردنر : مصر الفراعنة - ترجمة نجيب ميخائيل ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر - القاهرة ١٩٧٣ ص ٢٣٦ - ٢٤٢) .

(١٧) التواريخ المكتوبة في الاصل يتناولها الشك .

لى عن مالى ، لانه مال أمون رع ملك الآلهة وسيد البلاد حقا وهو مال  
«نفس بانب دد» وهو يخصه ولاى «حريحور» وكذا عظماء مصر الآخرين .  
انه مالك كذلك ، وانه مال «وارت» انه مال «ميكامار» انه مال «زكا بعل»  
أمير جبيل . . فقال لى : «أأنت صادق أم مدع ؟ لأذنى لا أعرف شيئا من  
هذه الرواية التى تنخرها لى . . لئن كان لصا من بلادى ذلك الذى اتجه  
الى سفينتك وسرق مالك فانى أعوضك اياه من مخازنى حتى يتر على  
اللص مهما يكن ولكن الواقع أن الذى سرتك . . هو رجلك وهو يخص  
سفينتك . . فاقض معى هنا بضعة أيام حتى أبحث عنه . . ومكثت تسعة  
أيام راسيا فى الميناء تم اتجهت اليه وقلقت له «مالك انك لم تجد مالى» .

وتلى ذلك فقررات مشومة يفهم منها أن «ون أمون» يرغب فى الرحيل  
مع بعض أصحاب المراكب الذين يزمعون ذلك ولكن الأمير يحرضه على  
البقاء موهما اياه انه سيستولى على بضائع المشبهوهين حتى يمشر على  
اللص .

ولكن «ون أمون» فضل متابعة رحلته ، وبعد أن وصل الى صور  
غادرها عند الفجر وسرعان ما وصل الى جبيل حيث أميرها «زكار بعل»  
ووجد هناك سفينة بها ٣٠ دبنا من الفضة وقال أن هذا الملك سيبقى معه  
حتى يقبض من لجأ اليهم على اللص .

وارتطوا وبقيت فى خيمة على المشاطىء فى ميناء جبيل واستطعت أن  
أصل الى مكان أخبىء ، فيه «أمون — الطريق» ، ووضعت مقتنياته  
فيه . . . وأرسل الى أمير جبيل قائلا : «غادر مينائى» فأرسلت أقول له :  
«الى أين أذهب ؟ ان وجدت سفينة تحملنى فليعودوا بى الى مصر»  
وقضيت تسعة وعشرين يوما فى مينائه وكان يرسل الى كل يوم يقول :  
«أترك مينائى I» .

وبينما كان يقدم القرابين لالهة أمسك الاله بشاب من رجاله وأصابه

بالخيل فقال له : «أحضر الاله هنا واحضر الرسول الذى يصله . انه  
أمون الذى أرسله ، انه هو الذى جاء به» وظل المخبول طيلة الليل فى  
خبله ، فى حين وجدت سفينة متجهة الى مصر وضعت فوقها كل متاعى  
وكنت أترقب الظلام قتلا : «لمين يحل ، سيأتى بالاله اليها وسوف لاتراه  
عين أخرى . وجاء رئيس الميناء الى قائلا : «انتظر للغد . . هذه هى  
رغبة الامير» فقلت له : «أأست أنت الذى كنت تكرر لى كل يوم قولك»  
اترك مينائى ؟ أولا تقول ابق هنا الليلة حتى تدع السفينة التى أراها  
مرحلة ترتصا ، وعندئذ ستأتى الى مرة أخرى وتطلب الى الرحيل «  
وذهب الى الامير ورد قولى فأرسل الى الامير قائد السفينة يقول :  
«انتظر الى الغد هذه هى رغبة الامير» .

ولما جاء الغد أرسل فى طلبى ، وكان الاله يستريح فى الخيمة التى  
على شاطئ البحر . ووجدته جالسا فى غرفته العلوية وظهره الى النافذة  
وأمواج البحر السورى العظيم تتلاطم خلف رأسه . قلت له : «ليكن أمون  
رحيما ؟» وقال لى : «ما المدة حتى الآن» وقال لى : «لنفترض أنك صادق  
فأين هى رسالة أمون التى فى حوزتك وأين خطب الكاهن الاول لأمون  
الذى فى يدك ؟» فقلت له : «لقد أعطيتها الى «نس بانب دد» و «قتت  
أمون» فأجتلحه الغضب وقال لى : «والآن : انك لا تحمل رسالة أو خطابا ،  
ولكن أين سفينة الصنوبر التى أعطاك اياها «نس بانب دد» وأين بحارتها  
السوريون ؟ ألم يسلمك لربان هذه السفينة البربرى ليذبحك ويلقى بك  
فى الماء ؟ قال لى فأجبت : «الليست سفينة مصرية وبخارة مصريون الذين  
يحملون «نس بانب دد» ؟ انه ليس لديه بخارة سوريون فقلت لى :  
ليس هناك عشرون قاربا فى مينائى تتجر مع نس بانب دد وكذا فى  
صيدا ، ذلك الملك الآخر الذى مررت به ، اليس هناك كذلك خمسون  
سفينة أخرى تتجر مع «وارا كثير» وتعمل من أجل بيته ؟

فصرت صمتا فى هذه اللحظة الرهيبة :

وتابع هو حديثه قائلا لى : «فى أية مهمة قدمت ؟ فقلت له : «جئت  
سعيًا وراء الخشب من أجل السفينة العظيمة لأمون رع ملك الإكهة . .

ان ما فعله أبوك وجنك ستفعله أنت !» هكذا قلت له فأجابني قائلا :  
«حقا لقد فعلا ذلك ، وأنت ان دفعت لى الثمن سافط ! وفي الحق ان  
قومي قد انجزوا هذا الامر ولكن بعد أن أمر فرعون بارسال ست سفن  
محملة بالبضائع المصرية لفرغوها في مخازنهم .. وأنت بم جئت لى  
شخصيا ؟» وأمر أن يؤتى بسجلات آبائه وأن تقرأ محتوياتها أمامى ..  
وقد وجد بها انه دفع ألف دهن من الفضة وسلما من كل نوع فقل لى :  
اذا كان حكمكم مصر سيد املاى وكنت أنا خادمه أيضا لم يكن لزاما عليه  
أن يرسل فضة أو ذهباً حين يقول : نفذ أمر أمون ! على أنها ليست هديه  
ملك التى أعطوها لوالدى .. وأنا كذلك لست خادمك ولا خادم من ارسلك  
وأنا ان أرسلت صرختى الى لبنان<sup>(١٨)</sup> فان السماء تنفتح وترى الاخشاب  
ملقاة على شاطئ البحر .. أعطى الاشرعة التى جئت بها لتقلع بسفينتك  
التى تحمل أخشابك الى مصر .. اعطى البحال التى أحضرتها لترتبط  
باحكامم أخشاب الارز التى ساقطها حتى لا تتكسر قلوبات الاشرعة  
فنتحطم وتهلك فى وسط البحر .. هاك : ان «أمون» يرعد فى السماء وهو  
الى جنب «ستخ»<sup>(١٩)</sup> . حقا ان أمون أسدى الخير لكل البلاد عما لمصر  
التى أتيت منها حين اسداه اليها قبل غيرها .. لان دقة الامر فيها قد  
وصلت الى مقري ، والعلم جاء منها الى حيث أقيم .. فما هذه السياحات  
المزائفة التى دفعت الى القيام بها ! ثققت له : زائفة ؟ ان رحلتى ليست  
زائفة ! ليست هناك سفن على النهر لا تخض أمون ! وان البحر له ولبنان  
التى ترعم أنها بلادك .. له أيضا ! انها مزرعة لـ «أمون — أوسرى»  
سيدة السفائن قاطبة ! حقا انه أمون رع ملك الآلهة ذلك الذى قال لولاي  
حريصور «ابعث به» وهو الذى جعلنى أحضر بهذا الاله للمعظيم .. ولكن  
انظر الآن .. لقد جعلت هذا الاله العظيم يقضى تسعة وعشرين يوما

(١٨) يزعم زكار بعل انه ما عليه الا أن يفتح فمه فتمطر كتلا من  
الاشخاب .

(١٩) سوتخ هنا هو اله الرعد ويبدو أن حجة الامير غير واضحة  
تماما ، وهى أن ونامون جاء غير مستعد تماما مما قد يعرضه للغرق فلا  
يملك أمون اذن الا أن يرعد - ويسلم زكار بعل بعد ذلك بأن أمون وهو  
الذى برز فى بلاده فى عالم الفن والعلوم وانها انتشرت من هناك الى البلاد  
الاخرى ولكن أمون بعد أن أعطى ما أعطى ليس له هنا من جدوى .

راسيا في ميناتك دون علمك ! اليس هو هنا ؟ اليس هو ما كان ؟ وأنت تقف  
 مستنوما على لبنان مع ربها أمون ! وأما ما تقوله بصدد الملوك السابقين  
 الذين طلبوا الفضة والذهب ليؤتى بها اليهم فانهم لو رزقوا الحياة  
 والصحة لما جعلوا السلع يؤتى بها ! انهم بدلا من الحياة والصحة جعلوا  
 هذه الاشياء ترسل الى آبائك .. أما أمون رع ملك الآلهة فهو سيد هذه  
 الحياة والصحة و... كان سيدي لأبائك .. لقد قضوا حياتهم يقدمون  
 الثرابين لأمون ، وأنت كذلك خادم لأمون .. ان قلت «نعم سأفعل ذلك  
 لأمون .. وتتم هذه المهمة فانك ستعيش وستكون موفقا وستحيا في عافية  
 وستكون خيرا لكل بلادك وشعبك .. ولكن لا تستول شرها على متعلقات  
 أمون رع ذلك الآلهة . حقا ان الاسد يصب مقتنياته .. مر كاتبك أن يأتي  
 الى حتى ارسله الى «نس بانب دد» و «ننت أمون» الحكام الذين منحهم  
 أمون شمال الارض . وسيرسلان لك كل ما تحتاج اليه وسأرسل لهم قائلًا :  
 «أرسلوها حتى أصل الى الجنوب وسأطلب ارسال كل ما أنا مدين به» ..  
 هكذا تحدث اليه .

ووضع خطابين في يد رسوله ثم وضعوا الخشب في قساع المراكب  
 والمقدمة والمؤخرة كذا أربع قطع اخرى .. ومجموعها سبع قطع وأمر  
 بارسالها الى مصر . وذهب رسوله الى مصر وعاد الى سورية في الشهر  
 الاول من فصل الشتاء . وأرسل معه «نس بانب دد» و «ننت أمون»  
 أربع جرات من الذهب وانا «كاكن» من الذهب كذلك ثم خمس جرات من  
 الفضة وملابس من الكتان الملكي عدتها عشر قطع ، وعشر قطع نسيج من  
 كتان الصعيد الرقيق ، وخمسمائة حصير ، وخمسمائة قطعة من جلود  
 الثيران ، وخمسمائة حبل وعشرين زكية من المعدس وثلاثين سلة من  
 السمك ، كما أرسلت (٢٠) الى خمسة أغطية من كتان الصعيد الرقيق  
 وزكبية عدس وخمس سلال سمك .. وفرح الامير وخصص ثلاثمائة رجل  
 وثلاثمائة ثور على رأسهم مسرفون لقطع الاخشاب وقطعوها وبقيت ملقاة  
 حيلة الشتاء . وفي الشهر الثالث من الصيف سحبت الى شاطئ البحر

(٢٠) ننت أمون من غير شك .

وجاء الامير وشهدها وأرسل في استدعائى وحسين جىء بى فى حضرتہ سقط ظل مروحة اللوتس الخاصة به على ، ولكن «تبن أمون» مساقية اقترب منى قتلا : «ان ظا فرعون ربك قد سقط عليك» (٢١) وغضب منه الامير وقال دعه وشأنه ، وجىء بى فى حضرتہ وقال لى هلك ان المهمة التى اداها آبائى من قبل أديتها أنا كذلك ولكنك لم تقبل لى شخصيا ما فعله أبائك ؟ .. هلك ان آخر كتلة من الاخشاب قد جىء بها الآن وهى فى مكانها .. نفذ رغبتى لشحنها فانها لك حقا .. ولكن لا تأت لتشاهد أهوال البصر فان كان لك أن تشاهد أهوال البصر فلتشاهد أهوالى كذلك .. حقا اننى لم أقبل بك ما فعل برسك «خج أم واسة» حين قضوا سبعة عشر عاما فى هذه الارض وماتوا فيها ، وقال لسائيه : «خذه ليشهد قبور عمى» ولكننى قلت له : لا تدعنى أشهدها وأما بالنسبة لـ «خج أم واسة» (٢٢) فان من أرسلهم لك كانوا رجالا ، وهو نفسه كان رجلا .. وأنت لىس لديك الآن واحد من مبعوثيه حين تقول اذهب وأشهد رفائك ! ألا تسعد حين تفكر فى أن تصنع لك لوحة يسجل فيها : أمون رع ، ملك الآلهة ، ارسل الى مبعوثه أمون الطريقي مع مبعوثه البشرى «ون أمون» سميا وراء الاخشاب لأجل القارب العظيم أمون رع سيد الآلهة ، وقد قطعها وحملتها وزودتها بسفنى وبحارتى وجعلتها تصل الى مصر تلتمس لى من أمون خمسين عاما من الحياة فوق أجلى الحدود ! وسيحدث حين يأتى مبعوث من مصر ملم بالكتابة ويقرأ اسمك على اللوحة التذكارية فانك ستلقى ماء فى القرب مثل الآلهة الذين هناك ! وقال لى هذا حديث شهادة ماذكرته لى فقلت له : أما من جهة الاشياء العديدة التى قلتها لى فاننى اذا وصلت الى مقر كاهن أمون الاكبر وشهدت ما قمت به فان ذلك سيعود عليك بالفائدة .

وذهبت الى شاطئ البحر حيث الاخشاب وشهدت احدى عشرة

(٢١) تعبیر ينم عن الالهانة من غير شك يعنى أن ونامون وفرعون كانا على السواء «تحت سحابة» .  
 (٢٢) ربما رمسيس التاسع ، ومن المؤكد ملك ، وكان رد ونامون على هذه الحجة أنه حتى الملوك أنفسهم بشر ، أما هو ففى خدمة الاله .

سفينة قادمة وتنسب الى زكار وهم يقولون «اسجنوه ولا تدعوا سفينته تتجه الى ارض مصر» فجلست وبكيت وجاعني كاتب الخطاب لدى الامير وقال لي : «ماذا يحزنك ؟» فقلت له : اأست تشهد الطيور المهاجرة مرتين الى مصر ، انظر اليها كيف تأتي الى المياه الباردة ! حتى متى أترك هنا ؟ أو لست ترى من جاؤوا ليقبضوا على مرة أخرى ؟ .. وذهب وأنهى نبأ ذلك للامير مما قيل له .. وكان اليما .. وأرسل لي كاتب خطباته بقدهين من النبيذ ونعجة وجاعني هذا كذلك بـ «ثنتتة» وهي مغنية مصرية قال لها : غنى له ولا تدعى قلبه يمتلىء شجنا .. وأرسل الى يقول : كل واشرب ولا تقلق وستسمع غدا كل ما أقول لك .. وفي الصباح استدعى مجلسه ووقف فيه وقال للزكاريين : ما معنى رحلتكم هذه ؟ فأجابوه قائلين «جننا ساعين وراء سفن الحرب التي جهزتها لمصر مع خصومنا فقال لهم « أنا لا أستطيع أن أسجن مبعوث أمون في ارضي .. فلأطلقه ثم تسعون وراءه لسجنه» وأطلقني الى ميناء البحر وسأقتنى الريح الى ارض الآسيا (٢٣) ، وجاء الى القوم هنالك ليقبضوني ولكنني استطعت أن أشق طريقى فى وسطهم نحو «حاثيا» أميرة المدينة ، ولقيتها خارجة من إحدى دورها الى دار أخرى ، وحييتها وقلت للواقفين من حولها : أليس بينكم من يفهم لغة مصر ، وقال أحدهم : أنا أفهمها ، فقلت قل لسيدتى حتى «نى» (اختصار نى ريسة ، أى المدينة الجنوبية = طيبة) والى حيث مقر أمون ، اعتدت أن أسمع أن الظالم كائن فى كل مدينة ، ولكن العدالة تقوم فى ارض «الآسيا» ، أفهتك ظلم يحيق هنا كل يوم ؟ فقلت ، ماذا تعنى بذلك ، فقلت لها : ان غضب البحر ، وسأقتنى الريح الى ارضك ، أفتسلمينى لأقتل ، رغم انى مبعوث أمون ؟ ، أما بالنسبة لى فسيحشون عنى حتى نهاية الزمان ، وأما بالنسبة لبحرارة أمير جبيل الذين يسعون وراء قتلهم ، أسوف لا يجد مولاهم عشرة من ملاحيمهم ويقتلهم مقابل ذلك ، وأمرت باستدعاء القوم وأصغوا اليها ، وقالت لى : اقض الليل ..

( ٢٣ ) تعرف عادة بانها قبرص .

وأما البقية فمفقود ، ولا بد أن «نون أمون» نجح في العودة الى الوطن ، والا فلنه لم يكن يقدر لتقريره أن يكتب» .

وإذا ما أردنا مناقشة قصة «نون — أمون» هذه ، فلعل أول ما يلفت النظر أنها تقدم لنا حوارا أدبيا ممتازا نرى ذلك واضحا حين تحل الكارثة الاولى بالكاهن «نون — أمون» ، ويسرق في مدينة «دور» ، فانه يقول لأميرها : «لقد سرقت في ميناك ، ولكن أنت أمير هذا البلد وأنت راعيه» ثم يصل الى قوم «ثيكر» (٢٤) (زكار) ، فانهم يقولون : اسجنوه ولا تدعوا له سفينة تبحر الى أرض مصر» ، ويفرج «نون أمون» من المازق الاول بأن يأخذ ثلاثين دبنا من الفضة رهينة حتى ترد اليه بضاعته ، وفي المازق الثاني نراه يستخدم في الخروج أسلوبا عاطفيا ، اذ يقول : ألم تر الطيور المهجرة الى مصر مرتين ، أنظر اليها كيف ترد المياه الباردة ، وحتى متى سأظل مهلا هنا ، وقد كان لصديقه أثر كبير ، حتى نرى الامير يبكي متأثرا بما قيل له ، ، ، ، وأرسل الى كاتب الرسائل ، ومعه قدحين من نبيذ وخروف ، ، ، ، ومغنية مصرية ، ، ، ، بغية أن تسترضيه .

هنا وتجدو حجة «نون — أمون» واضحة قوية ، وذلك حين يسأله أمير جبيل (بييلوس) عن تلك الرحلة السانجة التي كلف بالقيام بها ، فيرد عليه بحجج قوية ، منها أنه لم يأت في رحلة سانجة ، لان «أمون رع» ملك الآلهة وسيد الكون ، هو الذي أرسله — كما أرسل معه كذلك «تتمثال أمون الطريق» ، ومن ثم فيجب على «بعل زكار» ألا يطلب بذهب أو فضة ، لان «أمون رع» يستطيع أن يكافأ بالحياة والصحة ، ومع ذلك فلان أمير بييلوس يستطيع أن يرسل أحد رسله الى مصر ، فيدفعون له الدين ، وكان من نتيجة تلك المناقشات المفذة أن الامير المعنيد لم يوافق فقط على ارسال أحد رسله ليحصل على الثمن ، وانما أرسل كذلك سبع كتل من خشب الارز مقدما قبل الدفع ، كما يبدو ذكاء «نون — أمون» وقوة اقتناعه في اقتناع أمير بييلوس بأن يقدم لوحة يسجل فيها ما قلم به نحو أمون ،

(٢٤) انظر عن الثيكر (محمد بيومي مهران : مصر والعالم الخارجى في عصر رعمسيس الثالث - الاسكندرية ١٩٦٩ ص ١٧٢ - ١٧٤) .



بل وقد استطاع «ون - أمون» أن يوضح لأمير جبيل مدة قوة سيده «د- يمحور» ومكانته ، ويبدو ذلك واضحا من أن أمير جبيل يقول له في أول حديثه : لست خادما لمن أرسلك ؟ ، ثم هو في نهاية الحديث ، وبعد أن بين له خلويرة عم امداده بما يطلبه أمون ، فأذا به يقنعه بضرورة انجاز ما يطلبه ويقول له : اذا ما وصلت الى المكان الذي فيه الكامن الاكبر لأمون ( يقصد حر يمحور ) ، ويأى أن طلبه قد أنجز فسوف تتكأ جزاء ما أديت» .

ثم تظهر له القصة مدى اهتمام المصريين بأعيادهم الوطنية - حتى في أرض الغربة - مما يدل على تمسكهم بالتقاليد حتى في السفر ، اذ يقول «ون - أمون» : اختلفت بعيد في فسطاط على شاطئ البحر في ميناء كبن . هذا فسطاطا عن الاشارة الى عالمية أمون ، واعتراف أهل الشرق بسلطانه العالمي ، يقول أمير بيلوس ( جبيل = كبن ) على لسان «ون - أمون» : لقد أنشأ أمون كل البلاد ، بعد أن أنشأ أرض مصر من قبل ، وهدمى أن هذا انما هو اعتراف صريح من الاجانب بسطان أمون ، فضلا عن أسبقية مصر على غيرها من الارضين ، وأخيرا يشير النص الى قوة أمون ومدى سلطانه ، يقول ون أمون لامير جبيل : ان البحر ملك لأمون ، وان لبنان التي تقول أنها ملك لك انما هي ملك لأمون ، ثم يقول : أمون سيد لنا ، وما أنت الا خادم لأمون» .

هذا ويظهر النص كذلك مكانته الثقافية والفنية ، ومن ثم نرى «لزار بل» انما يوافق على أن أمون هو سيد الكون ، وخالق كل المدنية ، وان المدنية انما جاءت الى فينيقيا (لبنان) من مصر ، وأن أمون قد أسدى الخير لكل البلاد ، ومن قبل أسداه الى مصر التي أتيت منها ، لقد أتت المنون منها الى مكاني ، لقد أتت الحكمة منها الى مكاني ( بلاده ) ، كما توضح القصة العلاقات التجارية بين مصر ودول الشرق الادنى القديم ، ذلك أن أمير بيلوس انما يخبر «ون - أمون» انه توجد في مينائه عشرين سفينة تقوم بربط العلاقات التجارية مع «سمندس» (نسي بلغب دد) ، ثم كلن في مصر ممثلون تجاريون ، اذ أن هناك خمسين سفينة تعمل مع «كامن» - وهو اسم أحد الفينيقيين الذين كانوا يقيمون في «تانيس»

ويعملون في التجارة وشحن وتفريغ السفن ، ثم هناك سجلات كنت عند أمير بيبيلوس خاصة بعمليات الاستيراد ، أما عن المنتجفات التي كانت تصدر من مصر ، فقد عددها «بون أمون» ، ونستنتج منها أن مصر كانت تتمتع بمحاصيل مختلفة ، يمكن تصديرها إلى الخارج ، وعلى رأسها المواد الغذائية (٢٥) .

ولكن القصة — من ناحية أخرى ، انما تحل على مدى انهيار النفوذ المصري في غربي آسيا ، فلقد أنتهى الوقت الذي كان يسجد فيه أمراء غربي آسيا أمام ملك مصر ، ويمرغون جباههم في التراب ، طالبين منه أن يمنحهم نسيم الحياة ، وانتهت أيضا تلك الايام التي كان فيها سكان تلك البلاد يبادرون لتلبية أية اشارة تأتي من مصر ، فقد كانت آخر أيام عهد فلسطين بمصر وغيثيقيا بالنفسوذ المصري ، أيام أن كانت جيوش رمسيس الثالث ( ١١٨٢ — ١١٥١ ق.م ) تجول خلال الديار الشمالية وتحميها من اذلال شعوب البحر لها ، وحبهم لنهب أموالهم وسفك دمايتهم ، وهانحن الآن في أخريات أيام الاسرة العشرين ( ١١٨٤ — ١٠٨٧ ق.م ) ولم تكتمض سبعون عاما على وفاة رمسيس الثالث ، حتى ترى مبعوث مصر عرضة للسفرية ، بل ولسرقة أمواله وأمتعته ، فاذا ما أشار إلى حق مصر ، وحق أمون ، لم يجد الا ابتسامة الاستهزاء من حاكم جبيل ، الذي رفض مساعدته ، بعد أن نهبه اللصوص ، وأخذوا الاثياء التي كانت معه ، والتي جاء بها من مصر ليقدمها ثمنا للاخشاب التي كان يود الحصول عليها .

وفي الواقع أن القصة رائعة ، ما في ذلك من ريب ، فقد صورت لنا طالة البلاد السياسية والاجتماعية والتجارية ، فهي مرآة لذلك العصر وما فيه من أحداث في الداخل والخارج ، وبالاختصار فهي تصور مدى ضعف فرعون مصر «رمسيس الحادى عشر» ( ١١١٤ — ١٠٨٧ ق.م ) ، وانقسام سلطاته بين حريحور في طيبة وسمنديس في تانيس ، كما أنها توضح إلى أى مدى أصيب النفوذ المصري في الخارج ، وضياع

(٢٥) عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٧٩٧ - ٧٩٨ .

الامبراطورية المصرية التي أقامها المتحامية ، وجهد الرعامسة في الحفاظ عليها .

وإذا ما أردنا شيئا من الايضاح لهذه الظروف التي كتب على الكنانة أن تمربها في هذه الايام النكدية ، فيمكن القول أن السلطات في مصر كانت في أخريات أيام رمسيس الحادي عشر وقد قسمت بين « حريحور » و « نسي بانب دد » ( سمندس ) ، وأن رمسيس الحادي عشر كان قد استقر غالبا في « منف » ، حيث بقي هناك الى وفاة حريحور ، ثم عاد الى طيبة حيث استرجع بعض سلطته ، وإن كان هناك من يرى أن « نسي بانب دد » قد طرد الفرعون من عاصمته في الدلتا ، وبسط نفوذه عليها بأكملها ، فهرب رمسيس الحادي عشر الى عاصمته الدينية « طيبة » ( الأقصر ) وذلك في السنة الخامسة من الحكم ( حوالي عام ١١٠٩ ق م ) وتتلون هناك مع رئيس الكهنة على بسط نفوذه على الصعيد والنوبة ، بينما رجع فريق ثالث فرار رمسيس الحادي عشر من الشمال بواعتصاب حريحور المرترس ، اعتمادا على أن زوجته من أصل ملكي ( ٢٦ ) .

وأما من الناحية الخارجية ، فليس هناك من دليل واضح على أن مصر قد احتفظت بسلطانها كاملا على فلسطين وسورية ، بعد وفاة رمسيس الثالث ، صحيح أنه قد عثر على جمارين لرمسيس الرابع ( ١١٥١ - ١١٤٥ ق م ) في تل المصافي وتل زكريا وتل جازر ، ولرمسيس السادس ( ١١٤١ - ١١٣٤ ق م ) في تل أسانة بسورية ولكنه صحيح كذلك أن وجود مثل هذه الاثياء الصغيرة لا تدل على معان قوية لها من قيمة من ناحية سلطان مصر في غربي آسيا ، ونفس الشيء يمكن أن يقال على وجود قاعدية تمثل من البرونز لرمسيس السادس في « مجدو » ويبدو أن فلسطين ( خارو ) ظلت تابعة لمصر لفترة من الوقت بعد عهد رمسيس الثالث ، ولكن الفراعين لم يتمكنوا من منع « البلمست » ( الفلسطينيين

( ٢٦ ) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣٤٤ - ٣٤٩ ، وكذا J. Corny, Hribor, and Ramesses, XI, in The Cambridge Ancient History, Vol, II, Part, 2B., Cambridge, 1975, p. 635-643.

الهنحو - أوريين) الذين تسمت البلاد باسمهم ، من احتلال المدن الساحلية لأرض كنعان ، كما تمكن «الثيكر» (زكار) من تكوين دويلة صغيرة في تالحية «دور» جنوبي الكرمل .

وعلى أى حال ، فإن الامور قد تغيرت في آسيا بالنسبة لمصر ، وحتى رأينا حاكم جبيل (بييلوس) يعقل رسلا مصريين في عهد رعسيس التاسع مدى سبعة عشر علما ، دون أن يسمح لهم بالعودة الى مصر ، وان يغير وجود قطعة من آثار رعسيس التاسع في جازر ، حقيقة أن العلاقات بين مصر ومستعمراتها الآسيوية شديدة الضعف ، بل ليس هناك من دليل على وجود فعلى لهذه المستعمرات في تلك الفترة ، نرى ذلك واضحا في «رحلة ون - أمون» موضوع الدراسة ، والذي ذهب ، كما رأينا ، مبعوثا عن كهنة أمون لشراء خشب الارز من بييلوس في عهد رعسيس الحادى عشر ، ولم ينجز مهمته الا بعد مسلومات مهيئة مع أمير بييلوس ، وهكذا تقدم لنا قصة «ون - أمون» دليلا على اضمحلال النفوذ المصرى في غربى آسيا ، بل على سرعة التدهور الداخلى بعد موت رعسيس الثالث ، مما يدل على ضياع النفوذ المصرى في سورية وفينيقيا أما نفوذ مصر في فلسطين فقد كان سوريا تتناقله السنة هاشية فرعون في البلاط الملكى المصرى (٣٣) .

PM, VII, p. 381.

J. Cerny, Op-Cit, p. 614-615.

A. Gardiner, T. Peet and J. Cerny, Op-Cit, II, 1952, p. 192.

كتبت قصة هذا الامير المقدور عليه ، أو الامير الذي تلاحقه يد القدر ، على بردية هاريس رقم ٥٠٠ والمحفوظة الآن بالمتحف البريطاني ، وترجع الى أيام الدولة الحديثة - عصر الاسرة التامسة عشرة ، وقد تشتمت نهايتها ، وأما أسلوبها فيشبه أسلوب «قصة الاخوين» ، والتكرار في عباراتها واضح ، شأن قصص الدولة الحديثة ، وعلى أية حال . فهي قصة خرافية ، وإذا حذفنا منها التمساح وغيرنا الاسماء كانت أشبه بقصصنا الخرافية الحديثة .

هذا وقد اهتم بنشر القصة كل من « بديج »<sup>(١)</sup> و « مولر »<sup>(٢)</sup> و « جاردنر »<sup>(٣)</sup> ، كما قام بترجمتها والتعليق عليها كثير من علماء المصريات من أمثال بييت<sup>(٤)</sup> وجريفت<sup>(٥)</sup> وماسيرو<sup>(٦)</sup> ولوفيفر<sup>(٧)</sup> وسكنوت<sup>(٨)</sup> وبرونر - تروت<sup>(٩)</sup> ، ووينتى<sup>(١٠)</sup> ونسبيجلبرج<sup>(١١)</sup> ، وارمان<sup>(١٢)</sup> وبيير<sup>(١٣)</sup> وهرمان<sup>(١٤)</sup> وبوزنر<sup>(١٥)</sup> وغيرهم<sup>(١٦)</sup> . هذا فضلاً عن عدة ترجمات

- |                                                                                                                       |      |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|------|
| K. A. W. Budge, Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in The British Museum Second Series, London, 1923, Pls. 48-52. | (١)  |
| G. Moller, Lecestucke, II, 1961, p. 21-24.                                                                            | (٢)  |
| A. H. Gardiner, LES, 1932, p. 1-9.                                                                                    | (٣)  |
| T. E. Peet, in JEA, 11, 1925, p. 227-229.                                                                             | (٤)  |
| F. L. Griffith, in The World's Best Literature, p. 52 F.                                                              | (٥)  |
| G. Maspero, Popular Stories of Ancient Egypt, p. 185-186                                                              | (٦)  |
| G. Lefebvre, Op-Cit, p. 114-124.                                                                                      | (٧)  |
| S. Schott, Op-Cit, p. 188-192.                                                                                        | (٨)  |
| E. Bruuner-Traut, Op-Cit, p. 24-28.                                                                                   | (٩)  |
| E. F. Wente, Op-Cit, p. 85-91.                                                                                        | (١٠) |
| W. Spiegelberg, ZAS, 64, 1929, p. 86-87.                                                                              | (١١) |
| A. Erman, LAE, 1927, p. 161-165, and The Ancient Egyptians, p. XXXII.                                                 | (١٢) |
| M. Pieper, ZAS, 70, 1934, p. 95-97.                                                                                   | (١٣) |
| A. Hermann, in Mélanges Maspero, I, p. 313-325.                                                                       | (١٤) |
| G. Poencr, JEA, 39, 1953, p. 107.                                                                                     | (١٥) |
| J. Cerny, in ASAE, 41, 1942, p. 336-338.                                                                              | (١٦) |
| Girgis Mattha, ASAE, 51, 1951, p. 269-272.                                                                            | وكذا |

وتتلخص القصة في أن أحد ملوك مصر لم يرزق بولد ، فلبثت إلى الله أن يرزقه صبيا ، فأجاب الاله سؤله بعد أمة . ولكن قدر على الصبي أن يموت بحادث من حوادث ثلاثة ، يكره للناس أن تصيبهم ، فلما أن يبنته تمساح ، وأما أن تنهشه حية ، وأما أن يعضه كلب ، وكان أبوه يعرف ذلك ويشفق من وقوعه ، فاهتاط للامر ما وسعته الصيغة ، حتى أنه بنى لولده هذا قصرا في الصحراء ليكون بعيدا عن أعدائه ، ولما بلغ الصبي أشده سعد ذات يوم على سطح القصر فلمح كلبا يسير وراء رجلا ، وطلب أن يأتوا له بواحد مثله ، وظل عزيزنا حتى سمح له أبوه بأن يحضروا له كلبا صغيرا .

وشب الصبي وأصبح رجلا ، وأراد الخروج يضرب في أرض الله حيث يشاء ، وانتهى به الحظ إلى وادي النهرين ، في نهارينا ، وعليها يومئذ ملك له بنت جميلة أقسم ألا يزوجها إلا لمن يمهرها بضرب من ضروب البطولة ، وذلك أن يقفز طالب يدها إلى شرفة قصرها التي ارتفعت عن الأرض ستة وخمسين ذراعا ، واستمعى أمر ذلك على جميع الدين طلبوما من أبناء الملوك والأمراء من أبناء المشرق ، إلا على ذلك الأمير المصرى ، ولما وصل الخبر إلى أبيها الملك سال عنه ، فقيل له : أنه ضابط مصرى ، هرب من وجه زوجة أبيه ، فاستولى الغضب على زعيم نهرين وقال : وهل يظن ذلك الهارب من مصر أنى سأزوجه ابنتى ، لا بد أن يرحل في الضل ، فذهبوا ليخبروا الأمير بذلك قائلين : عليك أن ترحل إلى حيث كنت ، ولكن الفتاة أمسكت به وأقسمت بالاله قائلة : أقسم بالاله «رع» هار أختى» بأننى سأمتنع عن الأكل ، وسأمتنع عن الشرب ، حتى أموت إذا انتزعوه منى ، وذهب رسول يخبر الأب بما قالت ابنته ، فأرسل الأب رجلا ليقتلوه ، ولكن الفتاة قالت لهم : أقسم بالاله رع بأنهم إذا قتلوه

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٧ - ٩٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٠ - ١٠٥ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٠٤ - ٥٠٥ ، جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٧٨ - ١٨٧ .

لأكونن في عداد الاموات عند غروب الشمس ، فأنا لا أطيق أن أظل على قيد الحياة لحظة واحدة بعده ، فذهب الرسول ليخبر الاب بما قالت ابنته فلم يجد الاب مفراً بعد ذلك من أن يوافق على الزواج ، فأحضر الشاب وابنته أمامه وأظهر لهما احترامه وتقديره ، وقبل الشطب وضمه الى صدره ثم قال له : أخبرني بحالك ، لانك أصبحت بعثابة ابن لى ، فأجلب الشاب : أنا ابن ضابط مصرى ، ماتت أمى واتخذ أبى زوجة أخرى ، أخذت تصومنى سوء العذاب ، حتى لم أعد استطيع العيش معها في بيت واحد ، فهربت من وجهها ، وبعد أن استمع الملك له أعطاه ابنته زوجة له ، ومنحه منزلاً وحقولاً وقطعنا من الاغنام وكل ما كان يشتهى» .

وهكذا تزوج الامير المصرى بأميرة نهرين ، التى أحبته وأخلصت له ومن ثم فقد كشف الامير المصرى لزوجه عن سوء مصيره الذى خط له في لوح القدر ، وأنه سيموت عن طريق تمساح أو حية أو كلب ، فطلبت منه زوجته أن يقتل الكلب الذى معه فأبى ، وسهرت الاميرة على حياة زوجها ، وبذلت في سبيل ذلك كل ما استطاعت ، ولكن الحذر لا يغنى من وقوع القدر ، فمات الامير من عضة كلب .

وتشير وقائع القصة بعدئذ الى أثر الصلة بين مصر وبلاد الشرق يومئذ . فالامير المصبى قد لقي في البادية أناسا يفهمون عنه ، ويتكلمون بلسان مصر ، وليس هذا بغريب ، فقد كان مما يعاب عند الكتائب المصريين وقت ذلك أن يجمل أحدهم طرق السفر أو لغة التخاطب مع جيرانه ، ونقرأ في ورقة انستاسى الاولى عن كاتب يلوم زميله ويميره بأنه لا يعرف الطريق الذى يفتقره الى سورية ، وفي القصة أيضا ما يصور آمال الوالد ولهفته حين ينتظر الولد ، وقد طال شوقه اليه ، ثم حلمه واشفاقه حين تمدته النفس بما يمكن أن يصيب الولد من مكروه ، وتصور حياة الفروسية التى كان يحيها امرأء الشرق في ذلك الوقت ، فهم لا يطمعون كثيرا في المال وانما تستهويهم البطولة ، فيجدون أصحابها ، وينتظرون منهم أن يأتوا بكل معجز من الامر . وأخيرا فإن القصة انما تصور كذلك أخلاق الامير وزوجه ، فالامير يعرف نوع الميتة التى تنتظره على يدي

تصاح أو كلب ، ومع ذلك تأبى أخلاقه ويأبى وفاؤه أن يقتل الكلب لما عرض عليه ذلك ، حرصا على حياته ، حتى بعد أن أعدم التصاح والمثعبان لان الكلب قد تربى في ظله فلم ير من الشهامة أن يزهق روحه ، وقد اظلهما سقف واحد ، والزوجة تمثل الاخلاص اللقى الطاهر ، فما هي تسهر على حمالية زوجها ، وتحرص على حياته ، وتنتظر رحمة ربه ، في الوقت الذي أسلم نفسه لمصيره المحتوم ، وطبقا لما جاء في القصة ، فالزوجة هي التي قتلت المثعبان الذي كان يتربص به المنون ، وهي التي أشارت عليه بقتل الكلب فأبى ، وهي التي كانت تبعث فيه الامل فتقول : ان ربك قد خلصك من أحد أعدائك ، وسينجيك من الآخرين .

ويدهى أن من يرى هذا الموقف الطاهر النبيل الذي وقفته هذه الزوجة من زوجها يوقرنه بموقف الخسة الذي وقفته الزوجة مع زوجها «باتنا» في قصة الاخوين ليأخذهم العجب من الاختلاف الكبير بين الموقفين تبعا لاختلاف المعدنين ، فالناس دون شك معادن ، ولا يبعد أن يكون كاتب هذه القصة هو نفسه كاتب قصة الاخوين ، وقد صور لنا التناقضين ليرينا أن المرأة لا تكون دائما سرا ، ولا تكون دائما خيرا ، بل انه اذا صفا جوهرها كانت مخلصا شديدة الاخلاص ، واذا خبت معدنها كانت خائنة ، بل هاجرة في الخيانة ، وأن الطبائع البشرية تختلف باختلاف الانسان وأصله (١٨) .

(١٨) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٢٧ - ٩٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٠٠ - ١٠٥ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٠٩ .  
جوستاف لوفيفر : المرجع السابق ص ١٨٢ - ١٨٧ وكذا

G. Mattha, Op-Cit, p. 269-272.

A. Erman, Op-Cit, p. 161-165.

E. F. Wente, Op-Cit, p. 85-91.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 117-124.

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 1-9.

G. Posener, Op-Cit, p. 107.

Mirian Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976, p. 200-203.



## الفصل الرابع

ادب الاناشيد

كان للدين أثر كبير في مصر القديمة ، وقد أدى ذلك — في موضوعنا — الى وجود الكثير من الاناشيد التي كان القوم يرددونها في المناسبات الدينية المختلفة ، والتي وجدت «سطرة على بعض المقابر والاهرامات ، فضلا عن نصوص التوابيت في الدولة الوسطى ، وكتاب الموتى فيما اتى بعد ذلك من عصور ، الى جانب العديد من الاناشيد التي قيلت في مدح المعبودات المختلفة ، وسوف نكتفى هنا ببعض الاناشيد التي قيلت في آمون وآتون .

### اولا : من اناشيد آمون

كان «أمون رع» في عصر الدولة الحديثة هو اله الامبراطورية المصرية التي تكونت تحت لوائه ، وسيد الآلهة طرا ، ومن ثم فقد نسب اليه أنصاره كل ما يليق به ، فأعطوه الصفة العالمية ، وردوا اليه ربوبية النشأة الاولى ، كما ردوا اليه ربوبية النشأة الاخيرة ، واعتبروه ربا للوجود ، ذلك أن «أمون»<sup>(١)</sup> انما قد أصبح — طبقا لتعاليم مدرسة طيبة ، التي تأثرت بمدرسة الاشمونين<sup>(٢)</sup> — هو الاله الذي خلق بقية التسوع — مع أنه أحد الآلهة الثمانية في الاصل — .

ولما ابتغى شعراء القوم أن يمجدوه نسبوا اليه صفات الاله «مونتو»<sup>(٣)</sup> — اله الحرب القديم — ونعت الاله «تحتوت»<sup>(٤)</sup> — رب الدولة وحامي عرشها القديم ، ونسبوا اليه سيطرة وهيمنة على ما امتدت

- 
- (١) انظر عن «أمون» (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية ٣٠٧/٢ - ٣١٣ - الاسكندرية ١٩٨٤) .
- (٢) انظر عن نظريات المدارس المصرية (عين شمس والاشمونين وطيبة) عن فكرة الخلق في مصر القديمة (محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٤٣ - ٢٦٥) .
- (٣) انظر عن «مونتو» (محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣٢١ - ٣٢٢) .
- (٤) انظر عن «تحتوت» (محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٣١٣ - ٣١٥) .

إليه آفاقهم السياسية والحضارية من أقطار العالم القديم<sup>(٥)</sup> ، ومن ثم فقد وصف بأنه : «سيد بلاد المدجا ، وحاكم بونت ، أتوم الذى خلق البشر ، ونوع هياكلهم ، وصنع حياتهم » وفرق الوانهم ، جعل للوجه الذى جاء من أرض الآلهة فى الشرق . . . . . لك ابتهالات كل بلد أجنبى . حتى غنان السماء ، وإلى آخر الأرض ، وإلى أعماق البصر الأخضر الكبير . . . الواحد المنفرد ، الذى لم يكن له كهواً احداً . . الذى يعيش على الحق كل يوم»<sup>(٦)</sup> .

ومنك من عهد الملك «أمنحتب الثانى» (١٤٣٦ - ١٤١٣ ق م) بردية محفوظة فى المتحف المصرى وتحتوى على «نشيد أمن رع الكبرى» ، وعنوانها : «تصية أمن رع ، ثورايون ، سيد جميع الآلهة ، الآلهة الطيب المحبوب ، الذى يعطى الحياة لكل من تدب فيه ، ولكل كائن صالح» ، وقد جاء فى المقطوعة الأولى منها :

«الاحمد لك ، يا أمن رع ، يارب الكرنك ، المسيطر فى طيبة ، ثور أمه ، وبالأول فى حقله ، واسع الخطى سيد الصعيد ، ورب أرض الملتوى (قوم فى بلاد النوبة) وأمير بونت ، أكبر من فى السماء ، وأسن من فى الأرض ، رب الكائنات ، حفاظ كل شيء ، وبناق فى كل شيء ، الوحيد فى طبيعته . . . بين الآلهة ، ثور تاسوع الآلهة ، كبير كل المعبودات ، رب الحق ، والمد الآلهة ، الذى برأ البشر ، وخلق الحيوانات ، رب كل ما هو كائن ، الذى ينبت الفلكمة فى الشجر ، وينشئ الاخشاب الخضراء للماشية» .

«وهو الصورة البهية التى خلقها بتاح ، جميل الطلعة ، الولد المحبوب الذى تمتحه الآلهة ، هو الذى صنع ما على الأرض ، وخلق ما فى السماء ، هو الذى يضىء الأرضين (مصر العليا ومصر السفلى) ويخترق السماء

(٥) عبد العزيز صالح : الوحداية فى مصر القديمة - المجلة - العدد ٣١ - القاهرة ١٩٥٩ ص ١٤ .

(٦) J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 211.

وكذا A. Erman, The Literature of Ancient Egyptians, London, 1927, p. 283.

في سلام ، ملك مصر العليا ( الصعيد ) ومصر السفلى ( الدلتا ) = رع  
 المبدل ، زعيم الارضين ، عظيم القوة ، رب المقدرة ، صاحب الامر = الذي  
 برا الارض قاطبة ، أقوى من كل اله آخر ، الذي تبتهج الآلهة بجماله ،  
 الذي يقدم له الحصد في البيت العظيم ( هيكل في نخن = البصيلية ) ،  
 المتوج في بيت النمر ( هيكل في بوتو = ابطو ) ، الذي تحب الالهة رائحته  
 الطيبة = عندما يأتي من بونت» ، الذي تتذوق رائحته عندما يأتي من  
 أرض الملتوى ، جميل الحيا عندما يأتي من أرض الاله» . «وهو الذي  
 يسجد الالهة عند قدميه ، عندما يعلمون أن جلالاته ، هو سيدهم ، رب  
 الخوف والرهبه ، ذو الارادة القوية ، والمطلعة للبهية ، من كثرت لديه  
 الاقوات ، الذي يخلق ما يعيش عليه الناس ، الابتهاج لك يا من خلقت  
 الآلهة ، ورفعت السماء ، وبسطت الارض» (٧) .

وهناك أنشودة أخرى من عصر «أمنحتب الثالث» ( ١٤٠٥ - ١٣٦٧  
 ق.م ) ، كتبها شتيقان توأمان - هما سوتى وحوير - كانا يعملان مهندسين  
 معماريين في طيبة ، الواحد في طيبة الشرقية ، والاخر في طيبة الغربية ،  
 ويتعبدان فيها للاله آمون ، وقد جاء فيها :

«لك الحصد يا شمس كل نهار ، يامن تشرق في غير فتور في كل صباح ،  
 أنت «خبرى» الذي يجهد نفسه في العمل ، يفوق جمالك أشمكتك بريق  
 الذهب الوهاج ، أنت «بتاح» صانع مصور لنفسك بنفسك ، أنت من تفرد  
 بذاته وصفاته ، مخرق الابدية ، ومرشد الملايين الى سواء السبيل ،  
 يراك المخلق عندما تذرع في السماء ، ولا يدركون كيف مسيرك ، انك  
 تذرع الكون بغير قيد ، ونهار الناس من تحتك ، فلذا ما استويت في غرب  
 الدنيا ، داننت لك ساعات الليل ، واذا ما طويتها استقبل الكون نورك ،  
 وسمى المخلق في الدنيا بأمرك» .

(٧) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤١٥ - ٤١٧ ، سليم حسن :  
 الادب المصرى القديم - الجزء الثانى - القاهرة ١٩٤٥ ص ٩٤ - ١٠٠ ،  
 A. Erman, Op-Cit, p. 282-288.  
 G. Roeder, Urkunden Zur Religion des alten Agyptens, p. 4F.  
 A. Scharff, Ag. Sonnenbeder, p. 81 F.

« تلك المجدي أتون للنهار ، يا خالق الخلق ورازقهم ، أنت أيها الصقر الكبير ، نو الريش المختلف الالوان ، الذي ولدت لتتشيء نفسك ، الذي جئت من نفسك بنفسك دون أن تولد ، أي حور المسن في وسط آلهة السماء ، ذلك الذي تصعد نحوه البهجة في شروقه وغرويه مما ، يا خالق ما تنتجها الارض ، أنت خنوم امون البشر ، الذي تملك القطرين من أكبر الاشياء الى اصغرهما» .

«أنت أم نافعة للآلهة والبشر ، أنت الخالق الطيب الذي يتعب نفسه من أجل مخلوقاته ، راع شجاع يسوق ماشيته ، وهو ملاذها ومدبر حياتها الرب الاوحد الذي يصل الى أطراف الكون كل يوم ، يرعى كل ما فيه من دابة ، أنت يا من تشرق في السماء ، يا من ينير العالمين بكوكبه ، سبدع الفصول والأهله ، فالحرارة عندما تريد والبرد عندما تشاء ، أنت يامن يطوى الاعضاء ويختننها ، كل بلد يتوسل اليه عند طلوعه ، ليسبح بحمده» (٨) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة هنا الى أن الاخوين — سوتي حور — انما يصفان اله الشمس — والذي أخذ امون رع صفاته — بصفات ذات علاقة بعصر الثورة الاجتماعية الاولى ، ومن ذلك وصف الاخوين لامون في صورة اله الشمس بأنه « راع شجاع يسوق ماشيته ، وهو ملاذها ومدبر حياتها » ، وهو وصف يرجع بنا الى عصر النصائح التي وجهت الى الملك الامناسي «لمرى كارع» ، حيث وصف الناس هناك

(٨) أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة ص ١٢٣ - ١٢٤ ، أحمد بدوي في موكب الشمس ٨٠٥/٢ ، وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 275-276.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 217. وكذا

F. Daumas, le Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1965, p. 315. وكذا

BIFAO, XLI, p. 25 F. وكذا

J. A. Wilson, Op-Cit, p. 211. وكذا

بأنهم «رعيا الآله» (قطمان الآله)<sup>(٩)</sup> ، كما يرجع بنا مرة أخرى الى نفس العصر ، حيث نرى في «تحذيرات الحكيم ايبو - ور» وصف الآله بأنه «راع للناس كافة»<sup>(١٠)</sup> .

والامر كذلك بالنسبة الى ذلك النعت الخطير ، الذى يصف اله الشمس بأنه «أم نافعة للآلهة والبشر» ، ذلك لانه يحمل بين ثناياه فكرة مشلبيه تشمر بالاهتمام ببنى البشر ، أى أن النواحي الانسانية فى سلطان اله الشمس ، الذى اشترك فى ايجلها بوجه خاص رجال الفكر فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى لم يختلف بين العوامل السياسية القوية لذلك التسلط العالمى الجديد<sup>(١١)</sup> .

ثانيا : من أناشيد اخناتون لاله آتون

١ - الانشودة المفسرى :

ليس هناك مقابر فى مصر أكثر ازدهاما بالنصوص المنقوشة من مقابر العمارنة ، التى كان أصحابها من أشرف البلاط الاخناتونى مولعين بأن يرسوا فوق جدرانها ما كانت عليه علاقاتهم مع مليكهم ، ومن ثم فإن كثيرا ما كانوا يشيرون الى ذلك المذهب الجديد ، بفقرات وجمل كانت شائعة الاستعمال وقت ذلك ، أصبحت فى نهاية الامر تكون مجمل مذهب اخناتون ، كما فهمه الكتاب والرسامون الذين قاموا بزخرفة تلك المقابر .  
ومن هنا فقد كان علينا ألا ننسى أبدا ، أن البقية البلقية من مذهب

---

(٩) يقول النص : «البشر رعيا الآله ، خلق السماء والارض وفق رغبتهم ، وأجرى المياه دافقة لهم ، وخلق الهواء لتحميا به أنوفهم ، وهم الصورة التى خرجت من أعضائه ، وهو يرتفع فى السماء ليلىبى رغبتهم ، وخلق العشب والماشية والطيور والاسماك ليقتاتوا بها ، وهو الذى ذبح أعدائهم ودمر أطفالهم ، بسبب مادبروه حينما قاموا بالعصيان ، ويشعر بالفجر حسب رغبتهم ، ويعبر السماء ليراهم ، ويسمعهم حين يبيكون ، ويعمل لهم حكاما فى البيضة (أى تعهدهم منذ صغرهم) ليكونوا سندا لظهور ضعفهم» (أنظر

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 417.

A. H. Gardiner, in JEA, I, 1914, p. 34.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 167. (١٠)

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, p. 277. (١١)

آتون — والتي وصلت اليها عن طريق جبانة العاصمة أختياتون — انما قد مرت بشكل آلى بأيدي فئة قليلة من الكهنة المهملين غير المحققين ، ذوى العقول الخاوية الفاترة ، ممن لم يخرجوا عن كونهم أذنا لحركة عقلية دينية عظيمة (١٢) .

وليس هناك من شك في أنه — ماعدا الانشودة الكبرى ، التي وجدت منقوشة على مقبرة «آى» (الملك آى فيما بعد) — فان الرسامين انما كانوا قانعين في غالب الامر ، بالقطع والتنظيف التي نقلت في بعض الاحيان من الانشودة الكبرى نفسها ، أو من قطع أخرى ، ويضعونها مرتفعة في هيئة انشودة صغرى ، أصبحت الآن ذات قيمة علمية كبرى بسبب مسألة معلوماتنا عن دعوة اخناتون .

وعلى أى حال ، فلقد عزيت تلك الانشودة في أربع حالات الى الملك نفسه ، أى أن الملك يشاهد ، وهو ينشدها أمام آتون ، وهالك نصها :

«أنت تشرق في بهاء أفق السماء ، أى آتون الحى أنت متلالى وقوى وجميل ، وحبك عظيم وكبير ، أشعتك تمتد بالبحر كل واحد من مخلوقاتك ، ولونك الملتهب يجلب الهياة الى قلوب البشر ، عندما تملأ بحبك الارضين ، ايه أيها الاله للذى سوى نفسه بنفسه ، خالق كل أرض ، وبلىء كل من عليها وما عليها » ان الناس وقطعان الماشية والغزلان والاشجار التي تنمو فوق البرية انما تحيا جميعا عندما تشرق عليهم» .

«أنت أب وأم لكل من خلقت، عندما تشرق فان عيونهم ترى بواسطتك، ان أشعتك تضيء العالم كله ، وعندما تشرق ينشرح كل قلب لانك سيدهم، وعندما تغرب في أفق السماء الغربى ، فانهم ينامون وكانهم أموات » يلفون رؤوسهم بالغطاء ، ويتقف أنوفهم عن العطس ، حتى يعود شروقك في الصباح في أفق السماء الشرقى ، فيرفعون أذرعهم اليك تعبدك» .

J. N. Breasted, The Dawn of Conscience New York, London, (١٢)  
1939, p. 287.

• وانظر محمد بيومى مهران : (اخناتون ص ٢٥٩ - ٤٦٢) .

«أنت تجعل قلوب البشر تحيا بجمالك ، لان الناس تحيا عندما ترسل  
أشعتك ، ويكون الكون كله في عيد ، لان الغناء والوسيقى وتهليل الفرح ،  
انما يكون في بيت «بن بن» في معبدك في أخيتاتون ، مكان الصدق الحائز  
على رضاك ، حيث يقدم لك الطعام والمؤونة ، ويؤدى لك الطاهر احتفالاً لك  
السارة» .

«يا أتون الحى في مواكب البهيجة ، كل ما خلقت يطرب أمامك ، ويفرح  
ابنك الجليل ، وقابه مفعم بالمسرور ، يا أتون الحى ، المولود كل يوم في  
السماء انه يلد ولده الجليل «وع ان رع» مثل نفسه تماماً ، ابن رع ،  
المرتدى جماله ، «نفر ، خبرو ، رع ، وع ان رع» .

«أنا ابنك الذى تسر به ، والذى يحمل اسمك ، ان قوتك وبطشك  
انما يسكنان في قلبى ، أنت يا أتون الحى دائماً وأبداً ، خلقت السماء  
العليا لتشرق فيها ، وتشاهد كل ما صنعت عندما كنت وحيداً (ولا شيء  
غيرك) ، آلاف الآف من الانفس ، موجودة فيك لتحفظها حية ، لان  
مشاهدة أشعتك هي نفس الحياة الاخرى في الآتوف» .

«ان جميع الازهر تحيا ، وكل ما تنبت الارض ينمو ، لانك تشرق  
طبيهم ، كل الماشية تطفر على أقدامها ، والطيور تخرج من أعشاشها فتطير  
لمرحا ، وأجنحتها التى كانت مطوية تنتشر ، متعبدة لأتون الحى ، أنت  
يا خالق (١٣)» .

## ٢ - النشيد الكبير :

عثر على هذا النشيد في عام ١٨٨٣م في مقبرة «آى» (الملك آى فيما

(١٣) سليم حسن : المرجع السابق ص ٣١٠ - ٣١٢ ، محمد  
عبد اللطيف : فكرة الخلق في مصر القديمة ص ٢٢٧ - ٢٢٨ ، وكذا  
Norman de Garis Davies, the Rock tombs of El-Amarna Vol, I, London  
1903, p. 49-50. Vol, IV, London, 1906, p. 28-29, Vol, VI, London 1908,  
Pl. XV.

M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaton, Brussels, 1938, p. 15 F.



بعد ١٣٣٩ - ١٣٣٥ ق.م) ، وهي المقبرة رقم (٢٥) في جبلنة العمارنة<sup>(١٤)</sup> وقد كان صاحبها «آي» واحدا من رجالات الدين الجديدي ومن أشد المتحمسين له على أيام «أخناتون» ، وقد لقي هذا النشيد الكبير اهتماما كبيرا من جانب الطماء المحدثين ، لأنه يمثل النص الكامل ، الذي أمكن العثور عليه حتى الآن ، لأنشودة اخناتون التي كانت دون شك من عمل اخناتون نفسه . ومن ثم فهو يعتبر مصدرا أساسيا لذلك المعتقد الجديد .

ولعل هذا كله ، إنما كان السبب في أن علماء الايجبتولوجي - المصريين منهم والاجانب - قاموا بترجمته من النص المصري الاصلى الى اللغة العربية ، فضلا عن كثير من اللغات الاوربية الحديثة ، ولعل من أشهر من قام بترجمة هذا النص من العلماء المصريين إنما كانوا أساتذتنا الاجلاء : الدكتور سليم حسن<sup>(١٥)</sup> ، والدكتور أحمد فخري<sup>(١٦)</sup> ، والدكتور عبد المنعم أبو بكر<sup>(١٧)</sup> - طيب الله ثراهم - والدكتور أحمد بدوي<sup>(١٨)</sup> ، والدكتور نجيب ميخائيل<sup>(١٩)</sup> ، والدكتور رشيد الناصوري<sup>(٢٠)</sup> ، والدكتور عبد العزيز صالح<sup>(٢١)</sup> ، أطال الله في أعمارهم وأفادنا بعلمهم . ووفقهم الى خدمة وطنهم .

(١٤) J.D.S Pendlebury. *Toll El-Amarna*, London, 1935, p. 54-56

N. de G. Davies, *Op-Cit*, VI, p. 29-31.

(١٥) سليم حسن : مصر القديمة - الجزء الخامس ، القاهرة ١٩٤٨ ص ٣٠١ - ٣٠٩ .

(١٦) أحمد فخري : مصر الفرعونية : القاهرة ١٩٧١ ص ٣٠٩ - ٣١٤ .

(١٧) عبد المنعم أبو بكر : اخناتون - القاهرة ١٩٦١ ص ٩٤ - ١٠٢ .

(١٨) أحمد بدوي : في موكب الشمس - الجزء الثاني - القاهرة ١٩٥٠ ص ٨١٦ - ٨٢٢ .

(١٩) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢١٠ - ٢١٤ .

(٢٠) رشيد الناصوري : جنوب غربى أسبا وشمال افريقيا - الكتاب الثالث - بيروت ١٩٦٩ ص ٩٢ - ٩٨ .

(٢١) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم - الجزء الاول - مصر والعراق ، القاهرة ١٩٦٧ ص ٣١٠ - ٣١٣ .

وأما العلماء الاجانب فلعل من أشهرهم (نورمان دي جاريس ديفز) (٢٢) و « جيمس هنري برسستد » (٢٣) ، و « أدولف ارمان » (٢٤) ، و « آرثر ويجسال » (٢٥) ، و « هـ ر هـ هول » (٢٦) ، و « هـ هـ شيفر » (٢٧) ، « مـ هـ ـ سفدمان » (٢٨) ، و « جورج شتاندورف وكيث سيلبي » (٢٩) ، و « سير آلن جاردنر » (٣٠) ، « جون ويلسون » (٣١) ، « فرانسوا دوما » (٣٢) ، و « البينور بل دي موت » (٣٣) ، و « سيريل الدرد » (٣٤) وغيرهم (٣٥) .

Norman de Garis Davies, the Rock Tombs of El-Amarna (٢٢) VI, London, 1908, p. 29-31.

James Henry Breasted, The Dawn of Conscience. New York, (٢٣) London, 1939, p. 281-286.

J. H. Breasted, A History of Egypt, New York, 1946, p. 371-376. وكذا

Adolf Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, (٢٤) London, 1927, p. 288-291.

وانظر : أدولف ارمان : ديانة مصر القديمة، ترجمة ومراجعة عبدالمعتم أبو بكر ، ومحمد أنور شكري ، القاهرة ١٩٥٢ ص ١٢٧ - ١٣٠ .

Arthur Weigall, Histoire De L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, (٢٥) p. 139-140.

A. Weigall, The Life and Times of Akhenaton, Pharaohs of (٢٦) Egypt London, 1934. وكذا

H. R. Hall, The Ancient History of the Near East, London, (٢٦) 1963, p. 306-307.

H. Schafer, Amarna in Rel und kunst, 1913, p. 63-70. (٢٧)

M. Sandman, Texts from the Time of Akhenaton, Brussels, (٢٨) 1938, p. 93-96.

Goerge Steindorff and Keith C. Seele, When Egypt Ruled The (٢٩) East, Chicago, 1963, p. 214-215.

Sir Alan Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, (٣٠) p. 225-227.

John A-Wilson, The Hymn to Aton, in ANET, 1966, p. (٣١) p. 369-371.

Francois Daumas, La Civilisation De L'Egypte Pharaonique. (٣٢) Paris 1965, p. 322-325.

Eleonoer Bille - De Mot. The Age of Akhenaton, Tranlated (٣٣) from the French, by Jack Lindsay, London, 1965, p. 84-89.

Cyril Aldred, Akhenaten, Pharaoh of Egypt - anew study, (٣٤) London, 1972, p. 131-134.

(٣٥) انظر : أدولف ارمان ، وهرمان رانك : مصر والحياة المصرية

وهناك ترجمة للنشيد الكبير :

«تجليك في أفق السماء بديع ، أى أتون الحى ، يا أصل الحياة وبدئها ،  
انك حين تشرق من جبل النور المشرقى تملأ الارض بجمالك ومحبتك ، انك  
بوصفك رع تصل الى حدودهم ، وتخضعهم لابنك المحبوب» .

«انك أنت الاله الذى دان الجميع بحبه . أنت عال جدا ، ومع ذلك  
فان أشعتك تشرق على الارض ، أنت فى وجوه البشر ، ومع ذلك فلا  
يستطيع الواحد منهم أن يتكهن بسر قدومك ، حين تغيب فى الافق الغربى ،  
وأن الارض تكون فى ظلام كالموات ، الليل ينفضى فى غرف النوم ،  
والرؤوس منطاة ، لا ترى أعين أصحابها ، تسرق أمتعتهم — حتى وان  
كانت تحت رؤوسهم — فلا يدركون» .

«الاسود تخرج من أوجارها ، والثعابين تتساب لتلدغ ، والظلام هو  
الضوء الوحيد ، بينما الارض فى صمت ، لان صانعها يستريح فى الافق ،  
وتصبح الارض زاهية عندما تشرق فى الافق ، وعندما تضىء فى النهار  
كأتون ، وأنت تقضى الظلمة الى بعيد ، وعندما ترسل أشعتك ، فان  
الارضين (مصر) تصبغان فى عيد ، يستيقظ الناس ويقفون على أقدامهم  
عند ايماظك ايامهم ، فينظفون أجسامهم ويرتدون ثيابهم ، ويرفعون أكفهم  
تعبدا لطلعتك البهية ، ثم ينتشرون فى الارض ، ليشرك كل منهم عمله» .

«الزهر ونبت الارض ينفث لمرآك ، وتتملكه النشوة لمحيالك هو الانعام  
تتراقص على أقدامها ، والطيور فى أوكارها تطسوى أجنحتها وتشرها  
تسبيبا لآتون الحى خلقتها ، والحملان تقلز على أقدامها ، وكل ما يطير  
أو يعط تهتر أعطفه لانك تشرق من أجله ، ومن ثم فالارض يأسرها  
عامرة بحبك» .

«السفن تبحر شمالا وجنوبا ، وتعج الطرق بالناس ، والعشب

في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، القاهرة ١٩٥٤ ص ٤٤١ -  
وانظر (محمد بيومى مهران : اخناتون - القاهرة ١٩٧٩ ص ٣٥٩-٤٥٩) .

والشجر يتمايل عند ظهور محياك ، والاسماك في النهر تتراقص لراك  
وأشعثك تتفد الى أعماق الاخضر العظيم (البحر)» •

«أنت يا من تجعل سائل الذكر ينمو في المرأة ، ومن يصنع الماء في البشر ،  
أنت يا من يأتي بالحياة للوليد ، وهو في بطن أمه ، أنت يا من تسكته  
بتوقف دموعه ، أنت يا من رعيته في الجسد ، ثم تعطى الهواء ليتنفس كل  
من خلقت ، انه ينزل من الجسد فيتنفس في يوم مولده ، أنت يا من تفتح  
فمه ، وتخلق له مقومات الحياة» •

« أنت يا من جعل الكنكوت يشقشق في قشرته ، أنت يا من منحته  
الحياة ليسيش فيها ، وقدرت له ميقاتا في البيضة يفرج بعده ، وهو يصيح  
(يصوصو) بكل ما لديه من قوة ، ثم يسير على قدميه ابلن خروجه من  
البيضة» •

«ما أكثر أعمالك ، انها على الناس خافية ، أنت الاله الواحد الاحد ،  
الذي ليس معه سواء ، وليس له من نظير ، برأت الدنيا حسب رغبتك ،  
وكنت فردا ، خلقت البشر والانعام ، وكل ما يسمى على الارض بقدم ،  
ويخلق في الفضاء بجناح ، خلقت بلاد خارو (سورية وفلسطين) وكوش  
(النسوية) وأرض مصر ، ووجهت كل فرد الى موطنه ، ودمرت للجميع  
شئونهم ، فأصبح لكل فرد رزقه ، وتعين لكل فرد أجله ، ولظلت الالسنه  
بينهم في النطق متباينة ، والالوان متمايزة ، لانك ميزت بين بلاد وبلاد» •

« أنت تصنع فيضان النيل في العالم السفلى ، وتأتي به كرجبتك ،  
لتهب الحياة لأهل مصر ، أولئك الذين صنعتم لذاتك أنت مولا هم جميعا ،  
أولئك الذين تنهك نفسك من أجلهم ، أنت بولى كل أرض تشرق من أجلها» •

«آتون يا ضوء النهار ، يا عظيم المجد ، بلدانا نائية تهبها الحياة ،  
وترسل الغيث من أجلها ، لقد صنعت نيلا في السماء (المطر) حيث يعوج  
الغيث فوق الجبيل كالاخضر العظيم (البحر) ، ويسقى الحقول بين  
القرى ، ما أجل تدبيرك رب الخلود ، فيضان في السماء لأهل القفلر  
وحيون الفلا ، وما يذب على قدم ، وفيضان سواء لأرض مصر ، يأتي

اليها من دنيا العدم، الأسمعة تغذى كل امرئ، وحين تشرق يهيون ويضمون  
من أجلك» .

«أنت تجعل الفصول منتظمة لينجح كل ما صنعت ، جعلت هناك شتاء  
ليتعرفوا بردك ، وصيفا ليتذوقوا حرارتك ، خلقت السماء بعيدة لتضئ  
فيها ، ولتري كل ما صنعت ، وأنت وحيد تضئ في مختلف صورك كأتون  
الحى ، وتبدو رائعا ومشعا ، وأنت بعيد وقريب ، أنت تجعل من ذاتك  
وحدك ملايين الصور ، مدنا وقرى ، حقولا وطرقا وأنهارا ، كل العيون  
ترنو اليك لأنك أنت آتون ، الذى يشرق في النهار على الارض» .

«ليس هناك من يعرفك سوى ابنك «نفر ، خبرو «رع ، وع ان رع»،  
فقد جعلته عليما بمقاصدك وقوتك ، انك أنت الذى وهبته الحكمة ، أنت  
الذى صنعت الدنيا بيديك ، وخلقت الناس كما شئت أن تصورهم ، اذا  
ما أشرقت عتس الناس ، واذا ما غربت فانهم يموتون ، انك أنت الحياة ،  
ولا حياة للناس الا بك ، العيون تستمتع بجمالك حتى تغيب ، فاذا ما غربت  
في الافق الغربى ترك الناس أعمالهم كلها ، ولكك عندما تشرق ثانية  
يزدهر كل شيء من أجل الملك» .

«الحركة في كل ساق منذ أن خلقت الارض ، أنت ترفعها من أجل  
ابنك الذى خرج من صلبك ، الذى يعيش على الحق ، سيد الارضين ،  
«نفر ، خبرو ، رع وع ان رع ، ابن رع»، الذى يعيش على الحق ،  
سيد الظهور ، البهى ، اخناتون العظيم في خلوده ، مع زوجة الملك العظيمى  
التي يحبها ، سيدة الارضين «نفر ، نفر و آتون ، نفرهيتى»، ألا فلتعش  
ولتزدهر الى ابد الأبدين» (٣٦) .

مميزات دعوة اخناتون من خلال الاناشيد

هذا هو نشيد اخناتون — كما جاء في مقبرة «آي» في جبانة العمارنة

(٣٦) اعتمدت هذه الترجمة على الترجمات الحديثة ، سواء اكانت  
هذه الترجمات باللغة العربية أو باللغات الاجنبية ، وللتى قام بها العلماء  
الذين أشرنا اليهم من قبل .

ولعلنا نستطيع — قدر الطائفة — أن نستخلص منه — وكذا من التشديد الصغير — عدة حقائق ، تميز دعوة اخناتون ، وفكره الدينى ، عما كان سائما فى مصر حتى أيامه . فى القرن الرابع عشر قبل الميلاد ( ١٣٦٧ — ١٣٥٠ ق م ) ، وربما الى ما بعد أيامه كذلك ، ولعل من أهم هذه المميزات :

### ١ - الدعوة الى التوحيد :

ان من يقرأ أناشييد «اخناتون» بعناية ، ويقارنها بأناشييد الآلهة المصرية الاقدم منها البنائية لدينا ، انما يستطيع أن يشعر — بالرغم من بعض أوجه التشبه البسيطة — بمقدار الهوة الحقيقية التى تفصلها بعضها عن بعض ، فمن كل الهواشى الاسطورية التى غطت تماما فى الاناشيد القديمة ، قبل اخناتون ، على مجد الآله نفسه ، لا يوجد منها أثر باق ، ذلك لان الامر كله فى أناشييد اخناتون انما ينصرف لأول مرة الى الوحدة وتوحيد الآله الجديد بصفة جدية حقا ، أو بمعنى آخر الى الوجدانية ، حتى انه ليتمكننا دون تردد أن نضعه الى جانب الاناشيد الكبرى لأية أمة أخرى (٢٧) .

وعلى أى حال ، فان الوجدانية انما تبدو واضحة فى أناشييد اخناتون ، فى تلك الصفات التى يصف بها الفرعون آله «آتون» ، فهو عنده اله واحد ، وذلك حين يقول : «أنت الآله الواحد الاحد ، الذى ليس معه سواء ، وليس له من نظير» ، ومن ثم فاننا نرى بوضوح أن اله اخناتون هذا ، انما هو الآله الاوحد ، يعمل وحده دون آلهة وسطاء معه ، ليس له عائلة (٢٨) أو حاشية ، وأن دور اخناتون فى الدعوة ، ربما لا يعدو دور النبى الذى يتلقى الوحي دون وسيط ، «أنت فى قلبى ، ليس هناك من يمرتك سوى ابنك ، قد جطته عليما بمقاصدك وهوتك ، انك أنت الذى

(٢٧) أدولف ارمان ، وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٢٨١ ، ٤٤١ (٢٨) يختلف آتون فى هذا عن الآلهة المصرية الاخرى ، التى كانت تكون لها عائلة مكونة من ثلوث يتكون من الآله الاب ، والآلهة الام والآله الابن ، كما فى «طيبة» حيث يوجد الآله آمون (الاب) والآلهة موت (الام) والآلهة خونسو (الابن) ، وكما فى «منف» ، حيث يوجد الآله بتاح (الاب) والآلهة سخمت (الام) والآله نفر توم (الابن) ، وكما فى اليفانتين حيث يوجد خنوم وعنقت وسالت ، وكذا عائلة أوزير وايزة وحرور ... وهكذا .

وهبت الحكمة» ، وحتى هذه «البنوة» ، فليست من نوع بنوة أسلافه  
الجسدية لربهم «آمون» ، عن طريق الزواج الالهي — كما كان البعض  
منهم يزعمون — وإنما هي في غالب الظن بنوة رمزية ، وهكذا كان «آتون»  
— في نظر اخناتون — الخالق الاوحد الذي يوزع القوى الحيوية اليومية  
على كل الموجودات التي تتجدد ولادتها ، بفضل ذلك ، مع كل فجر (٢٩) .

وفي الواقع ، فإن الآتونية — كما يقول سير آلن جاردنر — لم تكن  
مجرد نظرية طبيعية ، ولكنها كانت توحيدا أصيلا ، وأن العظمة الحقيقية  
لهذا المصلح تكمن في الشجاعة الخلقية — وفي جهاده حتى آخر لحظة  
من حياته — ليزيح عن كاهل المجتمع المصري تجمعت النفايات الاسطورية  
الموروثة من الماضي ، والتي تراكمت على عقله ووجدانه ، حتى أوشكت أن  
تطمس معالم تفكيره السليم ، ورغم أن هناك من يعتبرها عظمة سلبية ،  
ولكنها — على أي حال — عظمة ، ليس من المعدل أن ننكرها عليه ، فإنه  
لا يمكن مناقضة القول بأن سلوك اخناتون كان أكثر الامور غامضية في  
اثارة سخط أعدائه ، وكان كلما ازداد قوة ، ازدادت الحماسة التي يعمل  
بها على اضطهاد التقاليد البالية ، التي ظلت دهرًا موضع التمجيد (٤٠) .

## ٢ - الدعوة الى دين عالمي :

وفي هذا المجال ، نرى اخناتون انما يحاول أن يقدم للبشرية دينًا  
يعتنقه الناس في كل البلاد ، باذلا الجهد — كل الجهد — في أن يحل هذا  
الدين محل القومية المصرية التي التزمها أهل مصر منذ أقدم العصور ،  
فعاثوا عليها قبل عصر اخناتون ، بحوالي عشرين قرنا مضت من قبل ،  
ومن ثم فلا غرابة إذا اعتبرنا اخناتون قد سبق العصر الملائم لظهوره  
بعدة قرون ، ولا غرابة أيضا اذا كان المصري في ذلك العصر لم يفهم  
منزى ديانة اخناتون ، ولم يستطع التعرف على كتبها ، وهكذا يمكن القول

(٢٩) أندريه ايمار ، وجانين أوبوايه : الشرق واليونان القديمة ؛  
ترجمة فريد داغر ، وقواد أبو ربحان ، بيروت ١٩٦٤ ص ٩٧ .  
(٤٠) A. H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 227- (٤٠)

أن اخناتون انما يمثل عبقرية تم نضجها في وقت سابق لاوانها وأن ظهورها في القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، انما كان ميلادا مبكرا جدا لها<sup>(٤١)</sup> .

ولعل السبب في ذلك ، أن أحدا لم يكن يفكر وقت ذاك في أن العالم وحدة ، أو أن لهذا العالم كله إله واحد يسيطر عليه ، غير أن فكرة الصلة الدولية انما كانت قد نضجت في مصر في أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، وسرعان ما تمت معها فكرة وحدة العالم ، وللمرة الأولى في تاريخ هذه الدنيا ظهرت فكرة إله واحد للعالم كله له سلطان امبراطوري ، وتلك هي أقدم صورة في التاريخ لفكرة التوحيد ، كما وصلت اليها خبرة الشرق القديم .

وفي هذا الوقت الحرج ، تولى «أمنحتب الرابع» حكم مصر (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق م) وكان شاعبا كثير التفكير ، شجاعا لا يخاف ، أصر على اجبار رعاياه على اعتناق فكرة العالمية الجديدة ، وأن يفري الناس بمباداة إله واحد ، فكان هذا العمل من جانبه حدثا جديدا لا مثيل له في التاريخ البشري ، ومن ثم فقد أصدر أوامره الى جميع شعوب الامبراطورية المصرية - بما فيها آسيا وافريقيا - ليعبدوا إلهها واحدا أسماه «آتون»، وأغلق المعابد وطرد الكهنة ، ليحمل الناس على نسيان دينهم القديم ، وأمر بمحو أسماء هؤلاء الآلهة أينما وجدوا ، وبخاصة في نقوش المعابد، وكره الشرك فأمر بتكسير علامة الجمع أينما وجدت في أى نص يذكر كلمة الإله في صيغة الجمع<sup>(٤٢)</sup> .

ويؤكد العلامة «برستد» أن الاجل لو امتد باخناتون لأقلم عقيدة دينية عالمية مركزها مصر ، ثم تنتشر في جميع أنحاء العالم ، ويحلل المسالم

(٤١) عبد المنعم أبو بكر : المرجع السابق ص ١٠٢ - ١٠٣ ، وكذا

J. W. Breasted, The Dawn of Conscience, 1939, p. 289-290

A. Weigall, Histoire De L'Egypte Ancienne, 1968, p. 140.

C. Aldred, Op-Cit, p. 63.

(٤٢) جيمس هنري برستد : انتصار الحضارة ، ترجمة أحمد فخري ،

القاهرة ١٩٦٦ ص ١٣٧ .



الامريكى الشهير على رأيه هذا « باقامة اخناتون معابد لمعبدته الدينية في جميع أنحاء الامبراطورية المصرية (٤٣) » .

على أن هناك من الباحثين من يذهب الى أن عالمية الدعوة في ديانة اخناتون ، انما كان الهدف منها سياسيا أكثر منه دينيا ، اذ ربما كان المخطط السياسي لخناتون توحيد جميع رعايا الامبراطورية المصرية وحل عقيدة مقبولة من الجميع تستند الى قوة الشمس نفسها (٤٤) ، حتى أن اسم اله الشمس الجديد (آتون) ، انما كان يوضع في الطمراء الفرعونى باعتباره شعارا ملكيا مزدوجا (٤٥) .

هذا وربما كُن من دوافع اخناتون السياسية ، أن الرجل تطلع الى ما وراء حدود بلاده « فلذا بالروابط التي استنتها أجداده وآبائوه لتوطيد صلات مصر بطفاتها وجيرانها ، عن طريق التلويح لهم ببنائها تارة ، وتنشئة أمرائهم في العواصم المصرية تارة أخرى ، والاصهار اليهم تارة ثالثة ، قد أوشكت جميعها على الوهن ، ولم يعد بد من أن يطل مطها روابط جديدة (٤٦) » .

### ٣ - القضاء على التفرد العنصرية :

وتبدو هذه الفكرة بوضوح — لا لبس فيه ولا غموض — في قول اخناتون : « خلقت بلاد خارو ، وكوش ، وأرض مصر » ، ذلك أن الداعية العظيم لم يجد أى حرج في أن يذكر اسم مصر العظيمة بعد ذكره الشام والسودان « وهما من موالي مصر ، مادام الخالق الرازق واحدا ، رحيمنا هنا ، ورحيما هناك ، جوادا هنا ، منعما هناك ، خلق الجميع على اختلاف ألسنتهم وألوانهم ومواطنهم » وتكلم برزقهم ، وكان ممجزا حين وهب

J. H. Breasted, Development of Religion and Thought in Ancient Egypt London, 1959, p. 332. (٤٣)

جان يويوت : مصر الفرعونية ص ١٣٠ وهكذا (٤٤)

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, II, p. 320.

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, London, (٤٥) 1939, p. 296.

(٤٦) عبد العزيز صالح : الوحداية في مصر القديمة ص ١٧ .

ومن ثم فقد تخلى اخناتون في دعوته عن الكبرياء ، التي كان ينظر بها المصريون الى تلك الشعوب .، اذ كانوا يعتقدون أنهم وحدهم الناس (أو الرجال) أما الاجانب فلا ، ومن ثم فقد كانوا ينظرون اليهم باذراء ، ويطلقون على رؤسائهم لقب «نوغد» (٤٨) — كما أثرنا من قبل — ذلك لان الاله الخالق — فيما يرى صاحب الدعوة — انما خلق الناس جميعا ، وأن ظلت الالسنه بينهم في النطق متباينة ، والهيات والالوان متمايضة ، ومن ثم فهم يتساوون في الحقوق والواجبات (٤٩) ، ولهذا — وكما يقول اخناتون في النشيد الكبير «ما أجل تدبيرك رب الخلود ، فيضان في السماء لأهل القفاز وحيوان الفلا ، وما يدب على قدم ، وفيضان سواء لأرض مصر ، ياتي اليها من دنيا المدم» (٥٠) .

وهكذا لم تقدم لنا نصوص اخناتون فكرة عالمية الاله الخالق فحسب، وإنما تقدم كذلك الرعاية العالمية لهذا الاله الخالق وعدايته ، التي تجعله

(٤٧) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ص ٣١١ .

A. H. Gardiner, in *EA*, 1, 1914, p. 30, *Egypt of the Pharaohs*, (٤٨) 1964, p. 37, *Egyptian Grammar*, 1966, p. 361.

(٤٩) لاشك أن هذه المساواة لا تبدو واضحة ، الا في الاسلام ، ولنقرأ في هذا المجال ، قول جدنا ومولانا وسيدنا رسول الله ﷺ : «يا أيها الناس ان الله قد اذهب عنكم عبية الجاهلية وتعاضمها بابائها ، فالناس رجلان ، رجل بر تقى كريم على الله ، وفاجر شقى هين على الله ، والناس بنو آدم ، وخلق الله آدم من تراب ، ثم قرأ قوله تعالى : «يا أيها الناس انا خلقناكم من ذكر وأنثى ، وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا ، ان اكرمكم عند الله اتقاكم» (أنظر : سورة الحجرات : آية ١٣ ، وكذا : تفسير القرطبي ٣٤١/١٦ ، وتفسير ابن كثير ٢٦٦/٧ ، سيرة ابن هشام ٤١٢/٢ ، طبقات ابن سعد ١٠٣/٢ ، مجمع الزوائد للهيتمي ٢٦٦/٣) ، ويروى عنه — ﷺ — انه قال : «ان الله لا ينظر الى اجسامكم ولا الى انسابكم ولا الى احسابكم ولا الى اموالكم ، ولكن ينظر الى قلوبكم ، فمن كان له قلب صالح تحن الله عليه ، انما انتم بنو آدم ، وأحبكم الى الله اتقاكم» (أنظر : تفسير ابن كثير ٢٦٥/٧ ، تفسير القرطبي ٣٤٢/١٦ ، صحيح مسلم : كتاب البر ١١/٨) ، كما يروى عنه — ﷺ — قوله لابي ذر : «أنظر فانك لست بخير من أحمر ولا أسود» .

(٥٠) أنظر : أدولف ارمان : المرجع السابق ص ١٣٠ ، وكذا

F. Daumas, *Op-Cit*, p. 326.

يعنى بكل مخلوقاته في هذا العالم ، وعن هذا يقول «الكسندر موريه» (١٨٦١ - ١٩٣٨) : انه للمرة الاولى ينظر الى الديانة كخير عالمي بين اقوام يختلفون في اجناسهم ولغاتهم ودياناتهم ، فانه اخناتون لا يفرق بين المصريين وغيرهم من البرابرة ، فالناس عنده سواء ، وهو ربهم جميعا ، وهكذا تقدم لنا نصوص المعارضة لها للناس كافة ، يمد اليهم جميعا رحمته ، بل انما يمد هذه الرحمة الى الحيوان والنبات ، وكل ما يدب على الارض بقدم ، ويحلق في الفضاء بجناح (٥١) .

وتضيف «الينور بل دي موت» انه للمرة الاولى في التاريخ ، نرى هرعونا يدعى الاجانب في صراحة تامة الى عبادة اله يتعبد اليه شعبه ذاته ، كما انه للمرة الاولى كذلك تفهم الديانة كرباط يوحد بين البشر ، على اختلاف اجناسهم واللوانهم ولغاتهم ، فانه اخناتون لا يفرق ابدا بين المصريين وغيرهم . ممن كان القوم يطلقون عليهم اسم برابرة - لان البشر امامه سواسية ، ومن ثم فيجب عليهم ان ينظروا الى انفسهم ، وكانهم جميعا اخوة (٥٢) ، ومن ثم فان هذه العقيدة الغريبة - فيما يرى برستد (٥٣) - هي التي جعلت الاثريين يعتبرون اخناتون النبي الاول في التاريخ (٥٤) .

وهكذا لم تكن ديانة آتون احمر وحدها ، بل كانت للعالم كله ، فيسبب

(٥١) محمد عبد اللطيف : فكرة الخلق في مصر القديمة من ٢٦١ ،

A. Moret, *Rois et Dieux d'Egypte*, Paris, 1923, p. 70, 74.

Eleonore Bille - De Mot. *The Age of Akhenaten*, London, (٥٢)

1965, p. 89.

J. H. Breasted, *A History of Egypt*, N. Y., 1946, p. 377. (٥٣)

(٥٤) لاشك في ان اول نبي انما كان «آدم» عليه السلام . فقد جاء في

حديث ابي ذر المشهور ، انه دخل المسجد النبوي الشريف ، فوجد رسول الله ﷺ ، جالسا وحده فسأله عن اشياء منها الصلاة والهجرة والصيام والصدقة ثم سأل : كم الانبياء ؟ فقال : مائة الف واربعه وعشرون الفاً ، عال : قلت : يا رسول الله كم الرسل من ذلك ؟ قال : ثلاثمائة وثلاثة عشر ، جم غفير ، كثير طيب ، قال : فمن كان اولهم ؟ قال آدم ، قلت انبي مرسل ؟ قال : نعم ، خلقه الله بيده ونفخ فيه من روحه ، وسواه قبيل (انظر : تفسير ابن كثير ٢٢/٢ - ٤٢٦ ، ثم قارن مسند الامام احمد ٢٦٥/٥ - ٢٦٦ تفسير روح المعاني ٨٨/٢٤ ، مجمع الزوائد ٢١٠/٨ ، واما اول رسول فهو «نوح» عليه السلام (تفسير المنار ٥٠٣/٧ ، ٤٣٦/٨) .

هذا الاله عاشت الاسماك في البحار والوحوش في الادغال ، والزواحف في جحورها ، والغابات في الحقول ، بل ان هذه المفكرة من ديانة آتون انما قد امتدت آثارها الى ما بعد عصر الداعية العظيم ، وذلك في الاناشيد التي تلت عصره ، كما في أنشودة لآمون موجدة في ليدن ، وأخرى من عصر الرعامسة ، وثالثة من نفس العصر كذلك (٥٥) .

#### ٤ - التركيز على قدرة الخالق :

يركز اخناتون في نشيده الكبير على الاله الخالق ، الذي يهب قدرة النسل للنساء ، ويطلق من النطفة بشرا ، ويهب الحياة للجنين وهو في بطن أمه ، واذا ولد أنطقه ودبر أمره ، ثم هو يعنى بأفراخ الطير ، كما يعنى بأجنة البشر ، فالفرخ يكون على أهبه «الموصوة» وهو في البيضة المحكمة ، ويقدر الاله أنفاسه وهو فيها ، ويهبه القدرة على نقرها وهو فيها ، وكاد منطلق هذا الوصف أن يقول : فهناك اله يعبد غير هذا الاله القادر (٥٦) .

ولنقرأ هذا النص في النشيد الكبير : «أنت يا من يجعل سائل الذكر ينمو في المرأة ، ومن يصنع سائلا في الرجل ، أنت يا من تأتي بالحياة للوليد ، وهو في بطن أمه ، أنت يا من تسكته بتوقف دموعه ، أنت يا من رعيته في الجسد ، ثم تعطى الهواء ليعيش كل من خلقت ، انه ينزل من الجسد فيتنفس في يوم مولده ، أنت يا من تفتح فمه ، وتخلق له مقومات الحياة ، أنت يا من تجعل الكتكوت يشلثق في قنصرته ، أنت يا من وهبت الحياة ليعيش فيها ، وقدرت له ميقاتا في البيضة يخرج بعده ، وهو يصيح

(٥٥) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٣٠٨ ، محمد عبد اللطيف : المرجع السابق ص ٢٦٢ ، وكذا

A. H. Gardiner, *Historical Popri in the British museum. Third Series* Chester Beatty Gift, London, 1934, P. 32-34.

Jean Capart and others *Thebes, The Glory of the Great past*, p. 79-80.

A. Erman, *Op-Cit*, p. 203.

(٥٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٨ - ١٩ .

(يصوصو) بكل ما لديه من قوة ، ثم يسير على قدميه ايان خروجه من  
البيضة» •

• - اظهار الرحمة في صفات الاله الخالق :

جهد اخناتون على أن تقدم دعوته الاله الخالق في صورة الاله الرحيم  
بمخلوقاته جميعا ، ومن ثم فقد تخيرت الدعوة الجديدة روابط العطف  
والمحبة ، دون الجبروت والبطش ، وأعلنت أن ربها عظيم المحبة ، تفيض  
آلاؤه على العالم بأسره ، ويضفي على الدنيا كلها بهاء وجماله ، وليس  
من شك في أن هذا التفكير الجديد في الآتونية ، انما يرفع من شأنها الى  
حد بعيد ، ؛ ريق كل ما كانت وصلت اليه ديانة المصريين القدامى ، أو ديانات  
الشرق بأجمعه حتى ذلك الوقت •

صحيح أن الحكيم المصري «ايبو - ور» (من عصر الثورة الاجتماعية  
الاولى) قد صور اله الشمس من قبل ، على أنه الراعي الرحيم بعباده ،  
وصحيح أن الناس انما كانوا في نظر النصائح الموجهة الى «مري كارع» ،  
«قطمان الاله التي من أجلها صنع الماء والهواء والطعام» ، ولكنه صحيح  
كذلك أن اخناتون انما يذهب في دعوته الجديدة الى أبعد من ذلك ، حيث  
يصف الهه في الانشودة الصفري بقوله : « أنت أب وأم لكل من  
خلقت» (٥٧) ، بعد أن كان الملوك السابقون يعتقدون أن الاله الاعظم هو  
الذي يهب النصر ويسحق الاهالي ، ويسوتهم حاملين الجزية أمام عجلة  
فرعون ، أما اخناتون فقد رأى في الاله رأفة ورحمة لخلقه جميعا على  
السواء ، ويعتبر هذا المذهب أقدم ما عرف من علم التوحيد ( من غير  
الانبياء ) ، ولاشك أن القارىء لتعاليم هذه العقيدة يتضح له أنها اعتراف  
صحيح بوحدانية الله ، وبرحمته ورأفته ، ووجود سره المكنون في كل  
مخلوقاته (٥٨) •

J. H. Breasted, The Dawn of consciccc, p. 288, 201-292.

(٥٧)

C. Aldred, Op-Cit, p. 63.

N. de G. Davica, Op-Cit, IV, Pl. 32.

وكذا

A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 34.

وكذا

The Admonitions of an Egyptian Sage Lepliz 1909.

وكذا

J. H. Breasted., A History of Egypt, p. 377.

(٥٨)

وهكذا كان جميع العالم الحي — في نظر تلك الروح الصالحة التي كانت تملا قلب الداعية العظيم — يماؤه شعور قوى بوجود «آتون» ، والاحساس بتسفتته الابوية ، فمستنقعت السوسن ، بأزهارها النشوانة التي تينع باشماع آتون الاخاذ ، وطيورها التي تنشر أجنحتها تعبدا لآتون الحي ، والماشية التي تطفر فرحة في ضوء الشمس ، والسماك الذي يثب في النهر مرحبا بالنور العالى الذي تنفذ أشعته حتى في وسط الاخضر العظيم ، كل ذلك يكشف لنا عن مدى ادراك اخناتون لذلك الوجود العالى للاله ، وسيطرته على الطبيعة ، وعن ادراك باطنى لذلك الوجود عند كل المخلوقات (٥٩) .

ولنقرأ هذه الفقرات من أنشودة اخناتون : «الزهر ونبت الارض يزدهر لراك ، وتتملك النشوة لمحيك ، والائتمل تتراقص على أقدامها ، والطيور في أوكارها تطوى أجنحتها وتنتشرها ، تسببها لآتون الحي خالقها ، والحملان تنفز على أقدامها ، وكل ما يطير أو يحط تهتر أعطافه لانك تشرق من أجله ، الارض عامرة بصبك ، والعشب والشجر يتميل عند ظهور محياك ، وأسماك الماء تتراقص لراك ، وأسمك تنفذ الى أعماق الاخضر العظيم» (٦٠) .

وهكذا يبدو واضحا مدى بساطة وجمال ايمان هذا الشاب الفرعون بالاله الواحد الاوحد ، والتي أوصلته عقيدته الى الايمان بأن الاله الواحد لم يخلق المخلوقات الدنيا فقط ، بل انه خلق جميع الناس على اختلاف أجناسهم ، بما فيهم المصريون والاجانب ، وكان «آتون» أبا رحيم ، يحافظ على كل مخلوقاته ويغمرها برعايته ، حتى الطيور التي تعيش بين النباتات كانت تتمتع برحمته ، فترفع أجنحتها كما يرفع الانسان ذراعيه شكرا له (٦١) .

وفي الواقع ، أننا لو تتبعنا تطور الانسان وتقدمه خلال آلاف السنين،

J. H. Breasted, The Dawn of conscience, p. 292. (٥٩)

(٦٠) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٩ .

(٦١) جيمس هنرى برستد : انتصار الحضارة ص ١٢٨ .

فاننا لن نرى - من غير الانبياء الكرام - أحد قبل «اخناتون» عرف الصورة الصحيحة للاله الواحد الرحيم بكل الكائنات<sup>(٦٢)</sup> ، وهذا الاله الخالق « المعين الرحيم » قد أعطى نعمه للبشر أجمعين ، فضلا عن جميع المخلوقات الحية في كل مكان ، ولم يقتصر ذلك على المصريين وحدهم ، ومن أجل هذه النعم كثر العابدون يرفعون شكرهم وخضوعهم للاله «أتون»<sup>(٦٣)</sup> .

## ٦ - التفسير العلمى لفيضانات النيل :

من المعروف أن مصر انما تعتمد في حياتها على النيل ، ومن ثم فقد كان من المنحىل تجاهل ذلك المنبع الهوى للحياة في عقيدة «أتون» ، والواقع - فيما يرى برستد - أنه لا شىء يكشف لنا بوضوح قيمة عقيدة اخناتون ، وميله الى الاعتماد على العقل ، أكثر من أنه مما بلا تردد تلك الطائفة من الاساطير التي كانت مطل تبجيل القوم واحترامهم ، وتلك التقاليد التي كانت تتل كل احترام عند القوم « والتي تذهب جميعها الى أن «النيل»<sup>(٦٤)</sup> انما هو الاله «أوزير» لعدة زلمان مضت ، فجاء اخناتون ونادى في دعوته الجديدة ، بأن الفيضان انما يرجع الى أسباب طبيعية ، يسيطر عليها الاله «أتون» ، وهو الذى خلق كذلك - وبمثل ذلك

(٦٢) نفس المرجع السابق ص ١٣٨ - ١٣٩ .

J. H. Wilson, The Culture of Ancient Egypt Chicago, 1963. (٦٣) p. 229.

(٦٤) كان المصرى القديم يطلق على النيل اسم (ايترو - عا) أى «النهر العظيم» ، أما لفظه «النيل» فهي تصحيف لفظه «نيلوس» التي أطلقها اليونانيون على هذا النهر ، أما النيل كاله ، فقد أطلق عليه المصرى اسم «حعبى» ، ولم يكن «حعبى» هذا هو النهر المقدس ، وانما كان ذلك الاله أو الروح التي تكمن وراء النهر العظيم ، والتي تدفع بفيضه فيضه حاملا الخصب والنماء ، وصور المصرى هذا الاله في هيئة بشرية تجمع بين الانوثة والذكورة في هيئة صياد السمك ، يلتصق باللحية التقليدية للكلمة ، له ثديا امرأة ويطن مترهل .

هذا وكان لانتشار عقيدة «أوزير» ، وكان من بين ما أطلقوا على النيل من أسماء «وذن نفر» ، وهو من أسماء أوزير ، كما وحد المصرى بين النيل وبين بعض الكلمة الأخرى التي كانت لها صلة بخصوصية الارض ، أو المياه مثل «خنوم» الذى كان يطلق عليه «رب المياه الطاهرة» (الموسوعة المصرية ١٠٥٠/١ - ٢١٦) .

الاهتمام — نيلا آخر في السماء (أى المطر) لغير مصر من الاوطان (٦٥) .

#### ٧ - الدعوة الى الصدق :

كان الداعية العظيم شغوفاً ، أشد الشغف بالصدق — قولاً وفعلًا — يبدو هذا واضحاً في فنون ذلك العصر — كما سوف نرى بوضوح فيما بعد — ويبدو كذلك في أقواله التى منها : «اننى أعيش على الصدق ؛ وأترود من صدق (أو عدالة) قلبى» ، بل ان الرجل انما قد ذهب في هذا الى أن يسمى عاصمته الجديدة «أخيتاتون» كما جاء في الانشودة الصفرى «مكن أو مقر الصدق» (٦٦) .

هذا فضلاً عن أن للداعية العظيم لم ير ، هو وأسرته ، فائدة من الاحتجاب عن رعيته ، وكان شديد الشفقة بأطفاله ، ويظهر في كل الاحتمالات مع زوجته وبناته ، وكأنه كاتب صغير في معبد آتون ، وقد رسم نفسه وهو يعامل أسرته ببساطة وبدون تكلف ، ذلك لانه انما قد اعتقد أن الطبيعة قد فطرت على الحق والصواب ، ومن ثم فقد أجهد نفسه في اعلان صدق هذا الرأى ، كلما اقتضت الظروف التظى عن عادات أجداده السابقين (٦٧) .

هذا وقد انتشرت مبادئ الصدق بين رجالات بلاط فرعون الذين كانوا يطعمون مدى اعتقاد اخناتون الشديد في «ماعت» ( الصدق — العدالة — الحق ) ، ومن ثم فقد كانوا — كسيدهم الفرعون — يعظمون الصدق كثيراً ، وهكذا رأينا «آى» يقول عن الملك : «انه قد أحل الصدق في جسمه ، وأن الذى كان يمجته انما هو الكذب ، واننى أعلم أن «نوع ان رع» (أى اخناتون) يمرح في الصدق» ثم يؤكد «آى» بعد ذلك ، أن «أتون» انما هو «واحد أحد ، قلبه مستريح للصدق ، وأن الذى يلعبه انما هو الكذب» ، ويقول موظف آخر — في مقبرته بالعمارنة — « اننى

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 291.

(٦٥)

F. Daumas, Op-Cit, p. 326.

(٦٦)

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 288, 299.

(٦٧)

J. H. Breasted, A History of Egypt, p. 378.



لا أفضل ما يكرهه جلالته ، لان ما يمقته انما هو طول الكذب في جسمي ،  
لقد قررت لجلالته الصدق ، لأننى أعرف أنه يسكن فيه» (٦٨) .

#### ٨ - تجاهل المرأة في الديانة الجديدة :

لعل هذا التجاهل انما يبدو بوضوح في أن «أتون» لم يتخذ له  
زوجة - كما فعل أمون مثلا ، عندما اتخذ من موت زوجة له - كما أن  
النساء لم يكن لهن شأن به ، أو حتى في كهنوته ، وبالرغم من أن هناك  
من الباحثين من يذهب إلى أن «نفرتيتي» انما كانت القوة الكامنة وراء  
الحركة الآتونية (٦٩) ، ورغم أن «مشروع أخناتون» (الذى تقوم به  
جامعة بنسلفانيا تحت اشراف مستر اى سمث ، ثم الدكتور دونالد  
ردفورد) (٧٠) وقد نجح - عن طريق الصور - في إعادة بناء صالة  
للأعمدة ، خصصت مناظرها للملكة «نفرتيتي» - وكذا أبنيتها مريت  
أتون ، ومكث أتون - دونما أية اشارة إلى «أخناتون» (٧١) فلن اسم  
«نفرتيتي» لم يقرب بأية وظيفة في معبد أتون ، ولم يكن لها في هذا الدين  
المجدد شأن خاص أكثر من أنها زوج الداعية العظيم ، وأن كل ما جاء  
عنها في «الانشودة الكبرى» ، أنها «زوجة الملك العظيم ، التى يحبها ،  
سيد الأرضين ، نفر ، نفرو ، أتون ، نفرتيتي ، ألا فلتعش ولفتردهر إلى  
أبد الأبدين» (٧٢) .

هذا مع العلم ، بأن المرأة المصرية انما قد شغلت وظائف كهنوتية ،  
من قبل عصر أخناتون ومن بعده ، فهناك من عهد الدولة الحديثة (أو عهد  
الامبراطورية ١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق م ، كما يسمى عادة) ، تلك الوظيفة التى

(٦٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ٣٢٤ - ٣٢٦ ، وكذا

C Aldred, Akhenaten, 1972, p. 63-64.

(٦٩) احمد فخري : المرجع السابق ص ٣٠٨ - ٣٠٩ .

(٧٠) انظر : عن مشروع أخناتون : سيد توفيق : مجلة كلية الآثار -  
العدد الاول - كلية الآثار - جامعة القاهرة - يناير ١٩٧٦ ص ١٣٢ - ١٣٦

(٧١) سيد توفيق : المرجع السابق ص ١٣٦ .

(٧٢) احمد فخري : المرجع السابق ص ٣٠٩ ، وكذا

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, p. 28.

Sir Alan H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p 227

كانت تسند الى ملكات البلاد ، وأغنى بها «زوجة أمون» ، ومن ثم فقد أصبح ينلن - الى جانب حقوق الوراثة - مركزا دينيا معتزا ، يتصل بملك الدولة الرسمي «أمون رع» ، هذا وقد نشأت هذه الوظيفة - أول ما نشأت - في السنوات الأولى من عصر الأسرة الثامنة عشرة ، وكانت الملكان «إيمح حوتب» و «أحمس نفرتاري» أول من شغلتا هذا المنصب الديني الهام ، وان بدأ في عصور متأخرة أن اللاتي كن يشغلنه أميرات - ولسن ملكات - كما أصبح له فيما بعد أهمية سياسية عظيمة (٧٣) .

وهناك من عهد «أحمس الاول» (١٥٧٥ - ١٥٥٠ ق م) - جد اخناتون البعيد ، ومؤسس الأسرة الثامنة عشرة - لوحة غير عادية من الكرنك ، يصور فيها الملك «أحمس الاول» ، وبجانبه زوجته «أحمس نفرتاري» ، وابنتهما «أحمس عنخ» ، مقدمين خبزا لئله «أمون رع» ، وقد منح أحمس زوجته - أو باعها - في سنة غير محددة من حكمه ، وظيفة «الكاهن الثاني لأمون رع» في الكرنك ، لتكون لها ولنسلها من بعدها ، وتظهر الملكة في المنظر المصاحب للنص في نفس حجم الملك والاله ، فضلا عن اشارة اضافية تدل على سمو مكانتها الخاصة (٧٤) .

وهناك «تويا» أم الملكة «نتي» - زوج أمنتب الثالث ، وأم اخناتون التي كانت تشغل وظيفة «رئيسة حريم الاله مين في أخميم» (٧٥) .

وهناك مظهر هام في التاريخ الفرعوني في عصوره المتأخرة من الناحية الزمنية ، وأغنى به تلك الاهمية التي اكتسبتها الاميرات الملكيات اللواتي حملت ألقاب «زوجة الاله أمون» ، و «عابدة الاله» ، «يدالاله» ، وكان اللقب الاول في العصور السابقة مقصورا على زوجات الفراعين ،

J.G.H. James, Egypt from the Expulsion of the Hyksos to Amenophis I, in CAH, II, Part, I, Cambridge, 1973, p. 307. (٧٣)

محمد بيومي مهران : حركات التحرير في مصر القديمة ص (٧٤)

٢١٩ ، وكذا

T.G.H. James, Op-Cit, p. 307-308.

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 206.

B. Porter and R.L.B. Moss, Op-Cit, I, p. 30-31.

(٧٥)

وكذا

وكان يتضمن من غير شك دلالة دينية لاتزال غير محددة ، ومنذ الأسرة الحادية والعشرين (١٠٨٧ - ٩٤٥ ق م) ، نجد أن هذا العنت ينتقل الى ابنة الملك التي أصبحت الزوجة الملكية المكرسة للاله آمون ، ولم يكن من المسموح به اطلاقا ، بل كان من المحرم عليها أن يتصل بها أى رجل اتصالا جنسيا (٧٦) .

وكانت زوجة الاله هذا تمارس سلطانا ضخما ، وكانت تسلوى الملك اباهما في كل الاهداف والمقاصد ، فهي لم تكن تمتلك الشياخ الضخمة ، وتشرف على موظفين خامسين بها فحسب ، وانما كانت تتخذ مجموعة من الالقب « وتحيط اسمها بالخراطيش ، وتخلع على نفسها صفات ملكية ، وتحفل بأعياد «اليوبيل» ، وتقيم نصبا وآثارا باسمها ، هذا فضلا عما كان لها من السلطة التي تفولها حق تقديم القرابين للالهة ، وهو حق ظل في الامكان الاخرى من خصائص الفرعون وحده (٧٧) ، وهكذا أصبح لزوجة الاله كل هذه الحقوق ، مما دفع فرعين الاسرتين الخامسة والعشرين (٧٥٠ - ٦٥٦ ق م) والسادسة والعشرين (٦٦٤ - ٥٢٥ ق م) الى فكرة تبني زوجة الاله لابنة الملك لتخلفها في وظيفتها ، وقد فعل ذلك «كاشتا» و «نوبمختي» ، و «بسماتيك الاول» ، «بسماتيك الثانى» الذى نالت ابنته لقب «الكاهن الاول لآمون» ، وهي وظيفة لم تحصل عليها اية «زوجة اله» من قبل (٧٨) .

وهكذا يبدو واضحا أن المرأة انما كانت تشغل وظائف هامة في كهنوت آمون ، منذ بداية الأسرة الثامنة عشرة على الاقل ، وحتى نهاية الأسرة السادسة والعشرين «أى طوال فترة تزيد عن الالف عام» ، الامر الذى لم تشغله أبدا على أيام ثورة اخناتون الدينية (٧٩) .

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 343. (٧٦)

جان يويوت : المرشح السابق ص ١٧٧ ، وكذا (٧٧)

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 343-344.

J. H. Breasted, ARB, IV, uarag. 933 F. (٧٨)

ASAE, V, P. 84 F.

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 354-355.

John A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt Chicago, (٧٩)

1963, p. 229.

## ٩ - اخراج الدين الى العلانية :

لاريب في أن من مميزات دعوة اخناتون ، أنها أخرجت الدين الى العلانية ، وحاولت أن تقضى على ما كان في الديانات القديمة للالهة الاقوياء الاثرياء من اعتماد عن الناس ، وما أحاطوها به من أسرار ، ومن ثم فقد كانت المراسيم الدينية تقام في المعبد ، وكان هيكله مفتوح في الهواء الطلق ، لا يحوى أية تماثيل للاله أتون ، وهو أمر كان يعد غريبا عن التقاليد المتوارثة بالنسبة للطقوس التي لم تعد تتبع كما كانت من قبل لانه لم يعد هناك تماثيل للمعبود ، لكي يفرج في موكب ، كما كان يحدث من قبل ، وقد ألف الملك الداعية واحدا من هذه الاناشيد ، التي تنبعث منها دعوة التوحيد بطريقة متلذذة ، وقد كان أسلوب النشيد من القوة ، لدرجة جعلته يوحى ببعض أجزاء الزمور (١٠٤) - الامر الذي سوف نقلشه فيما بعد ، - بل ان هذا النشيد انما يعد من روائع الادب العالمى الخالدة (٨٠) .

## ١٠ - تقدير تجلى قدرة الاله في العالم الحسى :

لعل من أهم ما تشير اليه أناشيد الدعوة الجديدة ، التقدير العظيم لتجلى قدرة الله - سبحانه وتعالى - في العالم الحسى ، ويبدو هذا واضحا في أنه من أعق المصادر لدعوة اخناتون - بالرغم مما يقال عن أصلها السياسى - اعتمادها على التأمل في عالم الطبيعة ، ولان اخناتون انما كان رجلا مأخوذا بالاله ، فقد انعقد عقله بحساسية وادراك مدهشين، الى ما حوله من المظلم المرئية الدالة على وجود الاله ، فقد كان الرجل مأخوذا بجمال النور الابدى العالمى ، ومن ثم فلننا نرى أسمعته تنفره في كل أثر صور عليه ، من آثار بقيت لنا (٨١) .

هذا وقد ادعى اخناتون لنفسه علاقة خاصة مع الهه ، لا يشركه فيها

Francois Daumas. la Civilisation De L'Egypte Pharaonique, (٨٠)  
Paris, 1965, p. 321-22.

James Henry Breasted, The Dawn of Conscience N. Y. 1939, (٨١)  
p. 292-293.

أحد ، وأنه إنما يعرج في ذلك النور الابدي ، الذي وحده أكثر من مرة مع الحب والجمال ، باعتباره البرهان الظاهر الدال على وجود الاله ، وذلك بنشوة قل أن يكون لها نظير ، وفرح يبلغ حد المولود ، وقد استمدت هذه الظاهرة الجديدة في عصر اخناتون الهامها من جمال الطبيعة وقيضها (٨٢) .

### نشيد اخناتون والمزمور ١٠٤ :

كان العالم الأمريكي الدكتور « جيمس هنري برستد » ( ١٨٦٥ - ١٩٣٥م ) ، أول من أشار الى المطابقة بين نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤) من أسفار التوراة ، ثم قام بعمل مقارنة بين النصين - المصري والعبراني - فخرج من بحثه - أو أبحاثه - بأن ذلك لا يمكن أن يكون سبب توارد الخواطر بحال من الاحوال ، وإنما المرجح أن العبرانيين إنما كانوا على علم بأنشودة اخناتون العظيمة التي وضعها لاله الشمس .

ومن المحتمل كثيرا أن يكون الاصل المصري القديم لانشودة اخناتون قد انتشر في فلسطين أو سينيقييا قبل ظهور المزامير العبرانية بزمن طويل ، فقد انتهى اخناتون (١٣٦٧ - ٣٥٠ ق م) من اخراج أنشودته هذه قبل منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد (١) .

وبدهى أن أعداء الفرعون العظيم الصانقين عليه ما كانوا يتركون أنشودته تنتشر في مصر ستة أو سبعة قرون (أى الى ما بعد عام ١٠٠٠ ق م بكثير) وهو الوقت الذي بدأ العبرانيون يبدون اهتمامهم بأنشودة آتون هذه ، ومن ثم فيجب التسليم بأن تلك الانشودة قد انتقلت الى

Ibid., p. 293-295.

(٨٢)

(١) قارن ذلك بحقيقة أن المزامير رغم أنها تنسب في معظمها الى داود (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق م) ، فإن بعضها منها قد كتب في عصر الملكية (١٠٢٠ - ٥٨٧ ق م) ، أما معظم أسفار المزامير فقد كتب بعد عهد السبي البابلي ، وربما في الفترة (٤٠٠ - ١٠٠ ق م) ، ثم ضمت بعضها الى بعض - فيما يرجح - في القرن الثالث قبل الميلاد ، وهي - على أى حال - صورة صادقة للآثار البعيدة التي اقتبسها العبريون مستقرين أو مسبيين من مصر أولا ، ثم من بابل وآشور ثانيا (فؤاد حسنين : المرجع السابق ص ١٣٩ ، حبيب سعيد : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا

Merrill F. Unger, Unger's Bible Dictionary, Chicago, 1970, p. 898-899.

آسيا في عهد «اخناتون» (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق م) (٣) نفسه ، وأنها أفلتت  
هناك من الحصار المحقق على يد أعدائه في مصر (٣) .

هذا وقد حدث في أنشودة آتون تغيير عظيم ، بعد أن ترجمت الى  
بعض اللغات السامية من لغات آسيا الغربية - كاللغات الفينيقية أو  
الارامية أو العبرية على الأرجح ، على أنه بفحص الفقرات المشابهة لها  
في المزمور (١٠٤) يظهر لنا «دى الشبه بين الصورتين ، لا من حيث  
مضمون أنشودة اخناتون فحسب ، بل أننا كذلك إنما نجد هذا الشبه في  
تتابع الأفكار ، وترتيبها الظاهري ، الذي بقى في الرواية الاسيوية  
العبرية ، كما كان في أنشودة اخناتون ، وبدهى أن تلك التشابهات لا يمكن  
أن تكون بصل من الاحوال - من قبيل المصادفة البحتة ، بل انها بالعكس  
دليل على وجود جزء عظيم من الانشودة المصرية الدينية القديمة منشورا  
بشكل معدل في الزمير العبرانية (٤) .

وبعد أن أعلن «برستد» رأيه هذا في كتابه «تاريخ مصر» في العقد  
الاول من هذا القرن العشرين ، توالت الكشوف بعد ذلك ، وأصبح لدينا  
النص المصري الهيروغليفي ، الذي ترجمت ونشرت منه فقرات كاملة  
برمتها في كتاب العهد القديم (التوراة) ، فقد تعرف الاستاذ « هوجو

---

(٢) هناك ما يشير الى ان اخناتون قد أقام ثلاثة مراكز لنشر دعوته  
في أنحاء الامبراطورية المصرية في «اخناتون» (تل العمارنة) و«جم آتون»  
في «كاوا» وراء الجنجل الثالث في مقابل بلدة «دلجو» الحالية ، وأما  
المركز الثالث فقد كان في غربي آسيا (ربما في اورشليم أو بيت شمس) ، وعلى  
أى حال ، فرغم أننا لا نعرف مكان هذا المعبد الاسيوي على وجه اليقين ،  
فهو لم يكن أقل منزلة من معابد أجداد الفرعون التي شيّدت لئلا آمون  
H.R. Hall, The Ancient History of the near East, London,

1963, p. 300.

B. Gunn, JEA, IV, 1917, p. 169.

وكذا

A.H. Gardiner, Egypt of the Pharaohs, Oxford, 1964, p. 223.

وكذا

ومن ثم فربما قد انتقلت أنشودة اخناتون الى العبرانيين عن طريق هذا  
المعبد الآتوني ، الذي ربما كان في اورشليم أو في بيت شمس ، أو في أى  
مكان في غربي آسيا .

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., p. 367.

(٣)

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 367-368.

(٤)

على الانبياء العبرانيين ، بسبب حرج الموقف الذي وجد فيه شعبيهم ، حيث قد صاروا الكعبة في أيدي الممالك العظيمة وقتئذ ، وقد بقيت حالتهم تزداد حرجا ، الى أن غيروا نظرتهم الى ربهم «يهوه» الذي كان يوما ما معبودهم المحلى (٨) ، فصار في نظرهم الها مسيطرًا على كل الامم (٩) ، ويُدير حركات جميع ملوك الارض ، ويستطيع السيطرة على كل مقاصدهم العدائية ، وتمويلها لخير بني اسرائيل (١٠) ، ثم لخير جميع العالم في النهاية (١١) .

وبدهى أن هذا الاتجاه الجديد في الابحاث ، والذي يذهب الى أن نشيد اخناتون ، انما كان قوى التأثير في أفكار العبرانيين ، بل أنه ليذهب الى أبعد من ذلك ، الى أن العبرانيين انما كانوا قد اطلعوا على الادب الخلقى والدينى عند الامم الاخرى ، ونقلوا ما عثروا عليه من أفكارهم ، بل انهم انما كانوا ينقلون هذه الافكار أحيانا بنفس التعبير التي صيغت فيها تلك الاصول الاجنبية — كما نرى في نشيد اخناتون والمزمور (١٠٤) ، ومن ثم فقد وجد هذا الاتجاه معارضة شديدة من بعض المتعصبين لليهودية .

ورغم أن كثيرا من الباحثين — غير العالمين الكبارين جيمس هنرى برستد ، وهوجو جرسمان — يعضدون اتجاه تأثير نشيد اخناتون في أفكار العبرانيين الحديثة — ومنهم «آرثر ويجال» (١٢) و «هـ ر هـ هول» (١٣)

(٨) انظر : تكوين ١٢ : ١ - ٣ ، ١٣ : ١٤ - ١٨ ، ١٥ - ١٨ ، ٢٠ ، ٢٦ : ٢٢ ، ٢٤ : ٢٨ ، ١٣ : ٤٦ ، ٤ : ٤ ، خروج ٢ : ٦ ، ١٥ ، ١٤ ، ٦ : ٧ ، ٧ ، يشوع ٧ : ١٣ ، ٨ : ٣ ، ٩ : ١٨ ، صموئيل أول ٢٥ : ٣٣ ، اخبار أيام ثان ١٦ : ٣٦ ، ول ديورانت : المرجسح السابق ص ٢٤٣ ، صبرى جرجس : المرجع السابق ص ٥٢ .

(٩) انظر : محمد بيومى مهران : الذبوة والانبياء عند بني اسرائيل - الاسكندرية ١٩٧٨ ص ٨٧ - ٨٨ .

(١٠) انظر : اشعيا ٤٩ : ٦٠ ، ٢٣ : ١١ - ١٤ ، ٦١ ، ٦٥ .

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 369.

(١١)

Arthur Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, (١٢)

H. R. Hall, The Ancient History of the near East, London, (١٣)

1963, p. 306.

و « سير ألن جارحفر »<sup>(١٤)</sup> ، و « فرانسوا دوما »<sup>(١٥)</sup> و « جان يويوت »<sup>(١٦)</sup> و « الكسندر شارف »<sup>(١٧)</sup> . بل ان «وليم هيز» ، انما يتساءل — مع صعوبة كبيرة ، وقليل من الرضى النفسى ، أو حتى عدمه — أن نرى كيف يمكن أن نفترض أن عبادة آتون انما كانت الاساس السابق لليهودية والنصرانية<sup>(١٨)</sup> . وانطلاقا من هذا ، فان اتجاها يذهب الى تأثير نشيد اخناتون في افكار العبرانيين الدينية ، لا يمكن أن يطيب قبوله — كما يقول أستاذنا الدكتور أحمد فخري<sup>(١٩)</sup> — (١٩٠٥ — ١٩٧٣) لمن امتلأت نفوسهم تعصبا للكتاب المقدس فأخذوا يتشككون في ذلك ، ويقولون ان آراء اخناتون لم تكن جديدة على الديانة المصرية ، بل وان تعبيراته عن وحدانية الهه كانت معروفة قبله ، واستمرت قسرونا طويلا بعده ، ويقولون اننا لو فرضنا أنه كان يوجد في مصر جنود أرقباء من الاسرائيليين في أيام العمارنة ، فلم يكن ميسورا لهم أن يعرفوا تعاليم الآتونية ، بوجود اله واحد ، اله للعالم كله ، خلق الحياة وحافظ عليها ، وأحس عباده نحوه بشعور قوى لتكرانه<sup>(٢٠)</sup> .

ثم يذهب بعد ذلك «جون ويلسون» — صاحب هذا الاتجاه — الى أنه لم يكن من بين هؤلاء العبرانيين من تسمح له حالته بأن يتعلم من مصر أناقته في التفكير ، أو ما وصلت اليه في الدين أو الفلسفة ، اذ أن هذه الفرصة لا يمكن أن تيسر لجموع الأرقباء الذين يعملون في أحد المشروعات الحكومية ، لكي يتناقشوا مع الكتبة أو الكهنة ، فان أرواحهم

A.H. Gardiner, *Egypt of the Pharaohs*, Oxford, 1964, p. 227. (١٤)

Franccis Daumas, *La Civilisation de L'Egypte Pharaonique*, Paris, 1965, p. 322. (١٥)

جان يويوت : مصر الفرعونية ، ترجمة سعد زهران ، ومراجعة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ١٩٦٦ ص ١٢٩ . (١٦)

الكسندر شارف : تاريخ مصر ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر — القاهرة ١٩٦٠ ص ١٤٠ . (١٧)

W. C. Hayes, *The Scepter of Egypt*, II, Harvard, 1959, p. 281. (١٨)

أحمد فخري : مصر الفرعونية — القاهرة ١٩٧١ ص ٣٢٨ . (١٩)

J. A. Wilson, *The Culture of Ancient Egypt*. p. 226. (٢٠)



البسيطة المعتادة على الحياة في الصحراء كانت تنظر بوجل الى بعض  
مسلوىء المعنية المنهكة القوى ، وتشتاق الى الهرب من تلك العبودية  
القاسية ، ومن كلتوا في مثل هذه الحالة لا نتوقع منهم أن يعجبوا بما  
حققته مدنية أرض العبودية (٢١) .

وفي الواقع — لأنه بصرف النظر الان عن تأثير نشيد اخناتون في  
أفكار العبرانيين الدينية ، أو عدم تأثيره — فأننى ألاحظ أن « جون  
ويلسون » قد نسي — أو تناسى — عدة عوامل ، تكف عقبة كزود في طريق  
وجهة نظره هذه ، منها (أولا) أن ديانة اخناتون انما كانت ديانة بسيطة  
في كل شيء — في عقيدتها وفي شعائرها — فهي تدعو الى عبادة الله واحد  
أحد ، وتلك ويم الله ، فطرة الله التي فطر الناس عليها ، وليس فيها شيء  
من تعقيدات كهانة آمون وغيرهم من رجال الكهنوت المصرى .

ومنها (ثانيا) أن المستضعفين في كل أمة ، انصاهم — في أغلب  
الاحايين — أول من يؤمن بأصحاب الديانات ، وتاريخ النبوات شاهد على  
ذلك ، ومن ثم فكان العبرانيون مستضعفين في مصر ، ليس بالضرورة أن  
يكون ضعفهم هذا — أو استضعافهم — سببا يحصل بينهم وبين تلبية  
دعوة الوحدانية التي نادى بها اخناتون ، ومنها (ثالثا) أن العبرانيين لم  
يعودوا — بعد اقامتهم في مصر قرابة ثلاثة قرون ونصف قرن — بدوا ،  
وانما أصبحوا أشبه بالمصريين ، يعيشون حياة أشبه بحياتهم ، ويمجدون  
بعض آلهتهم .

ومنها (رابعا) أن الاحداث التاريخية تشير الى أن الاسرائيليين انما  
قد تعلموا كثير من أفكار المصريين الدينية ، وقصة الخروج من مصر  
وما حدث بعدها في سيناء ، يفهم منه بوضوح أن القوم ودوا لو أنهم  
يعودون الى مصر ، ويعقدون مراسيمها الدينية ، وتشير التوراة (١٣)

والقرآن الكريم<sup>(٢٣)</sup> الى «قصة العجل الذهبى»<sup>(٢٤)</sup> الذى عبده بنو اسرائيل فى سيناء ، والتي تدل على تأثير الديانة المصرية فى بنى اسرائيل ، ذلك أن عبادة العجل فى مصر ، إنما هى جد عسيقة الجنور ، اذ ترجع الى ما قبل عصر موسى (القرن الثالث، عشر قبل الميلاد) بكثير - الى أيام الاسرة الاولى المصرية<sup>(٢٥)</sup> ، حوالى عام ٣٣٠٠ ق م - ثم استمرت حتى نهور المسيحية وغلبتها عليها ، وليس من شك فان بنى اسرائيل باتخاذهم العجل من بعد موسى ، إنما كانوا لما اعتادوا فى مصر من الآلهة مرتدين .

وسكذا يبدو واضحاً مدى تأثير الديانة المصرية فى بنى اسرائيل ، تلك الديانة التى تمكنت من نفوسهم ابان اقامتهم الطويلة فى مصر - والتي جاوزت أربعة ابرون - لدرجة أنهم ما كانوا بقادرين على الايمان بموسى ودعوته ، أما خوفاً من فرعون ، وأما خوفاً من سيوخ بنى اسرائيل ، وإلى هذا يشير القرآن الكريم فى قوله تعالى «فما آمن لموسى الا خرية من قومه على خوف من فرعون وملئهم»<sup>(٢٦)</sup> . باعتبار أن الضمير فى «ملئهم» يرجع الى قوم موسى .

وعلى أى حال ، فلقد غالى بعض المتعصبين ضد اخناتون كثيراً ، حتى ترك غريق منهم موضع الدفاع الى موضع الهجوم - وكما يقول أستاذنا الدكتور عبد المنعم أبو بكر (١٩٠٧ - ١٩٧٦م) ، طيب الله ثراه - يأتى آخر الأمر من يذهب الى أن ديانة اخناتون لم تكن وليدة تفكيره ، ووحى فلسفته ، بل هى مأخوذة من التوراة ، زعماً منهم ببداية ظهورها قبيل عصره ، واستناداً الى التشابه بين بعض لغزات أنشودة آتون والمزمور (١٠٤) (٢٧) .

(٢٣) سورة البقرة : آية ٩٢ ، سورة الاعراف آية ١٨٤ - ١٥٢ ، سورة طه آية ٨٢ - ٨٩ .

(٢٤) انظر عن القصة : محمد بيومى مهران : اسرائيل - الكتاب الاول - التاريخ ص ٤٦٢ - ٤٧٩ (الاسكندرية ١٩٨٧) .

(٢٥) W. B. Emery, Archaic Egypt, (Penguin Books), 1963, p. 124. (٢٥)

(٢٦) سورة يونس : آية ٨٢ ، وانظر تفسير المنار ١١/٣٨٢ - ٣٨٤ ، تفسير ابن كثير ٤/٢٢٢ - ٢٢٣ ، معانى القرآن لافراء ١/٤٧٦ - ٤٧٧ ، تفسير القرطبي ص ٣٢٠٨ - ٣٢٠٩ ، تفسير الطبرى ١٥/١٦٣ - ١٦٧ .

(٢٧) عبد المنعم أبو بكر : اخناتون ، القاهرة ١٩٦١ ص ٤٠ - ٤٢ .

غير أن حجج هذا الفريق من العلماء انما هي جد واهية لأسباب كثيرة ، منها (أولا) أن «هوجوجرسمان» انما يذهب الى أن أنشودة اخناتون وصلت الى العبرانيين في فلسطين عن طريق فينيقية<sup>(٢٨)</sup> ، وربما عن طريق المعبد الآتوني الذي بناه اخناتون في اورشليم أو في بيت شمس<sup>(٢٩)</sup> .

ومنها (ثانيا) أن كثيرا من المزامير انما تنسب الى داود<sup>(٣٠)</sup> ، عليه السلام (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) - أي في القرن العاشر قبل الميلاد ، ربما على الاكثر في النصف الثاني من القرن الحادي عشر قبل الميلاد<sup>(٣١)</sup> ، بينما عاش اخناتون (١٣٦٧ - ١٣٥٠ ق.م)<sup>(٣٢)</sup> ، في النصف الاول من القرن الرابع عشر قبل الميلاد ، أي قبل أيام داود بما يقرب من قرون أربعة ، بل ان بعضا من المزامير انما يرجع الى ابام السبى البابلي (٥٨٧ - ٥٣٩ ق.م) ، وبعضها الاخر الى الفترة فيما بين عامي ٤٠٠ ، ١٠٠ قبل الميلاد<sup>(٣٣)</sup> ، ومنها (ثالثا) أن كثيرا مما جاء في التوراة

J. H. Breasted, *The Dawn of Conscience*, N. Y., 1939, p. 368. (٢٨)

H. R. Hall, *The Ancient History of the near East*, London, 1963, p. 300. (٢٩)

(٣٠) يحتوي سفر المزامير على ١٥٠ مزمورا ، ينسب الى داود منها ٧٣ مزمورا فقط ، وخمسون مجهولة المؤلف ، والبقية ترجع الى مؤلفين مختلفين (حسن ظاظا : الساميون ولغاتهم ص ٨٤) .

(٣١) يختلف المؤرخون في فترة حكم داود ، عليه السلام ، فهناك من يجعلها في الفترة (١٠١٢ - ٩٧٢ ق.م) (I. Eprstein, *Op-Cit.*, p. 35) ومن يجعلها في الفترة (١٠١٠ - ٩٥٥ ق.م)

G. Roux (*Ancient Iraq*, 1966, p. 454).

ومن جعلها في الفترة (١٠٠٤ - ٩٦٣ ق.م) فيليب حتى : المرجع السابق ص ٢٠٣ ، ومن يجعلها في الفترة (١٠٠٠ - ٩٦٠ ق.م) (W. F. Albright, *The Biblical Period*, 1963, p. 120-121)

ومن يجعلها في الفترة (٩٨٥ - ٩٦٣ ق.م) (Historical Atlas of the Holy Land, N. Y., 1959, p. 81)

A. H. Gardiner, *Egypt of the Pharaohs*, 1964, p. 443. (٣٢)

(٣٣) حبيب سعد : المرجع السابق ص ١٤٥ ، وكذا

M. F. Unger, *Unger's Bible Dictionary*, 1970, p. 898-899.

Sigmund Freud, *Moses and Monotheism*, Translated from the German, by K. Jones, p. 21-32.

— أو العهد القديم — انما يرجع في أصوله الى الادب المصرى القديم ،  
كما سوف نرى في تعاليم «أمنؤوبى» وسفر الامثال ، ومنها (رابعا)  
ماذهب اليه «سيجموند فرويد» (١٨٥٦ — ١٩٣٩م) في نظريته المشهورة  
من أن موسى ذو الذى نقل أفكار اخناتون الى الاسرائيليين عندما خرج  
بهم من مصر<sup>(٣٤)</sup> ، (حوالى عام ١٢١٦ ق.م ، أو ١٢١٤ ق.م) .

ومنها (خامسا) — وربما كان أهمها جميعا — أن مقارنة سريعة بين  
المزمور (١٠٤) ونشيد اخناتون ، انما تدل بوضوح على أن نشيد اخناتون  
— فيما ترى جمهرة العلماء — انما كان دون شك، هو أصل المزمور (١٠٤) .

---

(٣٤) انظر عن «تاريخ الخروج والاراء التى دارت حوله» ، محمد  
بيومى مهران : اسرائيل — الكتاب الاول — التاريخ — الاسكندرية ١٩٧٨  
ص ٣٥٧ — ٤٣٩ .

(١) تجعل ظلمة فيكون ليل، فيه تدب كل حيوان وعز (المزمور ١٠٤ : ٢٠)

(٢) الاشبال تزمجر لتخيف ولتلتطمس من الله طعامها (المزمور ١٠٤ : ٢١)

(٣) تشرق الشمس فتتصرف ، وفي ماويها تريض ، الانسان يخرج الى عمله والى شغله الى المساء (المزمور ١٠٤ : ٢٢ - ٢٣)

(٤) هذا البحر الكبير الواسع الاطراف ، هناك دبابات بلا عدد ، صغار حيوان مع كبار ، هناك تجرى السفن « لويانان » هناك خلقته ليلعب فيه (المزمور ١٠٤ : ٢٥ - ٢٦)

(٥) ما اعظم اعمالك يارب ، كلها بحكمة يارب ، كلها بحكمة صنعت ، ملانة الارض من غناك (المزمور ١٠٤ : ٢٤)

(١) حين تغرب في الافق الغربى تصبح الارض في ظلام كالموات ، الليل ينقضى في غرف النوم ، والرؤوس مغطاة ، ولا ترى اعين اصحابها .

(٢) الاسود تخرج من اوجارها ، والثعابين تنساب لتلدغ .

(٣) الارض زاهية حينما تشرق في الافق ، وتضوء في النهار مثل اتون ، أنت تقصى الظلمة الى بعيد ، وعندما ترسل اشعتك ، فان الارضين ( مصر ) تصبحان في عيد ، يستيقظ الناس ويقفون على اقدامهم عند ايقاظك اياهم ، فينظفون اجسامهم ، ويلبسون ثيابهم ، ويرفعون اكفهم تعبدًا لطلعتك البهية ، ثم ينتشرون في الارض يباشرون كل منهم عمله .

(٤) السفن تبحر شمالًا وجنوبًا ، وتنجع الطرق بالناس ، الاسماك في النهر تقفز امامك ، واشعتك تنفذ الى أعماق الاخضر العظيم .

(٥) ما اكثر اعمالك ، انها على الناس خافية ، أنت الاله الواحد ، الذى ليس معه سواه ، وليس له من نظير ، برات الدنيا حسب رغبتك ، وكنت فردًا ، خلقت البشر والانعام ، وكل ما يسعى على الارض بقدم ، ويحلق في الفضاء بجناح ، خلقت بلاد خور وكوش وارض مصر ، ووجهت فيها كل فرد الى موطنه ، ودبرت للجميع شئونهم ، فاصبح لكل فرد رزقه ، وتعين لكل فرد اجله . وظلت الالاسنة بينهم في النطق متباينة ، والهيات والالوان متمايزة .

## الفصل الخامس

أدب المدائح والملحمة والغناء والغزل

خلف لنا المصريون للقدامى من تراثهم الادبى الذى يرجع الى أيام الدولتين الوسطى والحديثة نوعا من الادب يمكن أن نسميه «أدب المدائح والملاحم والغناء» ، امتاز بأسلوبه الشعري الذى يجعله أقرب الى النظم منه الى النثر ، ولعل من خير ما يمثله تلك القصيدة الرائعة التى صور فيها الشاعر بأس الملك «سنوسرت الثالث» وقوته الخارقة ، فشبهه بالسد الذى يمنع النهر من ثورة غضبه ، وبالظل الخليل الواقى الذى ينحس أيام الصيف ، وبالركن الدافئ أيام الشتاء ، وبالجبل تتقى به العواصف يوم تتور السماء .

هذا وقد وصف الفراعين حروبهم على أيام الامبراطورية وصفا رائعا ، وقد أجلدوا — بصفة خاصة — وصف معركة قادش ، والتى من خير أجزائها وصف الشاعر لموقف رع مسيس الثانى فى محنته الكبرى ، عندما أحاطت به قوات العدو ، فأخذ يستغيث بأبيه أمون ويطلب منه العون ، ولما استبطأ معونته ضاقت نفسه ، وأخذ يناجيه معلنا إياه ، عتابا يصور ما فى نفسه المتلذذة فى صراحة وإيمان .

هذا وقد عرف المصريون القدامى فى عهد الدولة الحديثة لونا من الادب ، يتمثل فى أغانى الحب التى يتغزل فيها المحب بصبيته ، غزلا ساذجا ، مرسلا ، غاليا من الصنعة والتكلف .

اولا : من ادب المدائح

١ - مدائح سنوسرت الثالث

أحدث «سنوسرت الثالث» (١٨٧٨ - ١٨٤٣ ق.م) مكانة ممتازة فى تاريخ مصر الفرعونية كله ، حتى أنه لم تمض بضعة قرون على وفاته ، الا ونراه يعبد فى بلاد النوبة كله ، وذلك على أيام «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق.م) ، ذلك لان تحوتمس الثالث — أعظم الفراعين المحاربين على الاطلاق — انما كان بطلا يقدر البطولة ، أو كما يقولون : لا يحسن الفضل الا خووه ، ففى معبد «عمدا» بالنوبة ، الذى شيده تحوتمس الثالث ، نراه يأمُر بتقدیس «سنوسرت الثالث»<sup>(١)</sup> ، وكذا فعل

H. Gauthier, in Temple d'Amada, Cairo, 1931.

A. Weigall, Op-Cit, p. 104.

(١)

«طهرانقا» (٦٨٩ - ٦٦٤ ق م) ، والامر كذلك في يوهن والليسيه ، بل حتى العامة من القوم قد قدسوا سنوسرت الثالث ، ففي أحد المناظر على صخور أسوان منظر يمثل عائلة قام أفرادها باحضار قرابين للالهة ، ومن بينها سنوسرت الثالث (٣) .

وأما عن شهرته الحربية ، فقد تضحخت لدرجة أن أطلق عليه «هيرودوت» و «ديودور الصقلي» لقب «البطل قاهر العالم» ، ثم خلطوا بين حروبه وحروب «سنوسرت الاول» ، فضلا عن الرعامسة ، ومن ثم فقد نسبوا اليه فتوحات في آسيا الغربية وأوربا الشرقية ، بل ان المؤرخ المصري «مانيتو» انما يذهب الى أن «سنوسرت الثالث» قد أخضع كل آسيا قى تسع سنوات ، وكذا أوربا حتى تراقيا ، وانه اهتم بتسجيل أحوال الناس أينما ذهب ، ويذهب «ديودور الصقلي» الى أنه فتح بلاد العرب والحبشة والهند ، وبلغ البحر الاسود ، ووصل الى تراقيا وجعلها حدود مملكته ، وهو أمر جد مبالغ فيه ، وقد اختلط الخيال فيه بالحقيقة ، صحيح أن سنوسرت الثالث هو المؤسس الحقيقي للامبراطورية المصرية ، في النوبة ، وصحيح أيضا أنه قام بحملة كبيرة على آسيا الغربية ، وصل فيها الى منطقة السطحة الجبلية ، ولكنه صحيح كذلك ، أن الرجل لم يركب البحر في حروبه ، وانما ركب النيل ليخضع العصاة في بلاد النوبة (٣) .

وعلى أية حال ، وانطلاقا من كل ذلك ، فليس غريبا أن تظل ذكرى «سنوسرت الثالث» حية في نفوس القوم ، والتي تتمثل في تلك القصيدة الرائعة التي عثر عليها بين انقاض «اللاهون» ، والتي تعتبر ذات أهمية كبرى ، لانها الانشودة الوحيدة التي وصلت الينا من الدولة الوسطى

D. Randall-Maciver and C. L. Woolley, *Buhen, Philadelphia*, (٢) 1911, p. 41-42.

(٣) أنظر : محمد بيومي مهيران : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الثاني - مصر - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٤٠٨-٤١١ - عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١٨٢/١ ، وكذا

A. H. Gardiner, *Egypt of The Pharaohs*, p. 439.

Diodorus, I, 53 F.



في المديح لللكي ، وستكون مثالنا الوحيد لهذا العصر ، حتى تجود أرض  
الكتانة الطيبة بأمثالها أو خير منها •

هذا وتتكون الانشودة من ستة مقطوعات • وقد اهتم بنشرها -  
وترجمتها والتعليق عليها كثير من العلماء من أمثال : جريفث<sup>(٤)</sup> وهولر<sup>(٥)</sup>  
وزيمته<sup>(٦)</sup> وجرابو<sup>(٧)</sup> وارمان<sup>(٨)</sup> وجدكه<sup>(٩)</sup> وبوزنر<sup>(١٠)</sup> وسبسون<sup>(١١)</sup>  
وغيرهم<sup>(١٢)</sup> ، فضلا عن ترجمات العلماء المصريين ، من أمثال سليم  
حسن<sup>(١٣)</sup> وأحمد بدوي<sup>(١٤)</sup> •

ولنتناول الآن أن نترجم لأهم أجزاء هذه القصيدة :

### ١ - المقطوعة الاولى :

«لك الحمد يا «نخ - كلو - رع» ، يا حور ، أيها الصقر المقدس» •  
«يا حامى الوطن ، وماذ حدوده ، يا قاهر البلاد الاجنبية بقوة تاجه» •  
«يا من ضم الارضين (مصر) بين يديه ، ممسك البلاد الاجنبية بقوة ذراعيه» •  
«مجنذل أصحاب السهم ، دون ضربة عصا»  
«يا من يفوق سهمه دون أن يشد وتر القوس»  
«مخضع أصحاب القوس فى ديارهم»  
«يا من سحق رعبه اقوام الاقواس التسع»

F. L. Griffith, Hieratic Papyri from Kahun and Gurah, London, (٤)  
1898, Pls, I-III, p. 1-3.

G. Moller, Lesestucke, I, Berlin, 1961, Pls. 4-5. (٥)

K. Sethe, Agyptische Lesestucke, Leipzig, 1924, p. 65-67. (٦)

H. Grapow, in MfO, I, 1953, p. 189-209. (٧)

A. Erman, LAE, 1927, p. 134-137. (٨)

H. Goedicke, JARCE, 7, 1968, p. 23-26. (٩)

G. Posener, Op-Cit, p. 128-130. (١٠)

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 279-284. (١١)

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 198-201. (١٢)

(١٣) سليم حسن : الادب المصرى القديم ١٨٠/٢ - ١٨٤ •

(١٤) أحمد بدوي : المرجع السابق ص ٢٤٧ - ٢٥١ •

«يا من أمات خنجره ألوفنا من الرماة قبل أن تطلأ أقدامهم حدوده»  
«يا من يفوق سهمه مثل «سختت»»

«يا من قهر الآلاف ممن لا يعرفون بطشه»

«ان كلمة من جلالته لتخضع أهل النوبة»

«ان منطقته ليجعل البدويولون الادبار»

«هو الواحد الفرد ، ذو القوة الفتية ، الذائد عن حياضه»

«مذهب الوهن عن شعبه»

«بجاعت الناس ينلمون في أمان حتى طلوع الفجر»

«شباب جنوده ينلمون لان قلبه هو المدافع عنهم»

«أوامر جلالته كبحت جماح النوبة ، وهزمت الاسيويين»

## ٢ - المقطوعة الثانية :

«ألا ما أشد اغتباط الآلهة لانك ثبت قرابينهم»

«ألا ما أشد أفراح بلدك لانك ثبت حدوده»

«ألا ما أشد اغتباط آباءك لانك زدت في عطائهم»

«ألا ما أشد اغتباط مصر بقوتك لانك حميت النظم القديم»

«ألا ما أشد اغتباط شعبك بحكومتك لانك قضيت على السلب»

«ألا ما أشد اغتباط جنودك ، لانك أسعدتهم»

«ألا ما أشد اغتباط شيوخ قومك لانك جندت شبابهم»

«ألا ما أشد اغتباط (مصر) بقوتك لانك حميت أسوارها»

## ٣ - المقطوعة الثالثة :

«ما أعظم سيد وطنه ، انه يعدل آلاف الالوف ، وآلافهم غيرهم ، وما هم

بالنسبة اليه الا قليل»

«ما أعظم سيد وطنه ، فهو السد الذي يمنع النهر من ثورة فيضه»

«ما أعظم سيد وطنه ، فهو القاعة الرطبة تبعث النوم لكل الناس حتى

مطلع الفجر»

«ما أعظم سيد وطنه ، فهو حصن جدرانه من نحاس جوشن»  
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو الحمى الذى لن يدرك اللاجئ اليه عدوه»  
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو الظل الوارف الذى ينبعث أيام الصيف»  
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو ركن الدفء والجفاف أيام الشتاء»  
 «ما أعظم سيد وطنه ، فهو الجبل الذى يمنع العواصف يوم تثور السماء»  
 «ما أعظم سيد وطنه، فهو شديد مثل سخمت على من تملأ أقدامهم حدوده»  
 ٤ - المقطوعة الرابعة :

«جاءنا فولى أمر الصعيد ، ووضع التاج المزوج على رأسه»  
 «جاءنا فوجد القطرين ، وضم رمزي الوجهين (البومة والنطة)»  
 «جاءنا فحكم المصريين ، وضم اليه الارض الحمراء»  
 «جاءنا فحمى القطرين ، ومنح أرضهما السلام»  
 «جاءنا فأحيا أهل مصر ، ومحا آلامهم»  
 «جاءنا فمد للحياة للناس ، وجعلهم يتنفسون»  
 «جاءنا فوطىء بقدميه أرض الاجانب ، وكبل أصحاب الاتوانس ، وكانوا  
 لا يعرفون الخوف من قبل»  
 «جاءنا فحصى الحوض ، وأغاث المهوف»  
 «جاءنا فوفر الوقود للشيخ»  
 «جاءنا فأعاننا على تربية أبنائنا ، ودفن الطاعنين من شيوخنا»  
 ٥ - المقطوعة الخامسة :

«أنت تصب «نخا - كاو - رع» الذى يعيش الى أبد الأبدين  
 «هو يعطيك النخاء والخلاص»  
 «أنت راعينا الذى يمنح النفس»  
 «أنت تعطينا اياه فى سعادة وفى مرات يخطئها المحدث»  
 ٦ - المقطوعة السادسة :

«ثناء لـ «نخا - كاو - رع» الى أبد الأبدين» (١٥)

(١٥) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٢٤٧ - ٢٥١ ، سليم حسن :  
 المرجع السابق ص ١٨٠ - ١٨٤ ، وكذا =

## ٢ - القصيدة مديح تحوتمس الثالث

هذه القصيدة وجدت على لوحة بمعبد الكرنك بالاقصر ، ومحفوفة الآن بمتحف القاهرة برقم ٣٤٠١٠ وتحتوى على مديح وجهه الاله نفسه لابنه الفرعون «تحوتمس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، والذي كان يدخل المعبد منتصرا بعد كل غزوة مظفرة ، وتشتمل على مقدمة وخاتمة مكتوبتين بلغة شعرية ، وأما الجزء الاوسط من القصيدة فانه شعر مقفى .

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر اللوحة وترجمتها والتطبيق عليها ومنهم بيير لاکو<sup>(١٦)</sup> ، وجيمس هنرى برستد<sup>(١٧)</sup> ، وأدولف ارمان<sup>(١٨)</sup> ، وجون ويلسون<sup>(١٩)</sup> وفولكنر<sup>(٢٠)</sup> وغيرهم<sup>(٢١)</sup> ، هذا فضلا عن ترجمة المصريين<sup>(٢٢)</sup> ، ونظرا لاهمية هذه القصيدة ، فقد انتطها ثلاثة من ملوك الدولة الحديثة ، وهم أمنحتب الثالث (١٤٠٥ - ١٣٦٧ ق م) و «سيتى الاول» (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق م) و «رعمسيس الثانى» (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م) تقول القصيدة :

«يقول أمون رع ، رب العروش فى الارضين ، تعال الى لتحنى بنورى ، أى بنى ونصيرى «من - خبر - رع» (منخبرج) الباقى أبدا ، اننى أشرق من أجل حبك ، ان قلبى ينشرح بمجيتك الميمون الى معبدى ، ويدأى تمنحك الحمالية والحياة ، ما أرق الشفقة التى تظهرها نحوى ، ولهذا سأثبتك فى معبدى ، وأمنحك الخير كله» .

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 198-201.

وكذا

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 279-284.

وكذا

H. Goedicke, Op-Cit, p. 23-26.

وكذا

A. Erman, Op-Cit, p. 134-137.

وكذا

P. Lacau, Steles du Nouvel empire, I, Cairo, 1909, p. 17-21.

(١٦)

J. H. Breasted, ARE, II, Chicago, 1907, Parag., 655-662.

(١٧)

A. Erman, Op-Cit, p. 254-258.

(١٨)

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 373-375.

(١٩)

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 285-288.

(٢٠)

M. Lichtheim, Op-Cit, II, p. 35-39.

(٢١)

(٢٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٨٥ - ١٨٦ ، أحمد بدوى :

المرجع السابق ص ٤٩٨ - ٥٠١ .

«لقد رزقتك القوة والنصر على أهم الارض جميعا ، ويسطت سلطانك ورهبك في كل بلد ، وجعلت المرعب منك يمتد حتى عهد السماء الاربعة ، ووضعت احترامك في كل جسد ، نداؤك الحربى يمتد بين اقوام الاقواس التسعة ، وجمعت أمراء الارضين جميعا في قبضة يمينك ، ومددت يدي لمقيدتهم جميعا ، سعدت لك الالوف وعشرات الالوف من عصاة الجنوب (اهل القوس) ، ثم مثلت الالوف من أهل الشمال ، وطرحت أعدائك تحت قدميك ، لتهلك منهم العصاة والثائرين ، حتى دان لك أهل المشرق والمغرب في طول البلاد وعرضها ، تستطيع أن تضرب فيها مقتبض القلب حيث تشاء ، دون أن تجد في ربوعها من يعصيك» .

«وأعبرت ماء الفرات الى «النهرين» قويا مظفرا بتأييد من عندي ، يسمعون صيحتك فيلوزون بالكهوف والمخابىء ، على حين كنت أسلب أنوفهم نسمة الحياة ، وألقى في قلوبهم المرعب من بأسك ، وجعلت الصل على جبينك نائرا ياكلهم ، ويحرق بناره أهل المناقع ، ثم يأتى على الخارجين من الاسيويين فيما يبقى ولا يذر ، وهيات لك النصر تتغلغل به في الارض جانعا كل من يشرق عليه نوري من رعيتك وعبيدك ، ولم يبق تحت السماء من يعصيك ، يجيئونك بأمرى مهطمين ، مقنمى رؤوسهم ، يحملون اليك جزى بلادهم ، وأتيت لك بالخارجين على سلطانك صاغرين تلتاع نفوسهم ، وترتضن أبدانهم» .

«ووافيتك مؤيدا لتسحق أمراء «زاهى» (فينيقيا) ، فجعلتهم تحت قدميك ، ثم ألقيت عليك من نوري ما جعلهم يرونك في صورتى ، ووافيتك لتسحق الاسيويين ، فضريت أمراء العامو في أعلى فلسطين ، وأطلقتك عليهم في زينة الحرب ترديهم من فوق ظهر فرسك ، ووافيتك لتسحق المشرق ، ثم سقتك على أرض الآله فأريتهم اياك شهابا رسدا ، ووافيتك لتسحق العرب ، وجعلت أهل «كفيتو» (كريت) و «آشى» (الآشيا = قبرص) تحت سلطانك ، يرون فيك فحلا ظافرا فتيا صحيح القرنين ، لا يخلبه غالب ، ووافيتك لتسحق أهل المناقع والاخوار ، فبكت أهل ميتانى يهترون أمامك رجبا وفرقا ، وأريتهم اياك في صورة تمساح يملأ الماء رجبا ، فلا يدنو منه أحد» .

«ووافيتك لترهب أهل الجزائر في قلب الميم ، تروعهم صيحتك في ساحة  
 الوعى ، وأريتهم اياك كالظافر يصول فوق ظهر غريمه ، ووافيتك لتهلك  
 «التحنو» (الليبيين) و «الاولتقيو» تصرعهم قوتك ، وأريتهم اياك في  
 أقصى الارض ، وجعلت ما يحيط بالاقيانوس في قبضتك ، وأريتهم اياك  
 في صورة «فهد» ثائر يذرع شطرى الوادى ، ووافيتك لتسحق النوبة ،  
 وجعلت بقاعها في يمينك حتى «شك» (مكان غير معروف في النوبة) ،  
 وأريتهم اياك في صورة أخويك (حور وست) ، ووضعت أختيك ( ايزة  
 ونفتيس) خلفك لصمايتك ، على حين أن ذراعى جلالتي كانتا مرفوعتين  
 لتقبضا على كل شر» .

«انى أمدك بحمايتى يا ابنى ، يا أيها الثور القوى الذى يسطم في  
 طيبة ، الذى أنجبته أعشائى الإلهية ، تحوتس المضد أبدا ، الذى عمل  
 لى كل ما تتوق اليه نفسى (كا) ، لقد أقمت لى بيتا ، وهو عمل سيبقى  
 أبدا ، وجعلته أطول وأعرض مما كان عليه من قبل ، والباب العظيم  
 (من خبر رع - أعياد أمون رع) ، ان آثارك أعظم من آثار كل ملك سلف ،  
 اننى راض عنها ، لقد ثبتك على عرش مصر للملايين السنين ، حتى ترعى  
 الاحياء الى أبد الأبدين» (٢٣) .

(٢٣) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٤٩٨ - ٥٠١ ، سليم حسن :  
 المرجع السابق ص ١٨٥ - ١٨٩ ، وكذا

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 286-288.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 35-38.

A. Erman, Op-Cit, p. 254-258.

## ثانيا : من ادب الملاحم

### ملحمة معركة قادش (١٢٨٥ ق م)

بدأ ملوك الاسرة التاسعة عشرة يعملون على استرداد الامبراطورية المصرية المفقودة في آسيا ، ومن ثم فقد بدأ «سيتي الاول» (١٣٠٩ - ١٢٩١ ق م) بحملات ثلاث في فلسطين وسورية ، حتى اذا ما كانت الحملة الاخيرة حدثت المواجهة بينه وبين الحيثيين ، وطبقا لنصوص الكرنك ، فقد كتب لفرعون النصر ، كما حصل على كثير من الاسرى والغنائم ، وأجبر الحيثيين على العودة الى بلادهم .

وهكذا نجح «سيتي الاول» في أن يجعل حدود امبراطوريته تمتد شرقا من نهر الليطاني ، وأن صورومجدو ، وربما بيسان ، قد استمرت كقواعد عسكرية ، وأن الرجل وأن لم يستطع أن يحرز تقدما بعيدا في سورية ، فإنه قد نجح في أن يفرض هيبة النفوذ المصري في كل فلسطين ، وربما في سورية الجنوبية ، وأن يهزم الجيش الحيثي ، وأن يسيطر على اقليم «بنتسينا ، اميرامور ، ومولى الحيثيين» (١) .

ويخلف «رعسيس الثاني» (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م) اياه «سيتي الاول» على عرش الفراعين ، ويبدأ حكمه بأن يوالى الانتصارات التي حققها ابوه في فلسطين ، ثم مدها نحو الشمال ، الى سورية ، التي كان النفوذ الحيثي قد تغلغل فيها منذ أيام العمارنة ، ومن هنا بدأ الصدام بين مصر وخاتى ، وفي العام الخامس من عهد رعسيس الثاني (حوالي عام ١٢٨٥ ق م) حدثت معركة قادش المشهورة ، حيث كتب النصر فيها لفرعون ، بعد أن تعرض لكمين كاد أن يقضى عليه وعلى جيوشه ، ولكنه استطاع بفضل شجاعته النادرة ، أن يحول الهزيمة الى نصر ، وأن كلنت النتائج السياسية للمعركة لم تكن في مستوى النصر العسكري ، ومن ثم

(١) انظر :

R. O. Faulkner, JEA, 33, 1947, p. 37-38.

J. H. Breasted, ARE, III, Parag. 140-141.

فإن كثيرا من الباحثين انما يذهبون الى أن الحدود بين الدولتين بقيت في موقعها عند نهر الكلب في فينيقيا تماما ، كما كانت قبل المعركة<sup>(٣)</sup> .

هذا وقد سجل الفرعون نصره هذا في ملحمة شعرية رائعة ، جعلته من تروم الحرب ، وأبطال المعارك ، وان نسبت خطأ الى كاتبها «بنتاؤر» الذي لم يقل شيئا سوى تدوينها ، وهكذا أعطت الايام لـ «بنتاؤر» ما ليس من حقه ، بينما أخذت الايام شاعر الملحمة الاصيل ، فبقي محجوبا عن عيون التاريخ حتى اليوم .

هذا وقد سجلت قصيدة معركة قادش هذه ، على سبع واجهات وجدران مختلفة ، منها بوابة معبد الاقصر ، والجدران الجنوبي والشرقي لردفة المعبد ، والحائط الخارجى من الجدار الغربى لردفة أمنتب الثالث من نفس المعبد ، والجدار الخارجى لقاعة المعبد العظيمة بالكرنك ، وكذا على الجدار الخارجى من البوابتين التاسعة والعاشره من معبد الكرنك ، وعلى الجدار الشمالى الغربى لمعبد رعمسيس الثانى فى أبيدوس ، وعلى البوابة الثامنة لمعبد الرمسيوم فى طيبة الغربيه ، كما رسمت المعركة بتفاصيلها فى الصالة الاولى من معبد أبو سمبل على الجدار الايمن<sup>(٤)</sup> .

هذا وقد اهتم بهذه القصيدة كثير من العلماء ، فقاموا بنشرها وترجمتها ، والتعليق عليها ، ولعل من أهمهم كوينتر<sup>(٥)</sup> وسليم حسن<sup>(٦)</sup> .

(٢) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس الثالث ص ٧٤ - ٩٣ .

وكذا A. H. Gardiner, The Kadesh Inscriptions of Rameses, II, Oxford, 1960, p. 7-9.

H. Goedicke, JEA, 52, 1966, p. 72-92.

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 38-39.

J. H. Breasted, A History of Egypt, p. 423-441.

A. Bum, JEA, 7, 1921, p. 5-7.

(٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٦٨/٢ ، ولعل من الجدير بالإشارة أن هناك نصا للملحمة على بردية اقتسمها متحف اللوفر والمتحف البريطانى ، وما زالت محفوظة بهما .

(٤) C. Kuentz, la Bataille de Qadech, Memoires de L'Institut Francais d'Archeologie Orientale, Vol. 55, (Cairo, 1928-1934).

S. Hassan, Le Poeme did de Pentaour et la rapport officiel (٥)



وكثشن<sup>(٧)</sup> وبرستد<sup>(٨)</sup> وويلسون<sup>(٩)</sup> وفولكنر<sup>(١٠)</sup> وجاردنر<sup>(١١)</sup> وبران<sup>(١٢)</sup>  
 وآلت<sup>(١٣)</sup> وايدل<sup>(١٤)</sup> وشولمان<sup>(١٥)</sup> وجدكه<sup>(١٦)</sup> ، هذا الى جانب عدة  
 ترجمات عربية<sup>(١٧)</sup> .

وفي الواقع فلقد سجل شاعر الفرعون ، الذى لا نعرفه على وجه  
 اليقين ، أخبار معركة قادش في ملحمة شعرية رائعة ، أشاد فيها بشجاعة  
 الفرعون وبأسه ، وببطولته الفذة ، ثم بصبره وثباته وحسن بلائه ،  
 فصوره لنا في ساعة الكرب ، وقد اندفع في صفوف العدو ، حتى اذا  
 ما توسطها أو كاد ، أحاطت به عجالات الحرب ، يعلوها فوارس الأعداء  
 من كل قرم ، وهنا يترك الشاعر فرعون يتحدث عن نفسه فيقول : «ولم  
 يكن معى أمير ولا فارس ولا راجل ، فلقد تولى عنى فرسانى ورجالتى ،  
 وتركونى نهبا للعدو ، اذ لم يستطع واحد منهم أن يثبت لضرباته .»

وقد أرخت الملحمة : «السنة الخامسة ، الشهر الثالث من فصل  
 الصيف ، اليوم التاسع من عهد جلالة الملك رع دار أختى ، الثور القوى،»

sur la Bataille de Qadesh, Cairo, 1929 .

K. A. Kitchen, *Ramesseid Inscriptions, Historical and Biographical*, Oxford, 1969, II, p. 2-124 (٦)

J. H. Breasted, *ARE*, III, Chicago, 1907 (Reprint N.Y., 1962).  
 Parag. 298-327. (٧)

J. A. Wilson, *AJSL*, 43, 1927, p. 266-287. (٨)

R. O. Faulkner, *MDIK*, 16, 1958, pp. 93-111. (٩)

A. H. Gardiner, *The Kadesh Inscriptions of Ramess, II*, Oxford, (١٠)  
 1960.

A. H. Burne, *JEA*, 7, 1921, p. 191-195. (١١)

A. Alt, *ZDPV*, 55, 1932, p. 1-25, 66, 1943, p. 1-20. (١٢)

E. Edel, *ZA*, 15, 1949, p. 195-212, *AEO*, I, 188-189. (١٣)

A. R. Schulman, *JARCE*, I, 1962, p. 47-53. (١٤)

H. Goodicke, *JEA*, 52, 1966, p. 71-80. (١٥)

M. Lichtheim, *Op-Cit*, II, p. 57-70 وكذا

(١٦) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٨٦٠ - ٨٧٥ ، سليم حسن :

المرجع السابق ص ١٩٢ - ٢١٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص

٢٢٩ - ٢٣٢ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٦٨ - ٢٦٩ .

محبوب معلت ، ملك مصر العليا والسفلى ، وسر ماع رع ، ستب ان رع ،  
ابن رع ، رعسيس ، محبوب أمون ، معطى الحياة أبدا ، والان كان  
جلالته في زاهى في حملة نصره الثانية ٠٠٠» .

وأما القصيدة فتبدأ كالتالى :

«بداية انتصارات ملك مصر العليا والسفلى ، وسر ماع رع ، ستب  
ان رع ، ابن رع ، رعسيس ، محبوب أمون ، معطى الحياة أبدا ، التى  
أحرزها على بلاد خاتى ، ونهرين ، وبلاد أرزاوا وبداسا ، ودردى ،  
وبلاد ماسا ، وبلاد كلركيشا ولوكا ، وقرقميش وكدى وبلاد قادش ،  
وبلاد أوجاريت وهوشلنت» .

«لو كان جلالته شابا يافعا نشيطا لا نظير له ، قوى الذراعين ، جسور  
القلب ، قويا كهونتو في وقته ، كامل كآنوم ، يعم السرور عند رؤية بهائه ،  
عظيم الانتصارات على كل البلاد ، لا يؤسر في القتال ، جدار قوى حول  
جنوده ، ودرعهم في يوم المعركة ، رام لا نظير له » وقوته تفوق الكثيرين ،  
وهو الزاحف قدما ٠٠٠»

وتستمر القصيدة في وصف المعركة ، ولعل من أروع أجزائها أن يكون  
وصف الشاعر لموقف رعسيس الثانى في محنته الكبرى ، عندما أحاطت  
به قوات العدو ، فأخذ يستنيث بأبيه وربيه «أمون» ، ويطلب منه العون ،  
ولما استبطلت معونته ضالقت نفسه ، وأخذ ينلجيه معاتبا اياه ، عتابا يصور  
ما في نفسه المتاعاة من صراحة وإيمان .

«وقلم جلالته مثل هونتو ، واندفع وسط المجد ٠٠٠ الحيثيين  
الادنياء ٠٠٠ وكان وهيدا ، ولم يكن معه أحد ، والفتت الملك خلفه ،  
فوجد حوله ٢٥٠٠ عجلة حربية ، وكل جيسوش الحيثيين الادنياء بكل  
حلفائهم ٠٠٠ ولم يكن معى أحد من قوادى ، بينما كان كل ثلاثة منهم  
على عجلة معا ، لم تكن معى عجلة واحدة ، أو راكب عجلة » أو ضابط  
من الجيش أو خييل ، فسالت أمون ربى : ما معنى هذا يا أبى أمون ؟ هل  
من شأن الوالد أن يتخطى عن ولده ، هل أتيت أمرا من وراء علمك ، ألم

أمش وأقف بوحى من ارادتك ، وطبقا لأوامرك ، ما أجل رب مصر العظيم ، حين يسمح للجانب أن يقتربوا من حماه ، ما الذى غير نفسك يا أمون ، وما قيمة هؤلاء الا الجانب يا أمون ، وهم يكفرون بالرب !! • «أو لم أقم لك الآثار الكثيرة ، وأملا معابدك بالعبيد والامه ، انى بنيت لك البيت العظيم الخالد ، ونحرت لك فيه عشرات الالوف من الاضحيات، وتركت الفلك تجرى بأمرك ، ووضعت بين يديك الكوز الكثيرة ، اننى ادعوك واستتصررك أبى أمون ، وأنا بين اجانب كثيرين لا أعرفهم ، وقد تصافرت الاقطار الاجنبية ضدى ، وأصبحت وحيدا وما من أحد حولى • أنا حارس نفسى وليس معى أحد ، تركنى جنودى الكثيرون ، ولم يلبثت الى واحد من خيالى ، أنادى على عرباتى ورجالى فلا يرد واحد على ندائى ، فدعوتك أنت ربى يا أمون ، مؤمنا بأنك أجدى على من ملايين المشاة ومن مئات الالوف من الفرسان ، ألا انى أدعوك يا أمون من تلك البقاع النائية ، مؤمنا بأن دعائى سوف يبلغك فى طيبة» •

ويستجيب أمون الى دعوات ابنه رعسيس ، ويسمع الملك صوت أمون ، وهو يهتف به ملييا ، أمرا آياه أن «أقدم ، والى لأبوك ، وانى لأكثر نفعا لك من مئات الالوف من الرجال ، أنا رب النصر الذى يحب الشجاعة» ، ويتشجع الفرعون عندما يحس أن ربه أمون معه يدفعه الى الجهاد ، فينشط على جماعات كثيرة من الاعداء ، ويبنى شجاعة خارقة فى تلك اللحظات العصيبة ، ويستطيع أن ينقذ نفسه من هذا المأزق الخطير، الذى وضعه فيه ملك الحيثيين وجنده ، عندما أحاطوا به من كل جانب ، فى وقت تفرق عنه جنوده وتركوه وحيدا فى ساحة الوغى •

وقد تمثل عون أمون لولده الفرعون فى فرقة «نحرين» الذين أتوا عن طريق أرض أمور ، واقتحموا الميدان ، وكانت قلوبهم واثقة من قسوة الفرعون «لوكان هو لهم كجدار من النحاس ، وكجدار من الحديد» ، وشدد فرعون هجومه ، فلم يجد أعداء أمامهم سوى النهر ، وألقوا أنفسهم اليه ، وغرق بعضهم فيه ، والى هذه اللحظات العصيبة يشير رعسيس بقوله : «هناك وجدت نفسى ، ففاضت نفسى غبطة وسرورا ،

وأخست أننى قادر على الجهاد ، فخدوت مثل اله الحرب موتو ، وأخذت أرمى باليمين ■ وأضرب بالشمال ، كأننى «بعل» فى ثورته ، وبحث لى الخمسمائة ألفا (٢٥٠٠) عجلة من عجلات الحرب التى أحاطت بهى ، وكأنها حطام عديم الخطر ألام خيلى ، وأولئك أعدائى قد أصبحوا عاجزين فلا يستطيعون حربا ، لقد وهنت نفوسهم ، وكلت أيديهم ، فما يستطيعون أن يطلقوا سهامهم ، أو يذفوا رماحهم ، فدفعتهم الى اليم يغوصون فيه كالتماسيح ، بعد أن كجكوا على وجوههم ، فاضطربوا وأخذ بعضهم يموج فى بعض ، وأخذت أتصيد من جسمهم كيف أشاء ، ووقف الملك الحيثى ينظر ذلك ؛! ، فاستدعى كل قواده وأحلافه ، واتجهت نحوهم أسرع من النار ، وحملت عليهم مثل موتو وأذقتهم طعم يدى فى لحظة ، وكان الواحد منهم يصيح لآخيه ، ما هذا بشرا ، ان هذا الا «سوتخ» انه بمل مجسدا ، وانه لذو قوة طاغية ، وفعاله لا تتفق لبشر ، الا فلننقذ أنفسنا ، وننجوا بحياتنا ، الا تبون كيف يأخذ الشلل أبدان من يقتربون منه»

«وانطلق وراءهم وكاد يقتلهم ، وكان يصيح بالجند وراكبى العجلات الا فلتثبتوا ، ولتثبت قلوبكم ، أى جندى وعرباتى ، أنا وحدى ، وأمون سدى ، وتحدث «مننا» الى جلالته يمدح شجاعته ، ويثبت الملك قلب «مننا» قائد عربته ، وهو يقول : ماذا فى قلبك عن هؤلاء الاسيويين ؟ سوف أذبهم وألقى بهم فى الرغام ، أقسم بأمون انهم أشرار ، لانهم ينكرون الاله (الله) الذى سوف لا يضىء وجهه على ملايين منهم ، واخترق الملك صفوف العدو ست مرات ، وكان يذبهم ، ولم يفلت من أراد قتله منهم» .

وهنا أقبل جند الفعون ، وأخذوا يعفون بركبته ، هناك خاطبهم بأغلظ القول ، ووجهه اليهم أعنف اللوم ، لما كان من انصرافهم عنه وانفضاضهم من حوله ، وه حاولا فى الوقت نفسه أن يستفزهم الى حسن البلاء ، أنظر اليه اذ يقول متصرا : «من هم اذا عظمائى وفروسائى ورجالتى الذين يعرفون القتل ؟ أوليس يجدر بالرجل أن يسعى الى المجد ليلقاه جزاء ما ييدى بين يدى سيده من شجاعة ، فيغدو بذلك طيب السيرة

لانه قاتل بما في وسعه من شدة وبأس ، ولان الشجاعة حلية الرجل منذ القدم ، كانى لم اعمل صلاحا ترضونه ، حتى نبذتمونى وحيدا بين جموع البدو ، وكانكم استهرا تم طيبات الحياة أو استمتعتم بنعيمها من دونى ، الا ترون انى سباجكم القوى ؟ لسوف يتحدث الناس بترككم اياى وحيدا لا يؤنسنى رفيق ، ولا يؤيدنى محارب ، ولكنى حاربت الملايين من الاجانب وحيدا ، لا املك غير فرسى ، وسائق ركابى ، ومن كانوا فى معيتى من خدام قصرى» .

ثم يتعمد الفرعون أن يذكرهم بما وفره لهم فى مصر من مآثر طيبة ، ومعاملة حسنة ، ثم كيف قربهم اليه وأحبهم ، وقال لهم : «لعله ما من أحد منكم الا أسديت له فضلا فى وطنى ، اذكروا انكم كنتم فقراء فأغنيتكم ، بأفضالى المستمرة ، وأثمت الابن منكم على أملاك أبيه ، وحرصت على أن أبعد كل شر عن مصر ، وتجاوزت عن ضرائبكم ، ولم يحدث أن اغتصب أحد شيئا منكم ، وكل من أعلن منكم شكايته زكيتة تاما ، تذكروا أنه ما من مولى قدم لجنوده ما قمت به لارضائكم ، فقد سمحت لكم بالاستقرار فى بيوتكم ومدنكم ، كلما أعفيتهم من القيام بمهام الجيش ، وهكذا كان شأن خيالىتى يسرت لهم السبل الى قراهم» . ثم يقول : ما أنتم اولاء سوف تعودون عودة تسة ، كلكم جميعا لا يعود أحد منكم ، فيقف ليمد يده الى ٥٥٥ لقد كنت أحارب ، وأقسم على ذلك بـ «كا» أبى أمون ، الذى عاد فرأى لوقى مصر ، كما كان أبائى من قبل ، أولئك الذين لم يرو السوريين ٥٥٥» ثم يختم حديثه بقوله : «انى حاربت وحدى ملايين البشر ، لا املك غير فرسى هذين (النصر فى طيبة - والالهة موت) ، وانى لجاعل علفهما بين يدي وتحت عيني ، عندما اعود الى طيبة ، وذاكر منا سائق عجلتى ، لانه بقى الى جليى مع خدم قصرى ، كل هؤلاء شاهدوا الواقعة ممي ، تأمل : لقد وجدت أنهم أظهروا لجلالتي الشجاعة والنصر ، بعد أن خذلت بساعدى القوى مئات الالوف مجتمعين معا» .

وفى اليوم التالى يوالى رعسيس وجنده هجعتهم على الحيثين ، (ولما انفلق الصبح واصلت الحرب ، وكنت مستعدا للمعركة مثل الثور

البيظ المتأهب للفرار ، وقد ظهرت عليهم وكأني «مونتو» ، ومعى محاربون أقوياء ، وقد اخترقت وسط المعمة مثل الصقر عند انقضاضه على الفريسة ، والصل الملكي على جبهتي ينسف النار في وجه أعدائي ، وأما أنا فكنت مثل «رع» عندما يشرق في الصباح ، فكنت أشعنى تحرق أوصال العدو ، وكان الواحد منهم ينادى الآخر : خذوا حفركم ، اجمعوا أنفسكم ، تأملوا فإن «سخت» معى على جواذيه ، فإذا اقترب منه أحد ، فإن لهيب النار يمتد إليه ويحرقه» .

ويرسل ملك الحيثيين الى فرعون قائلاً : «إنك راع حار أختى ، وأنت سوتخ العظيم البطش بن فوت ، وإن «بعل» فى أوصالك ، والفزع سرى منك الى أرض خاتى ، وقد كسر الى الأبد ظهر أمير خاتى» ، ثم يرسل ملك الحيثيين رسوله يستعطف فرعون بعبارات لا تخلو من ألم ومذلة : «هل من الخير أن تبطش بمبيدك ، ووجهك الكريم يلحظهم دون أن ترحم ، تذكر ما فعلته بالأمس حين قتلت منا مئات الألوف ، أتأتى اليوم أيضا ، ولا تبقى من رجالنا باقية ، لا تكن قاسيا فى حكمك أيها الملك الهمام ، فالسلام خير من الحرب» ، «هناك فاض قلب فرعون اشفاقا ورحمة ، ولكنه قبل أن يقبل ضراعة العدو ، أراد أن يعرف رأى رجاله ، الذين أجابوه فى صوت واحد : الصلح خير عظيم ، وليس فى السلام من بأس ، ان أنفذته ، ومن الذى لا يهاب يوم نقتلك» ، وسرعان ما غلبت على الفرعون سماحة المصرى ، «فأذن فرعون بالاستجابة الى دعاء العدو ، وبسط يديه من أجل السلام ، وقفل راجعا مع جنوده فى أمان الى أرض مصر» .

«ووصل سالما الى «بيت رع» عيسى عظيم الانتصارات» (العاصمة قنتير) ، ومكث فى قصره ممتلئا حياة مثل «رع» على عرشه ، وقد رحبت الآلهة بحضوره قائلين : مرحبا ببنينا المحبوب ، رع عيسى محبوب آمون» ، ثم منحوه آلاف آلاف الاعياد والخلود على عرش والده «أتوم» وكل البلاد والأراضى الأجنبية أصبحت تحت قدميه» (١٧) .

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٨٦٨ - ٨٧٤ ، سليم حسن :

بقيت الاشارة الى أن هناك بعضا من الباحثين انما يتهمون الفرعون بالمبالغة في وصفه لمحوره في معركة قادش هذه بل ان هناك آخرين يذهبون الى أبعد من ذلك ، حيث يرون أن الفرعون لم يحقق نصرا في معركة هذه .

وأما أن هناك مبالغة في وصف دور الفرعون ، فنحن لا نبرأ النص من ذلك ، وأما أن الفرعون لم يحقق نصرا في معركة قادش هذه ، فتلك مبالغة من الذين يتهمون الفرعون بالمبالغة ، ذلك لان نصر الفرعون في المعركة انما هو حقيقة ، لا ريب فيها ، وأن هناك عوامل كثيرة من وراء نصر الفرعون ، منها :

أولا : تباطؤ جيش الحيثيين ، وانهمالهم في جمع الاسلاب والغنائم من هيلق رع .

ثانيا : وصول فرقة «نعرين» الى ميدان المعركة في الوقت المناسب .

ثالثا : شخصية الملكين - المصري والحيثي - كقائدين .

والرأى عندي أن أهم الاسباب جميعا ، انما كانت شخصية الفرعون الشاب - والذي لم يكن قد تجاوز الخامسة والعشرين من عمره بالكاد ، ان لم يكن قد وصلها - فلقد لعبت شجاعة رعمسيس الثاني النادرة ، وصموده أمام أعدائه ، واستبساله في القتال قبل وصول فرقة نعرين ، الدور الاساسي والحاسم في النصر .

والا فخيرنى بربك : ماذا ستكون فائدة قوة فرقة نعرين ، لو أن الفرعون الشاب قد تخاذل عن القتال - كما فعل كثير من جنده - ومن

---

المرجع السابق ص ٢٠١ - ٢١٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٣١ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٢٦٨ - ٢٦٩ ، وكذا

H. Goedicke, Op-Cit, p. 71-80.

J. A. Wilson, Op-Cit, p. 266-287.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 62.

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 93-111.

A. H. Burne, Op-Cit, p. 191-195.

هنا ملفتنى أميل الى أن موقف رعمسيس الثانى ، التاجر الشجاعة ، إنما  
كن العامل الاول والحاسم فى احراز النصر ، وأما الملك الحيثى ، فلم  
يكن كفؤا لإدارة المعركة ، يبدو ذلك واضحا ، عندما نراه يقف عاجزا ،  
دون أن يرسل مشاته ، بعد أن قضت عجالاته على فيلق رع ، نتيجة الكمين  
الذى أحكم تدبيره ، بل وكاد أن ينشر الرعب فى قلوب المصريين ، وأن  
يشيع روح الهزيمة بينهم ، وأن يجعل الفرعون محصورا بين جنود  
الحيثيين .

وقد نلتش الميجر «برن» ذلك ، وخلص منه الى أنه ربما كانت مفاضة  
«تسبتونا» (التى أعد الكمين فيها للقضاء على الجيش المصرى) أعمق مما  
يجب على المشاة ، وأن الملك الحيثى لم يستطع أن يقنع مشاته بحورها ،  
وربما كان الرجل يفقد تلك الهبة فى القائد ، فضلا عن الحزم وحسن  
التصرف فى اللحظات الحاسمة ، ومن ثم فإن فرقة خيالاته التى كثر عددها  
قد اختلفت فى غبار التراب ، وأصبح الموقف مظلما ، وضاع النصر ، ومع  
ذلك كله ، وكما أشرنا من قبل ، فإن النتائج السياسية لم تكن فى مستوى  
النصر العسكري ، حتى أن الحدود بين الدولتين بقيت فى مكانها عند نهر  
الكلب فى مينيقيتا تماما ، كما كانت قبل المعركة ، وعلى أية حال ، فإن  
الفرعون ظلما أرجع النصر الى عون ربه آمون أولا ، ثم الى شجاعته  
وجهده الشخصى ثانيا (١٨) .

(١٨) محمد بيومى مهران : مصر والعالم الخارجى فى عصر رعمسيس  
الثالث ص ٨٤ - ٩١ ، وكذا

A. Burn, JEA, 7, 1921, p. 194-195, The Art of War on Land,  
p. 36-47.

A. Gotz, LDZ, 32, 1929, p. 832-838.

J. Kuentz, BIFAO, 55, p. 14.

F. Daumas, La Civilisation de L'Egypte Pharaonique, Paris,  
1965, p. 409.

A. Weigall, Op-Cit, p. 157-159.

وانظر عن «تعرين»

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, p. 263.

J. A. Wilson, ANET, p. 256.

H. Goedicke, Op-Cit, p. 79-80.

A. Burn, Op-Cit, p. 194.



اولا : اغاني الغزل

عرف المصريون القدامى على أيام الدولة الحديثة (١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق.م) لونا من الادب يتمثل في أغاني الحب التي يتغزل فيها الحبيب بمحبوبته ، غزلا ساخجا مرسلا ، خاليا من التكلف والصنعة ، وعلى أية حال ، فلدينا مجموعات كاملة من قصائد الحب ، ورغم قلتها - بالنسبة الى غيرها من فنون الادب الاخرى - فانها تبين فيما يرى بعض الباحثين (١) ، أن شعر الغزل قد وصل الى شكل رجا يدل على ممارسة ، ليست ، على أية حال ، قصيرة ، كما يشير الى ذلك ، اختيار اللفظ وتكوين العبارة ، واذا قارنا لغة الشعر بلغة النثر ، لوجدنا أن الاولى ، انما تتميز على الثانية برقة اللفظ وموسيقيته وانسجامه ، وأما الصورة الشعرية فربما قد وصلت الى مستوى قريب مما وصلت اليه الصورة في الشعر الحديث غير المقفى ، وليس من المستبعد أن ذلك للشعر ، بما فيه من قوة المعنى وجمال الاسلوب وصدق التعبير ، انما كان يؤثر في عواطف السامعين ويشجيهم ، عندما يسمعونه غناء يوقع المغمنون والجواري أنغامه على أوتار العود ، وأى نغم تشجى النفوس ، وتحرك فيها العواطف ، أقوى من تلك النغم التي يطنها الرجل الذي يطنه الحب ، خياتمس منها شفاء الروح في عيني حبيبه ، ويستقطر الدواء من شفيتها ، وأى وصف أجمل وأوفى من ذلك الذي يخلعه الحبيب على من يحب ، فهو يجد في طلعتها طلعة الزهراء في باكورة العام السميد ، تضىء باشراتها دنياه ، وتجعلها جميلة وضاءة ، ويرى الجمال في عينيها ينبعث منها كلما مدت الطرف اليه ، ويرى الحلاوة في شفيتها سيالة بكلماتها العذاب اللطاف ، وهى - الى كل ما ذكر من محاسنها - طويلة الجيد ، ناعمة الثدي ، سوداء الشعر ، يلمع سواده في عينيه فيبهره ، وعلى ذراعها طلاوة تفوق

(١) منير مجلى : الجزيرة المسحورة - نصوص من الادب المصرى القديم ص ٢٢

طلاوة الذهب<sup>(٣)</sup> ، ثقيلة الردف ، دقيقة الخصر ، في سلقها جمال يزيدما  
رشفة ، كلما تهادت على الارض<sup>(٤)</sup> .

وهناك مجموعة من أشعار الصب مكتوبة على بردية هيراطيقية من  
عصر الاسرة التاسعة عشرة (١٣٠٩ - ١١٨٤ ق م) ، وهي محفوظة الآن  
بالمتحف البريطاني برقم ١٠٠٦٠ ، وتعرف عند العلماء باسم « بردية  
هاريس رقم ٥٠٠ »<sup>(٥)</sup> ، وان كان البعض يفضل تسميتها باسم «مجموعة  
منف» لذكر اسم المدينة فيها ، وعنوانها «بداية الاغنى الجميلة لصبيتك  
التي يحبها قلبك والتي تأتي اليك من المرح» ، وتتحدث فيها الفتاة التي  
وقعت في الصب عن الطائر والشرك والطعم والعبير والتعويذة وصيحات  
الطير والطيب الذي يحمله في مخالبه<sup>(٥)</sup> . الخ ، هذا وقد تعرض كثير  
من الباحثين لاغنى الصب ، نشرا وترجمة وتعليقا<sup>(٦)</sup> .

(٢) كان ذلك اللون القمعي الفاتح هو لون النساء في مصر الفرعونية ،  
وهو ما يزال كذلك بين سكان الريف حتى اليوم - وخاصة في الصعيد - ولولا  
الذي أدخل على دماء المصريين من مختلف الشعوب التي صاهرتهم منذ  
نهاية العصور الفرعونية ، لاستطاع القوم أن يحتفظوا باللون بشرتهم  
القديمة التي تبدو لنا في صور القبور ورسومها ، ولم ير الشاعر المصري  
طلاوة يكسو بها جمال ما يبدو من لون بشرة العبيب خيرا من لون الذهب  
(أحمد بدوي : المرجع السابق ص ٩٢٩ ، هامش ٢) .

(٣) أحمد بدوي : المرجع السابق ص ٩٢٨ - ٩٢٩ .

(٤) انظر : منير مجلى : المرجع السابق ص ٢٧ - ٤٨ ، وكذا

A. Erman, LAE, 1927, p. 244-246.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 189-192.

(٥) منير مجلى : المرجع السابق ص ٢٣ ، ٢٧ .

E. F. Wente, in JNES, 21, 1962, p. 118-128. (٦)

H. Briner, JNES, 25, p. 130-131. وكذا

M. Lichtheim, in JNES, 4, 1945, p. 178-212. وكذا

W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, وكذا  
1977, p. 296-326.

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976, وكذا  
Vol. II, p. 179-193.

E. Schot, Altägyptische Liebeslieder, Zunch, 1950, p. 39-69. وكذا

P. Gilliert, La Poesie égyptienne, Brussels, 1949, p. 42-79. وكذا

هذا الى جانب عدة ترجمات عربية للاستاذة : سليم حسن وأحمد بدوي  
وأحمد فخرى ونجيب ميخائيل وعبد العزيز صالح وعبد الحميد زايد ومنير  
مجلى وغيرهم .

١ - ومن أغاني هذه المجموعة :

حبيبي قلبي يتمنى حبك  
وكل ما تفكر فيه هو لك  
انظر ماذا فعلت  
جئت اصطاد بشرك في يدي  
تهبط طيور بونت سملة بالطيب في مصر  
وأول طائر يهبط يأكل طعمي  
وأظافره فيها عبير  
لكم أود أن نطلقها معا  
وحيدة أنا بجوارك  
حتى تسمع صيحات طائري المعطر  
كم يحلو لي أن تكون معي وأنا أنصب الشرك  
فما أطيب الذهاب للعرج مع المحبوب  
سأسحب شبلكي وأعود ، ولكن ماذا أقول لأمي  
وكل مساء أعود اليها محملة بالطيور  
لسوف تقول لي : ماذا ألم تنصبي اليوم أي شرك ؟  
آه أدار حبك رأسي  
أوز البري يطير ويهبط جميعا  
وماهي الطيور ، ولكنها لا تهمني  
فلدي حبك ، لي أنا وحدي  
وقلبي يوائم قلبك تماما ولن أبعد عن جمالك  
يا حبيبي يتوقف قلبي في الكعك اللذيذ أمامي  
ولكن مذاقه كاللح في فمي  
الشراب الذي كان حلوا له الآن طعم مرارة الطير  
عبير أنفاسك ، هو ما يحيي قلبي  
يا أجمل كل الناس كم أود أن أشاركك بيتك  
زوجة لك ، كي تضع علي ذراعي ذراعك  
ولكنك أدرت عنى حبك

أقول لقلبي بداخلي  
غلب غنى حبيبي هذه الليلة  
وأصبحت كمن في القبر  
أنت الصحة والحياة  
ألا تأتي الي ومعك الفرح ، ألا تهلك صحة قلبي  
أظل على باب دارى أنظر ، آيات حبيبي الي  
عيناى على الحاريق وأذناى تسمع  
حب حبيبي لى هو همى الوحيد  
وقلبي معه لا يسكت  
ها هو ذا يبعث لى رسولا ،  
يجىء ويمضى مهرولا ليقول أصابنى مكروه  
قل أنك وجدت حبيبة أخرى  
لماذا تجعل قلب امرأة أخرى يتألم وأموت أنا  
ويسترجع قلبي حبك ، وينصف شعري مصف  
أمرع لأبحث عنك لا يهمنى تصفيف شعري  
لسوف أصفه ان كنت ماتزال حيا  
حتى أكون على استعداد لك ، فى أى وقت

٢ - ومن أغاني هذه المجموعة :

تسعد قلبي فأفعل بى ما تريد  
حينما أكون بين ذراعيك  
حبيبي دواء عيني ، رؤياك نور عيني  
أسكن بجوارك هادئة لانى أرى حبك  
يا من تسكن قلبي ، يا أعظم الرجال  
يا لهناء ساعتى التى أرتاح فيها معك  
آه لو دامت الساعة الدهر كله  
أنت حياة قلبي ، ولكنى حزينة فقد يهجرنى  
أنا حبيبتك الاولى ، حديقتك  
زرعت فيها الزهور والنباتات ذات العبير

يصفو جدولها الذى حفرتة يداك  
 حين تهب ربيع الشمال المنعشة فهو المكان الجميل  
 الذى أقتزه فيه ، وطفى يدي يدك  
 جسدى مستريح وقلبي منتعش  
 عندما نسير معا عذب أن أصغى لصوتك  
 وأنا أحيأ لاني أسمعه  
 عندما أراك كل نظرة  
 أطيب لى من أى طعام أو شراب  
 عندما تعود منتشيا وتنام على سريرك  
 أمسح قدميك ، فالصحة والحياة عندهما ترجع  
 وهناك مقطوعة غزلية جاءت على (بردية شستر بيتى الاولى) بيتنزل  
 فيها لغتى بفتاة فيقول :

حبيبتى درة فريدة لا مثيل لها فى حسنها  
 هى أكثر جمالا من كل النساء  
 انها كنجمة الزهراء فى مطلع العام السعيد  
 ضياؤها ساطع وبشرتها وضاعة  
 جميلة المينين حين تنتظر ، عذبة الشفة حين تتحدث  
 تتكلم على شفيتها الكلمات المخرصة  
 طويلة العنق ، جميلة الثديين ، شعرها أسود فاهم  
 فراعاما أبدع من الذهب فى طلاوته  
 أصابعها مثل براعم اللوتس  
 ثقيلة الازداف ، نحيلة الخصر  
 ينبىء ساقاها عن جمالها  
 ما أرشق قدما عندما تسير  
 سلبت قلبي مع قبالتها  
 انها تجعل أعناق الرجال تتثنى  
 مستديرة نحوها عند رؤيتها

ما أسعد من يلثم لهاها ، انه يصبح أقوى من غيره (٧)

وهناك أغنية جاءت على «أوستراكا» في متحف القاهرة ، برقمه ٢٥٢١٨  
يتناجى فيها فتى وفتاة ، حيث تقول الفتاة له «ياأخى» ، وهو يناجيه  
بـ «يا أختى» (٨) ، ويبيث كل منهما الآخر ما يعتدل في نفسه من شوق ،  
وما يلاقيه من أوعة ، حتى يحين وعد الزواج .

وقد جاء في هذه الاغنية :

تقول الفتاة :

«أخى : انه لجميل أن أذهب الى البحيرة لاستحم أمامك ، حتى ترى  
مفاتنى في ثوبى الكتانى الجميل » وهو مبتل ملتصق بجسدى ، أنزل معك  
الى الماء ، ثم أعود اليك بسمكة حمراء وقد استقرت جميلة بين أسنابى ،  
تعالى وانظر الى»

ويجيب الفتى :

«هناك على الشاطئ الاخر حب اختى (حبيبتى) ، وبينى وبينها الماء  
وتمساح على الشاطئ الاخر ، ولكنى حين أنزل ، فان قلبى تملؤه الشجاعة  
وإذا الماء أرض لقدسى ، فحبها يقوينى ، هى تعويذة سحر لى فى الماء»

«عندما أرى حبيبتى قادمة ، تنفتح ذراعى لاحتضانها ، ويفرح قلبى  
فى مكانه مثل ... عندما تأتى سيدتى الى ، وعندما أعانقها ، وتفتح لى

---

A. H. Gardiner, The Chester Beatty Papyri, No. 1, p. 227-228. (٧)  
Miriam Lichtheim, Op-Cit, P. 182.

(٨) كان المصريون القدامى يطلقون على الزوجة فى لغتهم - فضلا  
عن «حمة» و «ست حمة» - لفظ «الاخت» أى «سنة» أو (سونة) (ولعلها  
تشبه اللفظ العربى صنو) ، وكان ذلك نوعا من التعبير عن المحبة والاعزاز  
للزوجة ، وكان الزوج يوصف بالنسبة لزوجته «هى» بمعنى «البعل» ،  
و «نبت» أى ولى الامر ، و «سن» أى أخ ، وكانت الانثى بالنسبة لزوجها  
«رحمه» أى حرمه ، و «مره» أى حبيبة و «سنة أو سونة» أى أخت ، وإذا  
تحدث الناس عنها قالوا «نبت بر» ، بمعنى سيده البيت (عبد العزيز  
صالح : الاسرة فى المجتمع المصرى القديم ص ٦)

ذراعيها ، أحس كأننى فى «بونت» محاطا بالمطور ، وعندما أقبليها وقتفرج  
سفتها ، انثنى بلا شراب ، وددت لو كنت جارية بين يديها ، حتى أرى  
لون جسدها كله ، أيتنى كنت غاسل ثيابها ، لاغسل العطر الذى فى ثيابها ،  
وددت لو كتبت خاتما فى أصبعها .» (٩)

وأخيرا هذه القصيدة من أغانى الغزل :

«سبعة أيام حتى أمس لم أر فيها أفئى (حببتي)»  
«تملكنى اللداء ، وثقلت أطرافى ، وصرت أنسى نفسى»  
«إذا عادنى مهرة الاطباء لا يرتاح قلبى الى علاجهم»  
«إذا عادنى مهرة السحرة فمرضى لا يستجيب لسحرهم»  
«ان ما يحيينى هو أن يقولوا لى : انها هنا فاسمها هو منقذى»  
«ان رسولها يأتى ويذهب ، لينعش قلبى»  
«أختى أنفع لى من كل علاج ، انها أنفع لى من كل دواء»  
«ان حضورها لى هو تعويدتى»  
«لو نظرت لى أفسر جسمى ، واشتد ساعدى»  
«لحديثها يقوينى ، وحسنها ينعشنى»  
«ولكنها مضت منذ سبعة أيام» (١٠) .

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 193.

A. Erman, Op-Cit, p. 243-244.

W. M. Muller, Liebesposie der alten Aegypten, Leipzig, 1899.

(١٠) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٣٤ ، أحمد فخرى :

المرجع السابق ص ٤٢٦ ، وكذا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 185.

## ثانيا - الغناء

### اغنية الضارب على العود

توجد لدينا نسخة من هذه الاغنية محفوظة في «بردية هاريس رقم ٥٠٠» ، والتي توجد الان في المتحف البريطاني في لندن (تحت رقم ١٠٠٦٠) ، وترجع الى حوالي عام ١٣٠٠ ق م<sup>(١)</sup> ، وهناك نص آخر وجد في مقبرة «با - أتون - حب» في سقارة ، وترجع الى أيام العمارنة، وهي الان بمنصف ليدن<sup>(٢)</sup> ، وان كانت تختلف عن الاولى الى حد ما .

هذا والبردية مكتوبة كذلك بمقبره «نفر حتب» في طيبة الغربية (رقم ٥٠) ، وترجع الى الفترة (١٣٥٠ - ١٣٢٠ ق م) على رأى «جون ويلسون»<sup>(٣)</sup> ، وان كان الدكتور أحمد فخري يرجع بمقبرة «نفر - حتب» هذه الى الاسرة الحادية عشرة<sup>(٤)</sup> (الدولة الوسطى) ، وهناك كذلك رواية للاغنية منقوتة على قبر الملك «أنتف» من الاسرة الحادية عشرة ، ويذهب «جيمس هنرى برستد» الى أن أنشودة كاهن أمون «نفر حتب» من طيبة ، لا تكاد تماثل مقبرة «أنتف» ولا تعادلها في التأثير ، وان كانت تحتوى على بضعة أسطر قيمة يجب الالتفات اليها<sup>(٥)</sup> .

هذا وقد قام بنشر هذه الاغنية وترجمتها وشرحها والتطيق عليها كثير من العلماء من أمثال - جاردنر<sup>(٦)</sup> ، وميلر<sup>(٧)</sup> ، وشتايندورف<sup>(٨)</sup>

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 467.

Ibid., p. 467.

Ibid., p. 467.

(٤) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٢٢

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939. p. 166.

A. H. Gardiner, in PSBA, 35, 1931, 165-170.

W. M. Muller, Die Liebespsie der alten Aegypter, Leipzig, 1932.

K. Sethe, Op-Cit, p. 94.

= (٨)



وزيقة<sup>(٩)</sup>، وارمان<sup>(١٠)</sup>، وويطسون<sup>(١١)</sup>، وسجبسون<sup>(١٢)</sup>، وان كلن (Miriam Lichtheim) من أكثر العلماء اهتماما بهذه الاغنية<sup>(١٣)</sup>، هذا وقد كتبت «اغنية الضارب على العود» على أيام الدولة الوسطى، وكانت من الاغاني المحبوبة لدى المصريين القدامى حتى أخريات الدولة الحديثة، حتى أننا نجد لها نسخا من عهد الدولة الوسطى، ومن عهد الدولة الحديثة سواء بسواء.

وهي تعتبر، دونما ريب، من أجمل الاغاني المصرية، وتمثل نوعا من الاناشيد الدينية، وكانت تنشد بمصاحبة «الجنك» في حفلات الامراء، وهي على نقيض الدعوة الى السرور والابتهاج، تدعو الشاربين الى تذكر الموت القريب، وقد جاء في المصادر اليونانية أنه كان يعرض في مجالس الشرب في مصر صور لوميا، حثا على الاستمتاع بالحياة القصيرة عن طريق تذكر الموت، وليس من شك في أن اغنية الضارب على العود، انما تصور لنا هذه الفكرة تصويرا فنيا جميلا<sup>(١٤)</sup>.

وأما أهمية الاغنية — كمصدر تاريخي — فهي تصور لنا ناهية من التفكير الجديد الذي بدأ ينتشر في تلك الطبقة من تليخ البلاد، منذ أيام الثورة الاجتماعية الاولى، ذلك التفكير الجديد، هو الشك، فلقد بدأ القوم يتشككون في العقائد التي توارثها القوم عن الاجداد، جيلا اثر جيل، والتي كانت تجعل من الوسائل المادية طريقا للخلود، ووسيلة للسعادة في الآخرة، وربما دفعهم الى ذلك ما أصاب جبانة الجيزة الفخمة

G. Steindroff, in ZAS, 32, 1894, p. 123-126.

A. Erman, LAE, 1927, p. 253-254.

J. Wilson, in ANET, p. 33-34.

W. K. Simpson, Op-Cit, p. 306-307.

M. Lichtheim, JNES, 4, 1954, p. 178-212, Pls. 1-VII.

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, I, 1975, p. 193-197. وكذا

II, 1977, p. 115.

وانظر: سليم حسن: المرجع السابق ص ٢٢٤ - ٢٢٥، أحمد فخري: المرجع السابق ص ٤٢١ - ٤٢٣، نجيب ميخائيل: مصر والشرق الأدنى القديم ٢٧٧/١ - ٢٧٨.

(١٤) ارمان ورائك: مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ص ٤٣١.

ومعابدها الرائعة ، من تخريب ، حتى أصبحت خرائب مهجورة ، حتى من كهانتها ، فضلا عن الذين أوكل اليهم أمر العنالية بها .

ولم يقف الشك عند زعزعة الايمان بقيمة هذه الاضرحة المفضية ، بل تعداها الى الشك فى الحياة الآخرة نفسها ، وكما كانوا يقولون : وهل عاد الينا وأحد من الراحطين .

وهنا قامت دعوة جديدة تنادى بأن يترك القوم لأنفسهم الحرية فى أن يتمتعوا بالدنيا — ما استطاعوا الى ذلك سبيلا — فان الواحد منهم لن يأخذ — الى الآخرة شيئاً مما اقتناه فى دنياه ، ومن ثم فقد كان شعارهم : «امرحوا ولا ترهقوا النفس ، هل للإنسان أن يأخذ شيئاً مما اقتناه معه» ، وهكذا كانت هذه الاغنية تدعو القوم الى الاستمتاع بالدنيا ونبذ الهموم ، بل والتشكيك فيما ينتظر الناس فى العالم الآخر (١٥) .

وهكذا فان أغنية الضارب على العود ، انما تمثل عصرا بعد كل البعد عن عهد التسليم بالعقائد التقليدية ، دون معارضة فيها ، كما ورثت عن الآباء ، فان عقيدة الشك انما تعنى تجربة طويلة للعقائد الموروثة ، ويحتمل استمرارها فيما كان معتزها به حتى ذلك الحين دون تفكير ، ثم الشعور بالمقدرة الشخصية على الاعتقاد فى الشيء وانكاره ، وهى تعد خطوة مميزة الى الامام نحو نمو الوعي النفسى ، والوازع الشخصى ، على أن عقيدة التشكيك هذه لا تنمو الا بين أفراد شعب له مدنية ناصجة ، ولا تنبت فى الاحوال الفطرية ، ولذا فان هذا العصر (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) والذي يمثل قمته المتشككون الذين جاؤوا عقب سقوط الوحدة الثانية ، يعد عصرا هاما فى تاريخ التقدم العقلى عند البشر (١٦) ، وفى أغنية الضارب على العود ، دعوة الى أننا لا نعرف شيئاً عن الحياة فيما وراء الموت ، لان واحدا من الراحطين لم يأت ليقتص علينا ما رآه هناك ، واذا سلا طريق أمامنا سوى أن نمتع أنفسنا بأكبر قسح من الملذات

(١٥) انظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى فى مصر الفرعونية — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٢١ — ٢٣ (رسالة ماجستير) .  
J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y., 1939, p. 162 (١٦)

الحسية ، ذلك لاننا لن نأخذ من ممتلكاتنا في هذه الدنيا شيئاً معنا الى  
الآخرة (١٧) .

تقول أغنية الضارب على العود :

«هذا خير للامير النبيل ، فقد مر بالنهاية للسعيدة ، تمر أجيال وتأتي  
في مكانها أجيال منذ زمن الاوائل ، يوقظه الاله رع عند الصباح بويغيب  
الاله أتوم في الغرب ، يتناسل الناس ، وتحمل النساء ، وتستششق كل  
أنف من الهواء ، وعندما يشرق الصباح ترى أولادهم في أملكهم» .

«الآلهة الغابرون (الملوك القدماء) يستقرون في أهراماتهم ، وكذا  
يستقر الاشراف الامجاد في مقابرهم ، لقد شادوا القصور التي لا أثر  
لها اليوم ، فماذا حل بهم ؟ لقد استمعت الى كلمات «ايمحوتب» و «هور-  
ددف» اللذين يتغنى الناس بأقوالهما في كل مكان ، أين مكان كل منهما  
الان ، لقد تهدمت جدرانهما ولا أثر لمكانهما بعد ، كأنهما لم يعيشا على  
هذه الارض على الاطلاق» .

«لا أحد يعود من هناك (من عند الموتى) حتى يقص علينا ماذا في  
الآخرة ؟ وحتى يحدثنا عما هم في حاجة اليه لتطمئن قلوبنا ، حتى تلك  
اللحظة التي نرحل فيها نحن أيضا ، الى حيث «ذهبوا»

«ألا غلبتج ، ارم بكل الاحزان وراء ظهرك ، افرح وفكر في السرور  
ولتشبع رغباتك طالما أنت حي ، ادهن رأسك والبس اللكنان الجميل ،  
وتعطر بالروائح الزكية ، دع الغناء والموسيقى أملم نظريك ، أكثر مما  
لديك من ملذات ، اعمل ما أنت في حاجة اليه على الارض ، ولا تنسج  
قلبك الى أن يدركك وقت الندب» .

«ان القلب الساكن (أوزير) لا يسمع عويلا ، والبكاء لا يوقظ أحدا  
من عالم الموت ، لذلك غلبتج لليوم المسعيد ، ابتهج دائما ، ولا تشع  
بكل من ابتهاجك ، استمع الى : لا يستطيع أحد أن يأخذ أمواله معه ،  
ولا أحد من الراحلين يعود ثانية» .

(١٧) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ١٦٦ - ١٦٨ .

## الفصل السادس

من أدب الحوار

عرف الادب المصرى القديم من فنون الحوار محاورة الانسان  
للانسان ، ومحاورة الانسان لروحه أو ذاته ، ومحاورة بعض جسم  
الانسان للبعض الآخر ، ومحاورة الحيوان للحيوان ، والطيور للطيور ،  
والنبات للنبات ، فضلا عن محاورة المعبودات للمعبودات ، ولنأخذ مثالا  
لهذا النوع من الادب «بردية اليائس من الحياة» .

### بردية اليائس من الحياة

لاريب فى أن «بردية اليائس من الحياة» انما تمثل نوعا من أدب  
الحوار ، كما أنها تمثل واحدة من أهم وثائق عصر الثورة الاجتماعية  
الأولى فى مصر الفرعونية ، وتسمى أحيانا «نزاع رجل مع روحه» ،  
وأحيانا «شجار بين انسان سيئم الحياة وبين روحه» ، وأحيانا «حديث  
نسو مع روحه» ، وعلى أية حال ، فالبردية محفوظة فى متحف برلين تحت  
رقم (٣٠٢٤) .

هذا ، وكان «أدولف ارمان» أول من نشر البردية فى عام ١٨٩٦م<sup>(١)</sup> ،  
ثم أعاد ترجمتها ، مع ادخال تحسينات فى كتابه عن أدب المصريين  
القدامى ، الذى نشره بالالمانية عام ١٩٢٣م ، والذى ترجمه الى الانجليزية  
«بلاكمان» فى عام ١٩٢٧م<sup>(٢)</sup> ، كما نشر فولكر فى عام ١٩٥٦م<sup>(٣)</sup> ،  
و «بارتا» فى عام ١٩٦٩م<sup>(٤)</sup> ، وهانز جديك فى عام ١٩٧٠م<sup>(٥)</sup> .

وقد اهتم أيضا بترجمة البردية وتطيلها كثير من العلماء من أمثال :

- 
- |                                                                                                           |     |
|-----------------------------------------------------------------------------------------------------------|-----|
| A. Erman, Gespräch eines Lebensmuden Mit Seiner Seele,<br>APAW, Berlin, 1896.                             | (١) |
| A. Erman, LAE, London, 1927, p. 86-92.                                                                    | (٢) |
| R. O. Faulkner, JEA, 42, 1956, p. 21-40.                                                                  | (٣) |
| W Barta, Das Gespräch eines Mannes Mit Seinem Ba, Mun-<br>chner agyptologische Studien, 18, Berlin, 1969. | (٤) |
| H. Goedicke, The Report about The Dispute of a Man With<br>His Ba, Baltimore, 1970.                       | (٥) |

الكسندر شلرف<sup>(٧)</sup> ، وجيمس هنري برستد<sup>(٨)</sup> ، و هـ هـ هرمان<sup>(٩)</sup>  
 و دي بك<sup>(١٠)</sup> وريموند فيي<sup>(١١)</sup> ، وهرمان يونكر<sup>(١٢)</sup> ، وجلكبسون<sup>(١٣)</sup>  
 وفون بيسنج<sup>(١٤)</sup> وجون ويلسون<sup>(١٥)</sup> و سـ هـ هرمان<sup>(١٦)</sup> و رـ وـ وليامز<sup>(١٧)</sup>  
 وفولكر<sup>(١٨)</sup> وغيرهم<sup>(١٩)</sup> ، فضلا عن ترجمات عربية عدة<sup>(٢٠)</sup> .

هذا ويرجع تاريخ النسخة التي تحت أيدينا الى الاسرة الثانية عشرة  
 (١٩٩١ - ١٧٨٦ ق م) ، وهناك اتجاه الى أنها منقولة عن نص أقدم ،  
 يرجع الى ما قبل أيام الدولة الوسطى ، وربما الأرجح الى وقت  
 الاضطرابات فيما بين الدولتين القديمة والوسطى ، أي عصر الثورة  
 الاجتماعية الاولى (نهاية الالف الثالثة قبل الميلاد)<sup>(٢٠)</sup> .

وتتكون البردية من مقدمة طويلة بليغة ، ثم أربع قصائد شعرية :

- |                                                                                                                     |       |
|---------------------------------------------------------------------------------------------------------------------|-------|
| A. Schorff, SBAW, Munich, 1937.                                                                                     | (٦) = |
| J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939,<br>p. 168-181.                                              | (٧)   |
| H. Hermann, OLZ, 42, 1939, p. 141-153.                                                                              | (٨)   |
| A. de Buck, EX. Oriente Lux. 7, 1947, p. 9-32.                                                                      | (٩)   |
| R. Welti, in BIFAO, 45, 1947, p. 89-154.                                                                            | (١٠)  |
| H. Junker, AOAW, Phi-hist, KI, 1948, No. 17, Vienna, 1949.                                                          | (١١)  |
| H. Jacobsohn, in Zeitliche Dokumente der Seele Studen aus<br>dem C. G. Jung Institut Zurich, Vol. 3, 1952, p. 1-48. | (١٢)  |
| F. W. Von Bissing, Altgyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955,<br>p. 124-128.                                        | (١٣)  |
| J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 405-407.                                                                               | (١٤)  |
| S. Hermann, Untersuchungen Zur Überlieferungsgestalt Mittela-<br>gyptischer Literaturwerke, Berlin, 1957 p. 62-79.  | (١٥)  |
| R. Williams, JEA, 48, 1962, p. 49-56.                                                                               | (١٦)  |
| R. O. Faulkner, The Literature of Ancient Egypt, London,<br>1977, p. 201-209.                                       | (١٧)  |
| Miriam Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, Londo,<br>1975 I, p. 163-169.                                        | (١٨)  |
| F. Brunner-Trant, ZAS, 94, 1967, p. 6-15.                                                                           | وكذا  |
| G. Thausing, MDIK, 15, 1957, p. 262-267.                                                                            | وكذا  |
| (١٩) سليم حسن : المرجع السابق ٢/٢٨٢ - ٢٨٩ ، نجيب ميخائيل :                                                          |       |
| الحضارة المصرية ص ٥١٨ - ٥٢٥ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص                                                           |       |
| ٤٤٧ - ٤٤٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٤٤ - ٣٤٧ .                                                           |       |
| J. A. Wilson, Op-Cit, p. 405.                                                                                       | (٢٠)  |

يذكر صاحبها في الاولى ، كيف قل تقدير الناس للرجل الفقير ، ثم يروى في الثانية بعضا من مأساته ، مبينا مدى ضيقه بالجنس وبدنياهم ، ورأيه هذا لا شك في انه مليء بالتشاؤم ، جدير بتسخن يئس من حياته ، وصمم على ازهلق روحه ، وأما في الثالثة ، فاننا نرى «نسو» (صاحب القصيدة) انما يشيح بوجهه عن شرور الدنيا ، ثم يتامل الموت كمفجأة مباركة له ، وهذا الجزء الثالث من القصيدة ، انما هو — فيما يرى للدكتور أحمد فخري (٢١) — أجمل ما في البردية ، وأما في القصيدة الرابعة فنرى «نسو» يضيف امتيازات الموتى الذين لهم القدرة على مقاومة الشر ، وحرية الاتصال بالالهة .

وأما أهمية البردية — كوثيقة تاريخية — فيرجع الى انها انما تقدم للباحث صورة لهذا العصر — عصر الثورة الاجتماعية الاولى — الذي سادته الشك واليأس ، فصاحب البردية (نسو) انما يدعو الى ترك الحياة ، والالتجاء الى الموت ، نتيجة لما لاقاه في حياته من مظلم وقسوة ، ومن ثم فهو في الواقع انما يصف الحالة الفعلية والتجارب الباطنية لنفس معذبة ، تتالم مما حاق بها من المظلم وسوء الطالع ، وانطلاقا من كل هذا ، فان «جيمس هنري بوسند» ، انما يذهب الى أن هذا الموضوع ، انما يعد أقدم قطعة أدبية تتناول موضوع الخبرة ، والتي تعد أقدم مثال يمثل لنا صورة مما ورد في سفر النبي «أيوب» — كما جاء في توراة يهود المتداولة اليوم (٢٢) — وقد كتبت بردية «اليابس من الحياة» هذه ، قبل أن تظهر التجربة الماثلة المتضمنة هذا الشعور في سفر مماثل بين العبرانيين بنحو ألف وخمسمائة سنة (٢٣) .

هذا ويدعو «نسو» كذلك الى الاستغناء عن الطقوس الجنازية المعتادة ، كما تدعو روحه الى أن يعيش الانسان ناسيا حزنه ، منغمسا في السرور الى أخنيه ، ولعل هذه الدعوة التي تتادى بأن يأكل الانسان

(٢١) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٤٨ .

(٢٢) أنظر عن «سفر أيوب» — كما جاء في التوراة — (محمد بيومي

مهران : اسرائيل ٦٧/٣ - ٧٣) .

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 168-169.

(٢٣)

ويشرب ، وأن يكون فرحا في يومه ، لأنه سيموت في غده ، انما تتفق مع ما فادت به من قبل «أغنية الضارب على العود» ، وان اختلفت معها في أمر هام وخطير ، اذ أخفت تبين أن الحياة فوق أنها ليست فرصة للسور ، والاسراف في اللذات ، فهي عبء أثقل حملا من الموت ، وهكذا دار حديث «نيسو» حول السؤال الخالد عن معنى الحياة ، وهو سؤال يبرز للمرة الاولى — فيما نعلم — في تاريخ الآداب عامة ، وحديث الرجل ، على أية حال ، قطعة أدبية من خير القطع الأدبية التي حفظت لنا من تاريخ مصر القديمة (٢٤) .

هذا فضلا عن أن قصيدة «نيسو» هذه ، وللتى مدح فيها الموت ، انما أقدم صيغة وصلت إلينا ، عبر الفرد عما أصابه من العذاب ظلما وعدوانا ، وأول صرخة من متالم برىء وصلتنا في عصور ذلك العالم القديم ، وهي تعد بحق ذات فائدة فريدة ، ولا تخلو من جمال حقيقي بما احتوته من حرارة نفسية خلابة (٢٥) .

وموضوع البردية حوار فلسفى بين «نيسو» وبين روحه ، ذلك أن «نيسو» انما قد يئس من حياته بعدما أصابه فيها من نكبات ، وبعد أن تنكر له أقرب الناس إليه ، وبعد أن حرم من الدفاع عن نفسه ، وبعد أن حكم عليه ظلما ، وصار اسمه نكتا في أنوف الناس ، وبعد أن خربت الذم ، وفسدت الضمائر ، وكفر الناس بالله وصدوا عن سبيله «نصرفين عن جد الامور لينغمسوا في الشهوات ، وليتورطوا في كبائر الاثم ، وقد قست القلوب وأنكر الناس ما تقدم لهم ربهم من خير ، وفي لجج هذه الغمرة النفسية أخذ الرجل يسبح في ظلمات اليأس ، ويلتمس منها المخرج ويبحث عن أسباب الراحة ، فلا يكاد يهتدى إليها الا بالانتحار والتخلص من هذه الحياة التعسة .

غير أن روحه قد القرت جانب الرضا بدينها ، والتغاضى عما وراءها ومن ثم فقد احتدم الجدل بينهما ، حتى تحدثه بأن يقدم على الانتحار

(٢٤) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ١/٢٧٥ .  
 (٢٥) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 173-174.



حرقا ، ان كانت عارفا عن الدنيا ، راغبا في الموت ، فما جرؤ صاحبها في بداية الامر ، ولا امتنع عليها في الحالتين - الرضا بالواقع أو الرضا بالموت - امتعت هي الأخرى عن مناقشته ، ولكنه سرعان ما عود التفكير ثانية فيما دعته اليه ، واعتزم أن ينتقل هو وأياها الى عالم الآخرة ، وبدأ يسترجعها في الحديث عسلا تشجعه ، وأشهد عليها جمعا تخيله من الناس ، فما جلوبته بغير رد مقتضب عاتبها في اثره قائلا :

«عزيز على ألا تجلوبني روحى في يومى هذا ، أنها تعرب في يوم الشقاء ، أى روحى انه لغباء أن تصدى امرأ يملؤه الشجن ليحيا ، خذيني الى الموت قبل أن يأتيني ، واجطى من الغرب ( عالم الآخرة ) مكان سرورى ، فقد يثيننى في الآخرة «تحت» ، مرضى الارباب بقضائه ، وينالح عنى «خونسو» الكاتب بحدالة ، ويستجيب «رع» لابتها لاني ، لعنائى قد ثقل وطؤه» .

وتصنعت الروح الغضب مرة أخرى ، وأجابته مرة ثانية بلمقتضب وهي تؤنبه «أبست رجلا ؟ لقد ابتغيت الحياة من قبل ، فماذا أنجزت ، ثم تأخذ الان تتأسى على الحياة شأن رب النعمة ، فأجابه : «إذا أصابحت لى روحى ، ولا خطيئة لى ، وكان فؤادها معى ، فليسوف تهنا ، ولأجعلنها حينذاك تبلغ الغرب ، شأن من أقام في هرمه ، ووسده وريثه . . . ، فإذا حلت بينى وبين الموت على هذا الوضع ، فلن تجدى ما تصطن عليه في عالم الغرب ، تجلدى لئن روحى » وقومى منى مقام الوريث ، يقدم المقربان ، وينهض على مئوى يوم الدفن ، ويهيبه مضجع الآخرة (٣١) .

وقد يبدو ذلك غير متوقع من رجل اتضح أنه يشك كثيرا في فائدة المعدات المادية التي كانت تعمل للمتوفى ، حين ينتقل الى العالم الآخر ، الا أننا نكشف السر بعد ذلك ، فنرى أن ذلك حيلة أدبية ، أراد الكاتب عن طريقها أن يندد بالمعدات الجنائزية (٣٢) ، ثم أخفت روحه تتردد في

(٣١) عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم ١/٣٤٤ - ٣٤٥ .

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939, p. 169. (٣٢)

الموافقة على مراقبته ، ثم تحاول أن تنفرد عن الموت ، فأخذت تصف له  
 مظهر القبر ، « ثم فتحت روجي فمها وأجابت : إذا تذكرت المدفن فإنه  
 حزن ، وذكراه تثير الدمع ، وتغمم القلب حزنا ٠٠٠ فهو ينتزع الرجل من  
 بيته ، ويلقى به على الجبل ، ولن يصعد ثانية ليرى الشمس» (٢٨) .

وهكذا لم تستقر الروح على رأى ثابت في فكرة الخلود التي كانت  
 تسيطر على القوم وقت ذلك ، فمراما تشككه في تلك المفكرة الخالدة في  
 أذهان الناس ، فهؤلاء الذين بنوا لانفسهم مقابر فضمة ، انما هم والذين  
 لم يبنوها سواء بسواء ، فلكل تحت حرارة الشمس ، والكل تعقد معه  
 الاسماك الاحاديث « عندئذ فتحت روجي فمها لتجيبني : لن تعود ثانية  
 لتشهد الشمس ٠٠٠ ان من شادوا الباني الفضة من أحجار الجرانيت  
 الصلبة ، وخصصوا لانفسهم قاعة في الهرم ، وقدمت لهم كل الخدمات  
 المجيدة ٠٠٠ أصبحت موائد قرابينهم خالية ، بعد أن صاروا آلهة (أى  
 ماتوا) ، وأصبحوا سواء ، والمتعبين الذين قضوا على ضفاف القنوات ،  
 نال الفيض مقدمه منهم ، وكذا حرارة الشمس ٠٠٠ أما الاسماك على  
 ضفة النهر ، فتجلس اليهم تعقد معهم الاحاديث» (٢٩) .

وتجه روحه اليه بعد ذلك ، ناصحة اياه بأن ينس الهوم ، ويأخذ  
 من الله نصيبه « اصنع الى وانه لجدير بالناس أن يصفوا ، تمتع بيوم  
 المسرة ، وانس الهوم» (٣٠) ، ولكنها بعد ذلك توافق على البقاء بجانبه  
 — حتى ولو انتحر — ذلك أن الحياة — بجانب أنها فرصة للمسور  
 وللذات — فهي عبء أثقل من الموت نفسه ، وأنها سيئة لدرجة تجعل  
 الموت خلاصا للإنسان من سيئاتها ، ولذا فهي ترحب بالموت ، ■ مرحبا

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, London, (٢٨)

1927, p. 87-88.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, (٢٩)

1977, p. 203-204.

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 165.

A. Erman, LAE, 1927, p. 88.

R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 204.

بالموت ، انفى في شوق للقاءه ، كشوق الرجل الى بيته ، بعد أن يقضى  
سنينا طويلا في الاسر والعناء» .

وهكذا نرى الروح التي حاولت أن تبعد صاحبها عن الموت ، لم يكتب  
لها نجحا في مساعها ، بل على العكس هو الذى نجح آخر الامر في أن  
يضمها الى رأيه ، مما يدل على مدى ضيقه بالحياة ، ورغبته في التخلص  
منها ، ولكن علينا ألا نتوهم أن ما دفع «نسو» الى كره الحياة ومحاولة  
التخلص منها ، إنما كانت آلامه الشخصية ، وما لاقاه من عناء في حياته ،  
ذلك لان الرجل انما قد استطاع أن يسمو على آلامه الشخصية ، ويلم  
بأطراف المجتمع اذ ذلك ، ويحيط بأحواله ، وبذا لم تكن آلامه الشخصية  
الا نموذجا لما يلاقيه المجتمع الذى يعيش فيه ، ويؤيد ذلك قوله : لأن  
أتحدث اليوم ، فليس هناك عدول ، والارض قد تسلمها الظالمون» (٣١) ،  
وأن هؤلاء الظالمين قد أجزموا في حق كل مقدس ، وداسوا بأقدامهم  
القلوب ووطئوا مجد وتاريخ مصر ، ومن ثم فهو لا يود أن يعيش في هذا  
الجو ، ولعل في هذا شبه بما جاء في تحذيرات الحكيم المصرى «ايو -  
ور» «آه لو يفنى الناس ولا يعود هناك حمل ولا ولادة ، ليت العالم  
يتخلص من الغوغاء ، وتتقضى المشاحنات» (٣٢) .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن هذا الحوار بين «نسو» وبين  
نفسه (روحه) انما يتناول السؤال عن معنى الحياة من ناحيتين ، تتعلق  
احدهما بما اذا كان هناك معنى للحياة اذا اختلفى كل ما كان من شأنه أن  
يجعل الحياة سعيدة ، والاخرى أكثر عمقا وأوسع مدى ، فلم يكتب  
الكاتب فيها باستمرار ذلك العراك بين الافكار والرغبات ، وانما عمد  
الى موازنة بين وجهتى النظر المختلفتين اللتين سادتا الحياة في ذلك العصر  
بينما نجد روح «نسو» تلتزم الدفاع عن متع الحياة الرخيصة وتدعو  
ألا يفكر كثيرا في الآخرة ، وأن يتقبل برضى كل ما تقدمه الحياة ، ويمثل  
الكاتب ذلك الفريق من المصريين الذين احتفظوا بجائسهم ، والذين

Ibid., p. 207.  
J. A. Wilson, ANET, p. 442.

(٣١)

(٣٢)

محصلتهم الآلام والنكبات ، وطهرتهم من أردانها ، فأكسبتهم بصيرة وزادتهم ايماننا بالآخرة ، وبقيمة أعمالهم الصالحة في الحياة الدنيا .

وانطلاقا من كل هذا ، انما يبدو واضحا أن ما حدث انما يتكرر حدوثه في الانسانية ، وان فرط النكبات والمساوىء الاجتماعية المنتشرة ، وازدياد البلاء ، انما يحدث أثرا مزدوجا ، ففريق ممن تصيهم النكبات — وهم أكثرية — يجرفهم تيار الاحداث ، بينما يفترض أن تدعو تلك الاحداث الى التبصر ، وأحيانا الى التشكك» (٣٣) .

وعلى أية حال ، فالنص فريد في نوعه بين النصوص المصرية ، حتى ذهب بعض الباحثين الى أنه غير مصرى في روحه ، فهو يدعو الى ترك الحياة ، والالتجاء الى الموت ، كما أنه غير مصرى في استغناؤه عن الطقوس الجنازية المعتادة وما يتبعها من أثر نفسى ، وفيما أباح فيه الفرد لنفسه من حرية في مناقشة العقيدة السائدة ، وأن من حق الانسان أن يجد حلا فرديا في أخطر المشكلات .

غير أننا لو بحثنا في آداب الامم الاخرى لما وجدنا أصلا له فيها ، وطبيعة «الباء» مصرية صرفة ، كما أن الوثيقة تتفق وروح العصر الذى كان يخيم عليه روح التفاؤم (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) ، انه غير مصرى لان مصر لم تعرف ذلك اليأس الروحى والمادى ، وربما كلن ذلك بالمصادفة ، وربما كذلك أن المصريين — فيما تلا ذلك من عصور — لم يحبوا هذا النوع من اليأس عند ظهور العقبات ، وأنهم اهتموا الى حلول أخرى للتغلب على ما أصابهم من مآزق (٣٤) .

هذا وتتكون الوثيقة — كما أشرنا من قبل — من مقدمة بليغة ، فيها حوار بليغ ، كما رأينا في السطور السابقة ، يرى فيها صاحب الوثيقة (نسو) الموت منقذا من حياته البغيضة الشقية ، بعد أن ذاق مرارة البؤس ، وهجره خلانه ، وأزرى به الهوان ، لما شرف على الانتحار ليضع

(٣٣) نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم ٢٧٥/١ - ٢٧٦

(٣٤) J. A. Wilson, The Burden of Egypt, Chicago, 1954, p. 113.

بيده خاتمة لحياته فيحرق نفسه ، فلقد دفعته حياته الى أن يخطو هذه الخطوة ، ولكنه عاد فأحجم عنها ، فلا قبر يأويه ، ولا عقب يتردد عليه بالقرابين ، ومن ثم فسوف يقضى هناك جوعا وبردا ، وهكذا نراه يمرض روحه على ألا تتخلى عنه عند الموت .

« ثم فتحت فمى لروحي حتى أجيب عما سألت ... ان روحي ستسعدنى هناك ، انها تهرب فى يوم المشقاء ، ان روحي تعطلنى ، وأنا لا أكثرث بها ، وتجذبنى الى الموت قبل أن ألقاه ، وتلقى بى فى النار لتحرقنى ... أى روحي انه لعناء أن تصدى أمرا يملؤه الشجن ليحيا ... وينافح عنى «خونسو» الكاتب بعدالة ، ويستجيب «رع» لابتهالاتى ، فعنائى قد ثقل وطؤه» .

«وأجابت روحي : أنت بمثابة لا شيء ، ثم تتحدث عن الأسياء الطيبة كما لو كنت تملك الكتوز»

«قلت : سوف لا أذهب طالما هذه روحي ، باقية على الأرض ، ان نصيبك الموت ، لو أن روحي تصنى الى ستكون منعمة ، سأجعلها تصل الى الغرب ، كروح من دفن فى الهرم ، وفتحت روحي لها وأجابت : اذا تذكرت الدفن فإنه حزن ، وذكره تثير الدفح ، وتنعيم القلب حزنا ... فهو ينتزع الرجل من بيته ، ويلقى به على الجبل ، ولن يصعد ثانية ليرى الشمس ، أين بناء الأهرام من زينوا الأبناء ، وشادوها بأحجار الجرانيت الصلبة ، وخصصوا لأنفسهم قاعة فى الهرم ، وقدمت لهم كل الخدمات المجيدة ، أصبحت موائد قرابينهم خالية ، بعد أن صلوا آلهة (أى ماتوا) ، وأصبحوا سواء هم والمتعيبين الذين قضوا على مختلف المقننات ، نال الفيض مقصده منهم ، وكذا حرارة الشمس ... أما الاسماك على ضفة النهر فتجلس معهم تعقد الأحاديث ، استمع الى ... فخير للمرء أن يستمع .. تلعب ملذات اليوم ، وانس المهم ...»

وعندئذ فتحت فمى الى روحي لأقول :

### للقصيدة الاولى :

انظر : ان اسمى أصبح كريبها أكثر من رائحة اللحم النتن في أيام الصيف ، والسماء حارة

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من صيد السمك في يوم صيده ، والسماء حارة

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من رائحة الطيور ، واثمد من تل منصاف مزددم بالأوز

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من رائحة الصيادين ، وأكثر من شيطان المستنقعات حين يصيدون

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من رائحة التماسيح وأكثر من الجلوس حيث تكون

انظر : ان اسمى كريبه أكثر من زوجة ردد عنها الناس البهتان لزوجها  
انظر : ان اسمى كريبه أكثر من مدينة ٠٠٠ وأكثر من نائر مدبر

### القصيدة الثانية :

ان أتحدث اليوم ، فلقد أصبح الرهاق شرارا ، وأصدقاء اليوم غير جديرين بالعب

ان أتحدث اليوم ، فللقلوب ملأى بالجشع ، وكل شخص يأخذ متاع جاره

ان أتحدث اليوم ، وقد وفر الناس على السوء ، وأهملت الحسنى في كل مكان

ان أتحدث اليوم ، وقد استحال الرجل الطيب الى سُير ، والخير مكروه في كل مكان

ان أتحدث اليوم ، فمستثير الحليم بشروبه ، يدع الناس يسخرون منه حين تشدد وطأة عسفه

ان أتحدث اليوم ، فالناس يسرقون ، وكل امرئ يفتك متاع جاره

ان أتحدث اليوم ، فليس للمريض صديق يوثق به ، وأخوه أصبح عدوه

إن أتحدث اليوم ، فلا أحد يذكر الأمل ، وليس هناك اليوم من يجازى بالخير من قدمه

إن أتحدث اليوم ، وما عاد أحد يذكر الماضي ، ولا معونة لأحد في هذه الأيام

إن أتحدث اليوم ، فالأخوة شر نحو المرء يعامل كعدو ، رغم نقاء سريرته

إن أتحدث اليوم ، فالوجوه محجوبة ، وكل امرئ يولى وجهه عن أخوانه

إن أتحدث اليوم ، وما من أحد رضى الفؤاد ، ومن كان يرافق لم يعد له وجود

إن أتحدث اليوم : فليس هناك عدول ، والارض قد تسلمها الظالمون

إن أتحدث اليوم ، فالصديق الصدوق قد اختفى ، والمرء يعامل كمجهول رغم اعلان نفسه

إن أتحدث اليوم ، فليس هناك مسلم ، والمصاحب لا وجود له

إن أتحدث اليوم ، وأنا مثقل بالتعاسة ، وفي حاجة الى صديق صدوق

إن أتحدث اليوم بالخطيئة التي تطل بالارض تبدو وكأنها لانهاية لها

### القصيد الثالثة :

الموت أمامي اليوم يبدو كالبرء للسقيم ، والفروج الى الفضاء

بعد حجز

الموت أمامي اليوم كعبير «المر» وجلسة تحت ظله في يوم ربيع صر

الموت أمامي اليوم كرائحة اللوتس تخدرني كما لو كنت جالسا على

شاطئ الانسراح

الموت أمامي اليوم كالسماء عندما تصفو ، وكحصول المرء على ما لم

يكن يتوقعه

الموت أمامي اليوم كمشوق الرجل الى بيته بعد قضاء سنين طوال في

الاسر والعناء

## القصيدة الرابعة :

ويم الحق من وصل هناك ، سيكون ربا يحييا ، يرد الشر على من أتاه  
ويم الحق من وصل هناك ، سيقف في قارب رع ، وسيعين الاثياء  
المختلة للمعبد  
ويم الحق من وصل هناك ، سيكون عالما بالامر ، وان يصرف عن  
شكواه لرع اذا ناجاه

ثم تستمر القصيدة بعد ذلك ، وتأخذ الروح تخفف آلام صاحبها ،  
فتطلب منه أن يترك المزن والاسى ، وتؤكد له أنهما سيكونان معا :  
«سيهدأ بالى بعد أن يستقر أمرك ( فى الموت ) وسنميتس معا»(٣٥) .

- 
- (٣٥) نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ٥١٩ - ٥٢٢ ،  
أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٧ - ٤٤٩ ، عبد العزيز صالح : المرجع  
السابق ص ٢٤٤ - ٢٤٧ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٨٤ - ٢٨٩ ،  
وكذا  
R. O. Faulkner, Op-Cit, p. 202-209.  
M. Lichtheim, Op-Cit, p. 164-169.  
A. Erman, Op-Cit, p. 86-92.  
J. A. Wilson, ANET, p. 405-407.  
J H. Breasted, Op-Cit, p. 168-181.  
R. Williams, Op-Cit, p. 49-56.



## الفصل السابع

من أدب الحكمة والنصائح

كانت كتب الحكم والنصائح — ومازالت حتى اليوم — من أحب الاشياء الى قلوب المصريين ، كما كانت تحتل مكانة عظيمة بين كتب القدماء لانها تقدم للناس خلاصة تجارب الحياة ، وترسم لهم طريق السعادة ، وتضع بين أيديهم المثل العليا لكل من يبغي النجاح في هذه الدنيا ، فضلا عن الآخرة ، كما أنها تنظم صلات الناس بعضهم ببعض الآخر ، وإذا تصفحنا هذه الكتب ، فإنا نقبل عليها بنفوس راضية ، سواء أكانت مما أتت به الأديان ، أم وردت في كتب الحكماء ، وذلك لأنها تكشف لنا عما في قرارة النفس البشرية ، نقرؤها ثم نقف قليلا لنتأكد من صداها في نفوسنا ، وكثيرا ما نجد — مهما بلغت الشقة بيننا وبين زمان كتابتها — أننا مازلنا في حاجة إليها ، وأنا نتعلم منها الكثير ، وكان المصريون القدامى يهتمون كثيرا بهذا النوع من الأدب الذي كان يكتبه الحكماء على لسان أب ينصح ابنه ، ويرشده الى حسن السلوك ، كيما يصل الى أعلى المراتب ، أو على هيئة تعاليم ووصايا يوجهها فرعون — أو واحد من رجاله البارزين — معتمدا على تجاربه وخبرته الى ابنه أو أحد تلاميذه .

وليس هناك من ريب في أن هذا النوع من الأدب ، انما هو أرفع أنواع الأدب المصري القديم ، ولدينا منه ، على سبيل المثال ، كتب الحكم والنصائح للمؤرخ «بنتاح حوتب» الذي عاش في الأسرة الخامسة ، وقد اتخذ المصريون هذا الكتاب أساسا لقواعد السلوك وأصول التربية ، ثم استمرت الاجيال تتناقله حتى العصر اليوناني الروماني ، والواقع أن من يقرأ هذه النصائح ، وتلك التعاليم ، انما يستطيع أن يحكم في ضوئها على أهداف الأدب الفرعوني في هذا العهد ، وأن يرى فيه ما يشير الى ارتفاع مستوى الحياة المصرية ، وتقدير هذا الشعب النبيل الاصيل لبناء القيم الانسانية النبيلة .

وهناك من عهد الدولة الوسطى كثر ضخم من البدائع والروائع من تلك التعاليم والنصائح النبيلة ، جاءت اثر حوادث الايام ، فاصطبغت بصبغة سياسية كان لها اثرها في حياة الشعب المصري القديم ، ومن ذلك تلك النصائح التي وجهت للملك «مري كارع» ، ثم ما جاء على لسان الملك

«أمنمحات الاول» - مؤسس الاسرة الثانية عشرة - من تلك الدرر التي تركها لولده وولى عهده «سنوسرت الاول» ، لتكون لديه بمثابة دستور يسترشد به في حكم البلاد وسياستها ، أضف الى ذلك ، ماخض به أدب الدولة الحديثة والمصر الذي تلاها ، بالتعاليم والحكم ، ومن أهمها تعليم «آنى» من الاسرة الثامنة عشرة ، وتعاليم «أمنمؤوبى» والتي ترجع في الغالب الى أيام الاسرة الثانية والعشرين ، ولنتحدث الان بشئ من التفصيل عن أهم أدب الحكمة والنصائح .

### ١ - تعاليم بتاح حوتب

لا ريب في أن من أروع وأشهر أدب الحكمة والنصائح ، انما كانت «تعاليم بتاح حوتب» وزير الملك «جد كارع - اميسى» من الاسرة الخامسة (٢٤٨٠ - ٢٣٤٠ ق.م) وله مقبرة معروفة في جبانة سقارة<sup>(١)</sup> ، هذا وقد توغر لهذا الوزير «بتاح حوتب» نصيب واسع من الشهرة ، وقدر لاسمه أن يخلد في عالم الادب المصرى القديم قرونا طويلة ، وسجل له خلفاؤه نصائحه في آداب المعاملة والسلوك نصح ولده بها ، وابتغى أن يتأدب بها بقية الشبان في مثل سنه ، وحاول خلالها أن ينظم علاقة ولده بقرارة نفسه وأسرته وعمله ومجتمعه ، وأن يجعله على تقى من ربه ، فيما دعاه ، الى أن يراعى التوسط في الاختيار مناسبات صحته ومناسبات كلامه ، ويراعى التوسط في معاملته لنفسه ومطالب بدنه ، ويراعى التوسط في معاملة رئيسه ومرؤسيه .

(١) يذهب بعض الباحثين الى أن «بتاح حوتب» انما كان مريبا للملك «جد كارع» ، كما يظهر أنه كان من أفراد العائلة المالكة ، وربما كان عمسا للملك ، كما كان رائدا له ورأى بعضهم أنه كان وزيرا للملك «وناس» ، ورأى فريق ثالث أنه كان وزيرا ، ولكن دون تحديد للملك الذى عمل له وزيرا ، وان كان هناك شبه اجماع على انه كان وزيرا للملك «جد كارع اميسى» ، وقد تميزت مقبرته - كما تميزت مقبرة «تى» أحد رؤساء الكتاب في عصره ، وغيره من أفراد الطبقة العليا في عصر الاسرة الخامسة - بما يدل على ما كان ينعم به أفراد هذه الطبقة من حياة رغدة ، ومن رعاية الخدم والاتباع ، ومن امتع ما يستشهد به من مقابرهم من حيث أسلوبها المعمارى والفنى ، ومن حيث تنوع مصدرها التى تصور الحياة اليومية داخل البيوت وخارجها (نجيب ميخائيل : مصر ١٩٤/١ عبد العزيز صالح حضارة مصر القديمة وآثارها ١/٢٧٦) .

هذا ويبدو أن تعاليم «بتاح حوتب» هذه ، انما تمثل أقدم نص موجود في آداب العظام كله ، عبر في قوة وبلاغة عن قواعد السلوك المستقيم ، وهي ، بما في مادتها من غزارة ، تلخص لنا مقداراً كبيراً من أدب ذلك العصر ، وقد وصلت إلينا هذه التعاليم في أكثر من نص واحد ، أقدمها من الأسرة الثانية عشرة ، أي بعد موت مؤلفها بأكثر من ستة قرون ، ونرى فيها كثيراً من الكلمات والتعبيرات التي لم تكن معروفة على أيلم الدولة القديمة ، ولهذا يرجح الاثاريون أنه قد دخل على البردية الاصلية اصطلاحات وازافات كثيرة ، ولكنهم ظلوا ينسبونها الى الوزير «بتاح حوتب» .

وتتكون هذه التعاليم من ٣٧ حكمة ، والنسخة الكاملة من هذه البردية موجودة الان في متحف اللوفر في باريس ، وتعرف باسم Papyrus Prisse D'Avannes ، وكان هذا العالم الفرنسي «أبريس» قد اشتراها من أحد الفلاحين في الاقصر ، وأهداها الى المكتبة الاهلية بباريس عام ١٨٤٧م ، ويبلغ طولها نحو ثمانية أمتار ، وهي في حالتها الحاضرة تتكون من ثمانى عشرة صفحة ، مكتوبة كتابة واضحة بالقلمين الاسود والاحمر ، بالخط الهيراطيقي . وهي من الأسرة الثانية عشرة ، شأنها في ذلك شأن برديتين أخريين في المتحف البريطاني في لندن ، برقمي (١٠٣٧١ ، ١٠٤٣٥) من الدولة الوسطى ، ولكن هناك بردية أخرى في المتحف البريطاني أيضا برقم (١٠٥٠٩) من الدولة الحديثة ، وتوجد مقتطعات منها على ألواح بعض التلاميذ<sup>(٣)</sup> .

وكان أول من اهتم بنشر هذه التعاليم هو العالم الفرنسي «جيكيه»<sup>(٤)</sup> ثم «زابا»<sup>(٥)</sup> و «وزيته»<sup>(٦)</sup> ، وان كان (Devaud) أول من درسها

(٢) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٧٦ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٣١ - ٤٣٢ ، وكذا

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 61-62.

R O. Faulkner, Op-Cit, p. 159.

G. Jequier, Le Papyrus Prisse et ses Variantes, Paris, 1911. (٣)

Z. Zaka, les maximes de Ptahhotep, Prague, 1965. (٤)

K. Sethe, Agyptische Lesestücke, Leipzig, 1924, p. 36-42. (٥)

E. Devaud, Les Maximes de Ptahhotep, Fribourg, 1916. (٦)

دراسة وافية ، وقارن بين نصوصها المختلفة ، كما اهتم بترجمة الوثيقة وتحليلها والتعليق عليها كثير من العلماء من أمثال جن<sup>(٧)</sup> وارمان<sup>(٨)</sup> ولكما<sup>(٩)</sup> وويلسون<sup>(١٠)</sup> وشبيجل<sup>(١١)</sup> وفون بسنج<sup>(١٢)</sup> وفولكر<sup>(١٣)</sup> وجدكه<sup>(١٤)</sup> وفولتن<sup>(١٥)</sup> وغيرهم<sup>(١٦)</sup> ، هذا الى جانب بعض الترجمات العربية - كليا أو جزئيا - (١٧) .

B. Gunn, The Instruction of Ptah-Hotep and the Instruction (٧)

of Kagemni, The Oldest Book in The World, London, 1909.

A. Erman, I.AE, 1927, p 54-67. and The Ancient Egyptians, (٨)

p. XXVI, 54-66

F. Loxa, Enseignement de Ptahhotep et fragment de L'enseig- (٩)

nement de Kagemni, Parague, 1928.

F. Loxa, Quelques Corrections, Griffith Studies, p. 111-118. وكذا

F. Loxa, in Archiv Orientalni, 7, 1935, p 200-207. وكذا

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 412-414. (١٠)

J. Spiegel, Das Werden der Altägyptischen Hochkultur, (١١)

Heidelberg, 1953, p. 455 F.

F. W. Von Bissing, Altägyptische Lebensweisheit, Zurich, (١٢)

1955, p. 45-51.

R. O. Faulkner, in Agyptologische Studien, p. 81-84. (١٣)

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, وكذا

1977, p. 159-176.

H. Goedicke, JARCE, 5, 1966, p. 130-133, 6, 1967, p. 97-102. (١٤)

A. Volten, in Miscellanea Grégoriana, p. 371-373 (١٥)

G. Fecht, Der Habgierige und die Mant in der lehre des (١٦)

Ptahhotep, 1958

G. Fecht, Literarische Zeugnisse..., Heidelberg, 1965, p. 125-130 وكذا

P. Seibert, Die Charakteristik, I, Wiesbaden, 1967, p. 71-84. وكذا

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, I, London, 1975. وكذا

p. 61-80

T. E. Peet, A Comparative Study of The Literature of Egypt, وكذا

Palestine and Mesopotamia, London, 1931, p. 100 F.

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N Y, 1939, p. 129 F. وكذا

Meyer, The Oldest Books in The World, N. Y. 1900. وكذا

(١٧) محرم كمال : الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء -

القاهرة ١٩٦٢ ص ١٧ - ٤٢ ، احمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٣١ -

٤٣٥ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٧٦ - ١٨٧ ، نجيب ميخائيل :

المرجع السابق ص ٥٠٩ - ٥١١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق

ص ٣٧٦ - ٣٧٨ .

وأما عنوان هذه البردية — كما جاء في النسخة القديمة — فهو «تعاليم حاكم المدينة ، الوزير بتاح حوتب ، في عصر ملك مصر العليا والسفلى ، اسيى ، المستمتع بحياة خالدة أبدية» .

وأما في النسخة الحديثة فتبدأ : «هكذا قال بتاح حوتب ملك مصر العليا والسفلى ، اسيى ، لقد أقبلت الشيخوخة . وبدأ خرفها ، وسرت الالام في الاعضاء ، وتبدى الهرم وكأنه شيء جديد ، بصرى يضعف ، واذنأى تكاد تتوقف عن السمع ، قوتى تضعف ، وذهنى يكل ، فمى يخرس ولا يتكلم ، وذاكرتى تهرب منى ، ولا تقوى على استنكار الامس الدابر . عظامى تتوجع ، والسرور ينقلب فى نفسى الى غم . ورائحة كل شىء تتلاشى» .

«فمرنى حتى اتخذ لى سندا فى شيخوختى ، وحتى أجعل من ابنى خليفة لى ، يحتل مكانى ، فأعلمه عظمات من يسمعون ، وآراء من سبقوا ، وهم الذين خدموا السلف فى العصور الماضية ، ليتهم يعملون لك مثل ذلك حتى يزول النزاع من بين الناس» .

«فأجاب جلالته : علمه العظة أولا ، حتى يكون قدوة لأولاد العظماء ، ويتحلى بالطاعة ، ويدرك كل رأى صائب ممن يتحدث اليه ، فليس هناك من أوتى الحكمة من تلقاء نفسه» .

وهنا تبدأ الحكم والعظات ، حيث يقدم فيها «بتاح حوتب» خلاصة تجاربه ، وثمره تفكيره لولده ، حتى يندو حكيما ، حين يرث منصبه بعد موته ، وهى ليست مرتبة ترتييا منطقيا ، أو مهوبة ، وإنما سجلت كما ورحت عفو خاطر ، ومن ثم فكثيرا ما نراه يذكر أمرا من الامور ، ثم ينتقل منه الى ثان وثالث ، ثم يعود من جديد الى الموضوع الاول ، مما ينقص من قيمة هذه النصائح كعمل أدبى ، ذلك لان محتويات هذه النصائح ، فيما يرى بعض الباحثين ، الذين عنوا بدراسة هذه البردية ، أقرب الى مقالة خطيب يتحدث مرتجلا ، مايرد على خاطره ، منتقلا من موضوع الى آخر ، هذا فضلا عن أن هذه الحكم والنصائح ، رغم أنها

كتبت للخاصة من الناس ، فان الاقبال عليها في عهد الدولتين — الوسطى والحديثة — فضلا عن املائها لتلاميذ المدارس كمحفوظات يتدربون على حفظها وكتابتها ، الى جانب تناولها لموضوعات عامة يتعرض لها كل انسان — أيا كانت طبقته — انما جعلتها حكما علما .

وأيا ما كان الامر ، فهي لاشك انما قد شملت أهم ما أراد «بتاح حوثب» أن يلقنه لولده من وصايا ، وما أراد أن يتصف به من سجايا حميدة ، حتى يكون جديرا بمنصب الوزير — أعلى المناصب وأسامها — والذي سوف يشغله بعد وفاة أبيه ، أو اعتزاله الخدمة ، ومن المعروف أن منصب الوزير انما كان منتهى آمال الموظفين الكبار طوال العصور الفرعونية ، كما كان الوزير أكثر موظفي الدولة مصبة في نفوس الشعب ، ذلك لان القوم انما كانوا يعتقدون أنه هو الذي يقوم الحق ، ويمحق الباطل ، وكان الشاعر اذا وصف قصر الملك لم ينس أن يضيف الى وصفه «أن فيه وزيرا يتولى الحكم ، عطوفا على مصر» .

يقول «بتاح حوثب» في نصائحه لولده :

«لا تزه بمعارفك ، ولا تصببن نفسك عالما ، ولكن اجعل الامر شورى مع الجميع ، خذ نصيحة الجاهل ، كما تأخذ نصيحة العالم ، لان حدود العالم لا نهائية ، وليس هناك من يبلغ الكمال في أهليته ، والقول الحكيم أشد ندرة من الحجر الاخضر ، ومع ذلك فقد تجده الاماء اللائي يجلسن الى الرحي» .

«اذا وجدت رجلا يتكلم ، وكان أكبر منك وأسدى حكمة ، فاصنع اليه ، واحن ظهرك أمامه ، ولا تغضب الا اذا تفوه بالسوء» وعندئذ سيقول عنه الناس : تبا له من جاهل — اذا وجدت رجلا مساويا لك يتجادل ، وأثار حديث السوء فلا تسكت ، بل اظهر حكمتك وحسن أدبك ، فان الكل سيثنون عليك ، وسيحسن ذكراك عند العظماء — اذا وجدت رجلا فقيرا (ليس مساويا لك) يتكلم فلا تحتقره لانه أقل منك ، بل دعه وشأنه ، ولا تحرجه لتسر قلبك ، ولا تصب عليه جام غضبك فاذا بدا لك أن تطيع أهواء قلبك فتظلمه ، فانهر أهواءك ، لان المظلم لا يتفق مع شيم الكرام» .

«إذا كنت في صحبة جماعة من القوم ، وكنت رئيسا عليهم فعاملهم بالصنى حتى لا تلام ، وليكن مسلكك معهم لا يشوبه نقص ، ما أعظم الحق ، فان قيمته خالدة ، ولم ينل منها أحد منذ أيام الاله «أوزير» . من يخالف الحق يعاقب ، ومن استطل حقوق الناس حراما ، أخذ الحرام معه الحلال وذهب ، الحق خير وجزاؤه دائم ، وقد تجنى ثراء من وراء الشر ، ولكنه لا يدوم كما يدوم الخير ، فالحلال بين والحرام بين ، والمرء يفعل ما تعلمه من أبيه» .

«ولا تحاول أن تنتشر الرعب بين الناس ، فهذا أمر يعاقب عليه الرب ، ولا تحاول أن تخدع الناس ، فذلك لا جدوى منه ، فما أراد الله سيكون ، فعش آمننا مطمئنا ، راضيا بحاضرك ، واثقا بمستقبلك ، فسوف يأتي اليك رزقك من حيث لا تدري ولا تحتسب» .

«إذا دعيت الى مائدة عظيم من العظماء ، فخذ مما يقدم اليك ، ولا تمدن عينيك الى ما هو أمام غيرك ، بل انظر الى ما قدم اليك ، ولا تصوب اليه نظراتك ، لان النفس (كا) تشهت عندما يصطدم المرء بها ، غض من بصرك حتى يحبيك ، ولا تتحدث اليه الا اذا حياك ، اضحك عندما يضحك ، فان هذا مما يبهج قلبه ويجعل ما تقطه مقبولا لديه ، لان المرء لا يعلم ما في القلب» .

«إذا جلس الرجل العظيم الى الطعام ، فان مسلكه وأعماله تجيء من وحي روجه ، فقد تمتد يده بالطعام الى من يجلس بجواره ، وقد تتجاوزه الى البعيد بوحي من الروح (كا) والخبز يرزقه الرب لمن يشاء» . «إذا كلفك نبيل برسالة الى نبيل آخر ، فأداها كما أخذتها تعلم ، دونما أى تحريف أو تبجيل ، ولا تثر عداوة بكلماتك ، ولا تؤلب نبيلاً على نبيل ، بقلب الحقائق والبأس الباطل ثوب الحق ، ولا تكن نماما فالنميمة تمجها النفس ، وتأبأها الروح» .

«إذا كنت مزارعا فاحصد نتاج حقلك ، وسيلارك لك الرب فيه ، ولا تملأ فمك على مائدة جارك» .



«لا تجعل الرجل الذي لا ولد له حسودا ، ولا تنبذه وتجعله مغموما محسورا من أجل ذلك ، فالرجل ذو الولد قد يعتريه الهم ، رغم عظم مكانته ، وأم الأولاد نصيبها من راحة البال قليل ، والرب هو خالق الانسان ، وهو الذي يقدر له نصيبه في الحياة» •

«إذا كنت فقيرا وتعمل تابعا لرجل مشهور ممن يشغلهم رضا الاله (الملك) ، فلا تحاول أن تعرف شيئا عن ماضيه عندما كلن مغمورا ، لا تجعل قلبك يتعالى عليه بسبب ما تعرفه عن ماضى أيامه ، احترمه بقدر ما صار اليه ، ان الثروة لا تاتى وحدها ، انها تقدر على من يريدوها ويعمل لها ، فإذا عملت لها وسميت وراءها ، فان الرب ينيك اياها ، أما اذا قعدت وتواذيت وتمسكت بأهداب الكسل والخمول ، فان الرب لك بالمرصاد ينزل عليك غضبه وعقلبه» •

«إذا أصبحت عظيما ، بعد أن كنت وضيعا ، وصرت غنيا بعد أن كنت فقيرا ، فلا تنس ما كنت عليه في الماضي ، ولا تفخر بثروتك وتستكبر ، فانك لست بأحسن حالا من رفاقك الذين حل بهم الفقر» •

«إذا كنت رجلا عاقلا ، فليكن لك ولد تقوم على تربيته وتنشئته ، فذلك أمر يسر الأكلية ، فإذا اقتدى بك ، ونسج على منوالك ، ونظم من نسؤنك ورعاها ، فاعمل له كل ما هو طيب ، لانه ولدك ، وقطعة من نفسك وروحك ، ولا تجعل قلبك يجافيه ، فإذا ركب رأسه ولم يابه لقواعد السلوك فطنى ويمنى ، وتكلم بالالفك والبهتان ، فقسوه بالضرب حتى يعتدل شأنه ويستقيم قوله ، وباعد بينه وبين رفاقه السوء حتى لا يفسد ، أما اذا تحدى قولك فاطرده ، لانه ليس ابنك ، ولم يولد لك» •

«إذا كنت تتقف في بهو أحد العظماء فانظر حتى يأتى دورك ، وانتبه للخادم الذى يعلن الحاضرين بالدخول ، فلبهو تقاليد المرعية ، وعندئذ كن مستعدا للدخول ، دون دفع أو تراحم ، فالكلن رجب ، وقاعة المجلس يسيطر عليها نظام دقيق ، انه هو الرب الذى يهب المرء مقعدا فيها يجزى به المستحقين ، ولا يناله المعتدون» •

«إذا كنت بين جماعة من الناس ، فاجمل حب الناس هدفك ومنيتك ، ومبتنى قلبك وهواك ، فيقول من يراك ، هذا رجل ناجح وغنى ، فسوف أقبله ، فيحسن ذكرك دون أن تنتظم ، ويعلو قدرك بين جيرانك ، ويكمل من أمرك ما ينقصه ، أما من قسى قلبه وضل فؤاده ، وأطاع جسده فإنه يكون قد أطل صناره محل حبه ، وتعمس عقل صاحبه ، وساء وجهه بما جرت عليه نفسه ، ولتقد غرت نفوس أتباع الرب ، فالقلب إنما يشعر بالدفء من فضل الرب وحده ، ومن أطاع بدنه كان عدو نفسه» .

«كن صريحا ولا تخف من أعمالك سيئا ، بل صارع بها رئيسك في مجلسه ، حتى ولو كان يعلم بها ، فلا يضير المرء أن يقال له : ان هذا نسيء أعلمه» .

«إذا كنت سيد قوم فتصرف في نسئوهم طبقا للقوانين والانظمة ، وانظر الى مستقبل الايام ، حين يأتى وقت لا يفيد فيه الكلام» .

«إذا كنت فى منصب بصيى يتقرب اليك الناس اليك ، فكن مؤدبا واضح الى شكاة الشاكى فى رفق ، ولا تعترض كلماته ، حتى يفرج كل ما فى قلبه ، وكل ما جاء ليقوله ، فالرجل المهموم يجب الموظف الذى يتقبل شكاته ، ويتحدث عن متاعبه كلها له ، فالكلمة الطيبة تضىء قلبه ، ولكن اذا تردد فى أن يفضى اليك بما يجيش فى صدره ، قيل ، ان القافى يظلم من لا يستطيع لظلمه دفعا» .

«إذا كنت ترد أن تعيش موفور الكرامة فى أى منزل تدخله — سواء أكان منزل عنليم أم أخ أم صديق — فاحذر مخالطة النساء ، فما طاب مكان طللن فيه ، ومن سوء الراى أن يتلصص عليهن انسلن ، وكم من امرىء ضل عن رشاده حين استهواه جسم براق ، ثم تحول عنه الى هباء ، وأصبحت فترات استمتاعه القصار أضغاث أحلام ، وأفضت به الى الهلاك ، ان الرجال ليفتتون بأعضاء النساء البراقة ، ولكن سرعان ما تصبح بعد ذلك مثل أحجار «هرست» (وكان يعد رمزا للكرب والبلاء) والموت يأتى فى النهاية» .

«إذا أردت أن يكون سلوكك حسنا ، وأن تباعد بين نفسك وبين الشر ، فاحذر الجشع ، فإنه مرض وسقم ، ولا دواء له ، ومن المستحيل أن يجد صاحبه صديقا ، فهو يهيل حلاوة الصديق الى مرارة يويعد المرء المخلص عن سيده ، بل انه ليسى الى الاب والام ، والاخوة والاخوات ، ويذمر بذور الشقاق بين الرجل وزوجه وقد يجعل الامر ينتهى بهما الى الطلاق ، انه جماع الشر ، ان الرجل ذا الاخلاق الحميدة ، الذى يسير على الطريق المستقيم ، يطول عمره ، ويحظى بالثروه ، لكن الرجل الجشع لا يجد له قبرا» .

«لا تكن ترها فى القسمة ، فلا تاخذ منها ما ليس لك ، ولا تطلع فيما هو لأقاربك ، والكلمة الطيبة اللينة خير من القوة وأجدى ، والطماع يفرج صفر اليدين من بين أقاربه وأخلائه ، لانه حرم موهبة الكلام الرقيق ، وان القليل الذى يفتلس يولد العداوة ، حتى عند صاحب الطبع اللين» .

«إذا كت رجلا علقلا ، فانس لنفسك بيتا ، وأحبب زوجتك حبا جما ، وخذها بين ذراعيك ، اشبع جوفها ، واستر ظهرها ، وعطر بشرتها ، بالدهن العطر ، فان الدهن تزيق بدننها ، واسعدھا ما حبيبت ، فالمرأة حقل نافع لمحبه ، ولانتهمها عن سوء ظن ، وامتدحها يضعف شرها ، فان نفرت راقبها ، واستمل قلبها بعطاياك ، تستقر فى دارك ، وسوف يكيدھا أن تعانس علة فى دارھا» .

«أوصيك بأمر الذى حملتك ، هى ارسلتك الى المدرسة حتى تتعلم الكتب ، وهى تشغل نفسها طول النهار ، وهى تعطيك الطعام والشراب من البيت . . . والان وقد كبرت وتزوجت وأصبحت سيد بيتك ، التفت الى تلك التى ولدتك ، وزودتك بكل شئ . . . هى أمك ، لا تدع لها فرصة لتوبيخك ، لا تدعها ترفع يدها غضبا بسببك لان الله تعالى سيستمع اليها دونما ريب» .

«أشبع خدمك الاجراء بما لديك ، مما أفاء الرب عليك ، فهذا واجبك ولو أنه من الصعب ارضاء الخادم الاجير ، فواحد يقول : انه مسرف ،

ولا يعرف المرء ماذا يأتي منه في قابل الايام ، وفي الغد يقول : انه قانع وياق حيت هو ، وعندما تطوق الخدم بفضلك وكرمك يأتون اليك يقولون : نريد أن نذهب ونتركك ، ألا فلتذهب الرحمة من مدينة يقيم فيها خديم خبثاء تصاء» •

«أتبجح أصدقاك بما آفاه الرب عليك من خير وحظوة ، فالحكمة تقضى بذلك » فما من انسان يعرف مصيره ، اذا فكر في الغد ، واذا صد سوء الطالع بمن كان ذا حظوة ، فان أصدقاؤه هم الذين يقولون له : مرحبا ، فاستبق مودتهم لوقت الشدة الذي يتهدد الانسان» •

«لا تردد كلاما قهرا في ساعة غضب ، ولا تصنع اليه ، لانه خرج من جسد أعمته ثورة الغضب ، واذا أعيد عليك هذا الكلام فلا تستمع اليه ، بل انظر الى الارض ، ولا تتكلم بشأنه » فيضجل من هو أمامك ويعرف الحكمة — اذا أمرت باقتراف سرقة « فعليك أن تتفادى الامر ، لان السرقة شنيعة ، طبعا للشريعة» •

«اذا كنت رجلا ذا شأن ، وجلست في مجلس سيدك ، فثق أن الصمت خير وأجدي لك من الثرثرة في الكلام ، لا تتكلم الا اذا كان لحيك ماتريد أن تقول حقا ، وعندئذ يجب عليك أن تكون فنانا في الحديث ، فالكلام من أشق من العمل الشاق ، فجاهد لتعرف كيف ومتى تتحدث — واذا كنت ذا بطش وسلطان فدعهم يوقروك من أجل علمك ورقة حاشيتك ، ولا تصمت، ولكن حذار من أن تقاطع أحدا وهو يتكلم » واياك أن تجيب وانت في ثورة غضبك» •

«اذا كان أميرا منهمكا في عمل فلا تثر ما يموجه ، ولا تغضب قلبا مثقلا بالهجوم ، انه لينصرف عن يعطله ولكنه يفضى بخيلة نفسه الى من يصبه ، ان تألف الارواح من عمل الرب الذي يحب خلقه ، انطلق اذن بعد شجار مرير ، وتصاف مع من كان لك خصما ، فمثل هذه الاحاسيس هي التي تقوى الحب» •

«اذا كنت أستاذا ومربيا تقوم على تعليم ابن أحد النبلاء ، فعلمه

الاشياء ، التي تعود عليه بالنفع ، ودعه يختلط بالناس ، ويقر بالفضل  
لاستغذه ، اذ ان رزقك ياتيكَ منه ، فانته من خيره تسبع بطنك ، وتكسو  
ظهرك . ودعه يصحبك حتى يعم بيتك ويعلم سرفك ، ولسوف يعد يده في  
رفق اليك ، ويعطيك فترضى ، ولسوف ينرس حبك في قلوب اصداقك» .

«اذا كنت ابن احد رجال الدين ، ورسول سلام بين جموع الناس ،  
فتكلم دون ان تحابى طرفا على آخر ، ولا تجعلهم يقولون : ان شأنه  
شأن النبلاء يحابى طرفا في تلامه ، وليكن هدفك اصدار احكام دقيقة» .

«اذا كنت تسامحت في سالف الايام ، مصفحت عن شخص بغية  
هدايتة ، فدعه وشأنه ، ولا تذخره بفضلك في الغد — واذا كنت رجلا  
عظيما ، وكنت من قبل صغيرا ، واذا صرت غنيا ، وكنت من قبل فقيرا ،  
فلا تتكبر لانك بلغت هذه المرتبة العالية ، فما انت سوى قيم على  
الحسنات التي اطهاها الرب لك ، ولست انت الاخير . فسرعان ما يبلغ  
دواك المرتبة التي بلغتها ، فيذرون مساويا لك ، ياتيهم من الثروة والجاه  
ما اترك» .

«الحن ظهرك لمن هو ارفع منك ، الى رئيسك الذي في القصر ، وبذلك  
تعلمن على مرتبك ، ودخل بيتك ، وتكون مكافئك ما يجب ان تكون ، ان  
المعارضة للرئيس تجلب المتاعب ، لان الانسان يحيا طالما كان رقيق  
الطبع» .

«لا تسلب منازل المزارعين ، ولا تسرق متاع صديق ، حتى لا يتهمك  
في مواجهتك فينقبض قلبك واذا علم بأمرك ، فانه لن يتوان عن اذاك  
وضرك» .

«ما أحق الخصام بكل الصداقة» .

«اذا ارحت معرفة اخلاق صديق ، فلا تسأل أقرانه عنها ، ولكن  
اختلط به ، وامتن قلبه في معرض كلام ، فاذا كشف لك عن ماضى حياته ،  
فقد هيات لك الفرصة ، لتخجل منه أو تكون صديقا له ، لا تكن متحفظا  
عندما يبدأ الحديث ، ولا تجبه بخشونة ، ولا تتركه أو تقاطعه ، حتى

ينهى حديثه « فقد يفيدك ما يقول ، أما اذا أفضى شيئا يكون قد رآه ،  
أو فعل شيئا يفضبك ، فكن حذرا حتى في اجابتك» •

«لكن سمح الوجه ، وضاح الجبين ، مشرق الطلعة ، ملدمت حيا ،  
ولا تحزن على ما فات ، والمرء يذكر بأعماله بعد موته» •

«اعرف جيدا من يعاملك من التجار ، فاذا ساعت حلاك ، فان سيرتك  
الطيبة بين أصدقائك ستكون خير عون لك ، انها خير من الانقلاب ومن  
الغنى ، فالغنى يزول ، والمال ينتقل من فرد لآخر ، والذكرى الطيبة باقية  
للانسان مفضرة له ، ان الخلق الحسن يبقى شيئا مذكورا» •

«ألا فلتعلم أن الرذيلة يجب أن تمسح ، حتى يتأتى للفضيلة أن  
تعيش وتبقى» •

ثم تلى ذلك خاتمة تمتدح ما في هذه النصائح من فوائد ، ينبغى أن  
يتناقلها الخلف من السلف ، جيلا اثر جيل ، للانتفاع بما فيها من موعظة  
حسنة وقول حكيم •

ثم يحثه على الاغادة من هذه الحكم فيقول :

«ان حكى وأمثالى ستعلم المرء كيف يتكلم ، بعد أن يسمها ويميها ،  
ومن ثم يصبح عبقرى في كلامه ، وفي سماعه وطاعته ، وسيكون النجاح  
حليفه ، يعلو شأنه ، وينبه ذكره ، وتسمو مرتبته ، ويصل الى أعلى  
عليين ، وسيفل فاضلا كريما حتى آخر أيامه في هذه الدنيا ، يملأ الرضا  
نفسه ، وتهديه حكمته الى مكان الامان ، حتى يعيش في طمأنينة وسعادة  
على وجه الارض ، وسوف يكون العالم راضيا بما أوتيه من علم» •

«أما الامير فسيكون سعيدا ، ولسانه مستقيما » لان هذه الحكم  
والأمثال ، سوف تطل عقدة لسانه فيفهم الناس قوله ، وسوف تفتح  
عينيه ، وتسمع أذنيه ، وتوقفه على كل ما هو مفيد لولده ، فينصلح حاله ،  
ويستقيم أمره» •

«ما أجمل طاعة الابن ، يأتى ويستمتع مطيعا ، انه عبقرى في سماعه ،

عبقري في كلامه ، ذلك الذي يطيع كل ما هو خير وطيب ، وطاعة المطيع شئ نبيل ، ان الطاعة هي خير ما في الوجود ، انها تكون الرغبة الصنفة ، وما أجمل أن يأخذ الابن عن أبيه ما أوصلته اليه تجارب شيخوخته ، ان ما يريده الرب هو الطاعة ، أما العصيان فهو بغيض الى الرب ، حقا ان القلب هو الذي يجعل صاحبه يطيع أو يعصى ، لان حياة الانسان الحققة من وحى قلبه ، ان من يطيع يطاع» .

«ما أجمل أن يستمع المرء الى أبيه عندما يتكلم ، أما النعبي الذي لا يسمع فلن يلقى نجاحا ، لانه ينظر الى العلم ، كما لو كان جهلا ، والى الخير ، كما لو كان شرا ، ويجلب على نفسه اللوم كل يوم ، لانه يفعل ما يكره الناس ، ويعيش على ما يسبب الموت ، ان قالة السوء هي طعام فمه ، ولهذا سيعرف أولو الامر حقيقة خلقه ، وسيموت كل يوم وهو حي وسيتعاشاه الناس لكثرة مساوئه التي تزداد يوما بعد يوم» .

«ان الابن الذي يسمع ويطيع كأحد أتباع حوربيلنج سن الشيخوخة ، ويصل الى أعلى مراتب الشرف والسؤدد ، وهو يرد على مسامح آبائه وبناته نصائح أبيه وتعاليمه ، حتى تظل خالدة متجددة ، ينقلها الآباء الى الابناء ، جيلا اثر جيلا ، واياك أن تتناولها بالتحريف» .

«كن حذرا في الكلام حين يسمع اليك رجل علم ، واحرص على أن تعلق سمعتك في أفواه من يسمك ، واذا دخلت في أمر كخبير ، فلا تجعل لسانك ينطق الا بما هو حق ، حتى يكون مسلكك حسنا» .

«نفذ وصية سيدك ومولاك التي أوصلك بها ، فما أجمل نصيحة الاب لابنه الذي أنجبه ، حقا ان الابن النجيب هبة من الرب ، فهو يعمل أكثر مما يؤمر به ، ويفعل الخير ، ويضع قلبه في كل أعماله» .

«نفاذا وصلت الى مركزى ، وقدرت ما أوصيتك به ، فسيكون جسمك سليما معافى ، وسيسر الملك بكل ما تعمل ، وستبلغ من العمر ما لا يقل عما بلغت من سنوات أمضيتها على الارض ، فقد بلغت العاشرة بعد المائة ، وأغدق على الملك من وفير نعمائه ما يفوق آلاءه على أجدادى ، لاني أقممت الحق والعدل للملك حتى شيخوختي» .

## ٢ - نصائح الى كاجمنى

وردت هذه النصائح فى الصفحتين الاوليين من بردية بريس ، الآفة الذكر ، والمحفوظة بمتحف اللوفر فى باريس ، وعنوانها «نصائح موجهة الى كاجمنى» (كايجمنى أو جمينكاى) ، وهى - فيما يرى أستاذنا الدكتور أحمد فخرى<sup>(١)</sup> - من انتساء الدولة الوسطى (الاسرة الثانية عشرة) ، ولكن كاتبها نسبها الى أيام الدولة القديمة ، وربط بينها وبين اسم الملك «سنفرو» مؤسس الاسرة الرابعة ، والذي اشتهر أمره شهرة كبيرة على أيام الاسرة الثانية عشرة ، وآله القوم ونسبوا الى أيامه كثيرا من قصصهم .

هذا ولم يعثر على الجزء الذى يحتوى نهاية البردية ، ونعرف منها أن مؤلفها (ربما كان يدعى كارسو) كان حاكما المعاصرة ووزيرا للملك «حونى» آخر ملوك الاسرة الثالثة ، وقد أدركته الشيخوخة فكتب هذه النصائح ليسير عليها أبناؤه ، وبخاصة «كاجمنى» الذى تولى وظائف أبيه فى عهد الملك سنفرو .

غير أننا لم نعث أبدا على اسم موظف يدعى «كاجمنى» من عهد سنفرو ، وربما اختلط الامر على كاتبها فى الاسرة الثانية عشرة ، فاعتقد أن الوزير الشهير «كاجمنى» الذى عاش على أيام الاسرة السادسة وصاحب القبر المعروف فى سقارة ، إنما قد عاش على أيام الملك سنفرو ، وربما كانت هناك نصائح كتبها هذا الوزير أعادوا كتابتها فى الاسرة الثانية عشرة ، كما حدث لنصائح «بتاح هوتب» ، وعلى أية حال ، فسواء أصح هذا الاحتمال أم لم يصح ، فالذى لا شك فيه أن النص الذى بين أيدينا إنما يرجع الى أيام الدولة الوسطى .

هذا وقد اهتم بنشر هذه النصائح وترجمتها والتعليق عليها ، كثير

---

(١) أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى  
ص ٤٣٥ - ٤٣٦ .



من العلماء ، منهم جيكيه<sup>(٣)</sup> ، وشارف<sup>(٢)</sup> وجاردنر<sup>(٤)</sup> وزيتة<sup>(٥)</sup> وجن<sup>(٦)</sup> وارهان<sup>(٧)</sup> وقون بسنج<sup>(٨)</sup> وفيدرن<sup>(٩)</sup> ويونز<sup>(١٠)</sup> ومويسوت<sup>(١١)</sup> وايدل<sup>(١٢)</sup> وسمبسون<sup>(١٣)</sup> وغيرهم<sup>(١٤)</sup> ، فضلا عن بعض الترجمات العربية<sup>(١٥)</sup> .

هذا وقد جاء في هذه النصائح والتعاليم :

«السلامة في التواضع ، والشريف في معاملته معدوح ، ومن يتخذ الاستقامة أساسا عمله يمتدحه الناس ، والدذر الفطن في حديثه تفتح له الابواب ، ولكن المسكين تشمذ لمن يجيد عن الطريق المستقيم» .

«إذا جالست قوما على مائدة طعام « فتعفف عن الطعام ولو كنت تشتهي ، فإنها برهة قصيرة تقهر الرغبة فيها . . . وقد خسر من شره جوفه ، ان قدحا من الماء يروي غلة الظالم » و«لء الفم من حسائش

G. Jequier, Papyrus Priese et ses Variantes, Paris, 1911 (٢)

A. Scharff, in ZAS, 77, 1941, p. 13-21. (٣)

A. H. Gardmer, JEA, 32, 1946. p. 71-74, JEA, 37, 1951, p. 109-110. (٤)

K. Sethe, Agyptische Lesestücke, Leipzig, 1921, p. 42-43 (٥)

B. Gunn, 'The Instruction of Ptah-Hotep and 'The Instruction of Kagemni, The Oldest book in 'The World, London, 1912, p. 62-64. (٦)

A. Erman, LAE, 1927, p. 66-67 (٧)

F. W. Von Dissing, Altägyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, p. 52-53. (٨)

W. Federn, in JEA, 36, 1950, p. 48-50. (٩)

G. Posner, in RdE, 6, 1951, p. 32-33. (١٠)

J. Yoyotte, in BSIF, 11, 1952, p. 67-77. (١١)

E. Edel, in MFO, 1, 1953, p. 210-226. (١٢)

W. K. Simpson, The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 177-149. (١٣)

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 59-61. (١٤)

(١٥) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٣٥ - ١٤٣٦ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٥ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٢ ، سليم حسن : المرجع السابق ١/١٨٨ - ١٨٩ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١١ .

الأرض يقيم أود القلب ، ورب حسنة تقوم مقام الخير كله ، ونزر يسير  
يغنى عن الكثير كله ، وتعس رجل شره من أجل بطنه» •

«إذا جالست نهما فكل عندما تنتهى شهيتته ... وإذا شربت مع  
سكير ، فشاركه حين يبلغ كفايته» •

«لا تتكالب على اللحم فى حضرة ... ، وإذا أعطاك شيئا فخذ  
ولا ترفضه ، فإن ذلك يرضيه» •

«إذا كلن المرء غير مألوف العشرة ، فما من قول يفيد فيه ، انه يقطب  
وجهه أمام من يحسنون اليه ، وهو نكبه على أمه وأصدقائه ، وكل الناس  
تقول عنه : ان فعه لا يستطيع الكلام عندما يخاطبه أحد» •

«لا تفاخر وترهو بقوتك بين من هم فى سنك ، وكن على حذر من كل  
انسان ، حتى من نفسك ، ان المرء لا يدري ماذا سيحدث ، كما انه  
لا يدري ما الذى سيفعله الله عندما ينزل عقابه» •

ثم تختتم التعاليم بالنص التالى :

«ثم نادى الوزير أولاده بعد أن انتهى من مقاله عن قواعد سلوك  
بنى الانسان وأحوالهم ، كما عرفها بنفسه ، وقال لهم :

«اصغوا واعوا كل ما أوردته فى هذا الكتاب طبقا لما قلته» •

«عندئذ خروا سجدا على بطونهم ، وقرأوه « طبقا لما هو مكتوب ،  
وكان فى قلوبهم أحسن من أى شيء آخر فى البلاد كلها ، وقاموا وقعدوا  
متبعين ما جاء فيه» •

«وعندما وافى الملك «حونى» الاجل ، واعتلى جلالة الملك «سنفرو»  
عرش البلاد ، عين «كاجمنى» محافظا للعاصمة ووزيرا» •

ظلت هذه التعاليم تعرف باسم «تعاليم دواوف» الى أن برهن الاستاذ «جاردنر» على أن اسم كاتبها انما هو «خيتى بن دواوف» ، وأن «خيتى» هذا انما كتبها لولده «بيى» .

هذا وقد وصلت الينا نسخ كثيرة من هذه التعاليم ، بعضها على أوراق بردية ، وبعضها الاخر على لوحات خشبية ، فضلا عن فقرات على قطع الخزف ، وشظيات من الحجر الجيرى الابيض الاملس ، كما وجدت كاملة فى برديتى سالييه الثانية ، وانسطاسى السابعة ، المحفوظتين بالمتحف البريطانى فى لندن . وأما أقدم فقرات وصلت الينا من هذه التعاليم فهى التى اهدى الى حلها «بيانكوف» ، ويرجع عهدا الى أوائل الاسرة الثانية عشرة ، وقد كتبت على لوح من الخشب بقى لنا بعض أجزاء منه وهى بلاشك ترجع الى عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، وكثيرها من قطع الادب ، ولا غرابة فى ذلك فهو العصر الذى ازدهر فيه الادب بدرجة عظيمة .

ولعل من الاهميه بمكان الاشارة الى أن هذا النوع من التعاليم الذى سنقدم بعضا منه ، انما كان محببا بصفة خاصة عند مدارس عهد الدولة الحديثة «١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق.م» ، ومن ثم فقد نال مكانة ممتازة عند القوم ، غير أن الطريقة التى عبث بها التلاميذ فى المتون كانت معيبة لدرجة يقصر أمامها كل وصف ، فلا يكاد القارئ يقيم قراءة فقرات منها حتى يتساءل بياس عما كان مكتوبا فى الاصل ، ذلك لان معظم ما كتبه التلاميذ انما هو فى الغالب كلمات لا معنى لها ، ولعل السبب فى ذلك أن التلاميذ كانوا ينقلون ما لا يفهمون ، أو أنهم كانوا يجبرون على نقل فقرات من هذه التعاليم ، دونما أية رغبة فى نقلها ، وفى كلتا الحالتين كانت النتيجة أن ترجمة هذه الفقرات انما أصبحت أمرا لا يخلو من الصعوبة ، ولكن من حسن الحظ أن القطع التى عثر عليها «بيانكوف» ، وقرنها بما يقابلها من النسخ الاخرى قد حلت لنا بعض معضلات هذه

التعاليم ، وان كان الجزء الاكبر منها لا يزال غامضا بعض الشيء في نقاط ،  
ومغلقا تماما في أخرى •

هذا ويرجع السبب في حظوة هذه التعاليم وانتشارها في مدارس  
عصر الرعامسة الى أنها كانت تتغنى بفضل المدارس والتربية  
المدرسية ، فضلا عن امتداحها لمهنة الكاتب ، وسخريتها من المن  
الآخرى ، وهي بالضبط كالرسائل التي كان يتبادلها المدرسون على  
أيام الدولة الحديثة •

وتمتاز هذه التعاليم بأن كاتبها لم يكن وزيرا ينصح ولده الذي  
سيتولى وظيفة أبيه من بعده ، وانما كان رجلا عاديا من عامة القوم  
يدعى «لخيتي بن دواوف» كتبها لينصح بها ولده المدعو «ببببي» عندما  
عمد العزم على ارساله للعاصمة ليلتحق بالمدرسة (بيت الكتب) ليتمتع  
العلم مع أبناء كبار الموظفين •

وقد اهتم بنشر هذه التعاليم كثير من علماء المصريات ، منهم  
«جودوين» في عام ١٨٨٥ م ، ثم بيير<sup>(١)</sup> وبييت<sup>(٢)</sup> وبيانكوف<sup>(٣)</sup>  
و ارمان<sup>(٤)</sup> و هلك<sup>(٥)</sup> وسامبسون<sup>(٦)</sup> وغيرهم<sup>(٧)</sup> ، فضلا عن بعض الترجمات  
العربية<sup>(٨)</sup> •

هذا ويفتتح «لخيتي» هذه التعاليم كالعادة بذكر اسمه واسم ابنة  
الذي من أجله كتبت هذه النصائح فيقول «تعاليم ألفها مسافر في حجرة  
سفينة اسمه «لخيتي بن دواوف» لابنة «ببببي» حينما سافر مصعدا في  
النهر الى عاصمة الملك ليلحق ابنه بالمدرسة بين أولاد الحكام» •

M. Pieper, Die Agyptische Literatur, p. 30. (١)

E. Peet, Op-Cit, p. 104 F. (٢)

Plankoff, in Revue d'Egyptologie, 11, 1933, p. 51-74 (٣)

A. Erman, LAE, 1927, p. 67-72. (٤)

W. Helck, Die Lehre des DW-HTJJ, 2 Part, Wiesbaden, 1970. (٥)

W. K. Sampson, Op-Cit, p. 329-336. (٦)

G. Maspero, Genre Epistolaire, p. 48 F. (٧)

(٨) سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٠٧ - ٢١٦ ، محرم كمال :

المرجع السابق ص ٥٤ - ٦٠ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٣٧-٤٣٨ •

ويكشف لنا هذا العنوان عن حقائق خطيرة من الوجهة التعليمية والتاريخية . فمعه نعرف أنه كانت توجد مدرسة جامعة يتعلم فيها أولاد علية القوم ، في عاصمة الملك ، وأن العاصمة كانت وقتئذ في الصعيد ، لأنه كان على خيتى أن يقلع بسفينته مصعدا في النهر ، وربما كانت في «اهناس المدينة» (بمحافظة بنى سويف) أو في «طبية» (الاقصر الحالية) هذا فضلا عن أن هذه المدرسة انما كان يتعلم فيها أبناء حكام الاقاليم ومن في طبقتهم ، وسنرى أن «خيتى» يقول لولده : وستكون رئيسا لمجلس «قنبت» وهو ذلك الجمع الذى كان يدير حكومة البلاد في المعهد الاقطاعى ، وكان معظمه وقت ذاك من حكام المقاطعات .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن أول ما يلقي «خيتى» على ولده من النصائح ، هو أن يرسم له صورة قبيحة للجاهل ، ثم يغريه بحب العلم أكثر من حبه لأمه ، ويقول أنه عجز عن تصوير جماله له ، ثم يشبر اليه بأن صناعة الكتابة تفوق كل صناعة ، وأنه لو تعلمها فإن القوم سيهتأونه على ذلك ، فيقول : «انى قد رأيت من ضرب ، فطبعك أن توجه قلبك للكتب ، انى قد رأيت من أطلق من الاعمال المشاقة ، فلنظر ، فلا شىء يعلو الكتب ، وأنت اذا قرأت في خاتمة كتاب «كمت» (ربما كان اسم كتاب قديم) فانك لو اجد فيه هذه العبارة : ان الكتاب يفسح أمله كل مجل في العاصمة ، ولن يمانى فيها مقرا ، والرجل الذى يسير وراء رأى غيره لا يصيب نجحا ، ليعتد استطيع أن أجعلك تحب الكتب أكثر من أمك ، وليتنى استطيع أن أريك جمالها ، انها أعظم من أى شىء آخر ، ان الطالب اذا بدأ في طريق النجاح ، فان الناس تعلق من شأنه ، ويوفد لتنفيذ الاوامر ، ولا يعود الى البيت ليرتدى ثوب العمل» .

ثم يصف الاب لابنه بعد ذلك ، الفرق بين مهنة الكاتب ، وما ينال صاحبها من الشرف ، وبين المهن الاخرى التى يكون من جرائها تعب الجسم واضمحلاله ، وتعرض محترفيها للاخطار فيقول : «على أننى لم أر قط نحاتا كلف برسالة ، ولا صائغا أرسل في مهمة» .

ثم يتناول بالشرح كل مهنة وما فيها من متاعب ، وازدراء لصاحبها ،

إذا قورنت بمهنة الكتابة ، ويقدم لولده درسا في الحياة الاجتماعية ،  
 ويستعرض أمامه أهم أنواع الحرف في مصر الفرعونية وقتئذ ، ونصيب  
 كل صاحب حرفة من متاعها ، يذكر ذلك في شيء قليل أو كثير من المبالغة ،  
 ولكنه يكشف لنا في الوقت نفسه عن نوع الحرف التي كان يتخذها أبناء  
 العصر المظلم الذي يتحدث عنه ، فيتحدث عن صانع المعادن فيقول :  
 «لقد رأيت صانع المعادن يعمل عند فوهة موقدة ، وأصابعه ممتيصة  
 مجمدة مثل جلد التعساح ، ورائحته أنتن من فضلات السمك ، وكل صانع  
 يقبض على الأزميل يصيبه من الإعياء أكثر مما يصيب من يفلح الأرض ،  
 لأن حقله هو الخشب ، وفأسه هو المعدن » وحسن يطل الليل ويطلق  
 سراجه « يعمل على ضوء السراج أكثر مما تطيق ذراعاها » \*

ثم ينتقل الى الكلام عن البناء « وما يناله من التعب الجسماني ،  
 فيقول : «والبناء يعمل في كل صلب من الأحجار » وعندما ينتهي منه تكون  
 قد تكسرت ذراعاها ، وانهدت قواه ، فإذا ما جلس عند المنسق ، يكون  
 فخذاه وظهوره قد تحطمت » ، ثم يتناول بعد ذلك حرفة الحلاق ، فيظهر  
 لابنه أنها حرفة مضيئة ، صاحبها لا يبد أن يجول في الشارع ليبحث عن  
 عمل يسد رمقه بما يكسبه منه ، فيقول : «والحلاق يظل يهلق متأخرا  
 الى المغرب ، وهو يتجول من شارع الى شارع بضنا عن يطلق له وهو  
 ينهك ذراعيه من أجل لقمة عيش يهلا بها بطنه ، كلنطة التي تاكل وهي  
 تعمل وتكد » ، وكذا يظهر له المتاعب التي يلاقها التاجر الجوال الذي  
 يسافر الى الدلتا ليصم على ثمن بضاعته ، ويعمل فوق طاقته ، على  
 حين يقتله الجعوش » \*

ويتناول بعد ذلك صناعة اللبن ، فيقول : «وضارب الطوب من طمي  
 النيل ، يقضى حياته بين المائتية ، ملبسه خشنة جسامدة ، وهو يعمل  
 بقدميه » ، والظاهر أن حرفة البناء كانت شاقة حتى أن حكيمنا هنا انما  
 يعود اليها مرة أخرى ، فيقول : «لودعنى أعود الى ذكر البناء الذي يشيد  
 الجدران ، فهو غالبا ما يكون مريضا ، وملبسه قذرة ، ولا يغتسل الا  
 مرة واحدة لمصعب ، وهو تمس تعاسة تفوق حد الوصف ، فهو كقطعة

حجر في غرفة ، طولها عشر أذرع ، وعرضها ست أذرع ، وأطفاله يضربون ضرباً» •

ثم يصف الحكيم لابنه حالة البستاني (ولعله يقصد به زارع الخضر والفلكة سواء بسواء) فيقول : «والبستاني يحضر أحصالا تتوء بها فراعاه ورقبته ، وفي الصباح يقوم بارواء الكراث وفي المساء يروى الكروم » فهو أسوأ حالا من غيره» •

ثم ينتقل الى وصف حالة الفلاح ، فيصفه بان الامراض تفتك به « وصاحب الاملاك يستفد كل محصوله ، فهو كالحيوان الذي يعيش بين الاسود ، فهو لا يبد مأكول ، فيقول : «أما الفلاح فحسابه مستقر الى الابد (ربما مع مالك الارض) وصوته أعلى من صوت الطائر «ابو» (أى كثير الشكوى) ، وهو أيضا يناله الاعياء بما يجلب عن الوصف ، وهو يعيش كمن يعيش بين الاسود ، وطالما يعتريه المرض ، وعندما يقفل راجعا الى منزله في المساء ، فان كثرة المشى تكون قد أنهكت قواه» •

ثم يتحدث عن «النساج» الذي يعمل وهو جالس طول اليوم ، فيشبهه بقميدة البيت ، فهو لا يتمتع بالهواء الطلق ، وهو مراقب دائما ، فاذا تباطأ عن العمل يوما ضرب بالسوط ، واذا أراد الخروج من مصنعه ليستنشق الهواء ، فلا يصل الى ذلك الا بالرشوة ، فيقول : «أما النساج في مصنعه فامرء أسوأ من امر النسان (اللائى يجلسن أيضا في المنازل) فخذاه تكونان على بطنه ، فلا يستطيع استنشاق الهواء ... وهو يعطى حارس الباب خبزا ليمكته من الخروج في ضوء النهار» •

وبعد ذلك يصف حكيمنا هذا المصنك لابنه حرفة من الحرف التي كانت شاقة في ذلك الوقت ، ولكنها قد اختلفت في عهدنا الطائر بانتشار المدنية ، وأعنى بها «صناعة السهام» ، وقد كانت من أهم أسلحة الحرب وقت ذاك فيتحدث عنها وكيف يتحتم على صاحبها أن يذهب الى الصحارى والجبال حيث الظران الذي تصنع منه السهام ، وما في ذلك من بعد المسافة وما يعانیه هو وحملره ، وما يستلزمه من المال لمن يرشده الى الطريق في وسط

تلك الغياقي والمقلر ، وما يتطلب ذلك من وقت ونصب ، فيقول : «أما صانع السهام فما أسوأ حاله حينها يخرج الى الصحراء ، فهو يعطى الكثير لحماره ، ويعطى الكثير لما في الحقل ، وعندما يعود الى منزله في المساء ، فإن السير يكون قد هدء» .

ثم يتناول بعد ذلك حرفة أخرى أخذت تتلاشى الان في مصر ، وأعنى بها نقل البريد برجال خصصوا لذلك ، فيصف لنا كيف أن عامل البريد عند ذهابه الى بلد أجنبي يترك وصيته خوفاً من عدم عودته الى أهله ، لما في رحلته من المخاطر ، وحتى اذا عاد الى مصر ثانية ، فإنه لا يمرد مرتاح النفس ، هادىء البال ، لان التعب يكون قد أضناه ، فيقول : «وعامل البريد عندما يرحل الى بلد أجنبي ، يوصى بأمواله لاولاده ، خوفاً من الاسود والاسيويين ، وحينما يعود الى بيته يكون السير قد قطعه ارباً» .

ثم يصف حرفة الاسكافي بالنعاسة ، وكيف أن هذا القمص يحمل أوانيه التي فيها أدواته وجلده ، وكيف أن صحته تسوء ، وجسده يهزل ، وقد يضطر الى قطع الجلد بأسنانه ، فيقول : «وياللسوء حال الاسكافي فهو دائم الاستجداء ، وما عليه هو الجلد» ، ثم يتحدث عن حرفة «الغسل» ومجازفة صاحبها بنفسه أمام خطر التماسيح ، مما يدل على كثرة هذا الحيوان في ذلك العصر في النيل ، وما يلاقيه بسببها من تعب جسماني ، فيقول «والغسل يعمل على تسلطه النهر ، فهو جار قريب للتمساح» .

ثم يتحدث عن حرفة لهو ، تجعل صاحبها يهمل عمله ، وأعنى بها «حرفة صيد الطيور» ، فيقول : «وصائد الطيور تراه تعسا حينما يرى الطيور في السماء ، ويقول : ليست عندي شبكة هنا ، ولكن الله لا يهيء له سبل النجاح ، ودعنى أنتقل بك الى صائد السمك ، فان حرفته أسوأ حالا ، فهو يعمل في النهر حيث تكثر التماسيح ، والخوف يعميه» .

وهنا يصل الحكيم الى بيت المقصيد ، وهو تمجيد مهنة الكتابة فيقول :



«أنظر انه لا توجد مهنة من غير رئيس لها ، الا مهنة الكاتب ، فهو رئيس نفسه ، وان رحلت تلك التي أقوم بها معك الى المعاصرة تستهدف الخير لك ، وأقوم بها حبا فبك ، فان يوما تقضيه في المدرسة يعود عليك بالانفع ، وما تفضله فيه يبقى مثل الجبال» .

ثم تلى ذلك فقرات غير مترابطة ، منها :

«اذا دخلت على رب البيت وكان في منزله مشغولا بأخر حضر من قبلك ، فاجلس ولا تطلب شيئا» .

«لا تتحدث بكلمات خفية ، ولا تجعل الالفاظ النابية تخرج من فمك» .

«اذا أرسلك عظيم برسالة ، فانقلها وبلغها كما نطق بها ، ولا تنقص فيها شيئا ، ولا تصف اليها جديدا» .

«الفتح بطعامك ، فاذا أشبعتك ثلاثة أرغف ، وشربت قدحين من الخمر ، ولم تكف لأشباع بطنك ، فقلوم ذلك الشعور» .

«من الخير أن تبتعد عن جمهرة الناس ، وتستمع وحدك الى أقوال العظماء . . . . . ولتأخذ لنفسك صديقا من أبناء جيلك» .

«ما من كاتب ينقصه الزاد الوفير ، وان الآلة لثرعاه وتضعه على رأس هيئة الموظفين» .

«أنظر : فان هذا الذي أنصحك به ، هو ما أضمه أملك وأمام أولاد أولادك» .

وفي النهاية نرى «لخيتي» يقول لابنه : انه قد وضعه على الطريق الالهية ، وان ربه «حصاد الكتاب» على كتفه منذ يوم مولده — بمعنى انه لن يقاسى آلام الحاجة ، وأنه بفنه يصل الى أعلى وظيفة في البلاط ، وذلك بأن يصبح عضوا في المجلس الاعلى لأحكام الاقاليم (قنبت) ، بل قد يكون رئيسه بما أوتي من علم وحكمة ، ثم يخبره بأن هذا الطريق ممد له ولأولاده ، فيقول :

«أنظر : انى قد وضعتك على طريق الاله ، وأن «رفنوت» (ربة  
الحصاد) قد أصبحت على كتفه منذ يوم مولده ، وهو يصل الى باب  
مجلس «قنبت» عندما يصل الى سن الرجولة ، تأمل : انه لا يوجد كاتب  
قد حرم القوت ، الذى هو متاع بيت الملك ، عاش فى صحة وصلاح ، وأن  
«مسخنت» (المة الكتبة) هى سعادة الكاتب ، وهى التى تضعه على  
رأس المجلس الاعلى (قنبت) ، ويجب على المرء أن يشكر والده ووالدته  
اللذين وضعاه على طريق الاحياء ، والان تأمل : فان هذا (أى الذى  
نصبتك به) ما أضعه أمام وجوه أولادك، وقد انتهى هذا بسلام».

#### ٤ - بصائح الحكيم أنى

توجد هذه التصانح الموجهة من الحكيم «أنى» لولده «لخونسو حتب» في بردية محفوظة بالمتحف المصرى بالقاهرة (بردية بولاق رقم ٤) ، وترجع الى عهد الاسرة المعادية والعشرين أو الثانية والعشرين ، ويبدو أن التلميذ الذى قلم بنسخها ونقلها عن أصل أقدم عهدا ، لم يفهم الكثير من مصتويات النص ، فوقع في عدة أخطاء في كتابة معظم الكلمات ، بحيث جاءت جمل باكملها مضطربة ، لا يستلخاع فهمها ، وبالتالي ترجمتها .

وفي الواقع أن النص قد كتب في الأصل باللغة المصرية الحديثة ، وهى تختلف بعض الاختلاف عن اللغة التى تعود عليها هذا التلميذ في عصره (في الاسرة الثمانية والعشرين) ، وأن هارقي الزمن الذى يفصل بين المصريين انما كان له اثر في مقدار فهم هذا التلميذ لما ينقله ، ويفسر الاخطاء الكثيرة التى وقع فيها .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن متحف برلين يمتلك أدوات كتابة خاصة بتلميذ عاش في الاسرة الثانية والعشرين أيضا ، ومن بينها لوحة كتابة كتب عليها مقدمة هذا النص (أو الكتاب) نفسه ونظرا لان هذا التلميذ لم يفهم بعض الكلمات ، فقد وجد أن الواجب يقضى عليه بأن يضيف الى هذه الكلمات شرحا باللغة التى كانت مالوفة لديه ، وشائعة في عصره ، وهذه هى المقدمة كما كتبها هذا التلميذ على لوحه :

(فاتحة تعاليم النصح (أى مقدمة التعاليم الوعظية) التى ألفها الكاتب أنى (أى التى قام بتأليفها أنى) الذى يناسب الى بيت «نفسر كارع نزوى» (نفر كارع تارى)) .

وعلى أية حال ، فإن هذا اللوح محفوظ بمتحف برلين (برقم ١٩٣٤) ، كما أن هناك فقرات من هذه النصائح وجدت في أجزاء من ثلاث برديات محفوظة في (The Musée Guimet) وفى «بردية شستر بيتى الخامسة

بالمتحف البريطاني في لندن ، وفي أربع قطع من أوستراكا في دير المدينة  
في طيبة الغربية .

ولعل من الجدير بالاشارة هنا أن الحكيم «آنى» نسب نفسه الى  
بيت الملك «نفر كلرع تلى» الذى ينسب الى الاسرة الثامنة ، رغم أنه  
سمى نفسه وسمى ابنه (خونسو حتب) باسمين من أعلام الدولة الحديثة  
ولعل السبب فى ذلك انما يرجع الى ما كان للادب القديم – وبخاصة  
أدب الامثال والحكم – من منزلة ، فكل ما كان قديما له فى نظر القوم  
روعة واحترامه ، ومع ذلك فقد كان من السهل كشف الحقيقة ، وذلك  
من التعبيرات والاصطلاحات اللغوية التى كان يتميز بها كل عصر من عصور  
الأدب .

وعلى أية حال فغلط من الافضل أن نشير أيضا الى أن نرائح آنى  
هذه انما كتبت فى عصر كانت مصر قد فقدت فيه كثيرا مما كان من قوة  
وزعامة على أيام الدولتين القديمة والوسطى ، فضلا عن سيادتها على  
الشرق الاذننى القديم فى عهد الدولة الحديثة ، وبدأت الان عصرا من  
عصور الضعف ، طلت فيه كلمة رجال الدين ، وطلعت فيه فلسفة الامثال  
لحكم القضاء والقدر ، والدعوة الى التدين والقيام بشعائر الدين – كما  
يتقدمها الكهان – ومع ذلك فان النص انما يقسم لنا كثيرا عن آداب  
السلوك ، وما كان يراه المصريون فى ذلك العهد فى تكوين المجتمع ، وصلة  
الناس بعضهم ببعض (١) .

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر البردية وترجمتها والتعليق

---

(١) انظر : محرم كمال : المرجع السابق ص ٨٦ – ٨٧ ، أحمد  
فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٣ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ٢١٩ ،  
M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1976, p. 135

عليها = ومنهم هرييت<sup>(٧)</sup> وساييس<sup>(٨)</sup> وجاردينر<sup>(٩)</sup> ويونز<sup>(١٠)</sup> وفولتن<sup>(١١)</sup> وارملن<sup>(١٢)</sup> وبرسند<sup>(١٣)</sup> وويلسون<sup>(١٤)</sup> وغيرهم<sup>(١٥)</sup> ، فضلا عن الترجمات العربية للبردية<sup>(١٦)</sup> .

«دا ويذهب بعض الباحثين الى أن تصالح «انى» لولده «خونسو حقب» . انما تكاد تنسبه تعاليم «بتاح حقب» ، فهي على نسقها ، وتكاد تعالج نفس الموضوعات ، حتى ليذهب بعض المؤرخين الى ارجاعها الى عصر الانتقال الاول . ومن البدهى أن ذلك أصرا بعيد الاحتمال ، وعلى أية حال . فان «انى» انما يطلب من ولده أن يكون حريصا في حديثه ، حذرا من اتيان ما يؤذى الناس والا يزهى بفتوته ، وأن يؤسس له بيتا ، وأن يكون تقيا ورعا ، وأن لا يمد نظره الى بيوت الاخرين ، وأن يتجنب الماهرات . وأن لا يكون سلوكة موضح ربية . فلا يفرط في شراب ، ولا يسعى وراء حياة دنسة ، وأن يكون حديثه في مجلس القضاء موجزا ، وأن يذكر الموت دائما ، وأن يعرف كيف ينتقى أصدقاءه ، وكيف يحترم

A. Mariette, *Les Papyrus egyptiens du Musee de Boulaq*, Paris, (٢)  
1871, Pls, 15-28.

E. Suys, *La Sagesse d'Ani*, Texte traduction et Commentaire, (٣)  
*Analecta Orientalia*, 2, Rome, 1935.

A. H. Gardiner, *Hieratic Papyri*, 1, S and II, 27, p. Chester (٤)  
Beatty V, Verso 2, 6-11 (= P. Boulaq 4, 3, 1-3 and 6, 1-4.

A. H. Gardiner, *JEA*, 45, 1959, p. 12-15.

G. Posener, *Ostr. Hier*, Nos, 1063, 1257, 1258, 1259. (٥)

A. Volten, *Studien Zum Weisheitsbuch des Ani...*, Copenhagen, (٦)  
1937-1938.

A. Volten, *Agyptische Nemesis-Gedanken*, *Miscellanea Graegoriana* Rome, 1941, p. 373-374.

A. Erman, *LAE*, 1927, p. 234-242. (٧)

J. H. Breasted, *The Dawn of Conscience*, New York, 1939. (٨)  
p. 319 F.

J. A. Wilson, in *ANET*, 1966, p. 420-421 (٩)

M. Lichtheim, *Op-Cit*, p. 135-146 (١٠)

(١١) محرم كمال : المرجع السابق ص ٨٦ - ٩٥ ، سليم حسن

المرجع السابق ص ٢١٩ - ٢٣٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص

٣٥٢ - ٣٥٣ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١٤ - ٥١٥ .

ذاته ، ثم يوصيه بتوسيع أفقه العلمى ، وبرعاية أمه واحترامها ، وبحسن  
معاملة زوجته ، وباحترام رؤسائه ، وبالإبتعاد عن الشغب (١٢) .

ولنتحدث الآن عن نصائح «آنى» هذه بشيء من التفصيل .

يقول آنى لولده «خونسو حتب» فى فاتحة نصائحه هذه :

«سأحدثك بكل ما هو حسن ، لكى يعيه قلبك ، فلتبج ما أقول ، حتى  
تكون محمود السيرة ، بعيدا عن كل شر ، ويقول عنك الناس : انك اعلى  
خلق عظيم ، ولا يتولون : انك فاسد بليد ، واذا اتبعت ما أقول فانك  
ستجنب كل شر ، وتبتعد عن مواطن الزلل» .

وفى الزواج المبكر والحض عليه يقول آنى لولده «خونسو حتب» :

«تخير لنفسك زوجة منذ الصبا ، عسانا تتجب لك طفلا ، فانها ان  
انجبت وانت شاب ، استطعت أن تربيته وتجعله رجلا ، وطوبى للرجل  
اذا أصبح كثير الامل ، وأصبح يرتجى من أجل أبناك» .

وفى آداب الزيارة يقول :

«لا تكن سليطا ولا متطفلا ، ولا تدخل بيت غيرك (من غير اذن) ،  
وعندما تكون فى منزل أناس آخرين ، وترى عينيك شيئا فالترم الصمت  
ولا تبج به لآى شخص كان فى الخارج ، حتى لا تكون لك جريمة كبرى ،  
عندما يصل أمره الى الاسماع» .

وفى تحذير ولده من النساء الغريبات وارتكاب الفاحشة يقول آنى :

«لكن على حذر من المرأة المجهولة ، لا تطل النظر اليها عندما تمر بك ،  
ولا تقضى منها وطرا ، فقد تراودك عن نفسها ، لا تستجب لها حتى فى  
غفلة من الناس ، انها جريمة يستحق صاحبها الموت عندما يثبج أمرها  
بين الناس» .

وفى التحذير من الثرثرة يقول آنى لولده :

«لا تكثر من الكلام ، والزم الصمت فهو خير لك ، ولا تكن ممن

(١٢) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥١٤ .

يجب أن الخوض في الحديث عن الناس ، كن حريصا في كلامك ، اذ أن هلاك المرء في لسانه ، أن جسم الانسان أوسع من مخزن الغلال ، وهو ملئ بأنواع الاجابات ، فاختر منها الطيب الجيد وقله ، واحتفظ بالخبث السئ حبيسا في جسدك» •

**وفي تقوى الله واحترام بيوته يقول أنى لولده :**

«ان سر ما يحدث في بيت الله هو احداث الصخب فيه ، فصل بقلب يملؤه الحب ، ولا ترفع صوتك بكلماتك ، أدع ربك بقلب وودود ، وبكلمات خفية ، فسوف يجيب للرب سؤالك ، ويسمع قسولك ، ويتقبل قربانك ، اعرف قيمة ربك ، واحترم اسمه ، وقدم قربانك له ، ولا تتعد على حدوده» •

**وفي البر بالوالدين يقول :**

«لقد الماء لأبيك وأهلك اللذين انتقلا الى قبرهما في الصحراء ، واياك أن تغفل عن هذا الواجب ، حتى يعمل لك ابنك بالمثل» •

**وفي التحذير من شرب الخمر يقول :**

«لا تفرط في الشراب ، فانك اذا تكلمت خرجت من فيك عبارة أخرى (غير التي تريدتها) ، وانك لتسقط ففتتشم أعضاءك ولا يمد اليك أحد يده ، ويقوم رفقاؤك ويقولون : ألا بعدا لهذا الاحمق ، واذا جاء من يبحث عنك ليستجوبك ، فلاهم يجدونك على الارض ملقى مثل طفل صغير» •

**وفي التنكير بالموت يقول :**

«اقم لنفسك قبرا يثوى فيه جسمانك ، فذلك أمر جسد هام ، لان رسول الموت سيأتيك ، واذا أتاك ، فانك لن تستطيع أن تقول له : اتى منزلت صغيرا ، فلنك لا تدري متى تحين ساعة رحيلك عن هذه الدنيا ، فالموت يأتي على حين غفلة ، وهو يختطف الطفل الذي يرقد بين ذراعي أمه ، كما يختطف الرجل الذي بلغ من الكبر عتيا» •

**وفي حسن اختيار الصديق يقول :**

«ابتعد عن الرجل الشرير ، ولا تتخذ منه صديقا ، وتخير اخوانك ،

بعد أن تبلوهم ، وتحقق من صدقهم واستقامتهم ، وتجنب من كان سيء السيرة» .

وفي عدم الخور بكثرة المال ، والدعوة الى الاعتماد على النفس يقول :  
«وقد تملك قطعة أرض ، أحيطت بسياح جميل من الازهار . وتمو فيها اشجار الجميز ، وقد تمتلىء بذك بأجمل الازاهير وأنضرها ، ومع ذلك فقد تكون شقيا ... ، لا تعتمد على مال غيرك ، ولا تتكل على ما يملكه شخص آخر» .

وفي احترام الغير يقول :

«لا تجلس ، على حين يتف من هو أكبر منك سنا . أو أرفع مقاماً» .

وفي الادب ومكانته في المجتمع يقول :

«إذا كنت راسخا في الادب ، فان الناس ستعمل بكل ما تقوله لهم ، ادرس الادب (الكتابة) وضعه في قلبك ، فيطيب كل ما تقول» .

«إذا عين الكاتب في وظيفة ، فانه سيرجع حتما الى الكتب ( حتى يدالفه النجاح)» .

وفي فضل الام ومحبتها يقول أنى لولده :

«ضاعف كمية الخبز لأمك ، واحتملها كما احتملتك ، انها عندما ولدتك بعد شهر من حملك ، استمرت تحملك حول عنقها ثم أعطتك ثدييها سنوات ثلاث ، انها لم تتقزز يوما من قذرك ، انها لم تقل لك يوما : لم فعلت ذلك ؟ لقد أخذتك الى المدرسة ، الى حيث تتعلم الكتابة ، وانتظرتك هناك كل يوم ، ومعها الطعام والشراب الذي أحضرته من البيت ، فإذا ما شبيت واتخذت لك زوجا ، وأصبح لك بيت خاص ، فلا تنس أمك التي حملتك وزوجتك بكل شيء ، فانك ان نسيتها كان لها الحق في أن تغضب عليك ، وأن ترفع يديها شاكية الى الله الذي سوف يستمع الى شكواها» .

وفي الرحمة والبر بالناس يقول :

«لا تأكل خبزا بينما يقف آخر على مقربة منك ، دون أن تمد اليه



يدك بإنخبز ، فهناك الغنى وهناك الفقير ، ومن كان في علم مضى غنيا ، صار في هذه السنة ضاربا في الآفاق (أى فقيرا)» •

وفي دوام الحال من المحال يقول :

«ان النهر الذي كان يجري في العام الماضي قد يتحول مجراه هذا العام الى مكن آخر ، وان البحار التي كانت تتدفق بالمياه قد تصبح أمكن جافة» •

وفي شر البطنة يقول :

«لا تَدَنَّ شرها في ملء بطنك» •

وفي آداب دخول بيوت الناس يقول :

«لا تدخل الى بيت انسان ، الا بعد أن يؤذن لك بدخوله ، ويقول لك صاحبه : أهلا بك»

وفي حسن معاملة الزوجة يقول أنى لولده :

«الاتقس على زوجتك في دارها ، ان أدركت صلاحها ، ولا تسأل عن شيء أين موضعه ؟ اذا تخيرت له وضعه الملائم ، افتتح عينيك وأنت صامت تدرك فضائلها ، وان شئت أن تسعد فاجعل يدك معها وعاونها ، حاول أن تمنح أسباب الشقاق في دارك ، ولا تعمل على خلقه ، واعمل على الاستقرار في دارك ، بأن تتحكم سريعا في نزعات نفسك ، ولكن احذر أن تمشي في طاعة امرأة ، وأن تسمح لها بأن تسيطر على رأيك» •

وفي معاملة الرؤساء يقول :

«لا تجب رئيسا وهو غاضب ، بل ابتعد عن طريقه ، واذا خاطبك شخص باللفظ جارحة ، فخايبه بكلام عذب ، وهدى من ثورته ، فملاجابة المثيرة للنزاع ضرب السياط (لثقلها) فاذا مرت ساعة غضبه ، فان الرئيس سيقعدك اليك ، لان كلماتك الودودة قد استوعبها قلبه» •

وفي الحضر على العمل يقول :

«كُن مجتهدا ، لان الرجل العاطل يصبح خاملا ، ولا يكون شيئا  
مذكورا» .

وفي ختام النصائح يقول أنى لولده «خونسو حوتب» :

«ليتتى كنت مثلك ، حتى أسير على هدى نصائحك ، ويرقى الابن الى  
منصب أبيه ، انك لرجل عال الهمة ، وان كلماتك حزر مختارة ، تريح  
قلبي ، ويستوعبها عقلى ، ويفرح بها شؤادى» .

• - تعاليم أمنمويس

وجدت هذه التعاليم التي وجهها «(أمنمويس) بن «كانخت حور ماخر» مكتوبة كاملة على بردية محفوظة الآن في المتحف البريطاني في لندن (رقم ١٠٤٧٤) ، كما وجدت فقرات قليلة منها في بردية في «استكهولم» ، وفي ثلاث لوحات من تورين وباريس وموسكو ، وفي أوستراكا في متحف القاهرة •

وقد ظلت هذه البردية منذ أن حصل عليها «سير ارنست ألفرد واليس بدج» في عام ١٨٨٨م منسية تماما ، الى أن بدأ علماء الآثار منذ عام ١٩٢٢م يهتمون بأمرها ، فتولوا شرحها وترجمتها والتعليق عليها عدة مرات ، ومن هؤلاء العلماء بدج<sup>(١)</sup> ولانجه<sup>(٢)</sup> وارمان<sup>(٣)</sup> وجريفت<sup>(٤)</sup> ولكنسا<sup>(٥)</sup> وفون بسنج<sup>(٦)</sup> ووبلسون<sup>(٧)</sup> وسمبسون<sup>(٨)</sup> ووليامز<sup>(٩)</sup>

E. A. W. Dudge, The Teaching of Amen-em-oph, Son of (١)  
The British Museum, Second Series, London, 1923, p. 9-18, 41-51, Pls. 1-14.

E. A. W. Dudge, Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in Kanekht, London, 1924, p. 93-234.

H. O. Lange, Das Weisheitsbuch des Amenemope, Dansk (٢)  
Videnskabs-Selskab, historisk-filologiske meddelelser, xi, 2, Copenhagen, 1925.

A. Erman, OLZ, 27, 1924, Columns, 241-252. (٣)

A. Erman, Eine Agyptische Quelle der Spruche Salomos, SPAW, 1924, p. 86-93.

F. L. Griffith, in JEA, 12, 1926, p. 191-231. (٤)

F. Lexa, Archiv Orientalni, I, 1929, p. 14-49 (٥)

F. W. Von Busung, Altägyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955, (٦)  
p. 80-90.

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 421-424. (٧)

W. K. Simpson, in The Literature of Ancient Egypt, 1975, p (٨)  
241-265.

R. J. Williams, in JEA, 47, 1961, p. 100-106 (٩)

وبترسون<sup>(١٠)</sup> وبوزنر<sup>(١١)</sup> وأنش<sup>(١٢)</sup> وبرستد<sup>(١٣)</sup> وغيرهم<sup>(١٤)</sup> من العلماء الاجانب ، الى جانب الترجمات العربية للبردية<sup>(١٥)</sup> .

هذا وترجع نصائح «أمنؤوبى» هذه - والتي وجهها لولده الاصغر «احور ماخر» (حار مع خر) الى القرن العاشر أو التاسع قبل الميلاد ، فى الفترة الممتدة من الاسرة الحادية والعشرين الى الثانية والعشرين ، هذا ويكاد العلماء يتفقون الان على أن نصائح «أمنؤوبى» هذه انما هى الاساس الذى اعتمدت عليه الحكم والامثال التى نسبت الى سليمان عليه السلام - كما جاءت فى توراة يهود المتداولة اليوم .

وقد كتبت هذه النصائح فى أسلوب شعري ممتع ، كل أربعة أسطر وحدة مستقلة ، وتحتوى مقدمة وثلاثين فصلا ، تبدأ بواجبات التلميذ ، ثم تتناول بعد ذلك نصائح مختلفة ، من بينها الحزم فى المناقشة والتفرقة بين الجهول والحكيم ، وبين الرزانة والتهور فى المعبد ، وبين سوء مصير التعمدى على الغير ، أو الطمع فى ثروته ، أو قول السوء ، ثم التحذير من معاشرة الاصحق ، والحض على الاخلاص والامانة فى معاملة الناس ، وضرورة احترام المسنين وأصحاب العاهات ، وأدب معاملة الغير .

هذا وتتضمن مقدمة تعاليم أمنؤوبى تليخيا لما ورد فيها ، وتعريفا

---

P. J. Peterson, in JEA, 52, 1966, p. 120-128. (١٠)

G. Posner, in RdE, 18, 1966, p. 45-62. (١١)

G. Posner, in ZAS, 99, 1973, p. 129-135.

R. Anthes, in Galling Festschrift, p. 9-18. (١٢)

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, p. 320-282. (١٣)

D. C. Simpson, in JEA, 12, 1926, p. 232-239. (١٤)

M. Lichtheim, AEL, 1976, p. 146-163.

I. Grumach, Untersuchungen Zur Lebenslehre des Amenope, Munchner Agyptologische Studien Heft, 23, Munich, 1972.

F. H. Humbert, Recherches sur les Sources égyptiennes de la Littérature Sapientiale d'Israël, Neuchatel, 1929.

(١٥) سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٣١ - ٢٨٠ ، محرم كمال :

المرجع السابق ص ١٠٩ - ١٢٩ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٤٥ - ٤٤٧ .

بمحتوياتها ، وحصرا للفوائد التي تهدف الى تحقيقها ، فهي تتضمن «دروسا في الحياة ، وارشادا الى الخير ، ومجموعة من القواعد التي تتبع في معاملة الموظفين » حتى يتصرف المرء على ضوئها ، فترشده الى سبل الحياة ، وتكفل له النجاح في حياته ، والراحة لقلبه ، وتبجده عن الشر وتجنبه السنة السوء ، وتجعل ذكراه حسنة عاطرة في أفواه الناس» .

ثم هي تتحدث عن مؤلفها ، فتذكر عنه أنه «لكتب مصرى ماهر فى عمله ، اشتغل ملاحظا للخلال ، ومديرا للمكاييل ، وواضعا لعلامات حدود الارض المزروعة ، وحافظا اذكري الملك بنقوتسه ، وماسحا للارض السوداء (الزراعية) . الكاتب الذى يقرر الاوقاف للالهة ، والذى يمنح الايجار لمن يشاء ، القابض على زمام الاطعمة . المثاوى حقا فى «تلاو - ور» (أبيدوس) ، المذكور فى «آمو» (أخميم) ، صاحب القبر الهرمى فى «سنوت» (غربى أخميم) ، وحاسب الضريح فى أبيدوس ، أمنمؤوبى بن كانخت ، المبرأ فى «تلاو - ور» .

ثم تنتقل التعاليم الى التعريف بولده الذى وصفته بأنه أصغر أبناءه «حور ماخر» (حار مع خر) ثم تورد الكثير من صفاته .

هذا ويبدأ الفصل الاول بتلصيل واجبات التلميذ :

«املء أذنيك لتسمع أقوالى ، واعكف قلبك على فهمها ، لانها شىء مفيد اذا وضعتها فى قلبك ، ولكن اللويل لمن يتعداها ، فاذا أمضيت مدة حياتك ، وهذه الامور فى قلبك ، فانك ستلقى بها نجسا ، وستجد فى كلماتى خضرة الحياة ، وسيفتح جسدك على الارض» .

وتضمن الفصل الثانى نصائح متنوعة ، تحذر المرء «من أن يسلب فقيرا يائسا ، أو أن يكون شجاعا أمام رجل مهيب الجناح ، وألا يمد يده ليمس رجلا مسنا بسوء» .

ويتناول الفصل الثالث : البحث فى الحزم عن اجابة الخصم . فهو يوصى «بأن لا يشتبك المرء فى جدال مع أحمق ، وأن لا يخرجه بالفاظ وأن يعرض عنه ، ويطيل التفكير قبل أن يتكلم » واذا تكلم الاحمق فى

ساعة غضب ، فيجب أن يتركه الانسان وينصرف من أمامه ، فان الله سيتولى جزاءه» •

ويتحدث الفصل الرابع عن الرجل الاحمق والرجل الطليم ، «فيشبه الاول بشجرة نبتت في غابة ، تفقد خضرتها في لحظة ، ويكون مسيرها مرفأ الاخشاب » ، على حين «يشبه الثاني بشجرة باسقة في حديقة تنمو يانعة ، تقوم أمام سيدها ، ثمها حلو ، وظلها ظليل ، وينتهى مسيرها في الحديقة» •

وينقسم الفصل الخامس الى ثلاثة أقسام :

اولها : يحض على احترام أملاك المجد

وثانيها : يذكر الانسان بأن الامور تتقلب كالنيل

وثالثها : توصي المرء بالرزانة والثقة بالله تعالى

ويحذر الفصل السادس من التعدي على أملاك الغير

«لا ترخر من علامات حدود الحقول ... ولا تكونن شرها من أجل

ذراع أرض ، ولا تتعدين على حدود أرملة» •

وينقسم الفصل السابع الى أربعة أقسام :

الاول : يحرض على ضرورة التسليم بالقدر خير وشره

والثاني : عن الثروة التي لا تدوم

والثالث : عن مزية القناعة

والرابع : عن صلاة الرجل المقنوع

وهذه أمثلة مما ورد فيها : «لا تتعبن نفسك في طلب المزيد حينما

تكون قد حصلت على صلاتك ، واذا جلب اليك المال بالسرقة ، فانه

لا يمكث معك سواد الليل ، وعندما ياتي الصباح لا يكون بعد في منزلك »

بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة وطار الى السماء» •

«الفقر في يد الله خير من الغنى في الهري (المخزن) ، وأرغفة (تحصل

عليها) بقلب فرح ، خير من ثروة (تحصل عليها) في تعاسة ، والثناء على

الانسان كمشخص محبوب عند الناس ، خير من الغنى في الهرى (المخزن) .  
وينقسم الفصل الثامن الى ثلاثة اقسام :

أولها : عن أهمية الذكرى الطيبة ، «اغرس طيبتك في قلوب الناس ،  
حتى يحييك كل انسان» .

وثانيها : يحسن على اجتناب القول الخبيث ، «كن رصينا في تفكيرك ،  
وثبت فؤادك ، ولا تتعود على أن تجدف بلسانك حتى تكون مفضلا عند  
الآخرين ، ومحترما في شيخوختك ، وآمنا من بطش الاله (الله)» .

وثالثها : عن حفظ السر ، لا تفضح انسانا بهتك سره ، وإذا عرض  
عليك أمر لتحكم فيه ، فكون رأيك في نفسك ، واجعل الصن منه على  
لسانك ، وأما القبيح فأخفه في بطنك» .

ويحضر الفصل التاسع على تجنب الاحمق وسبله ، وهذه أمثلة مما  
ورد فيه :

«لا تصاحب رجلا حاد الطبع ، ولا تلحن في مصادقته ، واحفظ  
لسانك من مقاطعة من هو أرفع منك مقاما ، وخذ الصيطة لنفسك من أن  
تذمه ، ولا تجمله يرمى بكلام يوقعك في شرك» .

«والرجل الاحمق يقول قولاً مقذعا يستحق عليه الضرب ، وجوابه  
ملىء بالشر ، وهو يثير النزاع بين الاخوة ، واللبيب يتقد في جوفه ،  
فحذار أن تنضم الى هذا الرجل» .

ويتحدث الفصل العاشر عن الاخلاص ، وفي ذلك يقول الحكيم :

«لا تقرىء أحدا السلام رياء ، وأنت تصدق عليه ، لا تتحدث بالافك  
والبهتان ، فلن الكذب يمقتة الله ، وأكبر ما يكرهه الله انما هو النفاق ،  
كن ثابتا أمام غيرك من الناس ، فالانسان في مأمن أمين عندما يكون في  
يد الله» .

ويومى الحكيم فى الفصل الحادى عشر بالقناعة ، وأن يرضى المرء  
بنصيبه من هذه الدنيا :

«لا تطمع فى متاع انسان آخر ، ولا تتطلع لخبزه ، فإن متاع الغير  
لا خير فيه» •

ويتحدث فى الفصل الثانى عشر عن ترك متاع الغير أيضا :

«لا تطمع فى متاع نريف ، وإذا عينك الشريف مدير لاعماله فتجنب  
ما يخصه حتى يثمر ما تمتلكه» •

ثم ينصحه قائلا :

«لا تتشارك رجلا أحمق ، ولا تخالط رجلا خائنا ، وإياك أن تهتك ستر  
الرجل فى أمر حقير ، لأن ذلك يعوق استفادته لك مرة أخرى» •

ويقول فى الفصل الثالث عشر :

«لا تضرن رجلا بجرة قلم ، لأن ذلك يمقته الله ، ولا تقولن قد وجدت  
حاميا ، والآن يمكننى أن أهجم الرجل المفقوت ، ضح نفسك فى ذراعى  
الاله يهزمهم صمتك» •

لا تشهد زورا ، ولا تستعمل قلمك فى الباطل ، وإذا وجدت فقيرا  
عليه دين كبير ، فسامحه فى ثلثيه ، وخذ الثلث ، ونم بعد ذلك نوما عميقا ،  
فإذا أصبح الصباح تستجد كل ما فطنته على السنة الناس ، إن حب الناس  
ومدحهم للانسان خير من الثروة التى فى المخازن ، وخير للانسان أن  
يأكل خبزه بقلب سعيد ، من الثراء الذى يصعبه النكد» •

ويتحدث فى الفصل الرابع عشر عن الكرامة فيقول :

«لكن ثابتا أمام غيرك من الناس ، فالانسان فى مأمن فى يد الرب ،  
والرب يعقت من يزور الكلام ، وكبر مقتنا عند الله النفاق ، لا تجعل كل  
عنايتك إن اقتسى بثوب قشيب ، ولا تتقبل رشوة من صاحب نفوذ ، ولا  
تظلم مقصور اليد من أجله ، فالعدل هبة غالية من الرب يهبها لمن يشاء •  
إن الرب يحب اسعاد الفقير ، أكثر مما يحب تعظيم النبيل» •



وفي الفصل الخامس عشر يتحدث الحكيم عن الكاتب وحامية الاله  
«تحوت» - اله الكتابة والعلم - فيقول :

«لا تخمس قلمك في المداد لتضر شخصا آخر ، فان عينى الاله تحوت  
ترقبان كل شيء حول الارض ، واذا رأى الاله من يسعى في الشر ، فانه  
يرمى بطمامه الى اللجة العميقة ، والكاتب الذى يضر الاخرين باصبعه ،  
فلن يكون لابنه من بعده ذكرا» •

ويتحدث الفصل السادس عشر عن التطفيف في الميزان :

«لا تتلاعبن بكفتى الميزان ، ولا تطففن الموازين ، ولا تتقصن المكيال  
فان الاله تحوت يراقب الميزان ، واذا رأيت انسانا يغش فابتعد عنه ،  
وما فائدة ثوب من نسيج كتانى فاخر ، اذا كان ضلالا أمام الله» •

وفي الفصل السابع عشر يتحدث عن كيل الغلال فيقول :

«لا تطف في الكيل ، وأوف المكيال بالدقة الواجبة ، لا تتخذ لنفسك  
مكيالا ذا حجمين ، لا تغش فان الاله يمقت الرجل المدلس» •

ويتحدث في الفصل الثامن عشر عن ترك الهم ، فيقول :

«لا تتك اليوم أشبه بالغد ، فالغد آت واليوم منقض ، وقد تصبح  
اللجة الغائرة حافة للاسواج ، ولا تنقض الليل وأنت تلتق من الغد ، فما  
يعلم انسان ما سيكون عليه الغد ، والله دائما في فلاح تدبيره ، والانسان  
دائما في خيبة ظنونه ، كن حازما في قلبك ، وثابتا في عقلك ، وحافظ على  
لسانك ، لان لسان الانسان هو الذى يسيره ، ورب العالمين هو الأمر  
الناهي»

وفي الفصل التاسع عشر يقول عن المحكمة :

«لا تدخل المحكمة وتريف كلماتك ، لا تردد في جوابك ، عندما يكون  
شهودك قد وقفوا ، قل الصدق أمام القاضى ، ولا تجعل لأحد سلطانا  
عليك» •

## وفي الفصل العشرين يتحدث عن الامانة في الوظيفة :

«لا تظلم رجلا في قاعة المحكمة ، ولا تظلم صاحب حق ، ولا تهتم  
برجل بسبب ملبسه المبيخاء الناصعة ، على حين تترك من يرتدى خرقا  
بالية . ولا تقبل هدية رجل توى لتظلم الضميف من أجله ، فالعدل هبة  
غالية من الرب يهبها لمن يشاء ، لا تستعمل الوثائق الزيفة ، حتى لا تنسند  
تدبير الاله ، سلم الامتعة لاصحابها ولا تنصّبها ، والا هلكت» .

## وفي الفصل الحادى والعشرين يتحدث عن الصفت فيقول :

«انك لا تعرف تدابير الله ، ولا تعرف ما ياتى به الغد ، فاجلس بين  
يذى الله ، وبالحلم مستغلب على الجميع ، ان التمساح الصامت يحدث  
الفرح فى النفوس ، لا تفتن بسرك لانسان ، ولا تدع أقوالك لآخرين ،  
ان الرجل الذى يحتفظ بأخباره فى قرارة نفسه ، خير من الذى يفشيها  
ميصيه الضرر» .

## وفي الفصل الثانى والعشرين يتحدث عن آداب المناقشة ، فيقول :

«لا ، تأمر ضد زميلك فى المناورة ، بل انظر ماذا ينط ، وسوف  
تفهم من جوابه ، كن هادئا وعندئذ تاتى معارفك ، دعه حتى يفرغ ما فى  
قرارة نفسه ، ثم خفه ولكن لا ترمله ، أنت لا تعرف تدابير الله ، ولا  
ما سوف ياتى به الغد ، اجلس بين يذى الله ، وسوف يتغلب حاكمك عليهم» .  
ويحذ فى الفصل الثالث والعشرين على آداب المائدة مع العظماء ،  
وعلى تجنب أكل الحرام :

«لا تأكل الخبز فى حضرة رجل عظيم ، ولا تعرض نفسك فى حضرة ،  
واذا شبع من طعام محرم ، فان ذلك ليس الا لذة ريقك ، وانظر فقط  
وأنت على المائدة الى الوعاء الذى امامك ، وكن مكفيا بما فيه» .

## ويتحدث الفصل الرابع والعشرون عن الرجل الامين :

«لا تصنع الى اجوبة رجل شريف فى بيت ، ثم تقشرها الى آخر فى  
الخراج ، حتى لا يتألم قلبك ، وقلب الرجل (أى ضميره) هو منقار الاله  
تحوت (اله الحكمة) ، فاحذر أن تهمله» .

ويتحدث الفصل الخامس والعشرون عن احترام أصحاب العاهات :

«لا تسخر من أعمى ، ولا تهزأ من قصير ، ولا تصغر أعرج ، لاتعبس في وجوههم فالانسفن قد حلق من طين ، والله وحده خالقه . وهو قد ير يهدم ويبنى كما يشاء كل يوم ، ويخلق الالوف بأمره ، ما أسعد الرجل الذى انتقل الى الغرب (أى مات) وهو آمن في يد الله تعالى» .

وفي الفصل السادس والعشرين يتحدث عن معاملة من هم ارفع مقاما في المجتمع :

«لا تجلس في مجلس شراب . ولا تغالط من هم أكبر منك مقاما ، وصاحب من هم في مرتبتك ، ولا تلحن من هم أسن منك ، مد يد المساعدة للمسن اذا كان قد ثمل من الجعة ، واحترمه كما يحترمه اولاده ، فالظهر لا يكسر عندما ينحني ، والمفقر لا يصيب الرجل الذى يقول الشيء السار ، ولا يأتى له الننى عندما يكون قولك من القش ، والنوتى الذى يرى من بعيد لا يهرق قاربه» .

وفي الفصل السابع والعشرين يتحدث عن الخضوع للرجل المسن :

«لا تسب رجلا أكبر منك سنا ، حتى لا ينسوك الى الاله رع عند شروقه ، فئن مما يؤلم الاله رع أن يسب شاب رجلا مسنا ، فان ضربك بيده في صدرك فلزم السكون ، فانك ان حضرت أمامه في اليوم التالي ، فسوف يعطيك خبزا بلا عدد» .

ويتحدث في الفصل الثامن والعشرين عن كرم الاخلاق :

«لا تسأل عن شخصية أرملة عندها تقبض عليها في الحقل ، ولا يفوتك أن تتفرع بالعبر عند سماع اجابتها ، لا تمر على غريب ببناء زيتك ، بل اجعله يتضاعف أملم اخوانك ، ان الله يحب سعادة المتواضع ، أكثر من احترام الشريف» .

وفي الفصل التاسع والعشرين يتحدث عن التعدي (عبور النهر) :

«لا تمنع أناسا من عبور النهر ، عندما يكون في قلبك مكان ، خذ الاجر من الرجال الغنى ورحب بهم لا يملك شيئا» .

وفي ختام الفصول ، وهو الفصل الثلاثون ، يقول :

«نبتصر نفسك في هذه الفصول الثلاثين ، حتى تكون مسرة لك وتعلما ،  
يفوقان ما في الكتب جميعا ، فهي تعلم الجاهل وتطهر نفسه من الخبائث ،  
فاستوعبها وضعها في قلبك ، لتكون بها عيما ، ولأمرها عرقا ، فان الكاتب  
الماهر في وظيفته سيجد نفسه كَفَرًا لان يكون من رجال البلاط» .

وهذه هي نهاية المقال .

سفر الامثال وتعاليم امنمؤوبى :

رغم أن العالم البريطاني « السير ارنست الفرد واليس بذج »  
( ١٨٥٧ - ١٩٣٤ ) هو الذى نشر في عام ١٩٢٤<sup>(١)</sup> «تعاليم امنمؤوبى»  
(The Instruction Of Amen - Em - Opet) والمحافظة الان بالمتحف  
البريطانى ضمن بعض أوراق البردى الميراطيقية<sup>(٢)</sup> ، الا ان العالم  
الالمنى «آدولف ارمان» ( ١٨٥٤ - ١٩٣٧ ) ، انما كان اول من أشار في  
مايو من عام ١٩٢٤ م ، الى ان تعاليم امنمؤوبى (امن - ام - بت) هي  
الاساس الذى اعتمدت عليه حكم سليمان ، كما جاءت في سفر الامثال  
من العهد القديم (التوراة)<sup>(٣)</sup> .

وفي عام ١٩٢٥م قنم «لانج» بنشر البردية كذلك ، ثم قام في عام  
١٩٢٦م العالمان «فرنسيس للولين جريفت» ( ١٦٨٢ - ١٩٣٤ )<sup>(٤)</sup> ،

(١) اشترت هذه البردية من احد تجار الاقصر ، ولهذا كثيرا ماقرأ  
انه قد عثر عليها في جبانة طيبة ، ولكننا لو وضعنا في اذهاننا أن صاحبها  
وهو «امنمؤوبى» كان من اهل اخميم ، وأن عبده كان في جبلها الغربى ،  
لرجحنا العثور عليها هناك ، وشراء نجار الاقصر لها من تجار اخميم ،  
كما يحدث دائما ، وهى على أى حال ، محفوظة الان بالمتحف البريطانى  
تحت رقم ١٠٤٧٤ (أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية - العصر  
الفرعونى ، القاهرة ١٩٦٢ ص ٤٤٥ .

J. A. Wilson, in ANET, 1965, p. 421.

Sir Ernest Alfred Wallis Budge, The Teaching of Amen-Em (٢)

Opet, Son of Kanakhi, London, 1924.

Adolf Erman, Eine Aegyptische Quelle der, "Spruche (٣)

Salomos", SPAW, May, 1924, p. 86-93.

F. L. Griffith, JEA, 12, 1926, p. 191-123 (٤)

و «اد. س. سمبسون»<sup>(٥)</sup> بترجمه الوبيقة التي تحوى هذه التعليمات من جديد ، نم عمل مقارنة بين بعض نصوصها وبعض نصوص سفر الامثال ، اثبتا فيه أن سفر الامثال انما قد اعتمد على تعليم امنؤوبى الى حد كبير ، نظرا لما وجدناه بينهما من مشابهة قسوية في الافكار وفي الاساليب .

وهناك ترجمه اخرى للوثيقة نشرت في عام ١٩٢٩م<sup>(٦)</sup> ، الا أن البحث المستفيض في «ذا الموضوع انما قسام به العالمن الكبيران » هو جو جرسمن»<sup>(٧)</sup> و . (جيمس هنرى برستد»<sup>(٨)</sup> .

وكان من البدهي أن نترقب الا يرحب المحافظون من اليهود بالرأى القائل بأن اجمل ما في كتابهم المقدس نقل عن آداب الامم الاخرى ، فقام بعضهم — كما كان الامر بالنسبة الى المزمور (١٠٤) ونشيد اخناتون — يزعم أن بردية امنؤوبى هي التي نقلت عن سفر الامتال ، ومن هؤلاء «كلمين»<sup>(٩)</sup> ، ولكن اعتراض «كلمين» لا يغير من حقيقة الامر شيئا ، ذلك لان هناك اجماعا بين العلماء الجادين في كافة انحاء الارض ، على أن جزءا من سفر الامتال (من الاصحاح ٢٢ : آية ١٧ وحتى الاصحاح ٢٥ : آية ٢٢) منقول نقلا يكاد يكون حرفيا من بردية امنؤوبى كما أن أجزاء كثيرة من حكم هذه البردية ، انما قد اقتبسه العبرانيون في مواضع كتيرة من التوراة في غير سفر الامثال<sup>(١٠)</sup> .

D. C. Simpson, JEA, 12, 1926, p. 232-239. (٥)

H. J. Cadbury, Egyptian Influences on the Book of Proverbs, (٦)

JR, 1929, p. 99-108.

Hugo, Gressmann, Die Neugefundene Lehre des Amen- (٧)

Em-Ope, und die Vorkilische Spruchdichtung Israels, in ZOW, XLII, 1924, p. 273-296.

James Henry Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y. 1939, (٨)

p. 370-381.  
H O. Langa, Das Weisheitsbuch des Ameneinope. وانظر  
Copenhagen, 1925.

R. O. Kevin, The Wisdom of Amen-em-apt and its possible (٩)

Dependence Upon the Hebrew Book of Proverbs, Philadelphia, 1931.

(١٠) أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى —

الادب المصرى ٤٤٥ ، (القاهرة ١٩٦٢) .

هذا فضلا عن أن سفر الامثال نفسه انما يعقديء بنسبة السفر الى سليمان في مطلع الاصحاح الاوئ ، ثم تتكرر النسبة في بداية الاصحاح الماشرعوالامر كذلك بالنسبة الى المجموعة التي تبدأ بالاصحاح الخامس والعشرين . في حين أن الاصحاحين الاخرين انما ينسبان الى مؤلفين آخرين مجهولى الاسم ، واحدهما منسوب الى امرأة ، مما يدل على أن العهد القديم نفسه يشهد بأن سفر الامثال هو مجرد مؤلفة جمعت من مجموعات متفرقة .

اضف الى ذلك اننا نجد في الآية (٢٣) من الاصحاح الرابع والعشرين ما يكشف لنا عن عنوان جديد بهذا النص «هذه أيضا للحكماء» ، ثم يلي ذلك جزء قصير ، يجوز أنه ماحق وضعه مؤلف مجهول ، كما نجد في ثنايا الاصحاح الثاني والعشرين ما هو بالتأكيد جزء آخر — ان لم يكن عنوانا له — (١٢ : ١٧) يسمى «كلام الحكماء» ، الامر الذي تكرر في الاصحاح الرابع والعشرين (١١) .

ولعل سؤال البداية الان : من هم هؤلاء الحكماء الذين كتبوا هذا الجزء الذي يبلغ اصحاحا ونصف اصحاح من سفر الامثال ؟

في الواقع ان هذا السؤال انما قد عجز عن الاجابة عنه كل الباحثين ، حتى نشرت بردية «أمنمؤوبى»<sup>(١٢)</sup> (والتي كانت محفوظة بالمتحف

M. F. Unger, Op-Cit, p. 896. وكذا

O. Elysefeldt, Einleitung in des Alt Testament, Tubingen 1956. وكذا  
p. 525.

W. F. Albright, Archaeology and the Religion of Israel. وكذا  
Baltimore, 1942, p. 5.

(١١) امثال ١ : ١٠٤١ : ٢٢٤١ : ٢٤٤١٧ : ٢٥٤٢٣ : ٣٠٤١ : ١

١ : ٢١

M. F. Unger, Op-Cit, p. 897. وكذا

J. H. Bronsted, The Dawn of Conscience, p. 370-371. وكذا

G. R. Durry, The Book of Proverbs, Philadelphia, 1906. وكذا

(١٢) يختلف الباحثون في الفترة التي كتبت فيها «تعاليم أمنمؤوبى»

هذه ، فذهب البعض الى أنها الفت فيما بين القرنين العاشر والتاسع ق م ،

البريداني من حيث حصل عليها «السير ارنست ألفرد واليس» (١٨٥٧ - ١٩٣٤) للمتدفق في عام ١٨٨٨ م ، فأصبح جميع العلماء بكتاب المعهد القديم (التوراة) ، الذين يعتقد بأرائهم وأبحاثهم يجزمون بأن «تعاليم أمنمؤوبي» اذا كانت الاصل الذي نقل منه اسماح ونحف على الاقل من سفر الامثال ، بل ربما كانت للنسخة العبرية ترجمة حرفية عن الاصل الهيروغليفي العتيق ، بل ان حكم أه:منمؤوبي انما كانت شائعة في أسفار التوراة ، حيث ذراها مصدرا لذلك الافكار والتشبيهات والمقاييس الخلقية، وبخاصة لروح الشفقة الانسانية الاعارة ، لا في سفر الامثال فحسب ، بل وفي الكتابين العبرية (١٣) .

ولنهاول الآن تقديم بعض الامثلة على اعتماد سفر الامثال على تعاليم أمنمؤوبي :

-----  
 =  
 وذهب آخرون الى انها كتبت فيما بين عامي ١٠٠٠ ، ٦٠٠ ق م ، وذهب فريق ثالث الى اذها كتبت في القرن السابع قبل الميلاد .  
 واما عن تاريخ انتقالها الى العبرانيين فرميا كان بعد فترة قصيرة من تأليفها ، وربما بعد ذلك ، لان سفر الامثال انما يرجع في وضعه النهائي الى القرن الخامس ق م ، وان كانت الامثال ترجع في بداعتها الى عصر سليمان ، الذي ربما يكون هو الذي وضع نواتها الاصلية ، اذ تنسب اليه التوراة حوالي ثلاثة آلاف مثل (ملوك الاول ٤ | ٣٢) ، حبيب سعيد : المرجع السابق ص ٤٤٦ ،

M. F. Unger, Op-Cit, p. 896-897.

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 370-371

وكذا

(١٣)

- (١) أمل أذنك لتسمع أقوالى ، واعكف قلبك على فهمها لانه مشوه مفيد اذا وضعتها فى قلبك ولكن الويل لمن بتعدها .
- (٢) لاجل ان ترد على تقرير لمن أرسلك
- (٣) لا تزحزن علامات حدود الحقول ولا تكونن ترها من أجل ذراع ارض ، ولا تنعدين على حدود أرملة
- (٤) لاتتعبن نفسك فى طلب المزيد ، حينما تكون قد حصلت على حاجتك ، واذا جلب اليك المال بالسرقة ، فانه لايمكث معك سواد الليل ، وعندما ياتى الصباح لا يكون بعد فى منزلك ، بل يكون قد صنع لنفسه أجنحة كالأوز ، وطار الى السماء
- (٥) الفقر فى يد الله خير من الغنى فى الهوى (المخزن) ، وأرغفة (تحصل عليها) بقلب فرح ، خير من ثروة (تحصل عليها)
- (١) أمل أذنك واسمع كلام الحكماء ووجه قلبك الى معرفتى ، لانه حسن ان حفظتها فى جوفك ، ان ثبتت جميعا على شفنينك (سفر الامثال ٢٢ : ١٧ - ١٨)
- (٢) لاعلمك قسط كلام الحق ، لنرد جواب الحق لمن أرسلوك (سفر الامثال ٢٢/٢١)
- (٣) لاتنقل النخم القديم ، ولا تدخل حقول الايتام (١٤) (سفر الامثال ٢٣ : ١٠)
- (٤) لاتتعب لكى نصير غنيا . . . (١٥) لانه انما يصنع لنفسه أجنحة ، كالنمر يطير الى السماء (سفر الامثال ٢٣ : ٤ - ٥)
- (٥) القليل مع محافظة الرب خير من كنز عظيم مع هم ، أكلة من البقول حيث تكون المحبة ، خير من ثور معلوف ومعه بغضه

(١٤) ذهب نقاد العهد القديم ، قبل الكشف عن بردية آمنمؤوبى - الى أن كلمة «قديم» التى تشبه فى اللغة العبرية كلمة «أرملة» ، هى بلا شك غلطة فى النسخة الخطية صحتها «أرملة» ، ومن ثم فقد اتفقوا على أن تكون الفقرة (امثال ١٠ : ١) كالتالى : «لا تزحزن حدود الارملة ، ولا تدخلن فى حقول اليتامى» .

(J. H. Breasted, Op-Cit, p. 373)

(١٥) النص المحذوف من سفر الامثال (٢٣ : ٤ - ٥) (كف عن فطنتك ، هل تطير عبيتك نحوه وليس هو) ، مشوه فى الاصل العبرى ، وربما يمكن اصلاحه بفحص النص الاصلى لبردية آمنمؤوبى .

(J. H. Breasted, Op-Cit, p. 374)



تعاليم آمنموويى المصرى

سفر الامثال العبرانى

في تعاسة، والثناء على الانسان  
كشخص محبوب عند الناس ،  
خير من الغنى في الهوى  
(المخزن)

(٦) لا تصاحب رجلا حاد الطبع ،  
ولا تلحن في محادثته

(٧) لا تفرح بحد ووجدت حاميا ،  
والآن مكنتى ان اهاجم الرجل  
المغلوب، ضع نفسك في ذراعى  
الاله يهزمهم صمكت

(٨) لا نازل الحبر في حصرة رجل  
عظيم ، ولا نعرض سمك في  
حضرته ، واذا شبعت من طعام  
محرم ، فان ذلك ليس الا لذة  
ريقك ، وانظر فقط وانت على  
المائدة الى الوعاء الذى  
امامك ، وكن مكفيا بما فيه .

(٩) الكاتب الماهر في وظيفته سيجد  
نفسه كفوا لان يحون من رجال  
البلاط

(١٠) تبصر نفسك في هذه الفصول  
الثلاثين، حتى تكون مصرة لك  
وتعلما

(امثال ١٥ : ١٦ - ١٧)  
لقمة يابسة ومعها سلامة، خير  
من بيت ملان دبانج مع خصام  
(سفر الامثال ١٧ : ١)

(٦) لانصحب عضويا، ومع رجل  
ساخط لا تجيء  
(سفر الامثال ٢٢ : ٢٤)

(٧) لا تغل انى اجازى شر ، انتظر  
الرب فيخلصك ، لانقل اجزى  
على الشر ، بل انتظر الرب  
فيخلصك (سفر الامثال ٢٣: ٢٠)

(٨) اذا جلست تاكل مع متسلط ،  
فتامل ما هو امامك تاملا ،  
وضع سكيننا احجرتك ان كنت  
شرها ، لانفتة اطايبه ، لانها  
خبز الكاذب  
(سفر الامثال ٢٣ : ١ - ٣)

(٩) ارأيت رجلا مجتهدا في عمله ،  
امام الملوك يقف  
(سفر الامثال ٢٢ : ٢٩)

(١٠) الم اكتب لك ثلاثين فصلا  
من جهة مؤامرة ومعرفا  
(سفر الامثال ٢٢ : ٢٠) (١٧)

(١٦) قارن النص العربى ، حيث يقول «الم اكتب لم اميرا شريفة»  
ولكن النص الاجازية (Have I not Written the Thiriv) - وعلى  
أى حال ، فان هذا يشير الى وجود ترجمة عبرية كاملة امام مؤلف سفر  
الامثال لنصائح «آمنموويى المصرى» ، بمعنى أنها تحتوى على ثلاثين  
فصلا ، والا لكانت كلمة «ثلاثين» في سفر الامثال لا تدل على أى معنى ،  
ولكى بحافظ الناقل العبرانى على المعنى نراه ، مع نقله للثلاثين فصلا  
التي يحويها الاصل المصرى القديم برمتها - قد استعمل بالضبط نفظة  
«ثلاثين» في نسخته العبرية المختصرة (امثال ١٧ : ٢٤ : ٢٢) (انظر  
(J. H. Breasted, Op-Cit, p. 380 )

(J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, N. Y, 1939

(١٧)

ولعلنا من الأهمية بمكان الإشارة الى أن هناك تأثيرات مصرية أخرى في التوراة منها (أولا) ما يرويه سفر الامثال من أن «تعمل العدل والحق، أفضل عند الرب من الذبيحة»<sup>(١٨)</sup> ، نليت هذه الكلمات التي تفضل العدالة والاخلاق الحميدة : أي مجرد الشعائر الدينية ، الاصدى لما آمن به المصريون منذ عصر الثورة الاجتماعية الاولى أن الوسائل المادية ليست وحدها هي وسيلة المعاشاة في الآخرة ، وانما أصبح للاخلاق في هذا العصر شأن عظيم في تقرير مصير الانسان بعد مماته ، وبذا أصبحت الاهمية الكبرى للوصول الى الخلد ، انما عن طريق العمل الصالح .

ومن ثم كانت الكلمات التي وجهها الملك الاهناسي لولده «مري كارع» قبل عهد سليمان بحوالي ١٥٠٠ عام — والتي ظهر أثرها في سفر الامثال، وذلك حين يقول «اجعل الناس يحبونك في الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى الانسان»<sup>(١٩)</sup> ، ثم يعلن في صراحة ووضوح ، أن الخلق الطيب أفضل عند الله من القرابين التي تقدم لاستعطافه ، «أن خلق الرجل المستقيم أحب عند الله من نور الرجل الشرير» (أي الثور الذي يقدمه كقربان الى الله)<sup>(٢٠)</sup> .

ومنها ( ثانيًا ) ما جاء في سفر الامثال من أن «الرب وازن القلوب»<sup>(٢١)</sup> ، حيث يبدو واضحا أن الحكيم العبراني انما كان مقتنيا

p. 372-280.

J. A. Wilson, The Instruction of Amen-Em-Opet, ANET, وكذا  
1966, p. 421-423.

(١٨) أمثال ٢١ : ٣

Sir Alan H. Gardiner, pap. potorsburg, 116A, JEA, 1, 1914, (١٩)  
p. 26.

J. A. Wilson, The Instruction for King Meri-Ka-Re, in  
Ancient Near Eastern Texts, Relating to the Old Testament, princeton,  
1966, p 417.

J. A. Wilson, Op-Cit, p. 417. (٢٠)

Sir Alan H. Gardiner, Op-Cit, p. 27.

A. Erman, The Literature of the Ancient Egyptians, London.  
1927, p. 77.

(٢١) أمثال ٢١ : ٢

أثر الفكر المصرى القديم اذ لم يكن فى التشرق القديم الا عقيدة انسانية واحدة تقول بان الاله يزن القلب الانسانى « وهى المديانة المصرية القديمة، مما تستعمل عليه من المحاكمات الاوزيرية» (٢٢) .

وهكذا بدأ المصريون يعتقدون — منذ عصر الثورة الاجتماعية الاولى — فى «محكمة اوزير» ، حيث يقف الناس امامها جميعا ، يؤدون امتحانا عسيرا عما قدموه فى دنياهم — خيرا كان أم شرا — ولمن ينجح فى هذا الامتحان الالهى اصحاب الثروة والجاه ، وانما اصحاب العمل المصالح ، وذو النفوس الطيبة ، لان اعمال كل انسان ستوضع مكدسة بجواره (٢٣) .

وقد رأينا من قبل أن ذلك التمييز بين نعمة الخلق ، ومجرد الشعائر الدينية الظاهرية ، كان دون ريب نتيجة للخبرة الاجتماعية فى مصر فهذه الخبرة الاجتماعية نفسها ، انما كانت سائرة فى تكوينها بين الاسرائيليين بخطى سريعة ، ويرجع ذلك الى الارت الادبى والمخلقى الذى ورثه العبرانيون ، اذ وجدوا تلك الحقائق الاساسية فى كتابات وتجارب جارتهم الكبرى ، مصر العظيمة ، وأخذوا يعملون بسرعة أيضا على تهيئة هذه الخبرة لتكون ملكا لهم (٢٤) .

ومنها (ثالثا) ما جاء فى سفر ملاحى — والذى كتب فى أخريات القرن الرابع قبل الميلاد — «لكم أيها المتقون اسمى ، تشرق شمس البر ، والتسفاء فى أجنحتها» (٢٥) .

ومن المعروف أن العدالة — فيما يرى المصريون — انما كانت ممثلة فى شخص الالهة «ماعت» التى كان يعتقد القوم أنها «بنت اله الشمس» وبما أن شمس العدالة (أو البر) العبرانية قد وصفت بان لها أجنحة «

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 356-357.

(٢٢)

A. Erman, Op-Cit, p. 77.

(٢٣)

J. Wilson, Op-Cit, p. 416.

وكذا

A. J. Gardiner, JEA, I, 1974, p. 26-27.

وكذا

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 357.

(٢٤)

(٢٥) ملاحى ٤ : ٢

فلا يمكن أن يكون المراد بذلك سوى الاشارة الى اله الشمس ذى الاجنحة ، لانه لم يكن يوجد بين جميع التصورات العبرانية القديمة لاله «يهوه» أى صورة تمثله بأجنحة (٢٦) .

هذا وقد دلت الحفائر الحديثة فى «السامرة» على أن هذه التصورات المصرية لاله الشمس العادل كانت شائعة الانتشار فى الحياة الفلسطينية، فقد كشف الحفارون فى خرائب قصر ملوك بنى اسرائيل فى «السامرة» بعض ألواح من العاج منقوشة نقشاً بارزاً كانت تستعمل يوماً ما فى التنظيم الزخرفى الذى كان يحلى به أثاث الملوك العبرانيين ، ومن بين تلك القطع قطعة نقشت عليها صورة الهة العدالة «ماعت» يحملها الى أعلى ملاك شمس هليوبوليس فى وضع نفهم منه أنه كان على ما يظهر يقدم تلك الصورة لاله الشمس ، وتصميم الرسم مصرى فى كل نواحيه ، الا أن صناعه تدل بوضوح على أن نقشه من صنع أياد فلسطينية .

ومن ذلك يتضح أن الصناع العبرانيين كانوا على علم ومعرفة بمثل تلك الرسوم المصرية القديمة ، وأن وجهاء العبرانيين التى يجلسون عليها، ينظرون كل يوم الى هذه الرموز التصويرية الدالة على اله الشمس المصرى وهى تزين نفس الكراسى التى يجلسون عليها ، ولم يكن اله الشمس ذات الاجنحة المتأصلة فى وادى النيل معروفاً عند العبرانيين بأنه اله عدالة فقط ، بل كان كذلك معروفاً بأنه اله الهامى لعباده الرؤوف بهم ، وقد أشلرت المزامير العبرانية أربع سمات الى الحماية الموجودة «تحت ظل أجنحتك» (٢٧) .

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 360.

(٢٦)

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 360-61

(٢٧)

## الفصل الثامن

من أدب النقصد والسياسة

لم يتخلف الأدب المصرى القديم عن أداء دوره فى النقد والسياسة ،  
 ووصف ما حل بالبلاد فى فترة من فترات تاريخها ، ومن ثم فقد قدم لنا  
 على سبيل المثال - وصفا للحالة السيئة - من المناحية السياسية - التى  
 وصلت اليها البلاد فى عصر الثورة الاجتماعية الاولى ، هذا فضلا عن أن  
 كثيرا من الملوك قدموا لأولياء عهدهم تجاربهم السياسية ، حتى يكون  
 لهم من تجارب الآباء ما يفيدهم فى ادارة شؤون البلاد ، ومن النوع الاول  
 كان الحكيمان «ايو - ور» و «نفرتى» ، ومن النوع الثانى تلك النصائح  
 التى قدمت للملكين «مرى كارع» و «سنوسرت الاول» ، ولنقدم الان  
 نماذج مختلفة من أدب النقد والسياسة :

#### ١ - تحذيرات الحكيم ايو - ور

تعتبر هذه الوثيقة التاريخية من أهم الوثائق التى تسترعى النظر  
 بين كافة مجموعة تلك المقالات الاجتماعية والخلفية التى كتبت فى عصر  
 الثورة الاجتماعية الاولى (عصر الانتقال الاول) ، وتوجد تلك الوثيقة  
 الادبية فى «متحفليدن» ، وتعرف باسم «بردية ليدين رقم ١٣٤٤» ، بعد  
 أن نقلت الى متحف ليدين فى عام ١٨٢٨م ، وكان قد اشتراها هذا المتحف  
 فى نفس العام من «أنستاسى» الذى اكتشفها فى «منف» (١) .

هذا والبردية بحالتها الراهنة غير الكاملة تبلغ من الطول ٣٧٨سم ،  
 ومن العرض ١٨سم ، وقد كتبت بالخط الهيراطيقى ، كتبها حكيم مصرى  
 يدعى «ايو - ور» (أو ايو المعجوز) ، وصور فيها حالة البلاد على  
 أيامه . وما انتهت اليه من ضعف ودمار ، وذلك فى خطبة طويلة أمام  
 فرعون عصره الذى يكاد كثير من المؤرخين يجمعون على أنه «ببى الثانى»  
 وان كلن «سير آلن جاردنر» يذهب الى أنه ربما كلن آخر خط الملوك

A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, (١)  
 Leipzig, 1909, p. 1.

المهيين<sup>(٢)</sup> ، وهذا ما نميل اليه ونرجحه<sup>(٣)</sup> .

ويرجع تاريخ هذه التحذيرات لشتره ليسف أندر قدما من الأسرة  
الثاسعة<sup>(٤)</sup> ، ولكنه منقول عن نص لا يمكن أن يكون قد كتب الا في فترة  
الاضطرابات نفسها ، على أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، اى ربما في  
اخرى أيام الأسرة السادسة ، وذلك اعتمادا على أجروميتهما ، فضلا  
عن بعض المميزات الادبية من كتابات ذلك العصر<sup>(٥)</sup> .

ومن أسف أن البردية — نسائها في ذلك شأن كثير من المخطوطات  
المصرية القديمة — قد فقدت بدايتها ، كما فقدت نهايتها كذلك ، هذا الى  
جانب فجوات في وسطها ، ومن هنا لاقى الباحثون صعوبة في معرفة  
موضوعها ، حتى ظن البعض — بائس ذى بدء — أنها ورقة تعليمية ،  
فمثلا نشر «لوث» في عام ١٩٧٣م ترجمته للمصفحات التسع الاولى منها ،  
الا أنه نظر اليها كمجموعة من الحكم والأمثال التي قيلت للاغراض  
التعابيه أو الارشادية<sup>(٦)</sup> .

وفي عام ١٩٥٣م فتح «لنجه» الباب لعلماء الآثار للقيام بدراسات  
عن هذه الوثيقة ، ومن ثم فقد قام بعد ذلك كثير من العلماء بابحاث  
عنها<sup>(٧)</sup> ، غير أن الدراسة الكاملة للوثيقة انما قلم بها «سير ألن جاردنر»  
بنشر هذه الوثيقة في كتاب مستقل تحت عنوان :

A. H. Gardiner, The Admonitions of An Egyptian Sage, Leipzig, 1909.

وقد كانت دراسة جاردنر للوثيقة مثلا يستندى ، فهي دراسة كاملة لها ،  
كما أنه قدم كذلك ترجمة دقيقة للوثيقة .

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 109. (٢)

(٣) انظر : محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر  
الفرعونية — الاسكندرية ١٩٦٦ ص ٥ - ٨ .

A. H. Gardiner, The Admonitions of an Egyptian Sage, p. 2. (٤)

(٥) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ١٥٩ .

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 2 (٦)

M. Pieper, Die Agyptische Literatur, p. 23. (٧) انظر

T. E. Peet, A Comparative Study of The Literature of Egypt  
Palestine and Mesopotamia, p. 118-119.

وفي عام ١٩٢٣م أخرج «أدولف ارمان» كتابه عن «أدب المصريين القدامى» باللغة الألمانية ، ويحتوي ترجمات كاملة لأهم القصص المصرية ، وكتب الحكم والانشيد والاعاني وغيرها مما كان معروفا ، وسبق أن ترجمه علماء الابحاث الاثرية حتى ذلك الوقت ، وقد ترجم فيه لهذه الوثيقة ، هذا وقد نقل كتاب ارمان هذا الى اللغة الانجليزية الاثري الانجليزي «ادوارد بلاكمان» في عام ١٩٢٧<sup>(٨)</sup> .

وفي عام ١٩٣٣م أخرج المؤرخ الامريكي الكبير :جيمس هنري برستد» كتابه «فجر الضمير»<sup>(٩)</sup> ، وقد حثك فيه الوثيقة تحليليا ممتازا ، وفي عام ١٩٥٠م قامت مجموعة من العلماء الاجانب بترجمة «انصوص المشرق الاذنى القديم»وقد ترجم فيه :«جون ويلسون» لهذه الوثيقة<sup>(١٠)</sup> ، ولعل من أحدث الترجمات والدراسات الحديثة عن «تحذيرات ايبو - ور» هذه ، ما قام به «فولكر»<sup>(١١)</sup> و « Lichtheim »<sup>(١٢)</sup> .

وتتلخص البردية في أن الحكيم المصري «ايبو - ور» لنا يتقدم في خطبة طويلة ، باتهام مريد يصف فيه حالة البلاد ابان عهد الثورة الاجتماعية ، امام فرعون عصره الذي أوتع عليه كثيرا من اللوم لضعفه

A. Erman, The Literature of The Ancient Egyptians, Translated into English by, A. M. Blackman, London, 1927, p. 92-108. (٨)

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1933, p. 192-200. (٩)

وانظر الترجمة العربية (جيمس هنري برستد : فجر الضمير - ترجمة سليم حسن - القاهرة ١٩٥٦ ص ٢٠٧ - ٢١٤) .

J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 441-444. (١٠)

R. O. Faulkner, in JEA, 50, 1964, p. 24-36. (١١)

R. O. Faulkner, in JEA, 51, 1965, p. 53-62.

R. O. Faulkner, in The Literature of Ancient Egypt, London, 1977, p. 210-229.

M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, London, 1975, p. 149-163. (١٢)

وأما أهم الترجمات العربية فانظر : سليم حسن : المرجع السابق ص ٢٩٤ - ٣١٧ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٤٩ - ٤٥٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٥٨ - ٣٦٢ ، حضارة مصر القديمة وآثارها ٣٩٣/١ - ٣٩٥ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٤٦ - ٥٣ .



وكسله ، وقد ألقى «اييو - ور» اتهامه هذا أمام عليك ، وبحضور آخرين ، ربما كانوا من حاشية ذلك الفرعون ورجال بلاطه ، وربما كان ذلك في اجتماع لامر من الامور عقد في القصر الملكي ، وينتهي الحكيم بالنصح والتحذير من الاهمال والاخذ بالاصلاح ، ثم يلي ذلك رد قصير من جانب الملك ، ثم ينتهي المقال بتعقيب قصير من الحكيم «اييو - ور» على الرد الملكي (١٣) .

هذا وتقع البردية في أربعة عشرة صفحة ، يشغل الاتهام منها ما لا يقل عن الثلثين ، اذ يستمر النص في نحو عشر صفحات في صيغ متجددة لفكرة واحدة : الأرض تدور كمجلة الفخار (١٤) .

ويذهب الدكتور عبد العزيز صالح الى أن «اييو - ور» انما كان على صلة بالدلتا ، كما كان كذلك مصلحا ، وكان يدرك مفساد الحكم في عصره ، ولكنه كان من طبقة ارسقراطية قديمة ، وكان يتمنى اصلاحها من داخلها ، أو بوحى من فرعون حازم مصلح ، ولم يكن يهضم أن يفرض عليها التغيير فرضا عن طريق طبقة أقل منها منزلة ، أو عن طريق الشعب - في حدود تعبيراتنا الحديثة - ولهذا اختلط الاخلاص في روايته بالمبالغة واختلط التمسك بالامل ، واختلط الخيال بالواقع (١٥) ، ومع ذلك فان روايته انما تعبر عن الحالة السائدة وقد ذاك ، من وجهة نظره - ذلك لان كل الاحداث انما تدل على أنه شاهد منصف ، فان حالة البلاد التي تناولها بالوصف لا يمكن أن تكون من وصف خيال قصاص أو رواية (١٦) .

هذا ورغم الجهد الذي بذل في تنسيق البردية ، فلم يراع في عناصرها الترتيب المنطقي ، وقد قسمها صاحبها الى فقرات تبدأ كل مجموعة من فقراتها ببدايات متشابهة .

J. H. Breasted, Op-Cit, p. 194.

(١٣)

(١٤) أدولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة - ترجمة عبد المنعم أبو بكر ومحرم كمال - القاهرة ١٩٥٣ ص ٤٢٨

(١٥) عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها ١/٣٨٣-٣٩٤

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, p. 109.

(١٦)

وليس هناك من ريب في أن «تخضيرات ايبو - ور» ، الى جانب أنها قطعة أدبية ممتازة ، فهي أيضا مصدر من أهم مصادرنا التاريخية في دراسة أحداث الثورة الاجتماعية الاولى ، تلك الثورة التي قامت بدور هام في تاريخ مصر الفرعونية ، وفي تغيير كثير من معتقدات القوم وأفكارهم ، فهي اذن واحدة من النصوص التاريخية الهامة ، وذلك لان صاحبها قد عاصر الاحداث المبريرة التي كتب على كنانة الله في أرضه أن تعيشها حينما من الدهر ، فهو شاهد عيان في وصفه للفترة انلاصقة لانهبان الاسرة السلحاسة ، وربما كان قد شارك بوسيلة أو بأخرى في أحداث الثورة .

هذا فضلا عن أن الوثيقة ترسم لنا صورة عن مفكرى ذلك العصر (حوالى القرن الثالث والعشرين قبل الميلاد) فصاحب البردية ، حكيمنا «ايبو - ور» إنما يوجه نقده اللاذع المر الى الملك نفسه ، بشجاعة منقطعة النظير ، لصدورها من مصري يخاطب فرعون مصر ، ذلك الفرعون الذى كان يعتبر نفسه - كما كان يعتبره رعاياه - الها فوق البشر ، فيتهمه بأنه سبب الهلايا التي حلقت بالبلاد ، ثم يزيد من جرأته حتى نراه يتمنى للفرعون أن يتذوق بعض هذا الهاس بنفسه ، ثم يرسم بعد ذلك صورة للحاكم الامثل الطاهر النقى ، الذى يعز عشيرته ويحميها ، ويسحق الاشرار ، أضف الى ذلك أن البردية ، كما قلنا ، قطعة أدبية ممتازة ، وأسلوبها قوى ممتاز يجمع بين النظم والنثر (١٧) .

وتخضيرات ايبو - ور هذه انما تتكون من قول منثور ، ومن ست قصائد شعرية فيها جوهر الموضوع نفسه ، وهى تبدأ بوصف ما حل بالبلاد من فساد واضطراب ، فيقول :

(يقول حراس الابواب : فلننطق ولننهب ، وتتحى الغسال عن حمل حمله ، وأعد صيادو الطيور أنفسهم للمركة ، وحمل آخرون من الدلتا

(١٧) محمد بيومى مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعونية ص ٧ - ٨ .

الحرور ، ومن يزاولون أهدأ الحرف ، كصانعي الحلوى والجمعة ، ثاروا ،  
وصار المرء ينظر الى ولده نظرتة الى عدوه ، وأصبح الرجل الكريم في  
حزن وأسى لما أصاب البلاد ، وغدا الاجانب مصريين في كل مكان» .

### القصيدتان الاولى والثانية :

ويصف الحكيم المصرى «ايبو - ور» في هاتين القصيدتين ما حل  
بالبلاد من فساد واضطراب ، وكيف انقلبت الامور ، وتحول القوم الى  
عصابات ، وأصبح كل فرد مسلحا بدرعه ، لان المجرمين قد انتشروا في  
البلاد يبيعون فيها فسادا ، وكل بيت من هذه القصيدة يبدأ بكلمتين هما :  
حقا لقد .

وليس في وسعنا سوى ان نسوق الى القسارىء غير آثار من تلك  
الصورة التي رسمها الحكيم المصرى من حياة الناس في ذلك العصر ،  
يقول الحكيم «ايبو - ور» :

«تدور البلاد كما تدور رحى الفخار ، حقا لقد تغيرت صورة البلاد ،  
وتبدلت أحوالها ، وامتلأت بالعصابات ، ويذهب الرجل الى حقله ومعه  
درعه ، حقا لقد شحبت الوجه ، وقد تنبأ الاجداد بذلك حقا لقد شحبت  
الوجه ، وهامل القوس أصبح مستعدا ، والمجرمون في كل مكان ، ولا يوجد  
رجل من رجال الامس ، حقا ان الناهبين في كل مكان» .

«حقا ان الفيل يوافينا بفيضه مباركا ميمونا ، ولكن ما من أحد يحرث  
الارض ، لانهم لا يعرفون ما يظلمهم به الغد من شرور وأحوال» .

«حقا لقد غدت النساء عاهرات ، ألا ليت ذلك يكون نهاية الناس ،  
فلا يحدث حمل ولا ولادة ، وليت الاله خنوم لا يشكل الناس بسبب  
ما أصاب البلاد» .

«حقا ان القلوب قد ثارت ، والوباء قد انتشر ، والدم قد سال في كل  
مكان ، ولقائف الموميات تتكلم ، وان لم يقترب أحد منها ، حقا لقد أصبح  
النهر قبرا لرجال كثيرين دفنوا فيه ، وصار المكان الطاهر مجرى» .

«حقا ان الارض تدور كمجلة الفخار ، واللص أصبح صاحب ثروة .  
حقا ان النهر قد امتلا بالدم ، فأصبح الرجل يعاف الشرب منه ، حقا ان  
البلاد قد أصابها الدملر ، وأصبح الصعيد خاويا» .

«انظر لتترى قلائد الذهب والجواهر على نحور الجوارى ، على حين  
تستهي الحرة كسرة من خبز ، وتقول «أما من تسيء نأكله» .

«أنظر : لقد حدث هذا بين الناس ، فمن لم يكن في قدرته أن يقيم في  
حجرة ، أصبح الآن يملك فناء مسورا ، أنظر : ان الفخيلات الشريفات  
يرقدن على الفراش الخشن ، والامراء ينامون في المخزن ، ومن لم يكن  
ميسرا له أن ينالم على النجدران ، أصبح صاحب سرير ، ان الرجل الغنى  
أصبح يعضى الليل وهو ظمآن ، ومن كان يستجدي : «نه الحثالة ، أصبح  
يمتلك الجمعة القوية ، أنظر : ان أولئك الذين كانوا يمتلكون الملابس ،  
أصبحوا في خرق بالية ، أنظر : ان الذي لم يصنع أبدا قلبا ، أصبح  
الآن يملك سفنا ، وأصبح صاحبها ينظر اليها : غير أنها لم تعد ملكا له ،  
أنظر : ان الذي لم يكن يملك ما يظله من حرارة الشمس ، أصبح الآن  
يملك ظلا ، والذين كانوا يملكون ما يأويهم ، أصبحوا عرضة للعاصفة» .

«أنظر لتري المناصب وقد خلت من أربابها ، ولتري الناس يهيمون  
كالانعام ، بل هم أضل سبيلا ، حقا لقد عز الذليل ، وذل العزيز ، وطمع  
الغريباء في البلاد ، فهاهم ينتشرون في الارض ، ويعيتون فيها فسادا» .

«أنظر : لقد عم الحزن البلاد من أقصاها الى أقصاها ، والناس  
يستغيثون ولا مغيث ، ويستجرون ولا مجير ، أنظر : لقد أصبحت الحياة  
مرة حتى عافها الناس ، رخيصة حتى هانت على الناس ، يقول الكبير :  
يا ليتنى مت قبل هذا . وكنت نسيا منسيا ، ويقول الصغير : ليت أمي  
لم تلدني ، انظر : كيف يضحك الوضيع من بكاء العظيم» .

« أنظر : لقد أصبح الناس يأكلون الحشائش . ويشربون المساء ،  
ولا توجد فلحة ، كما لا يوجد عشب يأكل منه الحيوان والطير ، وأصبحت  
القاذورات تخطف من أفواه الخنازير ، ولم يعد أحد يقول : هذا لي

فخذة بدلا عنى ، لان القوم صاروا جياعا ، أنظر : لقد ضاع محصول القمح ، وأصبح القوم لا يجدون لباسا أو عطورا أو زيوتا ، وأصبحت مخازن الحبوب خاوية ، وألقى حارسها على الارض» •

«أنظر لقد قتل الود ، وانقطع الرجاء ، وانعدمت الرحمة ، وفقدت اللوعة ، حتى أصبح المرء لا يتورع عن قتل أخيه ، أنظر : لقد سلبت قاعة المحاكمة الفلخرة ، وأصبح المكان السرى مكشوبا ، أنظر : لقد فتحت الادارات العامة ، ونهبت قوانينها ، وسلبت كشف الاحصاء واطلقت سجلات كتبة المحاصيل» •

«أنظر : لقد ألقيت قوانين دار القضاء فى البهو ، ووطئت بالاقدام فى الشوارع ، ومزقتها الفوغاء فى الازقة ، وأخذ العوام يروحون ويجيئون فى دار القضاء الكبيرة ، ونفى القضاة فى الارض ، واحترقت البوابات والاعمدة والاسوار» •

«أنظر : ان الناس يثورون ضد حية التاج التى كانت تهدى الارضين لقد عرف سر البلاد التى لا يعرف أحد حدودها ، ان القصر الملكى يمكن ان يهدم فى ساعة ، وتصبح أسرار ملك مصر العليا والسفلى معروفة» •

«أنظر : ما عاد يجر الى «جبيل» ، فما الذى سوف نفعه بأخشاب الارز التى اعتدنا أن نصنع منها توابيتنا ، والزيموت التى يحنط بها الامراء ، وكانت ترد من هناك ، ومن مجاورات «كفتيو» ، ما عاد يأتى من ذلك شىء ، حتى أصبح مجيء أهل الواحات بمنتجاتهم البسيطة سيئا ذابا» •

«أنظر ما الذى جعل الارض الحراء تنتشر فى طول البلاد وعرضها ، خربت الاقاليم ، وجاءت قبائل قوانسة غربية الى مصر ، ومنذ أن وصلوا لم يستقر المصريون فى مكن ، وأصبح الاجانب مصريين فى كل مكن ، وأولئك الذين كانوا مصريين أصبحوا غرباء ، وأهملوا جانبنا» •

«أنظر : حقا لماذا لم تدفع اليفانتين وثنى — وهما من ممتلكات مصر

العليا الضرائب بسبب الحرب ، وهناك حاجة الى الفاكهة والقمح وكل أنواع التجارة ، وكل ما ينتجه الصناع ، فما فائدة الخزانة بدون دخل» .

ويبلغ الاسى بالحكيم «ايبو - ور» نهايته = أسفا على ما أصاب البلاد من اضطراب لا يعرف له علاجنا ، فيفقد الامل في انقاذ شئ ، « ويزداد تأثره بالكارثة التي لحقت بالبلاد » حتى أنه يطلب من الاله أن تكون هذه نهاية الحياة نفسها ، ثم يتجه بعد ذلك الى نفسه فيوجه اللوم اليها ، ويحملها جزءا من الوزر الذي ارتكبه حين سكت على الشر ، وامتنع عن أن يقول الحق ، فينصح وينتصح ، يقول : «ليتنى رفعت صوتى في ذلك الوقت ، حتى أنقذ نفسى من الالم الذى أنا فيه » فالويل لى ، لان البؤس قد عم في هذا الزمان» .

هذا وقد سادت البلاد في تلك الفترة المظلمة موجة غير دينية ، وان لم تكن الصادية ، فقد تخطى المصريون الى حين عن الحق صفاتهم بهم - وأغنى بها صفة التدين والورع المطبوع في نفوسهم - حتى وصل الامر ببعضهم أن ينكروا وجود الاله نفسه ، يقول الحكيم «ايبو - ور» :

«لحقا ان الرجل الاحمق يقول : اذا عرفت أين يوجد الاله ، فانى أقدم له قربانا» .

وتسود المجتمع المظالم ، ويفقد القوم ثقتهم في العدالة ، اذ تنحرف عن طريقها المستقيم ، يقول «ايبو - ور» : «لوالعدالة موجودة باسمها فقط ، وما يعملها الناس حين يلتجئون اليها هو الظلم» ، ولم يكن لدى الفوار وازع من دين أو خلق يحميهم من نبش قبور الموتى ، حتى قبر الملك الاله نفسه ، كتب عليه ذلك المصير الاليم ، يقول «ايبو - ور» . «أنظر الآن ، فلقد حدث شئ لم يحدث أبدا منذ زمن بعيد ، فان العامة سرقوا الملك ، أنظر : ان الذى دفن كصقر الهى « صر اليوم فوق خشبة نعش » وأصبح ما فى الهرم خاوية» .

القصيدتان الثالثة والرابعة :

لم يبق منهما سوى القليل ، وأهم فقراتهما :

«ان الدلتا تبكى ، ومخازن الملك أصبحت مشاعا للجميع ، وبلاضرائب  
للقر مما هو مستحق له من شعير أو قمح أو سمك ، وذلك بالرغم مما  
يستحق له من قماش أبيض وكتان رقيق ، ونحاس وزيت وحصير وسجاد  
وما عداها من المستحقات الجيدة» •

### القصيدة الخامسة :

تتضمن مقدمتها حديثا عن عبادة الآلهة ، وكيف كانت تعبد شيئا مضمي  
وكيف يجب أن تعبد في المستقبل ، وتبدأ بكلمة «تذكر» وقد جاء في هذه  
القصيدة :

التذكر كيف يضح بالطيب والبخور ، وكيف يقدم الماء من ابريق في  
بكرة الصباح •

تذكر كيف يجلب الاوز السمين ، ويقدم هو والبط والقرايين المقدسة  
للآلهة •

تذكر كيف يمنم النطون (ليطهر الكاهن نفسه) ، ويجهز الخبز  
الابيض في اليوم الذي يبلك فيه الرأس •

تذكر كيف تقام أعمدة الاعلام ، وتنش أحجار القربان ، ويطهر  
الكاهن المعابد ، ويبيض بيت الله كاللبن ، ويعطر الاثاق (أى  
المعبد) ، ويخلد خبر القربان •

تذكر كيف تراعى القواعد ، وتتخلم أيام الشهر ، ويمزل الكهنة الاشرار  
تذكر كيف تدمر الثيران ، ويوضع الاوز على النيران ، ويقدم قربانا»

ثم يلي ذلك جزء كبير غامض تعتوره بعض الفجوات الكثيرة ، وأهم  
ما هو ظاهر فيه عن الحاكم العادل المنتظر ، والذي وصفه « ايبسو -  
ور » بأنه :

«أنه يطفى لهيب (الصريق الاجتماعي) ، ويقال عنه انه راعي  
الانسانية ، ولا يحمل في قلبه شرا ، وحينما تكون قطعناه (بمعنى رعيتة)

متفرقة فإنه يصرف يومه في جمعها « وقلوبها مضمومة لبيته عرف أخلاقها في الجيل الاول ، فصيّتذ كان في مقدوره أن يضرب الشر ، وكان في قدرته أن يهد ذراعه ضده (أى الشر) ، وكان في مقدوره أن يقتضى على بذرتهم هناك ، وعلى ورتتهم ، فأين هو اليوم ، هل هو بطريق الصدفة نائم ، أنظر : بأسه لا يرى «...» .

ثم يستطرد «أيو - ور» الى بيت القصيد ، وهو توجيه النذر الى الملك نفسه فيقول :

«لديك الحكمة والبصيرة والعدل ... ومع ذلك تترك الاضطرابات وضوضاء المتعركين تنتشر في البلاد ، أنظر اليهم ان كل واحد منهم يضرب الآخر ، ولا يعبا بالاوامر ، فهل تلقى راعيا يحب الفناء» .

«لقد كذبوا عليك ، فالبلاد تشتعل كالقش ، والناس على شفا الهلاك ... وهذه كلها سنوات حرب أهلية « فالرجل يقتل على سطح منزله ، حينما يكون مراقبا في حدود بيته ، ولكنه ان كان قويا ، فإنه ينجى نفسه بنفسه ، ويبقى حيا «...» .

«لينك تتخوق بعض هذا البؤس بنفسك ، وعندئذ يمكنك أن تقول «...»

وعندما يرد الملك بأنه حاول حماية شعبه ، نظر اليه وقال : ان الملك أحسن القصد ، ولكنه لم يصل الى الغرض بسبب جهله ، وعدم كفايته «إذا كنت تجهل ذلك ، فقد يكون الجهل شيئا مريحا للنفس ، وربما فعلت شيئا طميا لقلوب الناس وأحبتهم، ولكنك تغطى وجوههم فزعا من المد» .

#### القصيدة السادسة :

ونميا وصف للوقت السعيد الذى يدفنه المستقبل .

«على أنه من الخير أن تسير السفن متجهة نحو الجنوب

على أنه من الخير أن تتصب الشباك وتمسك الطيور

على أنه من الخير أن تبني أيدي الرجال الالهram ، وتحفر البرك ، وتعلم للالهة مزارع فيها أشجار



كان اسم صاحب هذه البردية «نفرتى» هذا ، ينفق الى عهد قريب  
 («نفر - روهو» (نفر - رجو) ، وهو - فيما تروى البردية - كاهن  
 مرتل من «بر - باست» (بـوباستس ، وهى تلك بسيطة الصلابة ، فى  
 مجاورات مدينة الزقازيق ، عاصمة محافظة الشرقية) ، وعلى أية حال ،  
 فالبردية محفوظة فى «متحف ليننجراد» فى الاتحاد السوفيتى (برقم  
 ١١١٦ ب) ، وقد عثر عليها «فلاديمير ساميو نوفتشس جولينشف» الذى  
 قام بنشرها فى عام ١٩١٣م<sup>(١)</sup> ثم نشرها أيضا «هالك» فى عام ١٩٧٠م<sup>(٢)</sup> .  
 هذا وقد قام «سير آلن جاردنر» بترجمة البردية فى عام ١٩١٤م<sup>(٣)</sup> ،  
 ثم ترجمها «أدولف ارمان» فى عام ١٩٢٣م<sup>(٤)</sup> ، كما قام «جيمس هنرى  
 برستد» بتحليل البردية تحليلا ممتازا<sup>(٥)</sup> ، كما قام بترجمتها والتعليق  
 عليها كثير من العلماء ، من أمثال «جون ويلسون»<sup>(٦)</sup> و «جوستاف  
 لوفيفر»<sup>(٧)</sup> و «بونز»<sup>(٨)</sup> و «بارن»<sup>(٩)</sup> و «فولكر»<sup>(١٠)</sup> وغيرهم<sup>(١١)</sup> ،

- 
- V. S. Golenischeff, *Les Papyrus Hieratiques*, N. 9, PA, (١)  
 1116B, de L'Ermitage Imperial, ast-Petersbourg, 1913, Pls. 23-25.  
 W. Heick, *Die Propheziung des Nfr-ti*, Wiesbaden, 1970. (٢)  
 A. H. Gardiner, in *JEA*, I, 1914, p. 100-106. (٣)  
 A. Erman, *LAE*, 1927, p. 110-115 (٤)  
 J. H. Breasted, *Op-Cit*, p. 200-206. (٥)  
 J. A. Wilson, in *ANET*, 1966, p. 444-446. (٦)  
 G. Lefebvre, *Romans et Contes egyptiens de l'epoque Phara-* (٧)  
*onique*, Paris, 1949, p. 95-105.  
 G. Posener, *Litterature et Politique dans L'Egypte de la XII* (٨)  
*dynastie* Paris, 1956, p. 21-60 and 145-157.  
 W. Barta, in *MDIK*, 21, 1971, p. 35-45. (٩)  
 R. O. Faulkner, *The Literature of Ancient Egypt*, London, (١٠)  
 1977, p. 234-240.  
 B. Gunn, in *JEA*, 12, 1926, p. 250 F. (١١)  
 T. E. Peet, *Op-Cit*, p. 120 F. وكذا  
 M. Pieper, *Op-Cit*, p. 15. وكذا  
 M. Lichtheim, *Op-Cit*, p. 139-145 وكذا

على أنه من الخير أن يكون الناس سكارى ، وأن يشربوا ... فرحى  
القلب .

على أنه من الخير أن يبدو المفرح في أفواه الناس

على أنه من الخير أن تكون الأسرة وثيرة ، ومسند رؤوس العظماء  
تحميمها التمام ، ويهيا لكل انسان سرير خلف باب منق ، فلا  
يحتاج الى النوم في الاعشاب ...» .

هذا الى جانب عدة ترجمات عربية للبردية (١٢) .

وترجع البردية الى أوائل عهد الاسرة الثانية عشرة ، وربما الى عهد مؤسسها الملك «أمنمحات الاول» (١٩٩١ - ١٩٦١ ق.م) ، أو على الاقل ليس بعد عهده بفترة طويلة ، ولكن كاتبها نسبها الى عهد قديم ، فلقد زعم أنها ألفت في حضرة الملك «سنفرو» مؤسس الاسرة الرابعة ، أى قبل عصر الاسرة الثانية عشرة بفترة طويلة .

ويذهب «برستد» الى أن ذلك إنما هو مجرد وضع تمثيلى ليسبغ على كلمات «نفرتى» الهامة قوة التأثير ، ومن حسن اللفظ أن كاتبها من عهد الدولة الحديثة ، ومن عاشوا في القرن الخامس عشر قبل الميلاد ، قد ظهرت له أهمية هذه الوثيقة ، حتى أنه عندما لم يجد برديا جديدا ينقل فيه نص الوثيقة ، أخذ جزءا من بعض أوراق مستعملة في تدوين حساباته ، ونقل تلك النبوءة على ظهرها ، وهكذا بقيت «النبوءة نفرتى» في تلك الصورة التى وصلتنا عفوا ، بها تحويه من غموض بسبب أغلاطها الكثيرة التى حدثت عند نقله لها بطريق المصحفة كما أشرنا آنفا (١٣) .

وليس هناك الى سبيل من شك في أن المدافع الى كتابة هذه النبوءة ، إنما الدعوة الى تمجيد الملك «أمنمحات الاول» ، ووصفه بالصفات التى يطمناها الناس في العاهل الجديد ، والذي كان الحكميم «ايو - ور» ينتظر قدومه ، وانها لم الناس أن «أمينى» (وهو اختصار اسم أمنمحات) إنما سيقولى العرش بناء على ارادة الآلهة ، وأن الحكماء قد تتبأوا بذلك اسم الملك «سنفرو» ، ذلك الفرعون الذى كان له في قلوب الناس مكانة لا تعادلها مكانة فرعون آخر ممن سبقه من الفراعنة ، حتى أنه كان يوصف بأنه «الملك المحسن» و «الملك الرحيم» و «الملك المحبوب» و «الملك الفاضل» ، كما صورته الوثائق متواضعا ، يعيل الى المعرفة ،

(١٢) أنظر : سليم حسن : المرجع السابق ص ٣١٨ - ٣٢٤ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٣٦٥ - ٣٦٦ ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٥٢ - ٣٥٤ .  
(١٣) J. H. Breasted, Op-Cit, p. 201.

ويكرم العلماء ويحسن الاستماع ، ويكتب بنفسه ، ولا يبالي أن يسأل  
عما لا يعرفه (١٤) .

وتشتمل البردية على موضوعين رئيسيين ، أولهما : الحالة السيئة  
التي آل إليها أمر البلاد ، أبان الثورة الاجتماعية الأولى - شأنها في  
ذلك شأن تحفيزات ايبو - ور ، وثانيهما : الاعلان عن ملكه الجديد  
الذي سيظلم البلاد مما نزل بهسا من شر ، وسيسعد من يعيشون في  
عصره .

وفي الحقيقة أن كلا الموضوعين قد تحدثت عنهما «ايبو - ور» ، فلقد  
وصف الخراب والدمار الذي حل بالبلاد ، كما كتباً بقرب ظهور الملك  
الامثل ، وهكذا يأتي «نفرتي» فيتحدث عن ذلك كله ، ولكنه يزيد على  
«ايبو - ور» بأن يحدد اسم المخلص الجديد ، وأنه «اميني» ، وهذا هو  
الهدف من البردية ، ولهذا فهي دعاية للملك «أمنمحات الاول» (اميني)  
ما في ذلك من ريب . وأما ما جاء من وصف الخراب الذي حل بالبلاد ،  
فصحيح يتفق وعصر الثورة الاجتماعية الأولى بما في ذلك من ريب أيضاً  
ومع ذلك فمكانة نبوءة نفرتي كوثيقة تاريخية ليست في مكانة تحفيزات  
ايبو - ور ، لان الاخير انما كان شاهد عيان يدفعه الى كتابة ما كتب  
دوامه عليا بواهداف سامية ، حتى اننا نجده يلوم نفسه لتأخره في اسداء  
النصح لملك عصره ، «لميتي رفعت صوتي في ذلك الوقت ، حتى أنتذ  
نفسى من الالم الذي أنا فيه ، فالويل لى لان البؤس قد عم في هذا  
الزمان (١٥) ، كما أنه لم يكن في دعوته هذه مدفوعا الى الدعاية لصاكم  
بذاته ، وانما كان يطلب المحاكم الامثل فحسب ، أيا كان هذا الحاكم .

وأما «نفرتي» فلم يكن شاهد عيان ، وانما ينسب تأليفها الى عهد  
قديم ، الى عهد الملك «سنفرو» ، كما يظهر في نبوءة نفرتي بوضوح مظهر

G. Posener, Op-Cit, p. 32.

(١٤) انظر

B. Gunn, JEA, 12, 1926, p. 250-251.

(١٥) أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا

J. A. Wilson, ANET, p. 449.

الدعائية للملك «أمنمحات الاول» ، بل ان بعض المؤرخين انما يرى أنه لا يستبعد مطلقا أن يكون الحديث (يعنى النبوءة) من وضع الملك «أمنمحات الاول» نفسه (١٦) ، وفي كلتا الحالتين انما يعتبر كاتب هذه النبوءة شبة شاهد عيان ، لقرب عهده من أحداث الثورة الدامية نفسها . ولنقدم الآن صورة مجملة لهذه النبوءة التى جاءت فى «بردية نفرتى» :

١ - وصف حال البلاد :

يقول «نفرتى» فى نبوءته بعد المقدمة :

«لقد أصبحت البلاد خرابا ، فلا من يهتم بها ، ولا من يتكلم عنها ، ولا من يذرف الدمع عليها ، لقد حجبت الشمس فلا تضىء حتى يبصر الناس»

«لقد جف نيل مصر حتى ليخوضه الناس بالقدم ، وسوف يبحث الناس عن الماء لتجرى عليه السفن ، فيجدون أن الطريق صار شاطئا ، كما صار الشاطئ ماء»

«ان البلاد فى كرب وعويل ، لقد حدث ما لم يحدث من قبل ، سيحمل الناس أسلحة الحرب ، حتى تعيش الارض فى قلق واضطراب ، وسيصنع الناس أسلحة من النحاس حتى يلتمسوا الخبز بالدم ، ويضحكوا ضحكة الموت ، لن يبكى الناس من الموت ، ولن يهتم أحد الا بنفسه»

«لن يبنى أحد بترجيل شعره ، ويجلس المرء فى مكانه لا يهرك ساكنا ، بينما يرى الناس يقتل بعضهم بعضا ، سأريك حالة البلاد ، وقد أصبح الاب خصما ، والاخ عدوا ، الرجل يقتل أباه ، واختفى كل شىء طيب ، وخربت البلاد ، وأصبحت أملاك الرجل تختصب للغيريب ، وغدا المملك فى حرمان ، والاجنبى فى شبع ورفاهية»

(١٦) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ٩٤ .

«لقد أصبح للكلام في قلوب الناس وقع كوقع النار ، ولم يعد أحد يصبر على النصيحة ، لقد نقصت الارض وتضاعف حكامها ، وأصبحت الحقوق عارية ، غير أن ضرائبها كثيرة ، وغلتها قليلة ، مع أن الكيل صار كبيرا ، وكنوا يملؤنه حتى يطفح ، لقد ظهر الاعداء في الشرق ، واقتحم القبطيون مصر ، ولكن ما من مدافع يسمع أو يجيب» .

«لقد تباعد الاله روع عن الناس ، واذا ظهر أشرق ساعة ، ولا يكاد أحد يعرف أوان الظهور لانه ما من ظل يدل عليه ، لم تعد الابصار تبهر عند التطلع اليه ، ولم تعد العيون تبك بالماله ، اذا أصبحت الشمس في السماء شبيهة بالقمر»

«سأريك البلاد ، وقد أصبحت شذر مذر ، لقد أصبح الكليل صاحب سلطة وسلاح ، وصار القوم يبجلون من كان يبجلهم ، سأريك البلاد ، وقد أصبح في القمة من كلن في الدرك الاسفل ، وسيعيش الناس في الجبانة ، وسيتمكن المعدم من الثراء ، وسيأكل المتسولون خبز المقرابين ، بينما يتتهج الخدم بما حدث» .

## ٢ - الدعوة الى الملك الجديد :

وهنا يصل المتنبى الى هدفه - وهو الدعوة للملك الجديد (امينى) :

«سأيتى ملك من الصعيد ، يدعى «امينى» له المجد ، ابن امرأة من «تاستى» (جزيرة أسوان) ، ويولد في الصعيد في «خن نخن» (البصيلية مركز ادفو بمحافظة أسوان) ، وسوف يتلقى التاج الابيض ، ويتزوج بالتاج الاحمر ، فاسمحوا اذن يا أهل عصره ، وسوف يعمل ابن الانسان على تخليد سمته الى الابد ، أما الذين كانوا قد تأسروا على الشر ، ودبروا الفتنة ، فسيتطبون أفواههم خوفا منه، وسوف يسقط الاسيويون بسيفه ، والليبيون أمام لهيبه ، وسيستسلم الثوار أمام غضبه ، والمعصاة أمام جلالته ، وسيخضع المتكردون للمصل الذى على جبينه ، وسوف يبنى حائط الامير ، ولن يستطيع الاسيويون أن يدخلوا مصر عنوة ، وانما سوف يستجدون الماء منها لتشرب ماشيتهم ، كما لو عادتهم ، وسوف

تعود العدالة الى مكانها ، ويقضى على الظلم ، ولسوف يسعد من يرى ،  
ومن سيكون في خيمة الملك» .

وهكذا يصف «نفرتي» مليكة المنتظر بأنه سيحقق كل ما فقدته القوم  
أثناء الثورة ، فهو سيقتضى على الفتن الداخلية ، وسيحمى البلاد من شر  
جيرانها الليبيين والاسيويين ، وأنه سيبنى سور الحطيم لحملية الدلتا من  
تسلل البحر ، وهكذا يستطيع المخلص الجديد أن يقضى على شرور الناس  
وأن يبدأ عصرا جديدا .

ولعل من الأهمية بهكان الإشارة الى أن «نفرتي» انما يصرح في  
نبوءته بأن مليكة الجديد ، ليس من سلالة البيت المالك القديم ، فهو أذن  
ليس بملكه كغيره ممن سبقوه من الفراعين المؤلهين ، وانما هو ابن امرأة  
من جزيرة أسوان (الييفانتين) وانه قد ولد في البصيلية (نخن) ، وربما  
تدفعه الى ذلك ضياع الهالة القديمة التي كان يتمتع بها الفراعين  
من قبل ، وربما دعاه الى ذلك كثرة المطالبين بالعرش أو المدعين له ، تلك  
الكثرة التي جعلت ملكه الجديد ، ليس بدعا بين المدعين أو المطالبين ،  
وربما كان «أممحات» (أميني) نفسه قد لجأ الى الدعاية لنفسه .  
فماخترع تلك النبوءة المعروفة ، فامر ذلك جائز ، وقد دعا اليه بعض  
المؤرخين ، ذلك لان الظروف التي أحاطت به قد ألجأته الى ذلك ، فهو له  
يكن أميرا ، ولم ينتسب الى بيت اماره ، ولانه انما كان قد فطن بذلك  
وسعة ادراكه وتجاربه الواسعة الى أن الناس قد سئموا المدعين من فلول  
الامراء الذين ينتسبون الى بيت الملك ، وكرهوا سلطانهم ، وبذلوا ما في  
وسمهم في سبيل الخلاص من تلك الاسر التي رفعت نفسها الى مجال  
التأليه ، فكان من المنطق أن يلجأ «أممحات» الى الدعاية لنفسه بمس  
يصادف في نفوس الناس هوى وارتياحا ، ومن ثم فقد أخذ يبشر بظهور  
مخلص جديد ، أسماه «أميني» تارة ، وأسماه «ابن الانسان» تارة أخرى  
وكان يقصد بذلك الى اقناع الناس بأن مخلصهم وحكهم الجديد ، ليس  
من بيوت الملك والامارة ، وانما هو من الشعب ، صديق الشعب وربيب

وهكذا أصبح الانتساب الى الشعب شرفا يدعيه الطامحون الى تبوأ عرش الكتانة ، فهاهو «أمنمحات» يذيع عن نفسه «انه ابن امرأة من تاستى» وقد ولد في «لخن نخن» ، ولم يقل أنها ، أو هو ، من أصل ملكي ، ومن البدهى أن ذلك لم يكن عن رغبة عن الانتساب الى الاصل الملكي ، ولكنها كانت رغبة العصر ، ذلك العصر الذي أعطته الثورة الاجتماعية الاولى مبادئها ، والتي كان منها أن الانتساب الى الشعب ميزة يفخر بها من يحاول التقرب اليه (١٨) •

ولعل مما تجبر الاشارة اليه أن هذا المبدأ قد سرى بين أمراء الاقاليم كذلك ، ومن ثم فقد ادعى بعضهم ادعاءات عريضة عما قدموه من خير لآلئيمهم ، ثم يفخرون بعد ذلك أنهم اتما كانوا محبوبين من مدنيهم ، وهكذا رأينا الواحد منهم يفخر بأنه «الحاكم المحبوب في مدينته» (١٩) •

(١٧) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ١٢٠ ، محمد بيومي مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعنة ص ٢٠١ - ٢٠٣ •

(١٨) محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٠٢ ، وكذا

A. H. Gardiner, JEA, I, 1914, p. 105.

(١٩)

P. E. Newberry, Beni Hassan, I, Table, 8, p. 415.



تعرف هذه البردية المتى تحوى «ارشادات الى الملك مري كارع» باسم «بردية بطرسبرج» ، وهى محفوظة الآن فى «متحف ليننجراد» تحت رقم رقم (A 1116) ، غير أن هذه النسخة ليست هى النسخة الوحيدة ذلك لان النص انما قد جمع فى ثلاث برديات ، الواحدة فى ليننجراد ، والثانية فى «موسكو» (برقم ٤٦٥٨) والثالثة فى «كوبنهاجن» ويرجع تاريخها جميعا الى حوالى نهاية الاسرة الثامنة عشرة ، وهى جميعا معقدة بسبب الفجوات والغموض من كل نوع ، ولو بقى الجزء الاول من النص ، وكان أكثر تماسكا وحفظا ، لكان أهمها جميعا ، ملغام يقدم النصح بأنه من الافضل حسن معاملة الموالى الحديديين الذين يستمتعون بشعبية ملحوظة<sup>(١)</sup> .

هذا وقد اختلف المؤرخون فى صاحب هذه الارشادات أو النصائح ، لان اسم الاب (صاحب النصائح) مفقود ، ولكنه ربما كان «اختوى» ، وان لم يكن أول من يحملون هذا اللقب ، ومن هنا فقد ذهب فريق الى انه «اختوى» (خيتى) الثالث ، بينما رأى آخرون أنه «خيتى الرابع» ، هذا فضلا عن الخلاف لم يكن فى اسم الملك صاحب التعليم ، وانما امتد كذلك الى الاسرة التى ينتسب اليها ، ومن ثم فقد ذهب فريق من الباحثين الى أنه من الاسرة التاسعة ، بينما ذهب آخرون الى أنه من الاسرة العاشرة .

وعلى أية حال ، فهناك فريق كبير من الباحثين يكتفون بجمعون على أن «نوب كلورع» انما هو «خيتى الثالث» ، وهو نفسه صاحب الارشادات - موضوع بحثنا هذا - وأنه من ملوك الاسرة التاسعة ، على أن هناك وجها آخر للنظر ، يترجمه بعض علماء المصريات ، من أمثال الدكتور

M. Lichtheim, Op-Cit, p. 97.

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, 1961, p. 115.

أحمد فخري<sup>(٢)</sup> ، ووليم هيز<sup>(٣)</sup> ، ووينلوك<sup>(٤)</sup> ، انما يرى أن صاحب الارشادات انما هو «خيتي الرابع» (واح كلوع) من الاسرة العاشرة ، على أن «الكسندر شارف» انما يذهب الى أنه «خيتي الثالث» ، وأنه من الاسرة العاشرة ، حيث وضع الاب والابن في هذه الاسرة العاشرة<sup>(٥)</sup> ، واننى لأميل الى أن صاحب الارشادات اللوجهة الى الملك «مرى كلوع» انما هو «خيتي الرابع» ، وانه كان من ملوك الاسرة العاشرة الانماسية، وليس من الاسرة التاسعة .

هذا وقد اكتشف هذه البردية في عام ١٨٧٦م ، الاثرى الروسى (فلاديمير جولينشف) ، وكان أول من قام بنشرها<sup>(٦)</sup> ، ثم ظهرت لها بعد ذلك عدة ترجمات ، كان من أهمها ترجمة «جاردنر»<sup>(٧)</sup> و «ارمان»<sup>(٨)</sup> ثم تحليل «برستك» لها في «فجر الضمير»<sup>(٩)</sup> .

وفي عام ١٩٣٦م ، قام «الكسندر شارف» بأهم ترجمة للوثيقة ، مع التحليل السياسى والنقد التاريخى لمحتوياتها<sup>(١٠)</sup> ، وفى عام ١٩٤٥م قام

(٢) أحمد فخري : مصر الفرعونية ص ١٦٨ .

W. C. Hayes, The Scepter of Egypt, I, New York, 1953, p. 144. (٣)

H. E. Winlock, The Rise and Fall of The Middle Kingdom (٤)  
in Thebes, New York, 1947, p. 20.

(٥) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٧٣ .

Vladimir S. Golenischeff, Les Papyrus hieratiques, Nos. 1115, (٦)  
1116A et 1116B de L'Ermitage imperial a St-Petersbourg, St-Petersbourg,  
1916, Pla. IX-XIV.

A. H. Gardiner, in JEA, I, 1914, p. 20-36. (٧)

A. Erman, in LEA, 1927, p. 75-84. (٨)

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, (٩)  
p. 145-150.

وفى الترجمة العربية (جيمس هنرى برستد : فجر الضمير - ترجمة  
سليم حسن - القاهرة ١٩٥٦ ص ١٦٧ - ١٧٣) .

A. Scarff, Der historische Abschnitt der lehre fur Konig (١٠)  
Merikare, in SPAW, 1936, Heft, 8, (Lincs 69-110 and Most of Lincs,  
111-144).

«فولتن» بنشرها مرة أخرى (١١) ، كما قام بترجمتها أيضا والتعليق عليها كل من «ببوزن» (١٣) و «دريوتون» (١٣) و «وليامز» (١٤) و «صولر» (١٥) و «كيس» (١٦) و «ردفورد» (١٧) و «بيكرات» (١٨) و «لوبز» (١٩) و «سمبسون» (٢٠) وغيرهم (٢١) ، فضلا عن الترجمات العربية للوثيقة (٢٢) .

وأما عن الظروف التاريخية للوثيقة ، فمن المعروف أن مصر قد تعرضت في أخريات أيام الدولة القديمة لفترة ضعف سياسي ، وهي الفترة التي يطلق عليها المؤرخون «عصر الانتقال الاول» أو «عصر الثورة الاجتماعية الاولى» ، والتي تقطعت فيها أوصل البلاد ، وتفرقت كلمتها ، وقد بدأت تلك الفترة منذ أخريات الأسرة السادسة (حوالي عام

- A. Volten, Zwei altägyptische Politische Schriften, *Annlecta Aegyptiaca*, 4, Copenhagen, 1915, p. 3-82, Pls. 1-4. (١١)
- G. Posener, *Annuaire du Colloge de France*, 62, (1962), p. 290-295, 63, (1963), p. 303-305, 64, (1964), p. 305-307, 65, (1965), p. 343-346, 66, (1966), p. 342-345. (١٢)
- G. Posner, *RdE*, 7, 1950, p. 176-180. (١٣)
- E. Drioton, *RdE*, 12, 1960, p. 90-91 (Line 92). (١٣)
- R. Williams, in *Essays in Honour of T. J. Meek*, Toronto, 1964, p. 16-19. (١٤)
- D. Muller, in *ZAS*, 94, 1967, p. 117-121. (١٥)
- H. Kees, in *MDIK*, 18, 1962, 6, (Lines 88-89). (١٦)
- D. Redford, in *JEA*, 51, 1965, p. 105-107. (١٧)
- J. Von. Beckerath, in *ZAS*, 93, 1966. (١٨)
- J. Lopez, in *RdE*, 25, 1973, p. 178-191. (١٩)
- W. K. Simpson, *The Literature of Ancient Egypt*, 1977, p. 180-192. (٢٠)
- J. A. Wilson, in *ANET*, 1966, p. 414-418. (٢١)
- M. Lichtheim, *Op-Cit*, p. 97-109.
- P. Seibert, *Die Charakteristik*, I, Wiesbaden, 1967, p. 90-98, (Lines 91-94 and 97-98).
- (٢٢) سليم حسن : المرجع السابق ص ١٦٠ - ١٦٧ ، محرم كمال : المرجع السابق ص ٦١ - ٨٠ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٤١ - ١٤٢ ، أحمد فخري : المرجع السابق ص ٤٤٠ - ٤٤٢ ، عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٠٥ - ٣٠٨ ، نجيب ميخائيل : مصر ١/٢٩٢ - ٢٩٤ ، أحمد بدوي : المرجع السابق ص ٢٢ - ٢٨ .

٢٢٨٠ ق م) ، واستمرت حتى قيام الدولة الوسطى (صوالى عام  
٢٠٥٢ ق م) .

ولعل من أهم أحداث تلك الفترة سيطرة ملوك اهناسيا ، مكونين  
الأسرتين التاسعة والعاشره - على الشمال ، ثم الصدام المرير بينهم  
وبين أمراء طيبة (الأقصر) ، ذلك أن اهناسية انما كانت تخص أن سلطانها  
على مصر أن يتم ، ملدام هناك أسويى فى الشمال ، وطيبى فى الجنوب ،  
وكل منهما يحتل جزءا من البلاد ، وكانت طيبة بدورها تخص أن استقلالها  
لن يمكنها من زعامة الصعيد والتحكم فى شئونها ، مادامت تدعى بالولاء  
لاهناسية وتدفع لها الجزية ، وكان كل من الفريقين يتربص بالآخر  
الدوائر ، ويجعل على تجميع أنصار له ، وهكذا دارت رحى الحرب بينهما  
نحو من ثمانين عاما ، وانتهت بانتصار طيبة على اهناسية ، رغم أن  
عوامل النصر كانت فى يد اهناسية أكثر منها فى يد طيبة .

وعلى أية حال ، فإن هذا النصر لم يكن لأمرء طيبة ، وانما كان لمصر  
كلها ، حين وسعها الله تعالى برحمته ، فأعاد وحدتها ، التى أضاعها عصر  
الثورة المضطرب ، ومن ثم فقد بدأت مصر تتبوأ مكانها فى التاريخ ،  
الانسانى من جديد ، وذلك بقيام الدولة الوسطى ، تحت زعامة سادة  
طيبة الجدد .

هذا ولم يزدهر الادب فى أى عصر من عصور التاريخ المصرى  
القديم ، كما ازدهر فى هذا العصر - عصر الثورة الاجتماعية الاولى -  
فقد كتبت فيه كثير من البرديات ، التى وصل فيها من الكتلة الى قصة  
مجده ، مثل برديات : الفلاح الفصيح ، وتحذيرات ايبو - ور ، واليائس  
من الحياة ، وغيرها ، هذا فضلا عن أن هذه الفترة قد تميزت بالاعلاء من  
شأن الفرد واعتزازه بنفسه ، وتحطيم تلك الهالة التى كانت تجعل الشعب  
يذوب فى شخصية «الملك - الاله» ، التى تجعل المجد فى الدنيا ،  
والسعادة فى الآخرة لن ينال رضى الاله وعطفه ، وتكون له الثروة التى  
تمكته من انشاء قبر كبير يعين له من الكهنة من يقومون بالصلاة على

روحه في الاعياد ، ويقدمون له القرابين في كل يوم ، ويوقف من أرضه ما يكفي للاتفاق على ذلك كله .

وتقوم الثورة الاجتماعية في أخريات أيام الاسرة السالسة ، وفيها لم يحطم الشعب دواوين الحكومة وقصور الاغنياء وسقابر الملوك وأصفائهم فحصب ، وانما يحطم كثيرا من التقاليد القديمة ، ويصبح المصريون يؤمنون بالمساواة الاجتماعية ، ومن ثم لم يعد تقدم الفرد في حياته رهينا برضى الملك أو بنسبه أو ثرائه ، وانما أصبح متوقفا على جده واستقامته ، كما أصبحت الجنة لمن يحسنون في الدنيا عملا ، وجائبوا المعاصي ، وصلت سيررتهم ، كما أنها لم تعد وقفا على الملك ومن أحاطوا به من رجال بلاطه ، ومن اشتروا بشرواتهم قرابين تقدم لارواحهم بعد الموت ، يبدو هذا واضحا في أدب ذلك العصر ، وبخاصة في النصائح الموجهة الى الملك «هرى كارع» ، والتي سنحاول هنا تقديمها بايجاز ، مستغلين بفقرات منها على الافكار النبيلة التي تحتويها ، ونلاحظ أنه على الرغم من أنها نصائح سياسية في الدرجة الاولى ، الا أن أسلوبها الادبي لا يقل جمالا وجودة عن أية قطعة أدبية أخرى ، ولنحاول الآن أن نقدم أهم ما جاء في هذه الارشادات الموجهة للملك «هرى كارع» من أفكار :

تكاد تعاليم الملك الالهاسي هذه أن تكون مرآة لايلم عهده ، فهو قد اصطدم في حروب مع أهل الجنوب دارت رحاها حول اقليم «ثنى» ، وعلى مقربة من «أبيدوس» (مركز البلينا - بمحافظة سوهاج) ، احدى عواصم البلاد الدينية العريقة «فتص علينا كيف انتفض على المدينة المقدسة انتفاض الصاعقة ، فخر عليها وأخذها كما تأخذ الغمالة المطرة ما تحتها من أرضين ، فغذا الديار خربت ، واذا القبور بمرث ، ثم سرعان ما يمدتنا الفرعون عن ندمه الذى آذى نفسه ، ثم أخذ عواطفه فمزها هذا ، وهو يعود فيمتدثر من هول ذلك الجرم « حين ينسبه الى جهل عسكره » ويبدو لى أن أمير طيبة قد اهتبل الفرصة ، فأخذ يؤلب القوم عليه « ويثير النفوس ضده ، ويفزى به الناس ، وذلك حين اتخذ من انتهلك حرمت القبور فى أبيدوس ، سبيلا للضرب على عواطف المؤمنين ، وطرقتها بمطارق من حديد .

وظاهر من تعاليم الملك الشيخ لولده «مرى كارع» أنه كان يعانى من فعلته هذه كثيرا من المرارة والالام بين الفينة والفينة ، ثم يعود فيعزى نفسه عن هولها ، معتذرا بانها قد وقعت من وراء علمه ، وأنه لم ينبأ بالامر الا بعد وقوعه ، ولم يعلم بالكارثة الا بعد أن تمت ، ولم يعرف بأمر النكبة الا بعد فوات الاوان،أنظر اليه حين يقول لولده فى ارشاداته :

«ان مصر تحارب حتى فى الجبانة ، انى فعلت ذلك ، وحدث لى ما يحدث لمن يخالف أوامر الاله ، أنظر : لقد حدثت كارثة فى عهدى ، عزى العظيم لئى بسبب ما فعلت ، غير انى لم أعرف الا بعد حدوثه ، أنظر : ان ما فعلته هو السبب فيما جوزيت به ، فالضربة ترد بضربة أخرى ، مضى جيل من الناس ، والله الذى يعرف القلوب لم يظبىء تعس هو الرجل الذى يطلب الحرب ، لان العدو وسط مصر ، ونحن نريد جندا لاخضاع المحاربين لكى تصدق النبوءة : هذه مصر تحارب وسط قبورها ، لا تؤذ القبور بالحرب ، لاننى فعلت ذلك ، ولهذا أستحق ما حل بى من عقاب الله» .

ثم يحصل الملك الشيخ هذه الحرب الاهلية ، ما حل بالبلاد من مصائب هى التى مكنت الاجانب من دخول البلاد ، ثم ينصح ولده بأن يتخذ الاجراءات ضدهم : «اذا تعرضت حدودك للخطر ، فاعلم أن هذا يعنى أن حطة القوس الذين فى الشمال ، سيتمنطقون بسدة الحرب ، ابن حصونك فى الشمال» .

وحين يستعيد المصريون شعورهم بالسيادة على غيرهم من الشعوب نرى الملك الاهناسى يتمدد الى ولده باحتتار شديد عن الاسيويين : «أنظر الى الاسيوى اللعين (يعنى البدوى) « أن الامور سيئة فى بلاده ، فمأوه آسن « وطرقته وعرة ، لذلك فهو دائم الترحال « لا يستقر فى مكان واحد ، وانما ظل يشاغب منذ عهد الاله حور ، لا يغلب ولا يغلب ، لاتهمم بأمره ، فهو ليس الا بدويا ، شخص منبوذ على الشاطئ ، لا يغير الا على الموطن المغزل ، ولا يجرؤ على مهاجمة مدينة عامرة بالسكان ، أقم الحصون فى تخومك الشرقية ، وابن مدنا ، وعمرها بالسكان» .

ويصور الفرعون لولده «مري كارع» الطريقة التي اتبعها في اضعاف  
الاسيويين ، وفي اجلائهم من الدلتا ، ودعاه الى أن يترسما ، وصور له  
هذه الطريقة في شقين :

اولهما : بث الروح الحربية في البلاد ، والحماية بجندها الشبان ،  
وقال له عنها : «أعل من شأن الجيل الجديد تحبك العاصمة ، وزد أتباعك  
من الرعية ، ان مصر بلد عامر بنشئ غص في سن العشرين ، وان الجيل  
الناشئ انما يسعد بمن يستوحى ضميره ، فان فعلت ذلك قلداك العامة ،  
وأنتك رب كل أسرة بأبنائك رافيا ، فبهذه السياسة طارب القدماء من  
أجلنا ، - is - رفعت أنا شأنهم ، فترفع أنت شأن نبلائك ، وعظم محاربيك ،  
واسبخ الخير على جيل الشباب من أتباعك ، واحرص على أن يتروذوا  
بالعطايا ، ويطمئنوا بامتلاك الارض ، ويكافأوا بالانعام» .

وثانيهما : التضييق على الاسيويين والحد من سبل نشاطهم ، وذلك  
بانشاء مدن محصنة على هـ - واف الوادي ، وتعميرها بخير الرجال ،  
يسكنونها ويزرعون ما حولها ، ويتحصنون بها حين الشدة ، ويصدون  
منها غارات الاسيويين ، وقال له في ذلك : «لا تنهيب البجوى فهو لا يغير  
الا على الموطن المنزل ، ولا يغير على المدن الأهلة بالسكن» .

ويحض الفرعون ولده على عمل الخير ، فيقول له : وهدى من روع  
البلكى ، ولا تظلم الارملة ، ولا تحرم رجلا من ثروة أبيه ، ولا تطرد  
موظفا من عمله ، وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم ،  
لا تقتل فان ذلك لا يكون ذا فائدة لك ، بل علقب بالضرب والحبس ،  
فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد ، اللهم الا من يثور عليك وتتضح لك  
مقاصده ، فان الله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، والله هو الذي  
يعاقب أخطاءه بدمه ، ولا تقتل رجلا تعرف جميع مزاياه ، رجلا كنت  
تتلمذ معه الكتابات (أي زميلا لك على أيام الدراسة) .

ويوصي الشيخ الاناسى ولده بتقريب ذوى المواهب ، «لا تفرق  
بين ابن النيل وبين ابن فقير الاصل ، وتخير الفرد بكفائه الشخصية» ،

ولا ينسى الفرعون أن يحضر ولده من الاعتداء على آثار السابقين، فيقول له : «لا تحدث ضررا لمبنى أقامه غيرك ، اقطع أحجارك من طره ، ولا تبني قبرك من أحجار قبور غيرك ، أنظر أيها الملك الذى أريد له دوام الصحة والسعادة والحياة ، لا تتعاس وتتم مطمئنا الى قوتك ، اعتمادا على ما فطنته أنا قبلك ، افعل أنت بنفسك » .

ولا ينسى الفرعون الشيخ أن يوصى ولده بالاهتمام بالفصاحة وحسن التعبير . ولعمري أنه لم يكن فى ذلك مجددا ، ففى «تعاليم بتاح - حتب» يظهر لنا مدى تقدير القوم للفصاحة تقديرا كبيرا ، وقالوا بأنها من الجائز أن توجد عند الفقيرات اللاتي يعملن على أحجار المسن، وفى «نقشة القروى الفصيح» نرى أن هذه الفكرة مازالت سائدة عند القوم ، وأن أقل المصريين شأننا انما يستطيع أن يتكلم ، وأن يكون لكلامه الاثر المرجو ، وأنهم جطوا هذا القروى يستمر فى حديثه مرة بعد أخرى - بعد أن أعجبوا بفصاحته - حتى بلغت شكلياته تسعا ، كما رأينا من قبل ، وأن الملك ورجاله انما كانوا جدا مسرورين من تلك الفصاحة ، وأخيرا نرى هذا القروى غير المثقف ، ينال ما يستحقه من تكريم، عندما أنهى كل ما فى جعبته من كلام ، وهكذا نرى الملك الالهاسى انما يقدم لابنه النصيح قائلا :

«لكن فنانا فى الحديث حتى تسود ، فنان القوة فى اللسان ، وهو كالسيف للرجل ، والحديث أمضى من أى سلاح ، اقتد بأبائك الذين ذهبوا من قبلك ، أنظر ان كلامهم الحكيم باقى فى الكتب ، فافتح واقرأ واقتد ، كن فطنا فان الرجل الفطن لا يجد من يفهمه ، والذين يعرفون أنه أوتى الحكمة لا يعارضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة فى زمانه» .

هذا وقد كانت عصور ما قبل عصر الثورة الاجتماعية تهتم كثيرا ببناء وصيانة ضريح رائع يبقى خالدا على مر السنين ، لانه انما كان - فى نظر تلك الاجيال السالفة - ضمانا للخلود ، بل ان فقدان القبر انما كان فى نظر المصريين القدامى أعظم كارثة يمكن أن تط بعصرى ، ولهذا فقد اتخذها الملوك كآتسى عتاب يمكن أن ينزله الفرعون بمن



يشك في ولائه ، حتى أن أحد الحكام حذر أولاده هذا الجزء الأليم لمن يخرج على الملك ، حيث يقول : «لا قبر لأنسان خارج على الملك ، بل أن جثته سيلقى بها في الماء» .

وتقوم الثورة وتبقى على مثل هذه النصب ، ومن ثم نرى الملك الأهناسى ينصح ولده قائلا : «الذين مثواك الذى فى الغرب ، وجمل مقعدك فى الجبلنة» ، غير أن عصر الثورة الاجتماعية لم يقتصر على الوسائل المادية ، كسبيل للسعادة فى الحياة الثانية ، وإنما أصبح للأخلاق فى هذا العصر شأن عظيم فى تقرير مصير الإنسان بعد مماته ، وبذا أصبحت الأهمية الكبرى للوصول الى الخلد إنما هو العمل الصالح ، بعد أن كان ذلك من قبل ، للثروة ، والقربى من الإله الملك .

ويقدم لنا الملك الأهناسى أمثلة كثيرة على ذلك ، ففى تعاليمه التى وجهها لأولاده «عزى كارع» جاء الحث على نبذ المادية فى فقرات ثلاث : «لا تكن شريرا ، فالصبر خير ، اجعل بيت ذكراك خلدا بحب الناس لك» ، وذلك عندما أراد أن يقارن العمل الأخلاقى ، ببناء بيت الذكرى من الحجر «اجعل الناس يحبونك فى الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى للإنسان» ، ثم يعطى فى الفقرة الثالثة بوضوح ، أن الخلق الطيب أفضل عند الله من القربان التى تقدم لاستعماله ، فيقول : «إن خلق الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الشرير (أى الثور الذى يقدمه كقربان)» .

وهكذا اعتقد القوم أنه يجب على الإنسان أن يوجه عنايته لإقامة الشعائر الدينية لينال عطف الإله ، غير أن ذلك لن يفنى عنه من الله شيئا ، ما لم تسنده أعمال صالحة ، وخلق كريم ، وفى جملة الملك الأهناسى التى تنص على أن الإله يسر للخلق الفاضل ، أكثر مما يسر للقربان الكثير ، والتى تعد من أنبئ ما جاء به التفكير الخلقى عند المصرى القديم ، وفى هذه الجملة دلالة على أن للفقير ما للغنى من حق فى رعية الله ، ذلك لأن أكرمهم عند الله أتقاهم وأفضلهم خلقا ، وليس أكثر قربانا ، وأشدهم سلطانا .

وهكذا فلن السعادة فى الآخرة لم تعد تتوقف على قبر يبنى ، أو

على قرابين تقدم ، ولكنها في العمل الصالح ، والعدل بين الناس ، والعطف على الفقراء والعيال بشؤونهم ، فهناك من تعاليم الملك الالهاسى قوله : «اتمم العدل تخلص في الارض ، واسى الحزين ، ولا تحرم رجلا من ميراث ابيه ، ولا تضرن شريفا في مركزه» .

هذا وقد كان المصري القديم يعتقد أن الميت سوف يطعم أمم اله الشمس ، وذلك استجابة لطلب انسان كان الميت قد أخلف في حقه ، وليس حسابا على شيء ، فان لم يطلب الانسان للمحاكمة بهذه الصفة ، فمن المحتمل ألا يتعرض في الحياة الثانية لمحاكمة أخرى ، ثم ما لبثت أن ولدت محاكمة الاله «أوزير» التي تنتظر كل انسان لتحاكمه على ما قدمت يداه من عمل ، وفقا لقواعد الاخلاق ، وهكذا أصبح من مستلزمات عصر الثورة الاجتماعية أن الانسان لابد ، وأن يجتاز امتحانا جادا أمم هذه المحكمة لينال السعادة المنشودة في العالم الآخر ، وفي تعاليم الملك الالهاسى إشارة الى ذلك ، فهو يقول :

«انك تعلم أن القضاة الذين يحاسبون المذنب ولا يرحمون الشقى يوم المحاكمة ، وتسوء العاقبة ان كان المتهم هو الواحد العاقل (ربما تحولت رب الحكمة الذي سيدير المحاكمة يوم الحساب) لا تضع نفسك في طول السنين ، فهم ينظرون الى مدة الحياة كساعة ، ثم يبعث الانسان ثانية بعد الموت ، وتوضع أعماله بجانبه ككوام ، لان الخلود مثواه هناك (أي العالم الآخر) ، والغنى من لا يهتم بذلك ، أما من يأتى اليهم دون أن يرتكب اثما ، فلاه سيثوى هناك ، ويشى مرحا مثل سعادة الابدية (اسم للابرار المتوفين) .»

وهكذا يحضر الفرعون الالهاسى ولده من يوم الحساب ، فهو لا ينعم فيه مال ولا بنون ، خاصة اذا كان الذي سوف يحاسب الناس هو الواحد العاقل ، ويحذره من أن ينتر بطول السنين ، فلانها في نظر القضاة وكأنها ساعة ، ثم يبعث ثغية ليجد أعماله كلها — خيرا أو شرا — مكدسة بجواره «فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ، ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره» ، وهكذا تكون نتيجة المحاكمة ، فلذى يصل الى الآخرة ، وقد عمل الخير

في دنياه ، فانه سيثوى هناك فرحا مع الابرار المتوفين ، ومن لا يكثر ذلك فهو غبي أحمق ، وسيكتب له سوء المصير ، وهكذا استطاع المصريون القدامى أن يتقربوا الى حد ما من المبدأ الذي قرره الكتب السماوية ، وهو أن الآخرة نتيجة عمل الدنيا «فمن عمل صالحا فلنفسه ، ومن أساء فعليها ، وما ربك بظلام للعبيد» .

ويرى الملك الالهائى أن الحياة الصالحة فوق الارض ، انما هي العماد الحق الذي ترتكز عليه الحياة في العالم الآخر ، حيث يقول : «ان الروح تذهب الى المكان الذي تعرفه ، ولا تحيد في مسيرها عن طريق أسما» ، وليس هناك من ريب في أن الملك الالهائى انما يعنى طريقها المتعاد للخلق الكريم ، والعمل الصالح .

وكن المصريون القدامى يؤمنون بأن أهم ما في حياة الانسان ، انما هو علاقته بربه في للحياة الدنيا ، وفي الحياة الآخرة ، ومن هنا رأينا حكيمنا ينصح ولده «مرى كارح» قائلا : «يهر الجيل منتقلا الى جيل آخر بين الناس ، والله العظيم بالاخلاق قد أخفى نفسه . . . انه الواحد الذي يبهر بما تراه الاعين ، فأجل الاله يخدم بالصورة التي سوى فيها ، حجرا كريما كانت أم نعلسا ، لانه كالساء الذي يطل محله الماء ، اذ لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مفضتبا ، بل يكتسح الذي يخفيه» .

وهذه الكلمات الهامة التي جاءت على لسان رجل من قادة الفكر في مصر ، منذ أكثر من أربعة آلاف عام مضت ، ليست الا مضافة منه ليميز بين الاله والمنم التقليدى الذي يوجد في المجد ، ويظهر في الاحتفالات ، ويهتف له الشعب ، ولكن كينونة الاله كالماء يكتسح السد أمامه ، ولا يمكن أن ينقى في الصورة المصنوعة (أى الصنم) ، بل يبهر الناس بما تراه العيون ، وهذا الاله العظيم بالاخلاق قد أخفى نفسه ، فلا يمكن ادراكه ، كجسم من الماء يمتزج في جسم آخر مثله من الماء ، ومن الجائز أن حكيمنا الالهائى يريد بعبارة «كالماء الذي يطل محله الماء» . . . أن الاله الذي شبهه بالماء ، اذا نضل في أى جسم ، سواء أكلن من الاحجار الكريمة أو من المنحاس ، أو من أية مادة أخرى ، لا بد أنه واجد لنفسه منفذا

يخرج منه « أو يظهر قوته ، ولذلك فان تصوير الاله في أى شىء مادي ليس بالامر المهم .

هذا وتحتوى ارشادات الملك الاهنسى هذه ، لولده ، عمرى كلرع ، سلسلة من الافكار عن اله الشمس ، نجد فيها الفكر المصرى القديم يقترب من عقيدة التوحيد ، مكاتب النصائح يعترف بوجود طائفة من الآلهة يقومون مقام القضاة في العالم الآخر ، وبذلك يبتعد بعدا واضحا عن الاعتراف بوحدانية الاله ، على أنه من جهة أخرى ، انما يقترب قريبا واضحا من الاعتراف بالتسلط الخلقى لاله واحد ، لدرجة أن كلمة «اله» صارت في مواضع — مع شىء من التناقض — تدل على مدلولها الحقيقي .

على أنه في امكاننا أن نلاحظ صوغ هذه التأملات في صيغة التوحيد، زيادة على ما ذكرنا ، في الصورة التالية ، والتي صور فيها الحكيم الاهنسى الخالق والحاكم الرؤف في خاتمة تأملاته ، حيث يقول :

«ان الله قد رعى الناس ، وهم قطع الله ، وهو راعيهم ، وقد خلق السماوات والارض كما يرغبون ، وخفف من حدة الظلم بالماء ، وخلق الهواء لتحميا به أنوفهم ، وانها لصورة منه خرجت من أعضائه ، وهو يصعد الى السماء حسب رغبتهم ، وقد خلق لهم النبت والمائية والطيور والاسماك غذاء لهم ، ولكنه يعاقب كذلك ، فقد قتل أعصاه ، وعاقب أبنائه بسبب ما جبروه عندما انقلبوا عليه ، وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون ، وجعلهم كذلك ينامون ، وهو يسمعهم عندما يبكون ، وجعل لهم حكما وهم في البيضة (أى قد وهبوا الحكم قبل الولادة) ليصموا ظهور الضمفاء منهم ، وجعل لهم من السحر سلاحا يتقون به الحوادث ، وهو الذى قتل عاتى القلب فيهم ، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه ، ان الله عليم بكل اسم (أى بكل انسان)» .

والاشارة هنا الى أن الاله قد ذبح أعداءه توجيهه الى «أسطورة هلاك البشر» التي سبق لنا أن ذكرناها في باب الاساطير ، ونجد في تلك الاسطورة ناحية خلقية في منتهى الاهمية ، ذلك لانها انما تدل على حرمان

الانسان من العطف الالهي ، حين يعصى أمر ربه ، كما نتعرف فيها على سيادة اله الشمس (رع) سيادة خلقية مطلقة .

ويحاول الملك الالهاسي في نصائحه لولده «مري كلرع» أن يوازن بين تصوره السامي للزاد الخلقى ، وبين التقاليد الموروثة الخاصة بقيمة المعتاد اللادي ، ولذلك يقول لولده :

«أتم آثارا خالدة للاله ، لانها تحيي ذكرى اسم بانيتها ، وعلو المرء أن يعمل ما فيه صلاح روحه ، باقامة الشعائر الدينية كل شهر ، وليس النعال البيضاء ، وزيارة المعبد ، والكثف عن الاسرار المقدسة ، والدخول في قدس الاقداس ، وأكل الخبز في المعبد ، أملا موائد القربان ، وقدم الخبز الكثير ، وضاعف عدد القرابين الدائمة » فان في ذلك الخير كل الخير لأن يقوم به ، اعل من شأن آثارك ونمها ، مادمت تملك القوة على ذلك ، وان يوما واحدا (أى من عمل مجيد) قد يؤدي الى الخلود ، ورب ساعة واحدة تصفق نفعا للمستقبل ، ان الله عليم بمن يعمل من أجله» .

على أن محاولة الموازنة بين ما يحتاج اليه الانسان من مادة ، وما يحتاج اليه من خلق كريم ، حد ظاهر في الكلام الذي اقتبسناه من قبل ، عندما كان الملك الشيخ يقول «ان فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم » ومع ذلك افعل شيئا للاله حتى يجازيك بالمثل ، بقربان تمتلئ به المقدرة ، وينقش يخلد به اسمك » والله عليم بكل من يعمل شيئا من أجله» ، وهكذا يبدو واضحا أن هناك اعترافا صريحا بقيمة الحياة الصالحة في نظر الاله ، وهو الذي لا يقبل أن تقوم القرابين والهدايا عنده مقام الاخلاق الكريمة .

هذا ومن الواضح أن الملك الالهاسي لا يريد أن ينتهي من تلك النصائح السياسية والخلقية والاجتماعية ، دون أن يوصي ولده بقول الصدق ، فيقول له : «لعل الصدق في قمرك يرهبك أمراء البلاد وحكامها في الاقاليم ، وأن من صلحت نيته صلحت أحواله ، والبيت مرهوب بمن فيه» .

ويبدو أن الملك الشيخ كان كلما تقدمت به الابلام ، كلما كثر تفكيره في ماضيه ، وما أنفق فيه من تقتيل وتشريد ، في سجيل تأمين ملكه ، وتحقيق ما كان يطمح اليه من نفوذ وسلطان ، وكأنما كان يشعر أنه قتل كثيرا ، وظلم كثيرا ، فأخذ يذكر الله كثيرا ، ويحذر واده من ارتكاب جريمة القتل ، أو الوقوع في خطيئة الظلم ، لأن الله انما يرقب الجاني فيملي له ، ثم يأخذه من وراء ذلك بعذاب اليم ، يقول الاله : «أني المنتقم ، وسأخذ كل بذنبه ، فلكل امرئ ما سعى ، وحسبه في الآخرة ، يوم يأخذ فضلا ما من الخالتم للمظلوم» ، ثم يمضى الرجل في وصاياه فيختما بمثل هذه النصائح التي تصور الرجل مستغفرا تقيبا ، خائفا مترقبا ، منتظرا مصيره عند قضاة يوم القيامة .

وأما أهمية البردية كوثيقة تاريخية ، فهي تقدم لنا صورة عن المحاكم الاناسيين الذين كانوا يتمتعون بقسط وانحر من الثقافة — أو على الأقل تعطينا فكرة عن أن صلب هذه الارشادات انما كان ملكا حكيما — وهو رجل ذو عقل راجح ، وفكر قويم ، وهو في نفس الوقت رجل قلق ، متعب أنهكته الشيخوخة ، وأضعفته أحداث السياسة القلبية ، التي مر بها في حياته ، والتي لم تعد سنه تطبيق احتمالاتها ، كما أنها تعطينا صورة عن الحالة السياسية على أيام الاسرتين التاسعة والعشيرة (العصر الاناسي) أو على الأقل تعطينا فكرة — وان كانت غير كاملة تماما — عن الصرب الالهية التي دارت رحاها بين ملوك اناسية (اصدى مراكز محافظة بنى سويف) وبين امراء طيبة (الاقصر) ، على الارض المقدسة في أبيدوس ، كما تعطينا فكرة عن مدى نجاح الملك الاناسي في طرد البدو الاسيويين من الدلتا .

هذا وتمعنا الوثيقة بأفكار نبيلة ، وجديدة على التفكير المصرى القديم ، لعل من أهمها : نخبة القواض الجديدة في حديث الملك المؤله ، والمناداة بغختيار الموظفين على أساس من الكفاءة الشخصية ، وليس على أساس من حسب ونسب ، وهي في نفس الوقت تنادى بعدم اهمال الاسرة الشريفة القديمة ، ثم هناك الدعوة الى العمل الصالح ، فهو

— وليس الوسائل المجدية التفضيلية — طريق السعادة في الآخرة ، كما نادت الارشادات بوجود محكمة بعد الموت لن ينقذ المرء منها — مهما كان منصبه و ثراؤه — الا عمل صالح ، وخلق كريم ، كذلك حثت هذه التعاليم الملك «مرى كارع» ، على أن يكون قدوة حسنة لموظفيه ، وذلك بقول الصدق ليهلهب أمراء البلاد والحاكمين في أقاليمها •

ثم هي تحذر «مرى كارع» من زعماء الممرات السياسية ، وتغريه بمعاملتهم بمنتهى القسوة ، تغريه بقتلهم « ومحو ذكراهم ، وذكرى أنصارهم جميعا ، وأخيرا ، فرغم أنها وثيقة سياسية في الدرجة الاولى ، غير أنها قطعة أدبية ، لا تغل جمالا وجودة عن أية قطعة أخرى من قطع ذلك العصر الذي وصل فيه فن الكتابة درجة عالية ، حتى أن الادب في ذلك العصر ، انما يعد أروع ما أنتجته مصر الفرعونية من أدب •

وانتقدم الآن ترجمة لأهم نصوص هذه الارشادات الموجهة الى الملك «مرى كارع» :

«كن فنانا في الحديث حتى تسود ، فان القوة في اللسان ، واللسان للرجل كالسيف ، والحديث امضى من أى سلاح ، اقتد بأبائك الذين ذهبوا من قبلك ، أنظر ان كلامهم الحكيم باق في الكتب ، فافتح واقرأ واقتد ، كن فطنا فان الرجل الفطن لا يجد من يفهمه ، والذين يعرفون انه أوتى الحكمة لا يمرضونه ، وبذلك لا تحدث له مصيبة في زمانه ، والصدق يأتي اليه طلقا مختارا مصفى ، حسب ما جاء في كلام الاجداد السابقين» •

«لا تكن شريرا ، فلبصير خير ، من الخير أن تكون رحيما عطوفا ، اجعل بيت ذكراك خلادا بحب الناس لك ، وعندئذ يحمد الناس الله من أجلك ، ويمتدح الناس طيبة قلبك ، ويتمنون لك الصحة والمافية ، مجد العظماء ، واعمل على سعادة شعبك ، فكم هو جميل أن يعمل المرء من أجل المستقبل ، ولكن افتح عينيك ، فقد يمتلىء المرء بالثقة ، ثم يتكسف الامر عن حسرة ، لثقة جاءت في غير موضعها» •

«ارفع من شأن مستشاريك ، واغدق عليهم من الثروة ما يكفيهم ، حتى يقوموا على تنفيذ قوانينك بالعدل ، لان الرجل الغنى فى بيته لا يميل مع الهوى ولا يتحيز ، اذ يكون عنده من المال ما ينجيه ، ان الرجل الفقير (فى وظيفته) لا يتكلم طبقا للحقيقة ، ان الذى يقول : اننى أريد « ليس عادلا ، انه متحيز للذى يحبه، انه يميل للذى يملك الهدية (الرشوة)» .

«العظيم من كان مستشاروه عظماء ، والحاكم القوى من كانت حاشيته قوية ، قل الصدق فى قصرك يرهك أمراء البلاد وحكامها فى الاقاليم ، وأن من صلحت نيته ، صلحت أهواله ، والبيت مرهوب بمن فيه» .

«أنقم للعدل تضد على الارض ، وهدى روع الباكى ، ولا تظلم الارملة ، ولا تحرم رجلا من ثروة أبيه ، ولا تطرد موظفا من عمله ، وكن على حذر ممن ينتقم مما وقع عليه من ظلم ، لا تقتل ، فان ذلك لا يكون ذا فائدة ، بل علقب بالضرب والعبس ، فان ذلك يقيم دعائم هذه البلاد، اللهم الا من يثور عليك ، وتتضح لك مقاصده ، فان الله يعلم خائنة الاعين وما تخفى الصدور ، والله هو الذى يعاقب أخطاءه بدمه ، لا تقتل رجلا تعرف جميع مزاياه ، رجلا كنت تتلو معه الكتابات (أى زميلا لك على أيام الدراسة)» .

«ان الروح تذهب الى المكان الذى تعرفه ، ولا تهيد فى مسيرها عن طريق أمسها ، ان السحر لا يقوى على منعها ، ولكنها تأتى الى أولئك الذين يعطونها ماء» .

«انك تعلم أن القضاة يحاسبون المذنب ، ولا يرحمون الشقى يوم المحاكمة ، وتسد العاقبة ان كان المتهم هو الواحد المعلق (ربما تموت رب الحكمة الذى سيدير المحاكمة يوم الحساب) ، لا تضع ثقتك فى طول السنين ، فهم ينظرون الى مدة الحياة كساعة ، ثم يبعث الانسان ثانية بعد الموت ، وتوضع أعماله بجانبه كأكوام ، لان المخلود مثواه هناك (أى فى العالم الآخر) ، واللغى من لا يهتم ، أما من يأتى اليهم دون أن يرتكب



أثما : فإنه سيثوى هناك ، ويمشى مرحا مثل سادة الابهية ( اسم للابرار المتوفين ) .

«اعل من شأن الجيل الجديد تحبك العاصمه ، وزد أتباعك من الرعية . ان مصر بلد عامر بنشىء غرض فى سن العشرين . وأن الجيل الناشء إنما يسعد بمن يستوحى ضميره . فان فعلت ذلك قللك العامة ، وأتاك رب كل أسرة بأبنائه راضيا ، فبهذه السياسة هارب القدماء من اجلنا » منذ رفعت أنا شأنهم ، فارفع أنت شأن نبلائك ، وعظم محاربيك ، واسنج الخير على جيل الشباب من أتباعك ، واحرس على أن يتروذوا بالعطايا ، ويطمئنوا بامتلاك الارض ، ويكافؤا بالانعام» .

«لا تفرق بين ابن النبيل وبين ابن فقير الاصل ، وتخير الفرد لكفافته الشخصية ، اذا تعرضت حدودك للخطر ، فاعلم أن هذا يعنى أن حملة القوس الذين فى الشمال سيتمنطقون بعمدة الحرب ، ابن حصونك فى الشمال .

«حسن علاقتك مع البلد الجنوبى ( ربما يعنى طيبة ) فيحضر اليك حملة الاكياس بملهدايا ، لقد فعلت مثلما فعل الاجداد ، واذا لم يكن لديه من التمح ما يمليه ، فقابل الامر بالرضى ، ماداموا مستضعفين ، واكتفى بخبزك وجنتك» .

«ان الجرائيت الاحمر يأتيك دون عوائق ، فلا تحدث ضررا لمبنى أقامه غيرك ، اقطع أحبارك من طره ، ولا تبني قبرك من أحجار قيسور غيرك ، أنظر أيها الملك الذى أريد له دوام المسحة والسعادة والحياة ، لا تتعاس وتطمئنا الى قوتك ، اعتمادا على ما فعلته أنا قبلك ، افعل أنت بنفسك ، اعمل الفكر فيما فعلت ، وانسج على منواله ، فلا يكون لك عدو داخل حدودك» .

«نم قلم رجل حاكم فى المدينة ، وقد امتلا قلبه بالأسى بسبب الدلتا»

«فنشرت السلام فى غربى الدلتا جميعه ، حتى حدود البحيرة (ربما

يعنى مستنقعات الدلتا) ، كما كانت الامور سيئة على شرقى الدلتا ، ففقد انقسمت الى اقلليم ومدن ، واصبحت سلطة رجل واحد فى ايدى عشرة ، ولكنهم الآن يقدمون بكفا كاملا بجميع انواع الضرائب ، ويدفعون الجزية اليك ، كما لو كانوا عسبة واحدة ، وسوف لا يكون بينهم اعداء اشرار ، ولا خوف عليك من ان لا يجرى النيل ، فاطمئن على حصولك على حاصلات الدلتا ، ان الحد الشرقى للملكة اصبحت الان آمنة ضد البدو الاسيويين» .

«انظر : لقد دقت اربطة السفينة وثبتها على الشاطئ فى الشرق (يعنى وهلت الى الشرق) ، واصبحت الامداد من مدينة «هنو» (فى مصر الوسطى) الى طريق حور (ويبدأ عند الفرع البيلوذى للنيل) عامرة بالبدن ، ومليئة بقوم من خيرة اهل البلاد حتى يدفعوا اسلحة الاسيويين وغباراتهم ، انبى اتوق الى رجل شجاع يساوينى فى هذا ، ويحمل اكثر مما عملت» .

«انظر الى الاسيوى اللعين (يعنى البدوى) ، ان الامور سيئة فى بلاده ، فمآوه آسن ، وطرقاته وعرة ، لذلك فهو دائم الترحال ، لا يستقر فى مكان واحد ، وانما ظل يشاغب منذ عهد الاله حور ، لا يغلب ولا يغلب ، لا تهتم بنامه ، فهو ليس الا بدويا ، شخص منبوذ على الشاطئ ، لا يغير الا على الموهن المنزل ، ولا يجرؤ على مهاجمة مدينة عثمة بالسكان ، اقم الجيكون فى تضوئك الشرقية ، وابن مدنا وعمرها بالسكان» .

«انظر : لقد جعلت الدلتا تضربهم ، واسرت اهلهم ، ونهبت ماشيتهم ، فلا تجشم نفسك مشقة فى شأنهم» .

«انظر : لقد عمرت مدينة «كموى» (ربما كانت تل اتريب فيما بعد) ، انها فى نقطة مركزية ، لقد حصنت جدرانها للقتال ، وزاد عدد جنودها ، وكثر اهلها» .

«لقد كثر سكان اقليم «دد - اسوت» (ربما يقع على مقربة من منف) ، حتى بلغ عدد سكانه عشرة آلاف رجل من المواطنين ، يستمتعون

بحق الأعداء من الضرائب والمكوس ، وقد تعود كبار رجاله على الذهب الى العاصمة ، منذ عصر الاله حور» •

«أنظر : ما قتله الملك «اختوى» ( رأس البيت الاهنسى ) في تعاليمه : ان من يسكت على اساءة المتبجح يضر بنفسه ضررا بليغسا ، وان الله يهاجم من يسىء الى المعبد» •

«تقدم فروض الطاعة والاجلال لله ، ولا تقل انه ينسى» •

«لا تقترب بضرر الى الآثار التي أقامها الملوك الآخرون ، حتى لا يجيء ملك بعدك ، فيضر بالآثار التي أتمتها ، تذكر أنه لا يوجد انسلن ليس له عدو» •

«أنظر : أن حاكم شاطئ النهر عليم بكل شيء ، وليس هناك ملك طائش ، مادامت تقوم من حوله حاشية سالحة ، وهو فطن حكيم منذ اليوم الذى خرج فيه من بطن أمه» •

«ان الحكم مهنة شريفة وعظيمة ، ان الحاكم اذا لم يكن له ولد ، أو أخ ، يحيى ذكراه ويخلده ، فلا مانع من أن يقوم الحاكم باحياء آثار غيره ، فكل حاكم يجب أن يفعل ذلك لمن سبقه ، اذا أراد لما أقامه هو أن يعنى به الخلف الذين يأتون من بعده» •

«أنظر : ان مصر تحارب حتى في المجبانة » انى فعلت ، وحدث لى ما يحدث ان يخلف أوامر الله » أنظر : لقد حدثت كارثة في عهدى ، غزى اقليم «ثنى» بسبب ما فعلت ، غير أنى لم أعرف الا بعد حدوثه ، أنظر : ان ما فعلته هو السبب فيما جوزيت به ، فالضربة ترد بضربة أخرى ، مضى جيل من الناس ، والله الذى يعرف القلوب لم يفتنىء ، تعس هو الرجل الذى يطلب الحرب ، لان العدو وسط مصر ، ونحن نريد جندا لاختضاع المحاربين لكى تصدق النبوءة : هذه مصر تحارب وسط قبورها لا تؤذ القبور بالحرب ، لاننى فعلت ذلك ، ولهذا استحق ما حل به من عقاب الله» •

«يبر الجليل منتقلا الى جيل آخر بين الناس ، والله العظيم بالاخلاق قد أخفى نفسه ... انه الواحد الذى يبر ما تراه الاعين ، فاجعل الاله يخدم بالصورة التى سوى فيها — حجرا كريما كلفت أم نحاسا — لانه كالماء الذى يطل مطه الماء ، انه لا يوجد مجرى يرضى لنفسه أن يبقى مختبئا ، بل يكتسح الذى يخبئ» .

«زين مثواك الذى فى الغرب (عالم الآخرة) ، وجعل مقعدك فى الجبانة ، ولكن اياك أن تكون شريرا ، فالصبر خير ، فاجعل ذكراك خالدا بحب الناس لك ، اجعل الناس يصبونك فى الدنيا ، فالخلق الطيب ذكرى للانسان ، تذكر أن فضيلة الرجل المستقيم أحب عند الله من ثور الرجل الظالم الشرير (أى الثور الذى يقدمه كقربان) ، ومع ذلك اهل شيئا للاله حتى يجازيك بالمثل ، بقربان تمتلئ به المائدة ، وبنقش يخلد به اسمك ، والله عليم بكل من يفعل شيئا من أجله» .

«ان الله قد رعى الناس ، وهم قطع الله ، وهو راعيهم ، وقد خلق السموات والارض كما يرغبون ، وخفف من حدة الظما بالماء ، وخلق الهواء لتحميا به أنوفهم ، وانها لصورة منه خرجت من أعضائه ، وهو يصعد الى السماء حسب رغبتهم ، وقد خلق لهم النبات والماشية والطيور والاسماك غذاء لهم ، ولكنه يعاقب كذلك ، فقد قتل أعداءه ، وحارب أبناءه بسبب ما دبروه عندما انقلبوا عليه ، وهو قد خلق النور حسب ما يرغبون ، وجعلهم كذلك ينامون ، وهو يسمعهم عندما يبيكون ، وجعل لهم حكما وهم فى البيضة (أى قد وهبوا الحكم قبل الولادة) ليحموا ظهور الضعفاء منهم ، وجعل لهم من السحر سلاحا يتقون به الحوادث ، وهو الذى قتل عاتى القلب فيهم ، كما يقتل رجل ابنه أو أخاه ، ان الله عليم بكل اسم (أى بكل انسان)» .

ثم تنتهى الارشادات بنصيحة عامة يفهم منها :

«لايك تصل الى (أى فى العالم الآخر) دون أن يتهمك أحد ، لا تقتل

أحدا «من يقفون قريبا منك ، بعد أن تكون قد امتدحتته ، والله يعرفه —  
دع الدنيا كلها تحبك» •

«أنظر : لقد حدثتك بخير ما في نفسى من أفكار وآراء ، فاعمل حسب  
ما تقرر أمامك» •

#### ٤ - تعاليم الملك امنمحات الاول لولده سنوسرت

في أوائل القرن العشرين قبل الميلاد ، جلس «امنمحات الاول» (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق.م) على عرش الكتلة مؤسساً الأسرة الثانية عشرة، والتي تمثل فترة من ازدهر فترات التاريخ المصري القديم (الدولة الوسطى) ، ورغم أن الملك «امنمحات الاول» (سحتب ايب رع) إنما كان على نشاط جم في تدبير أمور مملكته ، وحسن تنظيمها ، ولم يدخر وسماً في نشر الامن والسلام في ربوعها ، فلقد دبر مؤامرة لاغتياله ، بتدبير من الحريم ، في أكبر المكن ، وقد اختلف المؤرخون في نتائجها ، فذهب فريق الى أنها أودت بحياة فرعون ، بينما ذهب آخرون الى أن الرجل قد أصيب فيها ، ولكنه لم يلق حتفه ، ومن ثم ذقت أشرك معه ولده «سنوسرت الاول» في العرش ، ثم زوده بنصائحه في الاثر المعروف باسم «التعاليم التي ألهاها الملك «سحتب ايب رع» ، ابن رع ، امنمحات متحدثاً برسالة ضد لولده سيد الجميع» ، وهي قطعة أدبية ممتازة ، تشمل على خلاصة تجاربه الشخصية الواسعة ، يصف فيها أعماله ، وما لقيه من جهود ، وسوء تقدير .

وكانت تعاليم «امنمحات الاول» هذه ، من أحب المقطع الأدبية الى قلوب المصريين القدامى ، ومن ثم فقد كان لها نصيب كبير من الشهرة في عهد الدولة الحديثة ، وتوجد من هذه التعاليم أربع نسخ فيها النص الكامل ، كما وردت أجزاء منها على نحو تسع قطع من «اللخاف» (الاستراكا) ، يرجع تاريخها الى عصور مختلفة ، تبدأ في الأسرة الثانية عشرة ، وتنتهي في الأسرة العشرين . أى خلال فترة لا تقل عن أربعة قرون ، وان كان كثير منها إنما هو تمارين كتبها طلبة المدارس في عهد الأسرة التاسعة عشرة ، ومن ثم فهي حافلة بالاطغاء .

هذا وقد اهتم كثير من العلماء بنشر هذه التعاليم ، لعل من أهمهم :

«الجريفت»<sup>(١١)</sup> و «ماسجيرو»<sup>(١٢)</sup> و «فولتن»<sup>(١٣)</sup> و «هلك»<sup>(١٤)</sup> و «لوبز»<sup>(١٥)</sup> ،  
 كما ترجمها وعلق عليها كل من «برستد»<sup>(١٦)</sup> و «ارمان»<sup>(١٧)</sup> و «ويلسون»<sup>(١٨)</sup>  
 و «جاردنر»<sup>(١٩)</sup> و «دي بك»<sup>(٢٠)</sup> و «فولكتر»<sup>(٢١)</sup> و «أنثيس»<sup>(٢٢)</sup>  
 و «جديك»<sup>(٢٣)</sup> وغيرهم<sup>(٢٤)</sup> ، وهذا فضلا عن الترجمات العربية  
 للتعاليم<sup>(٢٥)</sup> .

ويقول الملك «أمنمحات الاول» (سحتب ايب رع) في نصائحه لولده  
 : «سنوسرت» :

- 
- F. L. Griffith, The Millingen Papyrus, in ZAS, 34, 1896, (١)  
 p. 35-51.  
 G. Maspero, Les enseignements d'Amonemhat Ier d Son fils  
 Sanoudarit Ier, Cairo, 1914. (٢)  
 A. Volten, Zwei altägyptische Politische Schriften, 1945, (٣)  
 p. 104-128.  
 W. Helck, Der Text der Lehre Amonemhats, I für seinen  
 Sohn, Wiesbaden, 1969. (٤)  
 J. Lopez, les Papyrus Millingen, in RdE, 15, 1963, p. 29-33, (٥)  
 Pls. 4-8.  
 J. H. Breasted, in ARE, I, Parag. 474-483. (٦)  
 A. Erman, in LAE, 1927, p. 72-74. (٧)  
 J. A. Wilson, in ANET, 1966, p. 418-419. (٨)  
 A. H. Gardiner, in Melanges Maspero, I, p. 479-496. (٩)  
 A. de Buck, in Melanges Maspero, I, p. 487-852. (١٠)  
 A. de Buck, in le Museon, 59, 1946, p. 183-200.  
 R. O. Faulkner, in Griffith Studies, p. 69-73. (١١)  
 R. O. Faulkner, The Literature of Ancient Egypt, p. 193-197.  
 R. Anthes, in JNES, 16, 1957, p. 176-190, 17, 1958, p. 208-209. (١٢)  
 H. Goddicke, in JARCE, 7, 1968, p. 15-21. (١٣)  
 M. Malinine, in BIFAO, 34, 1934, p. 63-74. (١٤)  
 M. Lichtheim, Ancient Egyptian Literature, 1975, p. 135-139.

(١٥) أحمد بدوى : المرجع السابق ص ١٢١ - ١٢٣ ، محرم كمال :  
 المرجع السابق ص ٨١ - ٨٥ ، عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ١٦٧ -  
 ١٦٩ ، أحمد فخرى : المرجع السابق ص ٤٤٢ - ٤٤٣ ، نجيب ميخائيل :  
 المرجع السابق ص ٣٢٦ - ٣٢٨ ، سليم حسن : المرجع السابق ص ١٦٨ -  
 ٢٠٦ ، محمد بيومى مهران : مصر ٣٣٧/٢ - ٣٤٨ (الاسكندرية ١٩٨٨) ،  
 عبد الحميد زايد : المرجع السابق ص ٣٦٠ - ٣٦٢ .

«لأنت يا من غدوت ملكا ، استمع لما أقول ، حتى تصبح ملكا على البلاد ، وتحكم على ضفاف النهر ، وتسيطر على العالم ، وحتى يمكنك أن تحقق الخير ، خذ الحذر من عمالك ، فما أطاع الناس إلا من أربهم ، وإياك أن تدنو منهم وحدك ، لا تثق بأخ ، ولا تصطنى لنفسك صاحبيا ، لو تتخذ ظيلا ، فلا خير في ذلك ولا جدوى منه» .

«لكن حارس نفسك عندما تنام ، حرصا على حياتك ، فلا صديق لامرئ في ساعة الشدة ، فإنا قد أعطيت المسائل ، وربيت اليتيم ، وأضنت المعدم ، ومع ذلك ، فالذي أكل خبزي هو الذي استعذى الناس علي ، والذي مددت له يد المعونة ردها بالمكيذة ، والذين اكتسوا بكتاني الفاخر نظروا الى كخيال ، والذين ضمختهم بعطوري قد أنتنوا أنفسهم بطبيها ، فدخلوا مخدعي لينخدروا بي» .

«إن تماثيلي وصوري قائمة بين الأحياء ، وأعمالى ذائفة بين الناس ، ومع ذلك فقد دبروا مؤامرة ضدى لم يسمع بها أحدا ، وأقاموا صراعا كبيرا لم يره أحد (أى لم يفش أحد الى بسره) ، لقد قتل الرجال في مكان الصراع ، ونسوا ما كان بالامس ، أن حسن الطالع لا يكون من نصيب من يجهل ما دبر له» .

«كان ذلك بعد المشاء ، حينما أقبل الليل ، وكنت قد اضطجعت في فراشى بغية أن أهظى بساعة من هدوء ، فقد كنت مجهدا مكودا ، سمعت نفسى وراء النوم ، ولكنى بصرت بأسلحة تبرق ، وسمعت من يذكر اسمى ، فظلمت في مكاني كتمبان الصحراء ، ثم سرعان ما قعت لأحارب وعدى ، وقد أدركت أن هذا هجوم دبره الحرس ، ولو كان في يدي سلاح لشتت أولئك المخنثين شذر مذر ، لولا أنه ما من شجاع بليد ، وما استطاع انسان أن يحارب وحيدا ، وليس هناك نجاح بخيرك أنت الذى تقوم على حمايتى» .

«انظر : كيف أريق الدم ، وأنت بعيد عني ، وما أنذا أعهد اليك بالملك ، قبل أن يسمع بذلك رجال البلاط ، وانى لفاعلها تريد ، ومن قبل



ثم أخذ الحيلة لئلا تترك المؤامرة ، لاني لم أكن أتوقعها ، ولم تظن  
نفسى الى تراخى الحرس» •

«أنظر : أكانت المؤامرة بفعل الحریم ، أتبتت بخودها في أركان بيتي ،  
أم خدع الخدم فيما فعلوا ، ان سوء المطالع لم يلزمني منذ ولادتي (كما  
لزمى اليوم) ، ولم يحدث شيء من قبل يعدل بسالتي واقدامي ، ومع  
ذلك فهذه خاتمة كل شيء» •

• «لقد شققت طريقى حتى «الميفانتين» (أبو = جزيرة أسوان) ،  
وطويت الارض حتى أخوار الدلتا ، ووقفت عند أطراف الارض ،  
وخبرت أواسطها ، وبلغت معازل الحدود بقوة يمينى ، وبما قمت به من  
جلائل الاعمال» •

«لقد زرعت القمح ، وأحببت الاله «نبر» (اله الصوب) ، وحيانى  
النيل في كل واد ، ولم يشعر أحد بالجوع أو الظما في عهدى ، وكان كل  
الناس راضين عما فعلت ، والجميع يقولون : لقد أجببت كل رغبة ، لقد  
قهرت أهل «اوات» ، وأسرت «المجاى» ، وجعلت الاسيويين يفرون  
كالكلاب» •

«لقد أتممت لنفسى بيتا مزينا بالذهب ، وحلى سقفه باللازورد ، وكانت  
لجدرانها أسس عميقة ، واتخذت أبوابه من النحاس ، ومتريسها من  
البرونز ، وقد صنعت للخلود ، وتحدى الأبدية» •

ثم يختم الملك امنهجات نصائحه لولده سنوسرت بقوله :

«أيها الملك سنوسرت ... لتسر أقدامك ... أنت قلبى ، وعيناي  
ترمقانه ، ان الاطفال أنفسهم يحسون النشوة حتى يقفون الى جانب  
الخلق الذين يقدمون لك المديح ...» تأمل اننى مهدت وجهت في  
البداية ، وأنت تسيطر في النهاية ... هناك بهجة في قارب رع فالتمثيل  
قد أقيمت ، وقبرك سيكون شافرا» •

الكتاب الثاني

المعلوم

# الفصل الأول

المراكز الثقافية ودور الحياة

لاربيب في ان الثقافة والعلم والمعرفة انما قد كانت في عقيدة المصريين  
المقدامى اسمى ما يمكن أن يصل اليه المرء في حياته ، كما كانت مسيل  
المخلود بعد مماته ، فاسم العالم فوق الاسماء ، وعلمه من نور السماء ،  
ومن ثم فليس غريبا أن يجعل شعب مصر أصحاب العلم والمعرفة في المكان  
الابرل من دنياهم وأفراهم ، وذلك لانهم يعلمون وغيرهم يجهلون ، وهم  
الذين رسموا لأهل زمانهم ، ولن جاء من بعدهم من أجيل البشر ، صور  
الحياة بأشكالها وأسمائها ، وهم الذين تخيلوا مصائر الناس ، ورسموا  
لها - ما توهموا - من صور ، تم هم الذين خالوا ، وصوروا ما خالوا  
من عوالم السماء ، ومكان عرش الله تعالى منها ، وجعلوا عنده خزائن  
المعلم وأساراه ، يهبط بها «تحتوت»<sup>(١)</sup> - فيما يظنون - ليهدى من يشاء  
من علم السماء ما يعمرن به الأرض ، ويملاونها خيرا ونورا .

هذا وقد مجد المصريون المقدامى - والحمد لله - أبطال الفكر ، لم  
يدفعهم الى ذلك خوف أو ملق ، ولكنهم فعلوا ذلك عن ايمان ويقين ،  
وحسبنا أنهم رفعوا رسل العلم والثقافة فوق مراتب البشر العاديين ،  
ولدينا من سير أولئك على سبيل المثال «ايمحوتب»<sup>(٢)</sup> ، ذلك الذى ملأت  
شهرته آفاق الدنيا ، واستطاعت أن تفرض نفسها على الايلم من مطلع  
الاسرة الثالثة (في أوائل القرن الثامن والحشرين قبل الميلاد) حتى أدرك  
التاريخ بمصر زمان البطالمة (في القرن الثالث قبل الميلاد) الذين عرفوا  
سيرة الرجل فأبلغوه مراتب الالهة ، وكانوا قد سمعوا بما له من معرفة  
بالطب .

وهكذا فقد شاد هريديو «ايمحوتب» - بصفته ربا للشفاء - في

(١) أنظر «تحتوت» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة  
٢١٣/٢ - ٢١٥) .

(٢) أنظر عن «ايمحوتب» (محمد بيومى مهران : مصر ١١٨/٢ -

العصر الاغريقي بمقصورة فوق السطح العلوي لمعبد الملكة «حشيبسوت» في الدير البحري بوشبوه - فيما يرى مؤرخنا الوطني مانيتو - بالمعبود الاغريقي «اسكليبيوس» - راعي الطب والحكمة - ومجدوه لمهارته في الطب ، وفي الادب والكتابة ، فضلا عن استخدامه الحجر المنصوت في البناء ، ومن ثم فقد قدسوه في «الاسكليبيون» المجاور للعاصمة المصرية «منف» ، وهو معبد أقاموه فوق ما ظنوا أنه قبره القديم ، جنوبي السرابيوم ، وهكذا أصبحت سقارة من أهم المناطق التي تمتعت بشهرة هائلة في عبادة «اليمحوتب» ، ولعل كل هذا انما يعني أن المجد في مصر الفرعونية لم يكن مقصورا على الفراعين وحدهم ، وانما كان للنوابغ من عامة القوم نصيب منه يزيد عن نصيب الفراعين أحيانا .

وهناك «أمنحتب بن حابو» الذي عاش على أيام «أمنحتب الثالث» من فراعين الاسرة الثامنة عشرة ، وقدسوه القوم بعد وفاته ، فكانوا يحجون الى مزاره في الدير البحري بعبانة طيبة ، التماسا للشفاء ، ولما كان زمان البطلمة الهوه ، كما ألها سلفه ، ومازالت الدنيا تذكر غير هذين العظمين من شيوخ العلم والحكمة في مصر الفرعونية أبطالا ، نذكر منهم على سبيل المثال «بتاح حوتب» ، و«دندف حور» و«كاجمني» من زمان الدولة القديمة ، كل أولئك من الاسماء الخالدة في تاريخ مصر ، ويرجع الفضل في ذلك الى رجاحة العقل المصري الموفى الذي عرف كيف يمجّد العلم وأهله .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه أن المصريين القدامى لم يروا أبدا في التعليم لونا من ألوان الترف ، ولكن كان التطعيم عندهم ضرورة من ضرورات الحياة ، بل ربما كان عندهم كالطعام والشراب ، وحسبنا أن نرى من صور حياتهم كيف أن الولد الجاهل قد كان حملا ثقيلًا على كفتي أبيه ، كان له مصدر تعاسة وشقاء في حياته « يظلمه الرأس خجلا من بنوته ، ويضيق به حتى ليقتنى له الموت أحيانا ، في حين كانت الفضيلة - كل الفضيلة - في تعليم الابناء ، لينقذوا أنفسهم من الجهالة والضلالة ، وليغسلوا عن ذواتهم قذر الجهل ، وليوقوا آباءهم وذويهم كل حرج

وضيق ، ولينفخوا أنفسهم وأبناءهم ، وليؤدوا رسالتهم في الحياة ،  
وينتظروا الجزاء على ذلك في الآخرة •

وعلى أية حال ، فلقد كانت دوافع التعليم في مصر ثلاثة : دافع  
التعلم للانخراط في سلك الهيئة الحاكمة ، ودافع التعليم لخدمة الطالب  
الدينية أو لاكتساب نصيب من العلم الدينى الشخصى ، ثم دافع التعليم  
تقديرا للمعلم وكرامته •

هذا وقد اقتضت طبيعة الحياة وظروفها في مصر الفرعونية أن يكون  
التعليم فيها أول الامر مهنيا « ونعنى تعليما يفي بحاجات البلاد من  
موظفين واداريين ، وعمال وفنيين ، كما كانت العلوم فيها تطبيقية ، أما  
العلوم النظرية التي تقتضى أصحابها البحث الدقيق ، والنظر الطويل ،  
والسعى المتصل ، بغية الوصول الى النتائج العلمية المرتقبة ، فلم تكن  
مما يهم العالم القديم في شيء ، ذلك لان العالم القديم لم يكن قد فرغ  
بعد من بناء حياته العملية ، ليتجه الى العلم النظرى ، ومن ثم عقد كان  
طبيعيا ألا يتعدى نشاط المصريين العقلى — وهم يضمون القواعد ،  
ويرسون عليها بناء حياتهم — نطلق ما تقتضيهام مشكل الحياة اليومية  
من حلول •

وهكذا مارس المصريون الفلك ليحددوا موعد الفيضان بغية الوصول  
الى مواعيت الزرع والحصاد ، وقد وصلوا عن طريق ذلك الى وضع  
تقويم شمسي ، هو تقويم عالمنا اليوم ، واهتموا بالحساب للانتفاع به في  
ضبط حاجاتهم العملية في البيع والتجارة والاحصاء وتحصيل الضرائب ،  
واقامة المشروعات العامة من سدود وجسور وقنوات ، واقتضت حياة  
الزراعة أن يمارسوا المساحة ليعرفوا ما يطرا على أرضهم الزراعية من  
نقص وزيادة بسبب فيضان النيل كل عام ، ومارسوا علوم الهندسة ،  
وبخاصة المعمارية منها ، فأتقونها اتقاننا لفت أنظار العالم وأثار اعجابهم  
قتيها وحديثا ، وما زالت الدنيا ترى آيات براعتهم فيما بقى من آثارهم  
الخالدة ، من أهرام ومعابد ومسلات وقبور نحقت في الصخر ، وغير ذلك  
من كل مبهر ومعجز •

وعرفوا التشريح لكثرة ما مارسوا من تحنيط أجساد الانسان والحيوان ، الذى أتاح لهم الاطلاع على أدق الاسرار فى بنية الاجساد ، وأكسبهم خبرة بنوا عليها معارفهم الطبية ، وجعلهم يومئذ أبرع أطباء الدنيا ، واقتضت حياتهم الفنية فى مجال الرسم والتلوين والتصوير والصباغة ، وصناعة الادوية والعقاقير أن يمارسوا كثيرا من الصناعات الكيميائية حتى برعوا فيها ، وحتى نسبها التاريخ الى وطنهم العظيم ، وجعلهم فيها أئمة .

وهكذا حملت مصر القديمة مشعل العلم والحضارة فى مختلف مظاهره وتمهدهه بالرعاية ، فظل دهرها طويلا يضىء العالم ، حتى تسلمته منها شعوب أخرى نقلت الشعلة الى بقية أرجاء العالم فأضاءته ، وكانت القبس الذى أخذت منه ، والمعين الذى نولت منه .

هذا وقد أُنجحت الدراسات الحديثة أن المصريين القدامى كان لهم بجانب معارفهم وعلومهم التطبيقية — علوم نظرية ، قامت على أسس من الفكر الانسانى والبحث المنظم والمنهج التجريبيى ، ولكنها لم تكن تعالج بنفس العمق أو على أساس من قواعد البحث العلمى المتبعة الان فى عصرنا هذا ، ولولا ذلك السياج القوى من السرية والغموض الذى أحاط به الكهنة المصريون علومهم ، لأمكننا التوصل الى الكثير من الآراء والنظريات الطمعية التى كان لهم الفضل فى اكتشافها .

وقد قال « هيودوت » فى أصله عن مصر : « أما عن المصريين أنفسهم ، فهم أولئك الذين يعيشون فى الارضين المنزرعة ، ويهتمون دون سائر الناس اهتماما كبيرا بتمرين الذاكرة ، وهم فى العلم يتفوقون كثيرا على كل الشعوب التى خبرتها» ، ويقول : «لقد اكتشف المصريون من آيات الغيب أكثر من كلفة الشعوب قاطبة ، وذلك لانه كلما حدثت معجزة خارقة ، راقبوا نتيجتها وسجلوها ، فإذا ما حدث شيء مشابه بعدئذ ، ظنوا أن عاقبته ستكون شبيهة بما سبقها» .

(وللمصريون أول من عرف السنة الشمسية ، ووضعوا تقويمها تفوقوا

به على اليونانيين ، وأول من سمى الآلهة بأسمائها وأول من أقام لها  
المعبد والهيكل والتماثيل ، وأول من حفر الصور على الاحجار ، ثم هم  
أسبق الناس الى إقامة الاعياد العامة والمواكب ، وعندهم تعلم اليونانيون  
ذلك ، وهم أول العرافين ، وعندهم نقلت العرافة الى بلاد يونان» .

«وهم أول من راعى السنة التي تحرم مباشرة النساء في المعبد ،  
ودخولها بعد ذلك دون اغتسال ، وهم أكثر الشعوب مراعاة للنظافة» .

هذا ولم ينس المؤرخون والفلاسفة من الاغارقة والرومان أن يذكروا  
بعض علوم المصريين ، التي أخذها عنهم اليونان ، ومنها علم المساحة ،  
وعلم الحساب والهندسة والفلك والرسم ، فضلا عن المكتبة التي  
اعتبروها مصرية النشأة .

وهكذا فلئن كان العالم الغربي اليوم يقر بأن اليونان مصدر حكمته  
وعلمه وفلسفته ، فإن اليونان أنفسهم ، انما قد أقروا من قبل بأن مصر  
انما كانت المورد الذي طالما لجأوا اليه ، ليفترفوا من نبعه ، وهذا رأينا  
كثيرة من الفلاسفة والعلماء الهلنيين قد عبروا البحر المتوسط يلتصسون  
الاصول والمبادئ في كل جديد من العلوم في رحاب الكهان المصريين ،  
وكان الذين لم يستطيعوا الى ذلك سبيلا ، يضيفون الى ما يسطرون من  
سيرهم من الوقائع بعض ما يشير الى وقوع هذه المرحلة التي أصبحت  
تقليدية ، بقدر ما كانت ضرورية في حياتهم ، وكان من أول هؤلاء الرحالة  
Orphee الذي شارك في الاحتفال بأعياد الاسرار الخاصة بالمعبود  
(ديونيس) ، وكذا «هوميروس» و «سولون» و «اغلاطون» وغيرهم .

ومن ثم فقد ظلت مصر — حتى وقتما أذن مجدها بأفول — تعتبر  
لدى أغلب من وفدوا عليها وكتبوا عنها من الاغريق ، مهد الرقى وكنز  
الحضارة ، وهكذا تحدثت «الاولديسة» عن مصر ، وكانها «بلاد الاطباء  
أحكم أهل العالم» ، و «سولون» يشير الى أن مصر كانت بفضل  
تشريعاتها ملهمة له ، فيما قدمه للانسانية ، و «طاليس» يشير الى أنه  
درس مبادئ الهندسة عن المصريين ، وأنه نصح تلميذه «بيتاغوراس»



أن يدرس في مصر ، ففقدى هذا بها اثنين وعشرين عالما يدرس الفلك والهندسة ، و «أفلاطون» جاء الى مصر لينهل من المعرفة التي اشتهر بها حكماءها ، واستعان على نفقات رحلته اليها بثحنة من الزيت ، ثم أوفد بعد عودته تلميذه «يودكسوس» الذي قضى بمصر حيناً من الدهر يتعلم الفلك ، واليه ينسب عادة ترجمة بعض المؤلفات المكتوبة باللغة المصرية الى الاغريقية ، وأدخل بعض معلومات دقيقة الى بلده عن «سير الكواكب الخمسة» التي مازالت لم تحدد بعد بدقة ، والتي عرف الرجل ما عرف عن طبيعتها الحقيقية ابان اقامته بمصر ، وذلك في الغالب هي « نظرية الدائرة التي وسطها على محيط دائرة كبرى» .

هذا ويشير الكتاب الاغريق — في أغلب الاحوال — الى الهندسة والفلك . عندما يذكرون كهان مصر ، وقد يضيفون الى ذلك أحياناً علم اللاهوت ، عندما يرضى الكهنة فيكشفون لضيوفهم عن أسرار هذا العلم ، ويحدثنا «بروفيرس» (٢٢٣٣ — ٣٤٠ م) عن رحلة «لينيثاغورث» الى مصر ، فيقول : «بعد أن استقبله الفرعون «أحمس الثاني» (٥٧٠ — ٥٢٦ ق م) ملك مصر ، حصل منه على رسائل توصية لكهنة «هليوبوليس» (عين شمس) الذين أرسلوه بدورهم الى كهنة منف ، باعتبارهم أعرق منهم . وإن كلن المقصود بذلك إبعاده عنهم ، ومن ثم فلنفس السبب أرسله كهنة منف الى «طبية» (ديوسبوليس) ، وهنا ، خوفاً من الفرعون ، ولعدم عثورهم على سبب مقنع لإبعاده عن معبدهم ، ورغبة في التخلص منه ، لقد أجبروه على الخضوع لنظام قاس ، وعلى أن ينفذ ذلك في غاية من الصرامة ، ولكنه صبر على ذلك وثبت له ، فكان ينفذ في همة ونشاط كل ما كان يطلب منه ، حتى نال اعجابهم ، فعملوا عن سلوكهم نصوه ، وأخضوا يعاملونه باحترام ، لدرجة أن سمحوا له بالتضحية لأهنتهم ، وهو شرف لم ينله غريب قبله» .

هذا وقد جاء الى مصر حكماء وفلاسفة آخرون من الاغارقة ليتعلموا في المعابد المصرية ، ونحن نملك من التفاصيل أحياناً ما يبين مراحل تدريبيهم ، فهذا «أونوبيدس» مثلاً أخذ عن الكهنة والفلكيين كثيراً من

الاسرار ، ومن ذلك : أن الشمس تدور في شكل اهليجي (أى أن سمت الشمس المتحركة يقع على خط الاعتدال في السماء) ، وتتجه اتجاهها مضادا لاتجاه الكواكب الاخرى ، أما «ديموقريط» فقد عاشر الكهنة خمس سنوات ليتعلم ما يتصل بالفلك والهندسة .

وأما الجغرافي «سترابون» فهو يروى لنا في وصفه لمصر ، رحلته الى هليوبوليس ، فيقول : «لقد رأينا هناك الابنية التي كانت مخصصة في الماضي لسكنى الكهنة ، كما أطلعونا على مسكن افلاطون ، و «يودكسوس» لان الاخير قد صاحب افلاطون الى هذا المكان» ، وفيما تلا ذلك من عمور قال أحد المتصوفين الرومان على لسان أصحابه : «اننا لنعلم أن الآلهة كانت والاتزال تقطن مصر» كما ناقش غيره السبب في أن من ولدوا في مصر المقدسة انما كانوا دائما أكثر غلظة ممن يولدون خارجها ، وغير هذا وذلك كثيرين .

وهكذا كانت الرحلة الى مصر - في نظر الاغريق - رغم أنها تمت في العصور المتأخرة من الحضارة المصرية ، من الضروريات في حياة الفلاسفة اليونان ، فقد كانت مصر تعتبر موطن العلم والحضارة ، وكان على شيوخ الحكماء أن يمضوا فيها وقت المران والدراسة ، ولقد نجحت التقليد في تأكيد ذلك على الاتساع ، حتى لو كان البعض منهم لم تلامس أقدامه أرض الكنانة أبدا .

ولعل هذا كله انما يشير بوضوح الى أن الشهرة العالمة للحكمة والعلم اللذين استقرا في أذهان الاغريق من أهل العصور القديمة مرتبطين بطبقة كهنوت المعابد المصرية الكبرى ، ذلك أن فلاسفة اليونان - مهما كانت شهرتهم - انما كانوا يكتسبون مزيدا من اعجاب شعبيهم ، اذ بينوا أن رحلتهم الى مصر ، انما كانت مصدرا من مصادر عظمهم ، وذلك بسبب شهرة الكهنوت المصري في المعابد المصرية الكبرى بالحكمة والعلم ، وقد استمرت هذه الشهرة حتى كتابة «الانجيل» في القرن الرابع الميلادي ، حيث جاء في أعمال الرسل عن سيدنا موسى عليه السلام ، «وتهذب بكل

٢ - المراكز الثقافية الكبرى

لعل أهم المراكز الثقافية في مصر انما كانت في عين شمس والاشمونين وطيبة وصا الحجر :

١ - عين شمس : (أون = ايونو = هليوبوليس) :

كانت «أون» عاصمة الاقليم الثالث عشر من أقاليم مصر الله وتقع فيما بين عين شمس (أو في مكانها) وبين المطرية شمالي الق ويشير «ه. رودوت»<sup>(٤)</sup> (٤٨٤ - ٤٣٠ ق.م) الى أنها كانت بهو العلم والعرفان ، وكان علماؤها أحكم أهل مصر ، وأغزرهم علما يشار اليها وكانما هي موهان الاسرار المقدسة التي تدرس فيها المعتقد ، وتدعى مكتبتها ذخائر الطوم ، ويتخرج فيها البرزة الاطباء والفلكيين والحكام ، وهيل أن المؤرخ المصري «مانيد (٣٢٣ - ٢٤٥ ق.م) قد جمع تاريخه من سجلاتها ، وكان «سترابون» أن شاهد أطلال دور حكمائها ، وان كان قد انقذ الفلاسفة والفلكيين على أيامه ، بعد أن تخربت معاهدهم ، كما ؛ ويشير مؤلف بردية «دايبرس» الى أنه تلقى علومه في «هليوبوليس أن يتجه الى سايس .

(٣) أنظر : نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ١ ، أحمد بدوي ومحمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم في ص ٨٥ - ٨٦ ، ٢٢٧ - ٢٤٠ ، عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في القديمة ص ١٣١ - ٣٥١ - ٣٥٢ ، سيرج سونيرون : كهان مصر الله ص ١٢٢ - ١٣٠ ، هيرودوت يتحدث عن مصر : ترجمة محمد صقر ذ وتقديم أحمد بدوي ص ٦٧ - ٧٢ ، ١٢٤ ، ١٥٩ ، ٢٢٦ ، ١٨٢ . أعمال الرسل ٢٢/٧ ، وكذا

ebvre, Romans et Contes Egyptians, Paris, 1949 p. 221.

Schubart, Die Griechen im Aegypten, 1927, p. 6-7.

(٤) أنظر عن «هيرودوت» (محمد بيومي مهران : مصر - الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٧٤ - ٨٢) .  
(٥) أنظر عن «مانيتو» (محمد بيومي مهران : المرجع الس ص ٦٥ - ٦٨) .

هذا وقد كفل لمدينة «عين شمس» شهرتها في الفلسفة والدين قدم مذهبها في نشأة الوجود ، ثم ارتباطها باله الدولة «رع» فقد تداخل مذهبها الذي اتخذ «رع أتوم» المكانة الرئيسية فيه في أغلب فلسفات المصريين الدينية والاسطورية ، وأضحى موضعاً لتأويلات وشروح المجتهدين ، هذا فضلاً عن أن النشاط العلمي والفكري في عين شمس قد تعدى أصول الفلك والدين وفلسفته وأسراره وتدريس الحكمة وآداب السلوك ، إلى الطب ، ومن ثم رأينا مؤلف بردية أميرس الطبية يقول : «لقد تخرجت من أون مع كبراء العصر العالي ، أرباب الحماية وسادة الأبدية»<sup>(٦)</sup> .

## ٢ - منف (انب حج) :

لم تكن جامعة عين شمس اللاهوتية العلمية وحدها هي منار العلم في مصر الفرعونية ، وإنما كانت تتنافسها — بل وتجهدها أن تظهر عليها — منف<sup>(٧)</sup> (وتقع تحت ويجوار قرية ميت رهينة ، بمركز البدرشين ، على بعد ٢٢ كيلاً إلى الجنوب من القاهرة) ، وقد كان لها مذهب ينافس أون في نشأة الوجود<sup>(٨)</sup> ، كما كان كبير كهنة الإله «بتاح» فيها يحمل لقب «عظيم الفنانين» .

وهناك مراكز أخرى عريقة للثقافة مثل «الاشمونين» (خمنو المصرية)،

(٦) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢٥٢ - ٢٥٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٠ ، وكذا

W. W. Tarn, Hellenistic Civilisation, 1930, p. 235-236.

CAH, VII, p. 260

Strabo, XVII, 29.

A. D. Nock, JEA, XI, p. 127.

(٧) أنظر عن (منف) (محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ٧٨ - ٨٢) .

(٨) أنظر عن نشأة الوجود في نظرية عين شمس (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة - الجزء الثاني ص ٢٤٣ - ٢٤٩) وعن نظرية منف (محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ٢٥٤ - ٢٦١) .

(٩) أنظر عن الاشمونين (محمد بيومي مهران : المرجع السابق ص ١٦٥) .

وتقع على مبعدة ١٠ كيلا شمال غرب ملوى بمحافظة المنيا) مركز عبادة «نحوت» رب الحكمة وعاصمة الاقليم الخامس عشر من اقاليم مصر العليا (الصعيد) ، ثم «طيبة» (الاقصر) عاصمة الامبراطورية ، ولكل منهما نظريتها الخاصة بنشأة الوجود (١٠) .

ثم هناك «أبيدوس» (١١) (ابجو = برابة أبيدوس على مبعدة ١٠ كيلا غربى البلينا بمحافظة سوهاج) ، المركز الدينى الممتاز ، حيث كان القوم يزعمون أن رأس معبودهم «أوزير» دفنت فيها ، ثم هناك «سايس» (١٢) عاصمة الاقليم الخامس من اقاليم الدلتا (سوا مصرية) ، ومكاتها الان صا الحجر ، على مبعدة ٧ كيلا شمال بسيون بمحافظة الغربية) ومدينة الطب في عصر النهضة (الاسرة السادسة والعشرون ٦٦٤ - ٥٢٥ ق م) .

### ٣ - دور الحياة

اختلف الباحثون في «دور الحياة» (برو - عنغ) ، وبينما ذهب فريق الى أنها معادة علمية ، ذهب فريق آخر الى أنها لا تعدو أن تكون دورا للنسخ والتصنيف (١٣) ، وقد عرفت «دور الحياة» في مصر منذ الدولة القديمة ، وكانت توجد في المواضر الهامة ، وحيث وجدت المعابد الكبيرة ، ففي دائرة معبد الاله (هين) في مدينة «لقط» (على مبعدة ٢٢ كيلا جنوبى قنا) عاصمة الاقليم الخامس من اقاليم الصعيد ، قامت دار حياة تواتر ذكرها من الدولة القديمة ، كما تواتر من العصور المتأخرة .

هذا وقد وجدت دور الحياة أيضا في المراكز الدينية الكبرى ، مثل عين شمس ومنك ، فضلا عن تلك التى كانت تنسب الى المعبود «خنوم» ، والتى يحتل وجودها في «الكر» ، «انك» ، «نما» فى أليفانتين (جزيرة أسوان)

(١٠) أنظر عن نشرتهى الاشمونيين وطيبية فى نشأة الوجود (محمد بيومى مهران : المروج السابق ص ٢٤٩ - ٢٥٤ ، ٣٦١ - ٣٦٥) .  
 (١١) أنظر عن «أبيدوس» (محمد بيومى مهران : مصر ٧٤/٢ - ٧٨)  
 (١٢) «أبيدوس» (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص ١٧١) .

A. H. Gardiner, Onom., I, 1947, 35.

(١٣)

A. H. Gardiner, The House of Life, in JEA, 24, p. 167-177. وكذا

وادفو واسنا والطود ، هذا فضلا عن تلك التي وجدت في غير أيام الدولة  
القديمة ، كما في طيبة وأبيدوس والعمارنة والبرششا والحيية واللشت  
(أيثت تلوى) ، وفي سليس وتل بسطة ، فمن الصقائق المفترضة أنه كان  
لكل معبد ذى مكانة ملحوظة «دار حياة» خالص به .

وكان خريجو «دور الحياة» يشغلون عادة مكثمة ممتازة ، ومركزا  
مرموقا في المجتمع المصرى القديم ، فالواحد منهم انما هو «كاتب دار  
الحياة» ، «ما من أمر يسأل عنه ، الا ويجد له جوابا مناسباً» ، وكان  
أبرز ألوان النشاط في «دار الحياة» هو اعداد الكتب الدينية اللازمة  
للعباداة ، وذلك باعادة كتابة المخطوطات القديمة وتصحيح ما فيها من  
أخطاء ، وسد ما فيها من فراغ يتسبب عما لحق القراطيس من فعل  
الديدان الارضية ، كما كانت تعد هناك النصوص الدينية ، وبخاصة  
ما اتصل منها بأمور العباداة المتعلقة بكل معبد ، هذا فضلا عن تسطير  
الكتب المسحوية الخاصة بالحماية من الشر ، الى جانب الجداول الفلكية  
كما كانت تنسخ من «كتاب الوتى» آلاف النسخ ، ويمكننا القول بصفة  
عمامة ان كل ما كان ينقش على جدران المعابد ، وكل ما كان ينسخ من  
قراطيس البردى التي كتبت تقتضيها شؤون العباداة ، وسائر عناصر  
الثقافة الكهنوتية ، انما كان يخرج من «دور الحياة» .

ولعل من الاهمية بمكان الاشارة الى أن المتخرجين في دور الحياة لم  
يكونوا كهنة بالمعنى المعروف ، فهم ألصق بالعلم منهم بالدين ، وألقابهم  
تشير الى تمسكهم بالألقاب الخاصة بالكتاب ، أكثر من التصاقهم بألقاب  
الكهنة ، وان كان هذا لم يحل أن يجمع بعضهم بين وظائف دور الحياة ،  
وظائف الكهنة في آن واحد ، أو أن يتولى منصبا حينا في دار الحياة  
نفسها ، بحيث ظهر منهم من تلقب بلقب «الكاهن الاعلى لدار الحياة» ،  
ومن تلقب بلقب «الكاهن الاول لدار الحياة» ، ومن تلقب بلقب «الاب  
المقدس لرع أتوم في دار الحياة» .

وتشير نصوص من العصور المتأخرة الى أن كعبة دور الحياة انما  
كانوا يفحصون بأنفسهم العلامات في الحيوانات المقدسة ، والشرائط التي

يجب توأفها فيها ، تبعاً لما تحت أيديهم من وثائق ، كما كان يعهد اليهم بكتابة أناشيد التعمد للملوك المتأخرين ، وكتابة نسخ منها لمختلف المعابد ، وكانت مواعيد أعياد الآلهة تقصد به الاحتفالات في دور الحياة ، فتقوم هيئة الأدار بافتتاح الحفل ، وتفسير اسم المعبود .

وليس هناك من ريب في أن من أهم واجبات دور الحياة تمسليم الآداب والمعارف العامة ، إذ أنه كان يفترض في كتابة دور الحياة التعمق في العلم ، والسحر بصفة خاصة ، حتى كان يلقب المتخرج فيها بلقب «رئيس السعرة» ، وطبقاً لما جاء في الأساطير ، فهم يستطيعون معالجة الأمور بسحر يستعصى فهمه ، قد يصل الى مرحلة إعادة الحياة الى الأوصال المقطوعة ، كما رأينا من قبل في أسطورة خوفو والسعرة ، ومن المعروف أن السحر عند القوم إنما كان شديد الصلة بالدين ، ومن ثم هلا غرو اذن إذا اجتمعت هذه الدراسات في سعيد واحد ، وان صعبت التفرقة في التخصص بينهما .

هذا وكانت هناك صلة وثيقة لدور الحياة بالطب والأطباء ، كما يشير الى ذلك الكاتب كبير الأطباء (وجاحررسنت) الذي عاصر «أحمس الثاني» (٥٧٠ - ٥٢٦ ق.م) و «بسماتيك الثالث» (٥٢٦ - ٥٢٥ ق.م) وكان مقرباً من «لقمبيز» (٥٢٥ - ٥٢٢ ق.م) و «أدارا الأول» (٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م) في نص جاء فيه : أن أدارا أعاده الى مصر ، بعد أن كان قد اصطحبه الى فارس ، «لإصلاح أقسام دور الحياة الخاصة بالطب ، بعد أن تخربت» ، وقد وجه جهوده الى مدينة سايس ، عاصمة البلاد وموطنه الأصلي ، وفي هذا بطبيعة الحال تعزيز لما ذكره صاحب بردية أيبيرس الطبية من أنه في سايس ، حيث كان مع أمهات الآلهة ، كما فيه أيضاً دلالة على أن هذه المدينة إنما كانت مركزاً هاماً للدراسات الطبية في مصر القديمة .

هذا ويبدو أن «دور الحياة» لم تكن دائماً في المعابد ، وإنما كانت في مبان ملحقة بالمعابد ، كما تشير الى هذه التفرقة بعض النصوص المتأخرة ، وقد تعرف «بندلبري» على أطلال دار حياة في المعارنة بعد أن وجد

أختاماً مرقومة باسمها على بعض قوالب اللبن التي بنيت بها ، وقد تبين أنها كانت على مبعدة ٤٠٠ متراً ، جنوبي معبد أتون الكبير في العمارنة ، وعلى مبعدة مائة متر شرقي المعبد الصغير ، والصلاحية الملكية ، هذا ومما يؤكد تمييز مباني دور الأحياء عن المعابد — فيما يرى جاردنر — نص في معبد أدفو وصف تنقلات الآله (حور) في أحد أعياده ، فذكر : أنهم اتجهوا من المعبد الى بهو دار الحياة حيث يؤدي كل احتفال لدار الحياة، ثم قضوا ليلتهم في هذا المكان (١٤) .

(١٤) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٢١٩ - ٢٢٨ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٠ - ٤٥١ ، ٢٦٠ - ٢٦١ ، سيرج سونيريون : المرجع السابق ص ١٤٨ - ١٤٩ ، وكذا

G. Posener, *La Première domination Perse en Egypte*, le Caire, 1936, p. 4, 7, 22.

J. Pendlebury, *The City of Achenaten*, III, London, 1951, Pl. XLIX, 3, LXXXIII, VI, p. 115.

J. Pendlebury, *JEA*, Io, 1924, p. 134, XXIV, 1928, p. 160 F, 177. وكذا

Urk., I, p. 286, Io, p. 289. وكذا

B. Gunn, *JEA*, IV, 1917, p. 252, وكذا

G. Maspero, *Les Contes Populaires de L'Egypte ancienne*, Paris, 1916, p. 130. وكذا

A. H. Gardiner, *JEA*, 24, 1938, p. 177. وكذا



## الفصل الثاني

الفلك

برع المصريون القدامى فى علوم الفلك ، كما برعوا فى غيره من العلوم ، وقد دفعهم الى ذلك عدة أمور ، منها : صفاء سمائهم وظوها عن السحب والغيوم معظم أيام السنة ، ثم اتخاذهم بعض كواكب السماء ، وبخاصة الشمس ، أربابا ، ومنها : حرصهم على ضبط مواعيد النيل ، يربطون بينها وبين ظهور بعض الكواكب فى أوقات معينة ، يقصدون بذلك تحديد مواعيد الزرع والحصاد .

هذا وقد ميز المصريون القدامى فى السماء - غير الشمس والقمر - كواكب لا تعرف الفتور ، منها ما نسميه «عطارد» و «الزهرة» (نجمة المساء ونجمة الصباح) ثم «المريخ» (حور الاحمر) و «المشتري» (النجم الثاقب) وأخيرا «زحل» (حور الثور) ، وهم قد جعلوا هذه النجوم فى بروج (تختلف عن بروجنا التى استمدت من البابليين) ومن العسير معرفتها ، وان كان قد أمكن التعرف على الدب الاكبر (فضذ الثور) والبجعة (فى صورة الرجل ذى الذراعين المفتوحتين) والمجوزاء (فى صورة رجل يحبو ، وهو ينظر من فوق منكبيه) ، و «الكليسيوبيا» (فى صورة آدمى معدود الذراعين) والذوت والثريا والعقرب والحمل ، وكان النجم الابرق (والمعروف عند العرب باسم الشعرى اليمانية) ذا دور كبير فى حساب الزمن لدى القوم ، فقد كان شروقه الشمسى محمدا للسنة الحقيقية (بمدى يبلغ ٣٦٥ يوما ، وربيع اليوم) .

وقد صورت هذه البروج بأشكالها المألوفة فى سقف بعض القبور ، وحيث كلنت قبواتها تزين عادة بأشكال النجوم المألوفة فى الدوائر الفلكية التى ألفوها لدى الاغريق فى أواخر عصور حضارتهم ، وقد كان فى معبد دندرة (على مبعده ٥ كيلا شمال غرب قنا ، عبر النهر) مثلا لحدى هذه الدوائر الفلكية التى تصور السماء تموج بصور البروج المصرية فى أشكالها التقليديّة ، وكواكبها السيارّة ، وما يليها من العلامات التى استمدت وأضيفت للاستلوطب النيلي - بصور البروج الاثنى عشر ، ثم مناطق البروج الست والثلاثين ، وقد نقلت الدوائر الاصلية الى فرنسا على أيام الحملة الفرنسية على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١م) واستقرت فى

متحف اللوفر في باريس ، ثم وضعت مكانها صورة لها ، غير أن هناك أخرى ماثلة في سقف مقبرة «سيتي الاول» ، ثم مقبرة «سفنموت» في طيبة الغربية ، ثم تلك التي ماتزال باقية في معبد الملك «رعسيس الثاني» الجنائزي ، والمعروف باسم «معبد الرسموم»<sup>(١)</sup> .

وهكذا فان شواهد الامور كافة انما تبين أن المصريين قد وصلوا في بعض المجالات الفلكية الى نتائج ملموسة ، فلقد استطاع القوم أن يتوصلوا الى حساب الزمن حسابا لا يكاد يختلف عن حسابنا له ، الا بقدر طفيف ، ومن ثم فليس غريبا بعد ذلك أن يكون تقويم عالمنا اليوم في القرن العشرين الميلادي ، انما هو «التقويم المصري القديم»<sup>(٢)</sup> مباشرة وبلا تعديل ، فقد أعطى النيل التقويم لمصر ، وأعطته مصر للعالم ، ذلك أن حياة القوم انما كانت مرتبطة بالزراعة ، وهذه بدورها مرتبطة بفيضان النيل ، الذي يرتبط بالشمس ، وليس بالقمر .

وهكذا وضع المصريون التقويم الشمسي ، لأول مرة في التاريخ ، وانفردت به مصر عن سائر المجتمعات المعاصرة ، التي اعتمدت على التقويم القمري ، وبينما جنح التقويم القمري ببعضها الى التجسيم قبل الفلك ، وخاصة في العراق القديم ، حيث كان الفيضان الجاهح خطرا يصل الى حد الذعر ، كما في قصة الطوفان المشهورة ، لم ينحرف الفلك في مصر عن الاتجاه العلمي<sup>(٣)</sup> .

وهكذا نلاحظ لاحظ المصري منذ أقدم العصور أن الفيضان يأتي منتظما كل عام ، وفي وقت معين ، ثم حدث أن صادف أول يوم في الفيضان ظهور نجم «الشعري اليمانية» (سويحت) في المجال الشمسي في وقت الشروق ، مع الشمس في الاقتران تجاه مدينة «منف» ولما استقرت

(١) سرج سونثرون : المرجع السابق ص ١٦٦ - ١٦٨ ، أحمد بدوي وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٨ .

(٢) انظر عن التقويم المصري (محمد بيومي مهران : مصر ١٧٧/١ - ١٨٣ - الاسكندرية ١٩٨٨) .

(٣) جمال حمدان : شخصية مصر - القاهرة ١٩٧٠ ص ٩٢ ، وكذا V. G. Childe, Man Makes Himself, London, 1955, p. 112.

هذه الظاهرة في أذهانهم ولحظوها زمنا ، أصبحوا يترقبونها عن قصد ، وأطلقوا على نجم الشعرى لقب «جالبة الفيضان» ، واعتبروا ظهورها في الفجر المبكر (حوالي ١٩ يولييه من التقويم الحالي) ، أول يوم في أول فصل ، أي «بداية السنة» التي قسموها — على أساس الظواهر المتعلقة بنهر النيل وفيضانه — الى ثلاثة فصول •

على أن اتجاها آخر ، يذهب الى عدم الربط بين وصول المصريين الى اختراع التقويم الزمني ، وبين ظهور نجم الشعرى اليمانية<sup>(٤)</sup> ، بل ان هناك وجها ثالثا للنظر ، لا ينفى ارتباط السنة المنجية في بلاديء أمرها ، بظهور نجم الشعرى اليمانية فحسب ، وانما يذهب كذلك الى أن التقويم القمري ، انما هو الاساس في توصل القوم الى تقويمهم الزمني ، وأن الشهور القمرية انما هي الاساس لخصاب الفترات الزمنية القصيرة في حياة الناس ، وفي أكثر الاحتمالات ، أنهم ربما أخذوا متوسط السنة القمرية في سنوات عدة ، ثم توصلوا بعد ذلك الى أن طولها انما هو ٣٦٥ يوما<sup>(٥)</sup> •

وأيا ما كان الامر ، فلقد قسم القوم السنة الى ثلاثة فصول : فصل الفيضان (أخت) ، ويبدأ من منتصف يولييه وحتى منتصف نوفمبر ، ثم فصل الزرع أو الشتاء (بروت) ، ويبدأ من منتصف نوفمبر ، وحتى منتصف مارس ، ثم فصل الحصاد أو الصيف (شمو) ، ويبدأ من منتصف مارس ، وحتى منتصف يولييه ، وكل فصل منها انما يتكون من أربعة أشهر وكل شهر من ثلاثين يوما •

ثم قسوا اليوم الى أربع وعشرين ساعة ، اثنتا عشرة ساعة للنور ، واثنتا عشرة ساعة للظلام ، وتحمل كل ساعة اسما معيناً يحدد تأثيرها ، أي أن القوم انما قد استخدموا السنة الشمسية وليس القمرية ، كبقية

W. F. Edgerton, in JNES, I, 1942, p. 366-403.

(٤)

E. Otto Neugebauer, in Acta Orientalia, 17, 1939, p. 169-195.

وكذا.

R. A. Parker, The Calendars of Ancient Egypt, Chicago,

(٥)

1950, p. 53.

شعوب العالم<sup>(٧)</sup> وكانت تستخدم لحساب ساعات النهار ساعات شمسية يقاس فيها امتداد الظل ، ولحساب ساعات الليل ساعات مائية أو ساعات النجوم ، وأما الساعات المائية فأحواض كبيرة مدرجة من الداخل تشير الى التوقيت بانخفاض مستوى مائها بتسريه الى الخارج أو بارتفاعه بتسريه الى الداخل ، وكان تحديد الزمن بمثل هذه الساعة يحتاج الى عمليات حسابية لضبط حجم الماء ودرجة التبخر ، كما كان يراعى اختلاف طول النهار ، وأما ساعات النجوم — وقد بدأ استعمالها منذ الدولة الحديثة ، ان لم يكن قبلها — فكانت تستخدم فيها أداة لقياس مواقع النجوم في جداول معينة تشير الى دخولها في مناطق معينة ، وهي عملية كانت تقوم في المعابد على الاغلب ، وتعتمد عملية الرصد على وجود راصدين من الكهنة يسجل الواحد منهما موقع النجوم بالنسبة لجسد زميله ، وقد حفظت لنا في مقابر ملوك الاسرة العشرين عدة قوائم من هذا النوع ، وهي تبين موقع النجوم خلال ساعات الليل الاثنى عشرة في فترات تبلغ الخمسة عشر يوماً ، وعلى أية حال ، فلقد كانت ساعات المصريين القدامى على اختلاف أنواعها صالحة لقياس الزمن قياساً تقريبياً<sup>(٨)</sup> .

وكانت عدة أيام السنة في نظر المصري القديم ٣٦٥ يوماً ، ولكن مادامت السنة الفلكية تحوى أكثر بقليل من ٣٦٥ يوماً ، فهذا يعنى أن السنة المعنية تتأخر يوماً كل أربع سنوات عن السنة الشمسية ، أو بمعنى آخر ، ان اليوم الاول من السنة المدنية لا يتفق مع اليوم الاول من السنة الفلكية (الشمسية) الا مرة كل ١٤٦٠ سنة (٤ × ٣٦٥) ، وهذا ما يعرف باسم «دورة الشعرى اليمانية» .

ولم يكن هذا الفرق الضئيل واضحاً في بادىء الامر ، ولكن بمرور

(٦) A. Weigall, Histoire de L'Egypte Ancienne, Paris, 1968, p. 7-8.

(٧) أدولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة ، ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومحسرم كمال ، القاهرة ١٩٥٣ ص ٣٧٧ - ٣٧٩ ، نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة ص ٤٥٣ ، أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٨٨ .

الزمن بدت فصول التقويم غير مطابقة للفصول الحقيقية ، كما يبدو ذلك واضحا من بردية من عصر الاسرة التاسعة عشرة ، يشكو صاحبها من أن الشتاء أصبح يجيء في الصيف والشهور تتعكس ، والساعات تضطرب<sup>(٨)</sup> ويقدم «لرسوم كانتوب» (أبو قير) ، والمكتوب بلغت ثلاث في مارس من عام ٢٣٧ ق.م<sup>(٩)</sup> ، دليلا على أن المصريين بحرصهم الفرغيزي على التقاليد لم يسعوا الى علاج لذلك الموقف ، ففى هذا الرسوم يعلن (ببلييموس الثالث) (٢٤٦ - ٢٢١ ق.م) ادخال يوم سادس الى أيام النسيء الخمسة ، كل أربع سنوات ، حتى يمنع الاعياد الوطنية التي تحدث في الشتاء من أن تجيء في الصيف ، فان الشمس تتغير يوما كل أربع ساعات ، وأن أعياد أخرى تقام الان في الصيف يجب أن تأتي في المرات القادمة في الشتاء ، كما كان يحدث من قبل .

غير أن هذه المحاولة سرعان ما أهملت ، ولم يعمل بها أحد بعده ، وبقي التقويم كما كان ، حتى اتخذ «يوليوس قيصر» (١٢٠ - ٤٤ ق.م) التقويم المصري والاصلاح المقترح وطبقه في روما ، وفي عام ٣٠ قبل الميلاد فرض الامبراطور «أغسطس» (٢٧ ق.م - ١٤ م) على المصريين التقويم اليوناني ، والمكون من ٣٦٥ يوما ، وان كان كل من «استرابو» و «ديودور الصقلي» إنما نسب هذا التعديل الى المصريين أنفسهم ، ومع ذلك لم يستخدم المصريون الوطنيون هذه السنة التي أسموها «السنة اليونانية» ، الا بعد اعتناقهم النصرانية ، وبقي الامر كذلك حتى أصلحه البابا «جريجورى الثالث عشر» في القرن الرابع عشر الميلادي ، وأصبح التقويم هو المعروف الان بالتقويم الميلادي<sup>(١٠)</sup> .

J. Vercontter and Others, The Near East, The Early Civilization 1967, p. 39. (٨)

A. H. Gardiner, Egypt of The Pharaohs, Oxford, 1961, p. 64. وكذا

E. Bevan, A History of Egypt under The Ptolemaic Dynasty, London, 1927, p. 208 F. (٩)

(١٠) نجيب ميخائيل : مصر ٥١/١ - ٥٢ ، وكذا

J. Vercontter, Op-Cit, p. 39. وكذا

Strabo, XVII, 20. وكذا

هذا ويذهب «لودفيج بورخاردت» (١٨٦٣ - ١٩٣٨م) الى أن المؤرخ الروماني «سانسريون» قد سجل ظاهرة اجتماع الشعري اليمانية وطلوع الشمس في عام ١٣٧م<sup>(١١)</sup> ، ومن ثم فقد أصبح هذا العام نقطة ارتكاز تقوم على قرائن علمية فلكية ثابتة ، وما علينا الا أن نعود في التاريخ فترة ١٤٦٠ عاما<sup>(١٢)</sup> الى الوراء ، لنعرف متى بدأت فترة الشعري اليمانية هذه ، ويعملية حسابية بسيطة يمكننا أن نحدد هذه الفترات بأعوام ١٣١٧ ، ٢٧٧٢ ، ٤٢٢٥ قبل الميلاد ، أى أننا نستطيع أن نتوغل في أعماق التاريخ حتى عام ٤٢٢٥ ق.م ، وهكذا يتجه بعض الباحثين الى أن يوم ١٩ يولييه من عام ٤٢٤١ قبل الميلاد ، انما أقدم توقيت ثابت في تاريخ العالم ، وهو بداية معرفة المصريين للتوقيت<sup>(١٣)</sup> ، على أن تصحيحات «كارك شوك» تجعل أقدم تاريخ محدد في العالم ، انما هو (٤٢٢٩ - ٤٢٢٦ ق.م) ، وهذا كله مبنى على حسابات رجعية وليست لها أهمية خاصة<sup>(١٤)</sup> .

هذا وهناك وجه آخر للنظر ، يذهب الى أن اتباع توقيت ملكى دقيق ، انما هو عمل عقلى عظيم ، يعتمد دون شك على مقدرة ممتازة في الحساب

A. H. Gardiner, Op-Cit, p. 64-65.

Diodorus, I, 50.

وكذا

وكذا

(١١) عبد المنعم أبو بكر : الموسوعة المصرية ١٨٥/١ - ١٨٦ .

(١٢) يذهب «كارل شوك» الى أن دورة الشعري اليمانية ليست بالضبط ١٤٦٠ يوما ، بل هي أقرب الى أن تكون ١٤٥٦ يوما ، وقد بنى تصحيحه هذا على زيادة سرعة الشمس على مر القرون ، وعلى الحركة الذاتية الكبرى للشعري اليمانية ، وعلى حساب أدق لدى القوس البصرية (جورج سارتون : مصر - ترجمة مصطفى الأمير - القاهرة ١٩٦٣ ص ٨٩ ، وكذا Carl Schoch, Die Lange der Sothisperiode betragt, 1456, Jahre, und Astorn, Abhandl, Ergänzungshefte Astorn. Nachr, 8, No. 2, B 9-B10, 1930).

(١٣) الكسندر شارف : تاريخ مصر ص ٣٤ - ٣٦ ، وكذا

J. H. Breasted, ARE, I, p. 30.

E. Meyer, Aegyptische, Berlin, 1904.

K. Sethe, ZAS, 1931, p. 1-7.

L. Borchardt, Die Mittel Zur Zeitlichen Festlegung, Kairo, 1935. وكذا

(١٤) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٠ .

والفلك ، لا نستطيع أن نتوقع حدوثه في عصر مبكر لم يعرف الناس فيه القراءة والكتابة ، ومن ثم فربما كان من الأفضل أن نحدد علم ٢٧٧٢ قبل الميلاد ، لمعرفة المصريين للتوقيت الزمني ، وليس عام ٤٢٤١ قبل الميلاد ، ذلك لان هذا التوقيت لا يمكن أن ينشأ الا بعد فترة طويلة من الملاحظة والتدقيق ، ثم المقدرة على أن يستخلص الانسان من تلك التدوينات نظاما حقيقيا ثابتا ، وأن ذلك ربما تم في عهد الملك «زوسر» من الأسرة الثالثة (١٥) .

هذا وقد أشارت الوثائق المصرية الى «دورة الشحري اليمانية» ثلاث مرات ، على أقل تقدير ، وعلى فترات متباعدة ، أولها : في وثائق من العام السابع لحكم الملك «سفسوسرت الثالث» حوالي علم ١٨٧٢ ق.م ، وثانيها : في العام التاسع من حكم الفرعون «أمنحتب الاول» = حوالي علم ١٥٣٦ ق.م ، وثالثها : خلال عهد الفرعون «تحتمس الثالث» حوالي عام ١٤٦٩ قبل الميلاد (١٦) .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن قدرة المصريين القدامى في الفلك ، انما تتضح لا في تقويمهم ، ولا من جداول عبور النجوم خط الزوال ، ولا من جداول ظهورها فمصب ، بل من بعض أدواتهم الفلكية ، من المزاويل الشمسية البارعة ، وتركيب الطمار على العصا الفرجونية التي مكنتهم من تحديد سمت البداية ، ومن هذه الأدوات بقايا محفوظة في متحفى القاهرة وبرلين ، ويمكن اختيار نماذج دقيقة منها في كثير من المجموعات الاثرية المصرية الفلكية (١٧) .

هذا وقد عرف الكهان المصريون أيضا ظاهرة الخسوف ، وهي التقاء

(١٥) أنظر :

J. A. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 30.

A. Scharff, HZ, 161, 1939, p. 3-32.

R. W. Stoley, The Origin of The 365 - day Egyptian Calendar, وكذا

ASAE, XLVIII, p. 261 F.

W. S. Smith, in JNES, 11, 1952, p. 122-123.

وكذا

(١٦) عبد العزيز صالح : مصر والعراق ١٠٠/١

(١٧) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٠



الشمس بالمغرب ، وقد جاء في الخبر كيف أربع الخسوف جنود الاسكندر  
الاكبر ، وهم يحاربون الفرس من جنود «دارا الثالث» (٣٣٥ - ٣٣٢  
ق.م ) ، وكيف استدعى أحد الكهان المصريين ليذهب عن قلوبهم  
المرعب (١٨) .

هذا ورغم أن المصريين القدامى قد حددوا ، بوجه علم ، جهاتهم  
الاصلية على أساس مجرى النيل ، جساتين الجنوب - وفيه منابع  
النيل - قبلتهم ، فواقع المغرب على يمينهم « والشرق على يسارهم ، الا  
أن حقة تصديد اتجاهات أضلاع قواعد الهرم الاكبر ، وانطبقتها على  
الجهات الاصلية الاربع وكذا اتجاهات ممراته ، تصلنا على التفكير في  
جواز استعانة المصريين بنوع من المراصد الفلكية ، وان كنا لا نعرف  
كيف كانت ، ولا كيف استخدمت ، والى أين ذهبت (١٩) .

وأيا ما كان الامر ، فلقد أقيمت الاهرامات الكبرى عند خط عرض  
٣٠ شمالا ، وأن أضلاع الهرم الاربعسة مواجهة تماما للجهات الاربع  
الاصلية « وربما كان ذلك ليجعلوا مدخل الهرم الذي كان في الناحية  
الشمالية متجها نحو النجم القطبي (نجم الشمال) ، ولم يكن ليصعب  
على المصريين مثل هذا التصديد الصحيح لاتجاه أضلاع مريع الهرم ،  
وذلك لما كان لهم من دراية كافية بعلم الفلك (٢٠) ، كما أن ممرات الاهرام  
المائلة انما كانت تنطبق على المستوى الزوالى .

هذا وقد لاحظ «بروكتور» Proctor أنه خلال سبعة أشهر ونصف  
من السنة « نصفها قبل ونصفها بعد الانقلاب الصيفي ، تضيء الشمس  
عندما تكون على خط الزوايا الاربعة أوجه ، وقد استنتج «محمود باشا  
الفلكي» أن الممرات الداخلية كانت تستعمل كآلات زوالية لرصد الاجرام  
السماوية قبل غلق الاهرام ، وأن ضوء الشعري لليمانية كان عموديا على

(١٨) سيرج سونديرون : المرجع السابق ص ١٧٠ .

(١٩) أحمد بدوي ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٨٩ .

(٢٠) أحمد فخري : الاهرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣ ص ٢١ .

الوجه الجنوبي للهرم الاكبر ، حوالى عام ٣٣٠٠ قبل الميلاد ، واستنتج  
 (دلمبير) Delambre أن المصريين القدامى لابد وأنهم قدروا سعة  
 انحراف اتجاه الشمس عند المتقلبين - الصينى والثتوى - .

هذا وقد قلم «كول» - وكان يعمل موظفا بمصلحة المساحة المصرية -  
 بقياس أضلاع هرم خوفو وانحرافاتهما عن الاتجاهات الرئيسية ، فوجد  
 ما يأتى :

الانحراف عن الاتجاهات الرئيسية	طوله	الضلع
٢٨° ٣'	٢٣٠ر٢٥٣	الشمالى
٥٧° ١'	٢٣٠ر٤٥٤	الجنوبى
٣٠° ٥'	٢٣٠ر٣٩١	الشرقى
٣٠° ٣'	٢٣٠ر٣٥٧	الغربى

وتدلنا هذه الدقة فى تعيين اتجاهات قاعدة هذا الهرم (الهرم الاكبر)  
 وغيره من الاهرام على أن الكهنة المصريين الذين كانوا يشرفون على بناء  
 الاهرام ، لابد وأنهم استعانوا بالارصاد الفلكية فى تعيين الاتجاهات .

أضف الى ذلك ، أنه فضلا عن هذه الدقة فى تعيين اتجاهات الاضلاع ،  
 نجد أنهم لابد ، وقد تخبروا مواقعها لتكون عند خط عرض ٣٠ درجة  
 شمالا ، فقد أقيمت عند حافة المستوى الصخرى وليست بأعلى نقطة  
 فيه ، وقد يوازى خط عرضها بأحدث الآلات المديثة ٥١° ٥٨' ± ٢٩٥ ٣  
 وعزا الفرق الى تأثير الانكسار الضوئى .

ولتقدير أهمية الحقائق السالفة الذكر ، علينا أن نتذكر أن الرجل  
 العادى فى عصرنا هذا لا يكاد يعرف غير أن الشمس تشرق من الشرق ،  
 وتغرب فى الغرب ، مع أن هذا لا يقع فى خط عرضنا سوى مرتين فى  
 السنة ، عندما تكون الشمس فى أحد الاعتدالين ، وتعيين هذه الاتجاهات  
 بهذه الدقة ليس من الامور الهينة حتى فى عصرنا هذا الذى تقدمت فيه

صناعة الآلات الهندسية التي يستعان بها في مثل هذه الأغراض (٢١) .

بقيت الإشارة إلى أن هناك وثائق محدودة العدد تشير إلى أن التتجيم — وهو الاعتقاد في تأثير مواقع النجوم على نفوس البشر وصلة ذلك بمصلحتهم — وقد كان معروفا ، وقد ذاع هذا الاعتقاد ولقى كثيرا من القبول في أوساط المصريين ، وإن كانت ظواهر الأمور تدل على أن هذا الموضوع تحžil على مصر ، وغير أميل فيها وفي تفكير أهلها ، وربما قد جاءهم من آسيا مع الغزو الفارسي في أخريات العصور الفرعونية ، وقد يؤيد هذا الظن ما تردد في أسلوب تلك الوثائق من شذوذ غير معهود في اللغة المصرية .

وأما المذنبات من النجوم ، والتي كان يعتبر ظهورها من نخور الشؤم فيبدو أن معرفة المصريين بها لم تكن كافية ، وليس هناك من النصوص ما يشير إليها ، سوى واحد من عصر (تحوتمس الثالث) (١٤٩٠ — ١٤٣٦ ق.م) ، يذكر مرور واحد من تلك المذنبات ، والذي يحتمل أن يكون ما أسماه القوم «هالي» (٢٢) .

وعلى أية حال ، فلقد ظن القوم أن للأبراج السماوية صلة بالناس ، فهناك أيام سعيدة ، وأيام منحوسة ، وهذه الأيام تتصل في أغلب الأمر بأحداث معينة مترسبة في نفوسهم من جراء ذكريات أسطورية أو دينية ، فمثلا أيام الصلح بين للمبودين «حور» و «ست» أيام سعيدة من غير شك (وهو اليوم السابع والعشرون من هاتور) ، وأيام موت «أوزير» أيام نحص ، وكذا اليوم الرابع عشر من طوبة ، والذي نحدث فيه «أيزة» و «نفتيس» على «أوزير» كان يوما منحوسا ، بينما كان اليوم الأول من أمشير ، والذي رنعت فيه السماء ، فقد كان يوما سعيدا .

وكان القوم يمتنعون عن إقامة الحفلات في أيام النحص ، حيث كانوا

---

(٢١) عبد الحميد سماحة : الفلك عند المصريين القدماء — كتاب تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعوني ٥٧٨/١ — ٥٧٩ (القاهرة ١٩٦٢) .

(٢٢) سيرج سونديرون : المرجع السابق ص ١٧٠ .

يتنادون الموسيقى والغناء مثلا في يوم الحداد على أوزير (الرابع عشر من طوبة) ، كما أن الغسيل كان محرما في اليوم السادس عشر من طوبة، وكان يفضل الامتناع عن السمك في أيام معينة ، واجتلب ذكر اسم المعبود «ست» في اليوم الرابع والعشرين من شهر برمهودة .

وكان النخس والسعد يتصلان أيضا بمولد الاطفال كذلك ، فبعض الاطفال لا يعيشون ، ان ولدوا في اليوم الثالث والعشرين من شهر توت، والبعض الاخر تحل بهم الكراه والامراض ، ان ولدوا في أيام معينة كذلك ، فالذي يولد في اليوم العشرين من شهر كيهك يصاب بالعمى ، والذي يولد في الثالث من كيهك يكون المصمم من نصيبه (٣٣) .

---

(٢٣) أدولف ارمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٢٨٣ - ٢٨٤ ،  
نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٣ .

## الفصل الثالث

العلوم الرياضية والهندسية

شملت العلوم الرياضية والهندسة جانبا كبيرا من اهتمام المصريين القدامى ، وكانت تسيّر جنباً الى جنب مع تعلم القراءة والكتابة لأهميتها في الحياة العملية ، وكانت الدراسة نظرية وعملية معا .

وقد بزغ المصريون في بعض العلوم الرياضية بالنسبة لزمانهم ، ويعد عصر الدولة القديمة عصرها الذهبي ، والتي كانت ثمرة خبرة وتطور طويلين و متصلين في آن معا ، ومن المشكوك فيه أن تكون الرياضيات في أيام الدولة الحديثة ( ١٥٧٥ - ١٠٨٧ ق م ) قد تقدمت عما كانت عليه من قبل ، فقد استخدمت نفس النظريات والأساليب التي كانت معروفة على أيام الدولة القديمة ، ومن ثم فقد استنتج بعض العلماء أن المصريين لم ينظروا الى هذه العلوم نظرة أكاديمية بالمعنى المفهوم ، ولم يحاولوا تطويرها بالبحث المتصل أو استقصاء أصولها النظرية ، بل ان اتجاهم حيالها كان عمليا يكاد يقتصر على الناحية التطبيقية ، على أن هذه العلوم - على علاقتها - قد نفعت وأثمرت ، وأدت كل ما كلن ينتظر منها توسعت مطالب الشعب في كل نواحي الحياة .

وليس هناك من ريب في أن مقتضيات الحياة في مصر ، وجود المصريين في حل المشاكل المتصلة ببيئتهم وحرصهم الشديد على ذلك ، كانت جميعا من وراء أسباب تقدمهم في الحساب ، فتنظيم مياه النيل وقياسها وضبطها ، وتحديد مواسم الزراعة والصيد ، وأعمال البديل والتجارة وجمع الضرائب العينية ، وتقدير أبعاد الأراضي الزراعية ، ومساحتها عند بيعها وتأجيرها وتقسيمها باسم الدولة لتنفيذ المشروعات العامة ، وما الى ذلك ، كتغيير حدود الأرض الزراعية بعد موسم الفيضان ممثلا إذا ما طاف طائف من الفيضان فأزال حدود الحقل ، فإنه لا يمكن اعادتها الى ما كانت عليه على وجه مطلق ، الا اذا كلن المرء يعرف مقاييسه بالضبط (١) .

(١) أحمد بدوي وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٩ ، ارمان ورائك : المرجع السابق ص ٣٣٩ - ٤٠٠ .

وقد سبق أن عرفنا في دراستنا السابقة أنه في بداية الدولة الوسطى (٢٠٥٢ - ١٧٨٦ ق م) أن الملك «أمنمحات الأول» (١٩٩١ - ١٩٦٢ ق م) قد اتبع سياسة جديدة بين أمراء الاقاليم منعت التنافس بينهم ، وذلك عن طريق اقامة حدود ثابتة بين كل اقليم وآخر ، كما سن قانونا نظم به نصيب كل اقليم من مياه النيل الخاصة برى الارض الزراعية ، وهكذا «تقام جلالتة مشرقا كاله الشمس أتوم نفسه» لكي يزهق المباطل ويعمر ما تخرب ويرده الى ما كان عليه ، ويعيد الى كل مدينة ما اغتصبته الاخرى منها ، ويجعل لكل مدينة حدودها التي تفصلها عن الاخرى ، وقد أرسى أحجار الحدود ثابتة كالسما» ، كما عين تبعية كل قناة بمفردها ، وثبت نصيب كل اقليم في النيل « ولما كان يجب الحق كثيرا ، فقد اتخذ أساسا لنفسه «لما هو موجود في السجلات القديمة ، وما هو ثابت مقرر في النصوص القديمة» ، وهذا يعنى انه منذ عهد الدولة القديمة ، على الأقل ، كانت حدود الاقاليم ثابتة ومدونة ومسجلة ، وهذا يعنى بالتالى المتراض وجود سجلات زراعية لاراضى المدن المختلفة ومناطقها .

هذا وقد قام «أمنمحات الأول» كذلك بتحديد الكمية التى يقدمها كل اقليم من المواد الغذائية ، وعدد السفن اللازمة للاسطول واعداد الرجال للجيش المرابط ، وذلك للمشروعات الملكية فى اقاليمهم أو خارجها ، ومن المعروف أن أمراء الاقاليم انما كانوا مكلفين بحشد الجند ، الذين كانوا يكونون فى ذلك الوقت الجزء الاكبر من القوات المسلحة (٣) .

هذا وكان يدخل ضمن اطار الواجبات الملغاة على عاتق المشرفين على حقول أو مخازن غلال المعابد السهر على صحة مقاييس ومساحة الاراضى التابعة لمعبدهم ، وهكذا يظهر السيد العظيم من الدولة الحديثة بمصا طويلة فى احدى يديه ، وفى الاخرى أدوات الكتابة ، يشرف على عملية

(٢) محمد بيومى مهيران : مصر ٣٤٢/٢ (الاسكندرية ١٩٨٨) ، عبد الحميد زايد : مصر الخالدة ص ٣٥٧ ، أدولف ارمان وهرمان رانكه : المرجع السابق ص ٨٦ ، ٣٢٨ - ٤٠٠ ، وكذا ،

R. O. Faulkner, Egyptian Military Organization, JEA, 39, 1953, p. 36 F.

القياس التي يقوم بها خادمان ، ومعهم شريط قياس ، يظهر أن طولها نحو مائة ذراع ، تقسم الى أجزاء بواسطة عقد عقدت في أجزاء معينة لا بد وأن تكون قد اختبرت دقته وصحت ادارة معبد أمون<sup>(٣)</sup> .

وكانت تلك كلها أمور تدعو الى استخدام الحساب ، فهم قد عرفوا العشرات والمئات والوف الالوف ، وعرفوا الجمع والطرح ، وأما الضرب فكان ضربا من الجمع وجمع الجمع ، أى مضاعفة العدد المضروب في جدول صغير مرات تعادل العدد المضروب فيه ، ثم تجمع حواصل ضرب المضاعفات التي تعادل في مجموعها العدد المضروب فيه ، فمثلا ضرب  $11 \times 14$  يجرى على النحو التالي :

.١٤	١
٢٨	٢
٥٦	٤
١١٢	٨

حيث يشير للجدول الى ما يبلغ مجموعه ١١ ، أى أنه يجمع حواصل الضرب في ١ ، ٢ ، ٤ ، ٨ ، وهي ١٤ + ٢٨ + ١١٢ ، فيكون المطلوب ١٥٤

وأما القسمة : فكانت عملية تجرى عكس عملية الضرب ، أى أنها كانت تعتمد على مضاعفة المقسوم عليه حتى يتعادل مع القاسم ، وهو الابدأ الذي يقوم عليه تصميم الآلات الحاسبة في عصرنا الحديث ، اذ تجرى قسمة ١٥٤ ÷ ١٤ بأعداد الجدول السابق ، ثم جمح ما يقابل مجموع ١٥٤ ، أى ١ + ٢ + ٨ ، وهو ١١ ، فيكون ذلك خارج القسمة<sup>(٤)</sup> .

هذا وقد توصله المصريون الى معرفة الكسور البسيطة ، واستعملوها بها عن الكسور المركبة (التي لم تستخدم الا في أحوال قليلة) ، وكذلك

(٣) ارمان ورانكه : المرجع السابق ص ٤٠٠ ، وكذا

L. Borchardt, AZ, 42, p. 70 F.

(٤) أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٨٩ - ٩٠ ،

أحمد عبد الحميد يوسف : الموسوعة المصرية ١/٢٥٦ - ٢٥٧ .



استخدموا بعض المعادلات الجبرية البسيطة ، هذا وقد اتبع المصريون في جمع الكسور وضربها وقسمتها « نفس ما كانوا يتبعونه مع الاعداد الصحيحة ، من حيث استخدام الطريقة التجريبية عند الضرورة ، والاكتفاء بالحلول الذهنية ، كلما تيسر لهم استخدامها » (٥) .

وتشير «بردية رند الرياضية» (كراسة عمهوزة) الى جسحول يبين

(٥) عبد العزيز صالح : الرياضيات في مصر القديمة - تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعوني ١/٥٩٠ .

(٦) بردية رند الرياضية : وتتكون من درجين من البردي ، محفوظة بالمتحف البريطاني في لندن (رقم ١٠٠٥٧ - ١٠٠٥٨) ، وقد عثر الباحثون على جزء صغير يصل بينهما في الجمعية التاريخية في نيويورك ، وهي جميعا تكون درجا واحدا ، أو رسالة واحدة ، وطول البردية ٥٤٤ سم ، وعرضها ٢٣ سم ، ويرجع تاريخها الى عصر الهكسوس (١٧٢٥ - ١٥٧٥ ق م) ، ولكنها تذكر أنها نسخة من وثيقة أقدم منها ترجع الى أيام الاسرة الثانية عشرة (١٦٩١ - ١٧٨٦ ق م) ، وقد سجلت البردية على عنوان صفحة منها اسم الملك «عاوسرع - ابوفيس الاول» من ملوك الهكسوس ، ويقول كاتب البردية في الصفحة الافتتاحية منها : «قواعد للبحث في الطبيعة وفي معرفة كل ما هو كائن وكل غامض ، وكل سر ، أشهد أن هذا الدرج كتب في السنة الثالثة والثلاثين ، في الشهر الرابع من فصل الفيضان ، زمن ملك مصر العليا والسفلى ، عا وسرع ، له الحياة ، نقلا عن كتابة قديمة دونت أيام ملك مصر العليا والسفلى ، نى معات رع (امنمحات الثالث ١٨٤٣ - ١٧٩٧ ق م) ، وكتب هذه النسخة عمهوزة الكاتب» .

وتوصى عبارة «عمهوزة» أنه يدرك مدى أهمية عمله ، فهو يدون كتابا ، أى مبحثا مرتبا في المعلومات المعروفة في ميدان تخصصه ، اضطلع فيه بتدوين المسائل الاساسية في الحساب والهندسة ، كما بدت لعاصريه وهناك ترجمات للبردية بالانجليزية ، احدها ترجمة «بيت» في عام ١٩٢٣ ، والثانية ترجمة «تثيس» في عام ١٩٢٩م هذا الى جانب ترجمات أخرى بلغات أخرى ، (انظر

T. Eric Peet, The Rhind Mathematical Papyrus, Liverpool, 1923.

A. B. Chace, L. Bull, H. P. Manning and R. C. Archibald, وكذا

The Rhind Mathematical Papyrus, 2 Vols, Oberlin, Ohio, 1927-1929.

W. W. Struve, Mathematischer Papyrus des Staatlichen وكذا

Museums der Schönen Künste in Moskau, Berlin, 1930.

Otto Neugebauer, Vorlesungen über Geschichte der antiken وكذا

Mathematischen Wissenschaften, 1, Band Vorgriechische

Mathematik, Berlin, 1934.

وتتضمن البردية مجموعة من الامثلة النموذجية لمختلف مسائل الحساب

نتائج قسمة العدد ٢ على المقامات الفردية من ٣ الى ١٠١ في تفصيلات تشير الى صحة النتائج ، كما اشتملت على جداول لنتائج قسمة الاعداد من ١ الى ٩ على العدد ١٠ معبرا عنها بالكسر ذى بسط الواحد الصحيح ، مستفيدا من ذلك غرضين ، أولهما : حفظ نتائج القسمة في كسور مجردة ، وثانيهما : تقديم مسائل عملية تستطيع عقلية التلميذ أن تسليها بعد تقديم البرهان على صحة النتائج .

وقد اقتضت شؤون الفلاحة ان يعرفوا علم المساحة ، وبخاصة ان النيل كان يغير الرقع الزراعية في كل عام ، وكانت وحدة القياس المستعملة هي الذراع الملقى الذي يبلغ طوله حوالي ٥٢٣ سم (أى يساوى ٢٠٦٢ بوصة) ، كما استخدموا ذراعا آخر يصغره قليلا ، ويستعمله الجمهور في معاملاتهم العادية ، وقسموا الذراع الى سبع قبضات متوسطة ( أو ست قبضات كبيرة ) ، تألفت كل قبضة منها من أربع أصابع ، واستخدموا وحدة قياسية تبلغ مائة ذراع ، أطلقوا عليها اسم «الضت» ، ووحدة مساحية للأراضي المتسعة تبلغ ٢٧٢٥ مترا مربعا ، أطلقوا عليها اسم (سئات) ، ووحدة طولية للمسافات الكبيرة تبلغ نحو كيلو مترين ، أطلقوا عليها اسم «اترو» .

وأما الموازين (من الحجر أو المعدن) فكانت وحدها «دبن» ، وزنته ٩١ جراما ، وجزؤه «لقدت» ويعادل  $\frac{1}{10}$  عشر الدبن ، وأما وحدة كيل الغلال فهي : «حقات» (حوالى ٤٧٨٥ لترا) ولها أجزاءها ، ومضاعفاتها وأما وحدة كيل السوائل فهي : «هن» ويعادل  $\frac{1}{10}$  من «حقات» ( أو ٤٦٠ من اللتر ) (٧) .

والهندسة ، ومن ثم فهي توضح لنا معارف المصريين في هذا الميدان ابان تلك العصور ، وهناك شك في أن معارف المصريين في الدول الحديثة. سد زادت عن ذلك ، فبعد ١٥٠٠ عام ، نجد في قوائم معبد ادفو نفس النظريات الهندسية المشابهة لما في بردية رند هذه (جورج سارتون : المرجع السابق ص ١٠٠ - ١٠١ ، ١٢٧ - ١٢٨ ، ارمان ورائكه : المرجع السابق ص ٤٠٢ - ٤٠٣) .

(٧) عبد العزيز صالح : المرجع السابق ص ٥٨٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٥ .

أدت مشروعات المصريين العامة ، من حفر الترع ، وتخطيط المدن ، وبناء المعابد والاهرامات ، ونحت المقبور في الصخور ، الى نتائج مذهلة في دراسة المساحات والمحيطات والزوايا والارتفاعات والاحجام ، وأخيرا الى تقدم كبير في الهندسة النظرية والعملية سواء بسواء ، فعرف المصريون القدامى محيط الدائرة وقطرها ، كما توصلوا الى مساحتها ، والى مساحة المثلث والمربع والمستطيل وغيرها من الاشكال الهندسية ، كما قدروا الاحجام الاسطوانية والمهرسية ، واستخدموا في مبانيهم الاقواس والسقوف المقبوة .

وليس هناك من ريب في أن بناء الاهرامات — وأهرامات الجيزة بوجه خاص — انما يدل على أن التنفيذ لم يكن مرتجلا ، وانما كان قائما على نظريات هندسية وضع البناعون أسسها وقواعدها وتفصيلها المعمارية في ذلك العهد البعيد من أوائل عهد الدولة القديمة (حوالي أوائل الالف الثالثة قبل الميلاد) ، وقد أثارت معارف المصريين الميكانيكية — وبخاصة ما يتعلق منها بنقل الكتل الحجرية الضخمة ورفعها واقامتها ، وفي مقدمتها المسلات — اعجاب العالم قديما ، وما زالت تثير مثل هذا الاعجاب حتى اليوم (٨) .

وعلى أية حال ، غفى بناء الاهرامات — مثلا — تحتم على بنائتها أن يقطعوا الحجر الجيري على مقاسات مضبوطة قبل وضعها في مواضعها المطلوبة ، وأكبر هذه الكتل هي التي رتب ترتيبا معقدا فوق المقبرة الملكية بمثابة دعائم لتحويل الضغط عن سقفها ، ويوجد من هذه الدعائم ٥٦ دعامة لسقف المقبرة الملكية في الهرم الاكبر (٩) ، ويبلغ متوسط وزنها

(٨) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ١٠٠  
 (٩) يشغل الهرم الاكبر مساحة تقرب من ١٣ فدانا (٥٤ الف متر مربع) ، وكان ارتفاعه ١٤٦ م ، تهدم منها تسعة أمتار منذ بضعة قرون فاصبح ارتفاعه الان ١٣٧ مترا ، واستخدم البناعون في بنائه ، فيما يقال ، مليونين وثلاثمائة ألف كتلة حجرية ، ووزن الواحدة ٢٥ طنا ، وبعضها

٥٤ طنا ، وبلغت الدقة التي روعيت في بناء الهرم الأكبر ، درجة لا يمكن تصديقها « يقول الاثرى الانجليزى « وليم ماثيوس فلندرز بترى » (١٠) (١٨٥٣ - ١٩٤٢) عن ذلك :

« ان متوسط الخطأ في طول الجوانب - التي تبلغ الواحد منها ٧٥٥ قدما - هو  $\frac{1}{800}$  (واحد على أربعة آلاف) وهو خطأ يمكن أن ينشأ عن اختلاف في درجة الحرارة بمقدار ١٥ درجة مئوية بين قضبان النحاس التي تستعمل في المقاس ، والخطأ في التربيع يبلغ حقيقة واثنى عشرة ثانية من الدرجة ، والخطأ في المستوى ٥ بوصات بين الجانبين ، أو ١٢ دقيقة ، أما الاطوار القصيرة التي تبلغ ٥٠ قدما ، فيبلغ الفرق ٠.٢ ر. من البوصة » \*

« وبلغت الدقة التي روعيت في ثلاثة توابيت من الجرانيت للملك (سنوسرت الثانى) (١٨٩٧ - ١٨٧٧ ق.م) أن متوسط الخطأ فيها لا يعدو ٠.٠٤ ر من البوصة ، بضغط مستقيم في بعض الاجزاء ، ٠.٠٧ ر من البوصة في أجزاء أخرى ، كما بلغ مقدار انحناء الجوانب ٠.٠٥ ر من البوصة في ناحية ، ٠.٠٢ ر من البوصة في ناحية أخرى ، أما متوسط الخطأ في نسب الابعاد المختلفة في الاعداد الزوجية فهو ٠.٢٨ ر من البوصة ، وهذا كله يشبه في دقته عمل صناع العدسات البصرية ، وليس عمل البنائين » \*

هذا ويدل قطع الاحجار التي تطلب تركيب بعضها الى بعض معرفة

يزن ١٦٥ طنا ، ويتضمن الهرم الأكبر ثلاث حجرات كبيرة للمدفن ، حجرة سفلية نحتت في باطن الصخر ، وثانية في باطن الهرم تعرف خطأ باسم «غرفة الملكة» ، وقد هجرتا ، ثم حجرة ناللة بنيت بالجرانيت في منتصف الهرم العلوى ، دفن الفرعون فيها ، هذا ويصل بين حجرة المدفن الوسطى في باطن الهرم ، دهليز صاعد يعتبر آية من آيات الفن المعمارى في عصره ، ويبلغ طوله ٥٢ قدما ، وارتفاعه ٢٨ قدما ، كسيت الاجزاء السفلى من جانبه باحجار مصقولة ضخمة (محمد بيومى مهران : مصر - الجزء الثانى - الاسكندرية ١٩٨٨ ص ١٢٩ - ١٤٠) (١٠) انظر :

W. M. Flinders Petrie, The Wisdom of The Egyptians, p. 89.

بالهندسة وقياس الاحجام ، كما يمكن للباحث أن يقول بحق ، انها تدل كذلك على احاطة بالهندسة الوصفية (قياس الاحجام) ذلك أنه لم يكن كافيا أن تحل مثل هذه المشاكل بطريقة عامة ، لانه يجب ارشاد قساطع الحجر الى الطريقة التي يجب اتباعها في قطع كتل الحجر الجيري ، وربما خللت تلك المعرفة تجريبية غير مرتبة ترتيبا ثابتا (١١) .

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب ، في أن اقامة مثل هذه الابنية الضخمة مذ ما يقرب من خمسين قرنا مضت ، إنما يثير مشاكل فنية متعددة لم يتضح كثيرا منها حتى الان ، فلا يزال مما يثير الفكر مثلا : كيف تمكن المعماريون على أيام خوفو ، صاحب الهرم الاكبر ، من ابتكار تصميم لهذا البناء ، وكيف تمكنت رعيته من اقامته ، ذلك أن أدواتهم الهندسية — بالغة ما بلغت من التقدم بالقياس الى أدوات الشعوب المعاصرة — كانت درجات كثيرة دون أدواتنا في القرن العشرين بعد الميلاد .

والواقع أن اهرام الجيزة عجيبة جدا ، لدرجة أن بعض العلماء الذين حاولوا كشف أسرارها وقعوا فريسة لنوع من الجنون ، فنسبوا الى بنائها من المصريين القدامى ، أغراضا سحرية وميتافيزيقية ، ومعرفة بالغيب ، يستحق صاحبها من الاعجاب ما يفوق الاعجاب بالمقدرة الهندسية التي توفرت دون شك لديهم (١٢) ، وعلى أية حال ، فلقد بنيت الاهرام وما هي قائمة في الصحراء ، وهي أضخم حقائق العصور القديمة ، وأبلغ شاهد حتى اليوم على مقدرة بنائها ، وربما ظلت باقية بعد زوال معظم الابنية التي يفخر بها الانسان في العصر الحديث .

وأيا ما كان الامر ، فالهرم الاكبر ، بكل المقاييس الهندسية ، ليس

(١١) جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩٨ - ٩٩ ، وانظر :  
M. Baud, Les dessins chauchés de la Necropole Thebaine  
au temps du Nouve Empire, IFAO, 1935.

(١٢) انظر : محمد بيومي مهران : مصر ١٩٢٢/٢ - ١٩٤ ، وكذا  
J. P. Lauer, Le Probleme des Pyramides d'Egypte, Paris, 1948,  
p. 113-160.

هو أعظم ما شيده المصريون من نوعه فحسب ، بل هو انما يمتاز أيضا بذلك الاتقان المميز في هندسته ، والدقة في تخطيطه وجمال نسبه ، ومن ثم فقد كان ، وما يزال ، أهم عجائب الدنيا السبع ، لانه ، دونما ريب ، من المعجزات البنائية البشرية ، وليس من شك في أن رجال العمارة في العصر الحديث ، بكل ما أوتوا من أدوات ووسائل ، سوف يشفقون على أنفسهم أشد الاسفاق — وقد يترددون ، وربما يحجمون — أن نحن طلبنا اليهم أن يبنوا لنا هرما مثل هرم خوفو ، بالرغم من افادتهم من تجارب عصور قاربت آلافا خمسة من عمر الزمان ، ويقال أن اليابانيين فعلوها ، فلم يفلحوا (١٣) .

وليس هناك من ريب في أن «المسلات الجرائمية» انما هي دليل آخر على عبقرية المهندس المصري والتي لم نستطع التعرف عليها حتى الان ، ورغم ما كتب عن المسلات ، فما زال العالم يجهد أمور كثيرة ، لعل منها ، على سبيل المثال ، ما هو نوع الأدوات التي استعملها المصريون في قطع الصخر البالسج الصلود ؟ وكيف نقشتم النصوص الهيروغليفية الطولة المعقدة على حجر الجرانيت الصلد ؟

هذا ويعد التحديد الواضح في أضلاع المسلة المصرية المقلمة في باريس على مدى أنقطة العمارة المصرية كما تدل القامة المسلة نهائيا في العصور القديمة (منذ حوالي ٣٥ قرنا) على عطفية هندسية بلغة الدقة ،

(١٣) محمد بيومي مهران : مصر ١٩٠٢ ، هيروودوت يتحدث عن مصر ص ٢٥٢ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ٩١ .  
وعن بناء الاهرامات : أنظر :  
أحمد فخري : الاهرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣ ص ١٧ - ٣٤ ،  
محمد أنور شكرى : العمارة في مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٠ ص ٢٧٥ -  
٣٥٨ ، محمد بيومي مهران : مصر ١١٣/٢ - ١١٨ ، ١٣٩ - ١٤٠ ،  
١٨٧ - ٢١٢ ، وكذا

W. M. F. Petrie, The Pyramids and Temples of Giza, London, 1883, p. 163 F.

J. E. S. Edwards, The Pyramids of Egypt, London, 1965. وكذا

S. Cyarke and R. Engelbach, Ancient Egyptian Masonry, London, 1930, p. 117-129.

مما يجعل المرء يتساءل : هل جرب المصريون هذا العمل في نماذج صغيرة  
أولا ، لكي يحددوا وزن المسلة ومحور ارتكازها واختبروا كذلك عملية  
الاقامة ليتحاشوا احتمالات الفشل ؟

وهناك في محاجر أسوان تركت مسلة في مكانها ، كانت تبلغ ١١٦٨  
طنا في وزنها ، لو أنها قطعت ، ومعنى ذلك أنه كان في استطاعة المصريون  
أن يقيموا مسلات أضخم كثيرا مما هو معروف لنا في الغرب (مسلات  
اللاتيران والفساتيكلن وباريس ولندن) وفي نيويورك ، بدليل أن مسلة  
أسوان أثقل ست مرات من مسلة لندن ، ومع ذلك فقد تحدث الناس عن  
أعمال «لوفاتانا» عام ١٨٥٦م ، و «جورنج» عام ١٨٨١م ، وكأنها أعجوبة  
الاعجاب ، مع أن الرجلين لم يفعلا شيئا أكثر من تكرار جزء من العمل  
الذي سبقهما إليه المهندس المصري منذ آلاف السنين .

وعلى أية حال ، فلقد تضمنت مواضيع الهندسة المصرية طائفتين من  
المسائل : طائفة عملية يسيرة الحل والتطبيق ، اهتمت باستخراج المساحات  
والابعاد والحجوم ، ودلائف نظرية تطلب نصيبا من التخصص والمهارة .

هذا وقد تضمنت كراسات التلاميذ في التمرينات مسائل المساحة ،  
كمساحة المستطيل والمثلث والمثلث الناقص والدائرة ، ومساحتها ( ٤ )  
من قطرها ، أى أن مساحة الدائرة تنص تسعا عن مساحة المربع المساوى  
لها في أبعاده ، بمعنى أن مساحة الدائرة التى يبلغ قطرها ٩ ، تساوى  
مساحة مربع يبلغ طول ضلعه ثمانية فقط ، هذا وقد مارس القوم طريقة  
أخرى ناضجة في حساب الدائرة ، لم يدونوا تفاصيلها ، ولكن بعض  
الرياضيين المحدثين :أولا من تطبيقاتها العملية في الآثار المصرية الباقية ،  
أن نسبتها التقريبية لم تختلف عن النسبة المحلية غير اختلاف ضئيل ،  
وكانت تعادل ٣١٦٥٥ عوضا عن ٣١٤٢٨ الحالية .

وفي مساحة المثلث اتبع المصريون القدامى نفس النظرية الميسرة التى  
نهتدى بها حتى الآن ، وهى ضرب نصف قاعدته في ارتفاعه ، وبرروا  
نظريتهم بأن مساحة المثلث تساوى نصف مساحة المستطيل المشترك معه

في أبعاده ، وصاغوها صياغة عملية فقالوا : «إذا قيل لك أن مثلثا بلغ ارتفاعه العمودي ١٥ ، وقاعدته ٤ ، وطلبوا مساحته ، فهكذا يكون العمل : استخراج نصف الاربعة ، أي ٢ ، ثم اعتبر الشكل مستطيلا ، واضرب  $10 \times 2$  = استخراج المساحة» ، أي أن مساحة المثلث = القاعدة  $\times$  الارتفاع

٢

وأما في المثلث الناقص فكانت تحل مسائله على أساس :

القاعدة العليا + القاعدة السفلى  $\times$  الارتفاع = ثم يقسم الحاصل

على ٢ .

هذا وقد بلغ المصريون القدامى الذروة في تقدير حجم الهرم الناقص ، وابتدعوا له نظرية رياضية سهلة التطبيق ، تكاد تكون مسورة أصلية لنظريته الرياضية المأخوذ بها حتى الآن وهي :

(مربع القاعدة العليا + مربع القاعدة السفلى + القاعدة العليا  $\times$  القاعدة السفلى  $\times$  الارتفاع + ٣)

ويبدو أن كثرة التطبيقات العملية على أشكال الهرم الناقص ، في أعمال المهندسين المصريين هي التي ساعدتهم على ابتداع نظرية تقدير حجم الهرم الناقص البارعة ، فكثيرا ما كانوا يضطرون الى تقدير حجوم المسلات التي تشبه في هيئتها الهرم الناقص ، قبل وضع الجزء العلوي ذي الشكل الهرمي المدبب عليها ، لمعرفة وزنها التقريبي ، وتقدير مايلزم لها من رجال وأدوات لنقلها من محاجرها في أسوان ، والأبحار بها على متن النيل ، ثم اقامتها في مواضعها .

وقد وجدت في بعض المخطوطات مسائل تشير الى استخراج الزوايا والارتفاعات المموجية وهي مسائل متقدمة تشير الى مرحلة تفحص — على الاغلب — طبقة من المتعلمين الذين قطعوا مرحلة بعيدة ، ويمزج تخرجهم في العلوم الهندسية وممارستهم لها ، فمنها مثلا مسألة تتطلب تقدير الارتفاع العمودي لشكل هرمي ، بعد تقديم طول قاعدته وزاويته ، وان كانت النتائج لم تكن دائما سليمة ، وخاصة فيما يتصل بالمساحات .



وأيا ما كان الامر، فلقد كانت الهندسة المصرية موضع تقدير الاغارقة  
 فرغم أنهم قد توصلوا الى نظريات رياضية جديدة بارعة ، منذ نشأت  
 مذاهبهم الرياضية في أواخر القرن السادس قبل الميلاد، غير أن مؤرخيهم  
 وغلاسفتهم لم يترددوا في اعتبار الرياضيات المصرية أصلا لبعض  
 نظرياتهم وقوانينهم ، فلقد روى الفيلسوف الآثيني «افلاطون» عن  
 أستاذه «سقراط» (٤٦٩ - ٣٩٩ ق م) أن المعبود المصري «تحتوت» إنما  
 كان أول من اخترع نظام العد والهندسة والفلك ، وأكدت الروايات  
 الانثريقية أن «طاليس» إنما كان من أقدم من نقلوا أصول الهندسة  
 المصرية الى اليونان ، وأنه علم تلميذه «بيتاجوراس» كل ما يعرفه عنها،  
 ثم وجهه الى مصر ليتم دراسته الرياضية مع علمائها وكهنتها .

هذا وقد دعا «افلاطون» «حوالي ٤٢٧ - ٣٤٧ ق م» أحرار قومه  
 الى أن يتعلموا ما يتعلمه الناشئ المصري من فروع المعرفة ، وقد روى  
 لهم أن مصر جعلت تعليم الحساب متعة وتسرية ، وأن معلمها كانوا  
 يوزعون على تلاميذهم ثعلا وأزهارا ، ويطلبون منهم توزيعها على أفراد  
 يزيدون عنها في العدد تارة ، وينقصون عنها تارة أخرى ، ثم يوزعون  
 عليهم صحافا تتضمن أوزانا من ذهب ونحاس وفضة ، ويطلبون منهم أن  
 يستعينوا بها في تمارينهم الحسابية ، وبهذه الوسائل - كما روى  
 «افلاطون» يتزود التلميذ المصري بخبرة حسابية طيبة ، يستعين بها في  
 ادارة شؤون أسرته ، وفيما يسند اليه من أعمال حسابية في مستقبل  
 حياته الوظيفية ، كان يقسم أرزاق الجنود في الجيش ، أو يقسم أرزاق  
 العمال في المشروعات الكبيرة .

وانتهى الفيلسوف الآثيني (افلاطون) ، فعاب على معاصريه من  
 المفكرين الاغارقة ، ترفههم المصطنع عن الاهتمام بفسرود الحساب  
 وقضاياها ، ثم ذكرهم بفضل المصريين عليهم في معرفة حجوم الاشياء ذات  
 الطول والعرض والعمق ، وتحرير المصريين لهم من كثير مما كانوا يعيشون  
 فيه من جهل وسوء ادراك .

هذا وما زالت الدقة البالغة في المنشآت الهندسية المصرية القديمة ،

من أهرام ومعابد ومسلات ، تشجع بعض الباحثين المحدثين على الاعتقاد بأن ما عرف حتى الآن عن الرياضيات المصرية لا يمثل غير أقلها ، ولا يمثل غير أبسطها ، وهي في نفس الوقت تدل على مدى نضج العقل المصري ، ومدى عبقريته (١٤) .

---

(١٤) عبد العزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية ١/٥٩٢ - ٥٩٧ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٦ .

## الفصل الرابع

الطب

كان للطب في مصر الفرعونية شأن عظيم ، كما كان الاطباء يتمتعون بمكانة مرموقة في المجتمع المصري القديم ، وكان ينظر اليهم نظرة ملؤها التقدير والاحترام ، كما كانت لهم شهرة ملأت أسماع الدنيا ، فلجأ اليهم الحكام والامراء من كل مكان ، يلتمسون عندهم البرء والشفاء ، فنذكر منهم على سبيل المثال الملك الفارسي الذي بعث الى فرعون يلتمس منه ان يأذن لأحد أطباء العميون من رجال بلاطه بالسفر الى فارس لعلاجه .

ويقول هيروdot : «ان المدارس الطبية في مصر كانت في منتهى الشهرة ، والسمعة الطبية الطيبة ، كما أن رجال الطب الذين تخصصوا في مختلف فروعها كان لهم سميت ذائع ، وأن الملوك والامراء والعظماء في البلاد الاخرى كانوا يستدعونهم لعلاجهم» .

وجاء في «الاولهيسية» أن رجال الملن الطبية في مصر على أعلى درجة من الذكاء الذي لم يصل اليه شعب من الشعوب» .

ثم يتحدث هيروdot عن تخصص المصريين في فروع الطب المختلفة ، فيقول : «ويُنقسم الطب عندهم الى الفروع التالية : لكل مرض طبيب تخصص فيه ، ويلادهم كلها غاصة بالاطباء ، بعضهم متخصص في العميون وبعضهم في الرأس وبعضهم في الاسنان ، وبعضهم في الامعاء ، وبعضهم في الامراض الخفية» (١) .

وهناك من تراث المصريين بين أيدينا الان كتب في الطب تدل محتوياتها على معرفة في هذا العلم أذهلت أئمتة في العالَم الحديث ، ذلك لانها حوت الكثير من النظريات الصائفة ، والوان العلاج الناجحة والجنبة على ملاحظت واقعية وخبرات عملية ، والمام كبير بالتشريح ووظائف الاعضاء ، والواقع أن ممارسة المصريين للتصنيف قد بصرتهم بطبيعة الجسم وأسارره ، ولقد يعاب على الطب في مصر الفرعونية أنه كان

(١) هيروdot يتحدث عن مصر ص ١٦٠ - ١٦٢ .

مشوباً ببعض الخرافات والتعاليم السحرية التي ترمى الى التخلص من  
الارواح الشريرة ، وتلك أمور لم تتخلص منها الدنيا حتى يومنا هذا (٣) .

## ٢ - الطب والسحر

اختلف علماء السلالات في النحو الذي تبعه الطب في أول أمره ،  
فمنهم من رأى أنه بدأ عملياً تجريبياً تابعا لمقتضيات الحياة اليومية ، وأنه  
لم يصطبغ بالطابع السحري أو الدينى ، الا عندما استيقظ ذهن الانسان  
فبدأ يتأمل فيما يحيط به ، على أن هناك فريقاً آخر انما ذهب الى أن  
الطب قد بدأ بالسحر والشعوذة ، قبل أن يصنف الملاحظات الواقعية .

غير أن المصرى القديم - على عكس الاغريق - كان بعيداً عن التفكير  
فيما وراء الطبيعة ، وعن النظريات الافتراضية ، واعتمد في تشييد  
حضارته على تكديس الملاحظات الواقعية والافتادة منها ، فأضاف بذلك  
خبرة عملية الى فطنته الغريزية ، سرعان ما أدتا الى تناقض فى أساليب  
تفكيره ، لبقاء رواسب مختلفة من الفكر العتيق شابت ما حققته نزعة  
التجريبية ، وهذا المزاج العجيب سنفادفه كثيراً فى دراسة الطب المصرى  
القديم (٣) .

وفى الواقع فلقد كان التعرف على التطبيق التجريبى من غير شك فى  
أول الامر ، ألجأته اليه الضرورة وتوارثته الاجيال فزادت عليه وأضافت  
اليه ، وكانت التفرقة بين العلاج الطبى الصحيح وبين السحر عسيرة ،  
فكان المرض من صنع الارواح يتطلب رقياً ، الى جانب الدواء ، ومن ثم  
فقد كان الكاهن هو الطبيب الذى يباشر العلاج الطبى بالسحر والرقى  
والتعاويذ ، الى جانب ما يشير به من عقاير وأدوية ، بل انه كان يظن  
أن أعضاء الجسم تقع تحت تأثير بعض المعبودات ، فالاله «نو» للسحر ،  
و «رع» للوجه ، والالهة «حتحور» للمعينين ، والاله «أنوبيس» للشفتين ،

(٢) أحمد بدوى ومحمد جمال الدين مختار : المرجع السابق ص ٩١  
(٣) بول غليونجى : الطب عند قدماء المصريين - تاريخ الحضارة  
المصرية - العصر الفرعونى ص ٥٢٣ .

و «تحتوت» للاعضاء ٠٠٠ وكانت هناك علاقة وثيقة بين بعض المعبودات  
والمعاقير ، فمثلا كانت «دموع حور» تتحول الى صمغ المر .

وكانت الرقى والتعاويذ تتلى عند تحضير الهواء وتعالطيه ، وتكتب  
أحيانا بنوع خاص من الحبر على البردى ، ثم ينقع هذا في الماء ويشرب  
المريض السائل بعد ذلك ، وعندئذ يقتضى الامر تلاوة تعويذة مطلما :  
تعال أيها الهواء ، تعال واطرده من قلبى ومن أعضائى هذه ، فالرقى  
عظيمة المفعول في الهواء» ، وكانت الارواح الشريرة تسكن جسد الانسان  
ويمكن طردها بتلاوة بعض الرقى أو دهن الجسم ببعض الزيوت .

وكان الى جانب التعاويذ الخاصة التى ينبغى أن تقرأ على المعاقير  
المختلفة لتكسيبها القوة اللازمة ، فاننا نصادف أيضا استعمال الصمغ  
السمرية ، فمثلا عند نزع كل ضماد كان من الواجب أن تتلى الصيغة  
التالية : قد خلص ، قد خلص بواسطة ايزة ، لقد خلصت ايزة حور من  
كل شر ، اقترفه ست عندما قتل أباه أوزير ، أى ايزة ، أيتها الساحرة  
العظيمة ، خلصينى من جميع المساوىء الحمراء ، ومن مرض الآله ومرض  
الآلهة ، ومن الموت ، ومن العدو والمعدة اللذين يمرضانى ، كما تخلصت  
أنت ، وكما ولدت ابنك حور ، لانى دخلت النار ، وفخرجت من الماء» .

وهكذا يمكن القول أن الطب قد ظهر ، أول ما ظهر ، متمشيا مع  
السحر . « والسحر ، أن أردنا ترجمة له من هذه الزاوية هو ، « علاج  
نفسى» ، ربما لم يكن هذا هو ما يقصد بالضبط من ممارسة السحر ، الى  
جانب الطب ، ولكن الاثر واحد ، ذلك لأن السحر هنا — رغم عدم جدواه  
المباشرة — لون من ألوان الايحاء بالشفاء ، وكان يجب أن تتوفر في  
الطبيب السحرة صفات معينة كالمهارة والذكاء أحيانا ، أو تعرضه لاصابات  
معينة كالصرع — وهو من الظواهر التى كان يشفى عليهم تطليها ،  
فيخالونها روحا تمسه تستطيع الاشفاء — أو غير ذلك ، ومن أجل ذلك  
نرى ارتباط الطب بالكهانة في أول الامر ، ولما طغت في الوقت نفسه  
بحجاب من السرية ، لا ينفذ اليه الا المختارون .

ومع ذلك كله ، فلذى لا جدال فيه أن تراث المصريين الذى بين أيدينا من كتب « وما ضمت من معرفة بالامراض وتشخيصها والقيام بعلاجها ، ثم من أدوات الجراحة وطرق استعمالها ، انما يدل على تقدم المصريين فى الطب عامة » وفى فن الجراحة بخاصة — من بتر وجبر وخلع وختان وغير ذلك — تقدما لم يسبقهم فيه سابق ، ثم هم قد مهروا ، فضلا عن ذلك ، فى الطب الباطنى ، ووصفوا الكثير من الامراض وصفا دقيقا يعتمد على الخبرة ، ويتسم بدقة الملاحظة ، بل يدل على قدرتهم على تشخيص الامراض ، على أساس فهمهم العميق لوظائف أعضاء الجسم والمأمهم بالتشريح ، ثم هم قد عشقوا فنون الطب كافة ، فلم يقفوا فى جهودهم فيه عند حد ما قدمنا بل هم حاولوا معرفة نوع ما تحصل الانثى من جنين ، كما توصلوا الى علاج تسويس الاسنان بالحشو ، وشد غير الثابت منها الى جاراته بأسلاك من ذهب ، كما اعتمدوا فى العلاج بوجه عام على الجراحة ، الى جانب استخدام العقاقير والمراهم وممارسة التدليك بمختلف أنواع الزيوت ، كل ذلك فضلا عن الاستعانة بالرقى والتعاويذ ، كما فعلت بقية شعوب الارض .

وفى الحقيقة فان تفوق المصريين القدامى فى علوم الطب أمر معروف ، وقد وصلت اليينا برديات كثيرة تدل بوضوح على تعمق المصريين فى شئون الطب وتنوع دراساته ، فهناك الطب البيطرى ، وهناك الطب الباطنى ، وطب أمراض النساء ، وطب الجراحة ، وطب العيون ، وطب الاسنان ، ومن ثم فلا غرو ان امتلات البلاد فى العصور المتأخرة من التاريخ الفرعونى بمرآكر طبية ، كان يهرع اليها المرضى طلبا للشفاء ، بل ان فى وسعنا أن نقول أن وسائل العلاج قد انتقلت من المصريين الى اليونان ، ثم الى الرومان الى عصرنا الحاضر ، ولا تزال حتى الان نجترع فى ثقة ، واطمئنان كثيرا من الادوية التى خلطها أطباء هذا الشعب العريق ، الذى عاش على ضفاف النيل منذ خمسة آلاف سنة (٤) .

(٤) نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٥٧ ، أحمد بدوى وجمال مختار : المرجع السابق ص ٩١ ، محمد بيومى مهران : مصر ١٢١/٢ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١١ .

لا ريب أننا لسنا في حاجة الى تأكيد قدم الطب المصرى ، ففى كل الحضارات يتطور الطب مبكرا ، لان الحاجة اليه عامة ملحة دائما ، بحيث لا يمكن اغفالها فى أية بقعة من بقاع الارض ، وليس هناك من شك فى أن المصريين قد مارسوا نوعا من الطب منذ اقدم عصور ما قبل التاريخ . فاستعمال الملاخيت — كحلا وطلاء للعين — مثلا انما يرجع الى عصر البدارى<sup>(٥)</sup> ، وأن استعمال «الجالينا» (خلهم الرصاص) لاغراض مشابهة جاء بعد ذلك فى عصور ما قبل الاسرات أيضا ، وكان الفئان طقسا من طقوس المصريين منذ عصر سحيق طلت عليه آثاره فى اللجث التى استخرجت من مقابر عصور ما قبل التاريخ (أى منذ حوالى عام ٤٠٠٠ ق.م)<sup>(٦)</sup> .

هذا ويشتر فى أكثر من مكان الى أن أول واضح لمجموعة دراسات طبية انما هو الملك «أثوثيس» ابن الملك «مينا» (منى) مؤسس الأسرة الاولى المصرية (حوالى عام ٣٣٠٠ ق.م) ، وأن من بين ما وضعه من كتب ، كتاب خاص بالمعتقدات الطبية ، وأن الملك «اوزيفايوس» حتى تقديما كبيرا فى علم التشريح .

غير أن اقدم طبيب مصرى معروف باسمه انما هو «ايمحوتب»<sup>(٧)</sup> ، وزير الملك «زوسر» ثانى ملوك الأسرة الثالثة (حوالى عام ٢٧٠٠ ق.م) ،

(٥) أنظر هن «عصر البدارى وحضارته» : (محمد بيومى مهران : مصر ٢٤٧/١ - ٢٥٧ ، وكذا

G. Brunton and G. Caton-Thompson, The Badarian Civilisation and Predynastic Remains Near Baddri, London, 1928.

(٦) جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١١ - ١١٢ .

(٧) وند «ايمحوتب» ، على الأرجح ، فى بلدة الجبلين ، على مبعده ١٨ كيلا شمالى أسنا ، بمحافظة قنا ، وطبقا لنقش من وادى الحمامات يرجع الى الفترة ما بين عامى ٤٩٥ ، ٤٩١ ق.م ، فان اسم والد ايمحوتب هو «كا - نفر» ، وكان يعمل مديرا للاعمال فى مصر العليا والسفلى ، واسم أمه «خردو - عنخ» ، كما كانت زوجته تدعى «نفر - نبت» (محمد بيومى مهران : ١١٨/٢ - ١١٩) .



وكان «ايمحوتب» عالما وفلكيا وطبيبا ومهندسا معماريا وكبيرا لكهنة أون (هليوبوليس) ، وصار في العصور التالية معبودا عند المصريين ، باعتباره بطلا وطبيبا منزها عن كل شائبة ، ثم عبده بعد ذلك باعتباره الها للطب وأصفوا صفاته على «اسكليبيوس» ، ذلك أنه في القرن السابع قبل الميلاد زاد اتصال المصريين بالآغسارقة ، وعندما وقف الآغريق على كتابات «ايمحوتب» في علوم الطب أبوا أن يصدقوا أن مثل هذا النابغة يمكن أن يكون بشرا ، كسائر الناس ، فألهوه واعتبروه ربا للشفاء ، كما اعتبروا أماكن عبادته من الأماكن التي يحج إليها المرضى ليكتب لهم الشفاء .

وفي عام ٣٢٣ قبل الميلاد ، جلس ملوك البطالمة على عرش الكنانة ، وقد حاولوا — ما استطاعوا الى ذلك سبيلا — أن يظهروا أمام المصريين كفراعة ، وتجدوا للالهة المصرية ، وكان «تحتوت» واحدا من هذه الإلهة ، وقد عبده تحت اسم «هرمس» الاله الآغريقي ، وبالتالي فقد عبدا «ايمحوتب» كصورة من صور «تحتوت — هرمس» ، ثم سرعان ما أدخلوا عبادة الهمم «اسكلاب» (اسكليبيوس) رب الطب ، الى مصر ، وتكون في النهاية معبود مصري — بطلمي، ميلور في عقيدة الناس الهمينة على العلوم والمعارف هو «تحتوت — ايمحوتب — هرمس — اسكلاب» ، ولعل أهم ما تبقى من صفات هذا المعبود صلته الكبيرة بعلوم الطب .

ومع أننا لا نعرف الا القليل عن معلومات ايمحوتب<sup>(٨)</sup> الطبية ، غير أن تاليه القوم له انما ينطوى على معان واضحة ، تجعلنا مطمئنين الى تقدير المصريين له بأنه أول رجل عظيم في الطب ، وينبغي أن يذكر أولئك

(٨) انظر عن : ايمحوتب (محمد بيومي مهران : مصر ١١٨/٢ - ١٢٢ - الاسكندرية ١٩٨٨ ، وكذا

K. Sethe, Imhotep der Asklepios der Egypter, (Uters..., II, 4.) Leipzig, 1902.

J. B. Hurry, Imhotep, The Vizier and Physician of King Zoser, and afterward The Egyptian god of Medicine, London, 1928.

P. Gilbert, L'Histoire et la Légende d'Imhotep, Brussel, 1949.

F. Daumas, Le Vivification de L'Egypte Pharaonique, Paris, 1956, p. 71-73.

المذنبين يزعمون بأن «هيبوقراتيس» أبو الطب ، إنما يجيء في منتصف  
 الفترة الزمنية بين ايمحوتب وبيننا ، وفي ذلك ما يكفي لتعديل منظورهم  
 الى المعلم القديم ، وكما يقول الدكتور محيي الدين الخرادلى — أستاذ  
 الجراحة بجامعة الاسكندرية — «إن طب الاغريق لم يكن مستحدثا ، بل  
 اقتبس كثيرا من الطب المصرى القديم ، حتى أنه يمكن اعتباره امتدادا  
 له ، فلو أن أقدم بردية طبية كتبت حوالى عام ١٩٠٠ ق م ، فإن الدرجة  
 التى بلغتها إنما تدل على تطور طويل المدى يرجع على الاقل الى حوالى  
 عام ٣٠٠٠ ق م ، مما يجعلنا نجزم بأن الطب قد نبع من وادى النيل ،  
 ومن ثم فيجب أن نعتبر مصر — وليس اليونان — هى منبع الطب ، وأن  
 ايمحوتب — وليس اسكليبيوس — هو عبقرى الطب وسيدته» (٩) .

هذا وتحتفظ المتاحف العالمية فى كل من باريس وليدن ولندن وبرلين  
 وتورين ببعض البرديات الطبية التى ألفت الضوء على دراسة الطب عند  
 المصريين القدماء ، وقد أخذت هذه البرديات اسمها من أسماء المذنبين  
 حصلوا عليها ، أو أسماء الاماكن التى توجد فيها الآن ، ومن ثم فقد  
 اطلق عليها أسماء كاهون وادوين سمث وبييرس وهرست وبرلين  
 وتشستر بيتى وكارلزبرج ، وهناك مخطوطات أخرى فى مجموعات فردية ،  
 وهى للمائف ثاقوية ، ثم هناك — من هذه الاوراق — تلك الثروة التى  
 لا تزال دليانة فى أرض مصر الطيبة .

وكانت عملية النسخ تتم على يد الكتاب المعترفين ، وليس عن طريق  
 الاطباء ، وكانت تلك المخطوطات كثيرة التداول ، كما يظهر من بعض  
 العبارات الواردة على الهوامش مثل «جربت هذا ووجدته مفيدا» أو  
 «هذا طيب» ، مما يدل على أن المخطوط منقول بحذافيره وهوامشه من  
 غيره ، إذ أن تلك الهوامش مدونة بخط الناسخ نفسه ، وافتحدها الآن  
 عن أهم البرديات الطبية : (١٠)

(٩) محيي الدين الخرادلى : محاضرة نشرت فى سجل المحاضرات  
 العامة للموسم الثقافي ١٩٥٧/٥٦ لجامعة الاسكندرية .  
 (١٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية — العصر الفرعونى  
 ٥٢٤/١ — ٥٢٥ .

## ١ - بردية ادوين سمث الجراحية :

ترجع بردية ادوين سمث الجراحية هذه الى منتصف القرن السادس عشر قبل الميلاد (حوالى عام ١٥٥٠ ق م) ، وقد اشترها «ادوين سمث» (١٨٢٢ - ١٩٠٦م) عام ١٨٦٢م من مدينة الاقصر ، وهى الان فى حيازة الجمعية التاريخية فى نيويورك ، حيث ظلت تفصيلات محتوياتها مجهولة ، حتى قام بنشرها وترجمة نصوصها العالم الامريكى «جيمس هنرى برستد» فى عام ١٩٢٢م ، ثم طبعت مرة اخرى فى عام ١٩٣٠م كما قام الاستاذ الدكتور محمد كامل حسين بنقل هذه البردية الى اللغة العربية ، واعتبرها نقطة التدول فى تاريخ الطب بين فن العلاج وعلم الطب ، وكان طولها فى الاصل نحو ثمانية أمتار ، لم يبق منها الا ٤٠٨م تحتوى على ٤٦٩ سطرا .

وتحتوى على كتاب الجروح الذى يرجع اليه اهميتها الفائقة ، وعلى ظهرها دونت اشارة لعلاج امراض المستقيم وكتابة عنوانها «لابعاد هواء الطاعون» تزخر بالتعاويذ ، واخرى لمرهم يعيد الشبلاب الى الشيوخ .

ويشمل الجزء الاول من البردية ٤٨ مشاهدة واقعية فى جراحة العظام والجراحة العامة ، مقسمة تبعا لتقسيم جسم الانسان من الرأس فالانف والفك وغقرات الرقبة وغقرات الظهر والاضلاع والمصدر والترقوة والكتف واللوح واليدين حتى العمود الفقري ، ومن المرجح انه كان يشمل كل اجزاء الجسم ، حيث أن آخر مشاهدة فيه ، وهى الخاصة بالعمود الفقري ، تفتتم بعبارة ناقصة .

ورغم ذلك فان البردية تمتاز بأنها تتناول حالات معينة بالوصف الاكلينكى الحقيقى بلمتبدأ بالعنوان ثم الكشف والتشخيص وطريقة العلاج ويقدم الدكتور الخردلى الحالتين السادسة والحادية والثلاثين كمثلين للوصف الاكلينكى الحقيقى :

اما الحالة السادسة فقد جاء فيها : «اذا قمت بالكشف على رجل عنده جرح فى رأسه مخترقا الى عظامه ، ممشما بجمجمته ، فاتحا مخه ،

فادخل أصبعك في الجراح ، فإذا تحصست هذه التلاصيف التي تشبه  
النحاس المصروب، وشعرت بالانتفاضات تحته أصبعك تشبه الانتفاضات  
التي تجدها في تمبة رأس الوليد قبل أن يتم نموها ، ولن تجد هذه  
الانتفاضات إذا لم يكن المخ قد فتح ، وستجد الدم يخرج من فتحتي  
أنفه وعنقه متيسرا ، كانت هذه حالة جرح في رأس هثمت جمجمته  
وفتحت مخه .

وأما الحالة الحادية والثلاثون : فعالة شكل رباعي جاء فيها : «إذا  
قمت بالكشف على رجل عنده خلج في فقرة رقبتة ووجدته لا يحس  
بذراعيه وساقيه ، وذكره منتصب يسيل منه دون أن يشعر ، فإن خلجا  
في فقرة رقبتة هو السبب في أنه لا يشعر بذراعيه وساقيه ، أما إذا كان  
الخلج في الفقرة الوسطى من العنق انساب المري من ذكره .

وفي الحالة الخامسة والأربعين ، وهي حالة سرطان الثدي فراه يقول:  
«إذا قمت بالكشف على رجل عنده ورم في يديه ، فإذا وجدته كبيرا ممتدا  
سلبا كالفاكهة المفجة ، فقل هذا ورم ساكدهه ، ولكن ليس له علاج» ،  
وفي الحالة السادسة والعشرين ، وهي حالة ظم الفك الأسفل يقول :  
إذا فصمت رجلا في فكه الأسفل خلج ، وكان الفم مفتوحا لا يستطيع  
أن يخلقه ، فضع إبهاميك على طرفي فرعي الفك من الداخل ، وأصابع  
اليدين تحت اللقن ، ثم أرفعه إلى الخلف ، فيعود إلى مكانه» .

ويمتاز هذا الجزء الأول من البردية بدقة الملاحظة والمخو «ن  
النظريات والسحر والشعوذة التي تترخر بها المؤلفات الأخرى ، وربما  
كان ذلك لأنه يتناول جروحا، يسببها فعل خارجي معروف ، لا أمراضا ذات  
أسباب خفية يمكن إرجاعها إلى الأكلة والأرواح ، ويذهب «برستد» إلى  
أن هذا الجزء من البردية إنما هو أقدم ما كتب عن الجراحة في العالم  
كله ، وقد أحدث ضجة كبيرة في المجال الطبي عند ظهوره ، هذا فضلا عن  
أن المختصين في تاريخ الطب إنما يعتبرونه نقطة التحول بين من العلاج  
وعلم الطب ، ذلك لأن محتويات البردية إنما تثبت أن مؤلفها لم يكن  
شخصا يؤمن بالسحر أو الكهانة ، بل كان طبيبا يراقب مرضاه الليالي

الطوائف ، ويرقب ويوب ما يلاحظ عليهم أثناء المرض ، بل انه كثيرا ما كان يشرح الجسم بعد الوفاة لمعرفة السبب .

ويذهب الدكتور حسن كمال الى أن عهد تسجيل البردية قديم ، ذلك لان أسلوبها وقواعدها اللغوية انما ترجع الى عهد الدولة القديمة ، ولعله في ذلك انما كان متأثرا بما ذهب اليه «برستد» من أن كاتب البردية ربما كان «ايمحوتب» أو غيره ممن تلقوا العلوم عن الكهنة ، على أن هناك من يذهب الى أن كاتب البردية انما كان جراحا عسكريا حصل على معلوماته من إحدى الحروب ، وربما حرب التحرير ضد الهكسوس .

على أن الدكتور محمد كامل حسين — استاذ جراحة العظام ومدير جامعة عين شمس السابق — انما يذهب الى أن كاتب البردية (وكان قد نقلها الى العربية) لم يكن أبدا جراحا عسكريا ، ذلك لان ظروف الحرب لا يمكن أن تسمح بملاحظة الجريح مدة كافية ، والاشراف الكامل على تطور حالته ، ولما كانت الاصابات المذكورة في البردية من النوع الذي قد يتسبب عن سقوط من ارتشاع شاق ، فقد بدأ مؤلفها ، كما لو أنه قد عاصر بناء أهد الاهرامات التي كان يستغرق تشييد الواحد منها ما يقرب من ثلاثين عاما ، والتي كان العمال يصابون بلاثك أثناء الحمل بها باصابات مختلفة ، وبما أن هذه الحوادث كانت تقع في أزمنة متباعدة يسمح تباعدها بالتأمل والتأويل ، وتتبع حالة كل مصاب ، فان الدكتور محمد كامل حسين انما يرجح أن يكون مؤلف البردية قد اشترك في بناء أحد هذه الاهرامات .

هذا ويعدد لنا الدكتور بول غليونجى — الاستاذ بجامعة عين شمس سابقا — الأوجه الجديرة بالاعجاب في هذه البردية ، والتي منها (أولا) معرفة بالتشريح غير ميسورة في ذلك الزمن ، فان اللفظ الدال على «المخ» ورد بها — لأول مرة في التاريخ — في عهد لم يكن فيه لهذا العضو تسمية في أية لغة من لغات العالم ، كما ورد ذكر الكيس المنغلف له ، وفي هذا إشارة صريحة للام الجافة والام الحنون ، وهما غشاء المخ ، أما المنبذ الخاصة بالعظام والفقرات فهي عديدة ، ومنها (ثانيا) الدقة في

اللدغص ، وصحة تفسير العلامات الاكلينيكية ، الامر الذى لا يمكن تحقيقه الا بمعرفة سليمة لقواعد فسيولوجية أساسية ، فلقد عرف صاحب البردية معنى تفرقة العظام تحت اليد ، واستعان بها في التفرقة بين الكسر والجزع ، الذى قلل عنه بحق انه اصابة للاربطة ، دون تغير في وضع العظام .

ومنها (ثالثا) الاهمية المقصوى التى أعيرت للنبض في معرفة حالة المريض وحالة القلب ، وقد جاء في أول الكتاب نبذة طويلة عن الشرايين والنبض ومط جسمه ، ومن عباراتها التى أثارت بعض الجدل : « ان فحص المريض يشبه (عد أو قياس) مرض شخص لمعرفة وظيفة قلبه» ، وقد رجح «برستد» أن هذا التطبيق انما يشير الى عد النبض ، فاذا صح ما ذهب اليه «برستد» ، فسان صاحب البردية يكون قد سبق «أبقراط» (٤٦٠ - ٣٧٠ ق.م) ، والمعروف بأبى الطب ، و«ديموقريط» ، اللذين لم يذكرنا عد النبض ، بألفى سنة أو تزيد ، وقد لا يكون من مجرد الصدفة أن أول من عدده انما كان «هيروفيلوس» والذى عايش في الاسكندرية وزاول مهنة الطب فيها في النصف الاول من القرن الثالث قبل الميلاد ، حيث كانت علاقة القلب بالنبض قد عرفها المصريون منذ حوالي ٢٥٠٠ سنة ، وكانت المزاويل المائية معروفة منذ زمن ، وربما كان عد النبض هذا سرا من الاسرار التى أخفاها اطباء المصريون القدامى عن «أبقراط» وغيره من الزوار الاغريق .

ومنها (رابعا) عدم الاكتفاء بدقة الوصف المصلى للاصابة ، بل الربط بين ظواهر متلازمة في أجزاء متباعدة من الجسم ، تكون منها - لأول مرة في التاريخ - صور اكلينيكية مميزة ، وقد قيل أن «جالينوس» (١٣٠ - ٢٠٠م) هو أول طبيب حقق هذا التقدم في التفكير الطبى ، غير أن طبيبنا العبقري هذا قد سبقه بسبعة عشر قرنا ، ومن أمثلة تلك المتلازمات التى وصفها صاحب البردية ، اصابلت العمود الفقري المصحوبة بالشلل والتبول غير الارادى ، والاستمءاء ، مع تخصيص الاستمءاء باصابة فقرات الرقبة الوسطى ، والربط بين كسور عظمية

الصدغ والصرع ، وبين اصابة ناحية من المخ والشكل النصفى ، ومنها (خامسا) اهتمامه بتتبع أطوار المرض للوصول الى التشخيص وللتكهن بالمال ، ومنها (سادسا) أن صاحب البردية انتقل من التشخيص الى التكهن بالمال ، فيقول : ان مال كسور الجمجمة سيء ، اذا كان المسخ لا ينبض تحت اليد ، أو اذا كان العظم منخفضا داخل المخ ، أو اذا لوحظ تصلب في الرقبة ، أو نزف من الانف أو الاذن أو تحت اللتصمة ، وكلها علامات حدوث مضاعفات معروفة تزيد فعلا من خطورة الاصابة .

ومنها (سابعاً) دقة وصف التدريكات العلاجية ، كوصف كيفية اعادة جزئى التربة المكسورة الى محلها ، وتلك هي الطريقة التى قال عنها عميد المختصين الدكتور محمد كامل حسين : ان العلم الحديث لم يصل الى أحسن منها ، وأنها تؤدى الى درجة تامة من الشفاء ، ومنها (ثامناً) تباين المعدات الجراحية التى كان يستعمل بها المؤلف فى العلاج (١١) .

## ٢ - بردية ايبرس :

تعد بردية ايبرس هذه أشهر البرديات الطبية وأطولها ، وقد عثر عليها فى الاقصر عام ١٨٦٢م ، وعمل عليها الاثرى الالمانى «جورج ايبرس» (١٨٣٧ - ١٨٩٨م) من «أدوين سمث» ثم نشرها عام ١٨٧٥م كما قلم «والتر فرينزسكى» (١٨٨٠ - ١٩٣٩) بنشر أربعة أجزاء من

(١١) أنظر : عن كمال : الداء المصرى القديم ٣٨٧/٤ - ٥٥٦ (القاهرة ١٩٦٤) ، بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٢٥/١ - ٥٢٩ ، محر وطيب - القاهرة ١٩٦٠ ص ٥٣ - ٦٤ ، جورج سارتون : تاريخ العلم ص ١١٤ - ١٢٠ ، احمد فخري : الموسوعة المصرية ١٥٢/١ - ١٥٣ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٥ - ٤٦٦ ، محمد كامل حسين : متنوعات - القاهرة ١٩٥١ ، وأنظر له أيضا :

The Edwin Smith Papyrus, The Oldest Surgical Treatise in The World. J. H. Breasted, The Edwin Smith Surgical Papyrus, 2 Vols. وأنظر Chicago, 1930.

H. Grapowet, Grundriss Der Medizin Der Alten Aegypten, وكذا 1958-1960.

G. Lefebvre, La Medicine Egyptienne de L'Epoque Pharaonique, وكذا 1956.

البردية علم ١٩١٣م ، كما تمام «ب. ابل» عام ١٩٣٧م بنشرها أيضا ، كما قام «هرمان جرابو» وزملاؤه بتحليل هذه البردية وغيرها في دراسة من ثمانية أجزاء (١٩٥٨ - ١٩٦٠) ، كما قالم «جوستاف لونغيفر» عام ١٩٥٦م بدراسة للبردية مع غيرها .

ويبلغ طول هذه البردية ٢٠.٢٣٣ مترا ، وعرضها ٣٠سم ، ونصها في ١٠٨ عمودا ، يحتوى كل منها على ٢٠ أو ٢٢ سطرا ، وقد أهمل الكاتب ذكر الرقمين ٢٨ ، ٢٩ ، بينما أعطى العمود الأخير رقم ١٠ ، وتحتوى البردية على ٨٨٧ وصفة طبية لاثنا عشر نوعا متعددة من الامراض أو أعراضها ، ومنها اثنتا عشرة علاجها الرقى .

ويرجع تاريخ البردية الى القرن السادس عشر قبل الميلاد ، ذلك لانها تحصل تاريخ السنة التاسعة من عهد الملك «أمنحتب الاول» (١٥٥٠-١٥٢٨ ق.م) ، ثانى ملوك الاسرة الثامنة عشرة ، غير أن حراستها من الناحية اللغوية لا تترك مجالا للشك في أن كاتبها قد جمع مادته من عدة برديات طبية من عهد الدولة الوسطى (٢٠٥٢ - ١٧٨٦ ق.م) ، وربما قبل ذلك ، وقد جاء باحدى عباراتها أنها منسوخة في عهد الاسرة الاولى (حوالى ٣٣٠٠ ق.م) ، وجاء بأخرى أنها من عهد احدى ملكات الاسرة السادسة (حوالى ٢٤٢٠ - ٢٢٨٠ ق.م) .

هذا وبردية ايبيرس هذه ليست كتابا طبيا مقسما الى أبواب وفصول ، ولكنها عبارة عن مجموعة مؤلفات وبحوث في مواضيع من أكثر من أربعين مصدرا مختلفا تتناول بعضها وصفات طبية لبعض الامراض وطريقة دئصها ومعالجتها ، ومن بينها عدد كبير من أمراض النساء ، كما نجد فيها الكثير من التعليقات السحرية التى ذكر عنها صنعب البردية أنها تنفع في شفاء بعض الامراض وطرد الارواح الشريرة التى سببتها ، هذا وقد اثبتت دراسة هذه البردية أن بعض أجزاء منها مقتبسة من مؤلف طبي كبير نجد أجزاء منه في برديات أخرى ، مثل بردية أدوين سمث ، وبردية كاهون ، ومعظم ما لقتبس في هذه البردية إنما يتصل بأمراض المعدة



ووظيفة القلب وأوعيته والعمليات الجراحية الخاصة بالاورام والبثور  
والدمامل .

هذا وقد وصلت البردية الى الكاتب منسختها حسب ترتيب وصولها ،  
ويمكن حصرها لاعطاء فكرة عن علم هذا الوقت ومدى التخصص فيه ،  
ويشمل : ١ - توسلات الآلهة ، ٢ - الامراض الباطنة وعلاجها ، وهو  
أول مؤلف في تاريخ العالم يعالج سر الحياة بتأملات فلسفية غير دينية  
أو سحرية ، ولو أنه يرد أغلب الامراض الباطنة الى أسباب روحانية ،  
٣ - وصفات لامراض العيون ، ٤ - وصفات لامراض الجلد وللتجميل  
وللزينة واثماء الشعر ، ٥ - وصفات لامراض الاطراف ، ٦ - وصفات  
مختلفة لعدة امراض في الرأس والاسنان ، ٧ - امراض النساء وعلاجها  
٨ - مؤلفات عن القلب والشرايين ، وهما المؤلفان الوحيدان اللذان وصلا  
الينا في عصر التشريح ووظائف الاعضاء ، ٩ - الامراض الجراحية  
وعلاجها ، وهذا الجزء لم يتناول الجروح ، وانما اقتصر على الاورام  
والخراجيم .

وقد حوت البردية ٨٧٧ وصفة ، بعضها عن كيفية التشخيص وبعضها  
مقرون بالعلاج ، وبعضها اشارات علاجية ، ومن الاوصاف الاكلينيكية  
تعرف «اييل» على خمسة عشر مرضا ، منها التورم والاستسقاء والقيلة  
المائية والجزام ، غير أن علماء اللغة لم يرضوا عن كل ترجماته وتفسيراته  
اذ أن تلك الاسماء لم يصحبها وصف يبرر هذه الترجمة ، مما أدى الى  
أن يذهب البعض الى أنه قد تجاوز الحدود المعقولة في التفسير .

ولنذكر الان بعض الاوصاف الاكلينيكية التي جاءت في البردية :

١ - غفى تطيمت خاصة بورم الاوعية يقول : اذا فصحت وربما  
في الاوعية في طرف من الاطراف ووجدته نصف كروي يتضخم تحت  
يدك كل مرة (أى ينبض) ولكنه اذا فصلته عن بقية الجسم لا ينبض  
وبهذا لا يمكنه أن يتضخم وأن ينكمش ، فقل عنه : انه ورم في وعاء ،  
انه مرض سأعجله ، وان الاوعية هي التي سببته « وقد نشأ عن اصابة  
للاوعية .

وهذا وصف صحيح — كما يقول الدكتور بول غليونجى — لورم شريانى ولعيزاته ، وهو أنه ينبض ، وأن النبض يتوقف إذا فصل بينه وبين الوعاء الاصلى ، كما أن نشأة تلك الاورام من اصابات الاوعية ذكرت صراحة ، وأن وصول النبض اليه من الشريان فوقه عرف أيضا .

٢ — وفي وصف للخبطة الصدرية يقول : اذا تفحصت مريضا بالمعدة يشكو آلام في ذراعه وصدره وناحية من محقه ٥٥٥ فقل بصدده : هذا شيء (أى روح) دخل من فمه ، والموت يهدده .

هذا ولا تقتصر أهمية موسوعة ايبيرس على الاوصاف الاكلينيكية التى جاءت بها ، اذ أنها تعتبر أيضا مرجعا الاساسى فى علم عقاقير المصريين ، وفيما يسمى الان المادة الطبية (١٣) .

### ٣ — بردية برلين الطبية :

حصل على هذه البردية «بسالكا» من مقبرة بسقارة فى القرن التاسع عشر ، ويرجع تاريخها الى أيام الاسرة التاسعة عشرة ، وربما قبل ذلك ، الى عام ١٣٥٠ ق م ، وطولها ١٦ ر ٥ مترا ، وتحوى ٢١ لوحا أو عمودا ، ومتوسط تعداد كل عمود ١١ سطرا ، وهناك ثلاثة أعمدة على ظهرها ، والكتابة غير سليمة ، ومليئة بالاطفاء ، وتحوى البردية شرحا مطولا عن القلب والاعوية ، وهو يماثل ثانى كتابى بردية ايبيرس فى هذا الموضوع ، وان ذيل بنبختين ، احدهما : عن أصل هذه الكتابة ، وهو أكثر تفصيلا مما جاء فى بردية ايبيرس ، وثانيها : تعد امتدادا وتوسعا لما ورد فيها ، ويمكن وضع هذا الجزء فى مستوى أعلى مما جاء فى لفافتى هرست وايبيرس .

(١٢) أحمد فخري : الموسوعة المصرية ١٥٣/١ ، حسن كمال : المرجع السابق ٢٠١/٤ - ٢٨٥ ، بول غليونجى : سحر وطب ص ٤٥ - ٥١ ، تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٢٦ - ٥٢٧ ، جورج سارتون : المرجع السابق ص ١١٢ - ١٢٠ ، وكذا

E. Ebbell, The Ebers Papyrus, Copenhagen, 1937.

W. Wraszinski, The Text of Papyrus Ebers, Leipzig, 1913. وكذا

G. Ebers, Der Papyrus Ebers, 1875. وكذا

N. Riad, la Medecine au Temps des Pharaons, Paris, 1955. وكذا

وأغلب العقلي في بردية برلين هذه نباتية وحيوانية ، وبها بلب عن الروماتيزم ، غير أن البردية مليئة بالاطخاء ومظاهر الإهمال ، وأقل مدعاة للاهتمام ، وقد نقل نصوص البردية من الميراثيقي الى الميروغليفي الدكتور «والتر فريزنسكي» ، كما كتب عنها «جوستاف لوفيفر» ، وكذا «وارن دوسون» ، ثم «هرمان جرابو» وزملاؤه (١٣) .

#### ٤ - بردية تشستر بيتي الطبية :

والبردية محفوظة بالمتحف البريطاني في لندن (برقم ١٠٦٨٦) ، ويرجع تاريخها الى الاسرة الثامنة عشرة وهي عبارة عن ثمانية ألواح وعدد يصوي كل منها ١٤ سطرا ، وبعض العمود الثامن مفقود ، وهي صفيحة الحجم بالنسبة للبرديات الطبية الأخرى ، فبردية ايبيرس تحوي ١١٠ لوحا ، وبردية هرست ١٨ لوحا وبردية برلين ٢٤ لوحا ، وبردية ادوين ٢٢ لوحا ، ولا يبعد أن كان الجزء المفقود منها كبيرا ، وعلى أية حال ، فهي تحوي ٤١ وصفا لأمراض الشرج ، فضلا عن بعض التعاويذ السحرية ، كما يوجد على أحد وجهيها عدد من الوصفات لعلاج أمراض المستقيم (١٤) .

#### ٥ - بردية كارلزيبرج :

وهي عبارة عن قصاصات بردية مهلهلة موجودة بمعهد الآثار المصرية ،

(١٣) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٥٧ - ٥٩١ ، وكذا

II. Grapowet, Grundriss Der Medizin Der Alten Agypter, IV- and IV, II, 1958-1962.

W. Wreszinski, The Text und Translation of Pap. Berlin وكذا  
(3038), 1909.

W. Dawson, Magician and Leech., 1929. وكذا

G. Lefebvre, la Medicin Egyptienne de L'Epoque Pharaonique, 1956. وكذا

(١٤) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٥٦ - ٦٦٥ ، وكذا

A. H. Gardiner, Hieratic Papyri in The British Museum, Third Series : Chester Beatty, 2 Vols, London, 1935.

F. Jonkhoeere, in Papyrus Medical Chester Beatty, in La وكذا  
Medicine Egyptienne, II, 1947.

II. Grapowet, Op-Cit, وكذا

بجامعة كوبنهاجن بلاندانمارك اعنى بها الدكتور «ابشر» ، وعليها نصوص ترجع الى عهد الاسرتين التاسعة عشرة والعشرين ، وربما الى حوالي عام ١٢٠٠ ق م ، ويصوى صدرها وصفات عن أمراض العيون ، تكاد تكون مطابقة لما جاء في بردية ايبيرس ، وأما ظهرها فيصوى وصفات عن أمراض النساء ، كما حوت البردية بيانات عن أنذار الوضع ونوع الجنين تداولتها الأهم فيما بعد ، كما لفت نظر الأثريين والأطباء الآراء العديدة التي أبدأها قدماء المصريين عن الحمل وجنس الجنين ، وأثرها على الطب الأوروبي (١٥) .

#### ٦ - بردية كاهون :

اكتشفت هذه البردية في مدينة اللاهون بالفيوم في ابريل ١٨٨٩ م ، وطولها متر ، وعرضها ٣٢ سم ، ومكونة من ثلاث صفحات ، ويرجع تاريخها الى حوالي عام ١٩٥٠ ق م ، وقد دون على ظهرها حساب من عهد الملك «أمنمحت الثالث» (١٨٤٣ - ١٧٩٧ ق م) من الأسرة الثانية عشرة ، وهي ليست فقط أقدم اللغات في تاريخ نسخها ، بل ان أصلها يبدو أيضا أقدم من أصول اللغات الأخرى ، وتتكون البردية من قسم طبي ، وقسم بيطرى ، وقسم خاص بكل بعض المسائل الصسابية ، وقد كتبت بالهيرايقية ، فيما عدا الجزء البيطرى فقد كتب - لامر ما - بالهيروغليزية ، وهو خط كان في الغالب وقفا على الكتابات الدينية .

ويتبع القسم الطبي في ثلاث صفحات ، الأولى متأكدة مزققة زومت في عهد تديم ، بلصق قطع من لغات بردية أخرى على ظهرها ، والثانية في وسطها ثقب كبير ، وليس بها سوى سبعة أسطر كاملة ، وأما الثالثة فقد أعيد تكوينها من ست وأربعين قطعة متناثرة ، وتضم للصفحتين الأوليان سبعة عشر تشخيصا ووصفة في أمراض النساء ، ولم يذكر أى إجراء جراحى ، وإنما اكتفى صاحبها بوصف العقاقير مثل الجعة واللبن

(١٥) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٨٥ - ٦٨٦ ، وكذا Erik Iversen, Carlsberg VIII, With Some on The Egyptian Origin of Some Popular Brith Prognosis, Kobenhavn, 1939.

والزيت والبلح ، وبعض الاعشاب ، فضلا عن العلاج بالتفصيل والتبخير  
المهبلى .

وتحوى الصفحة الثالثة سبع عشرة علامة لتعريف العقيمت من بين  
النساء ، فضلا عن التمكن بجنس الجنين ، فمثلا لمعرفة خصب المرأة ،  
عليها أن تجلس فوق بقايا جمعه ٥٥٥ ، فان تقيأت كانت خصبة ، والا  
كانت عقيما ، كما تدل عدد مرات القيء على عدد من ستجبهم من الاولاد  
ويبدو أن كل الاشارات الخاصة بمعرفة الحقم مبنية على نظرية أن هناك  
اتصالا بين المهبل وبقية الجسم في حالة الخصب ، وقد أوضحت هذه النظرية  
بوصفة : وضع لبوس من الثوم في المهبل ، ثم ملاحظة رائحته في الفم ،  
إذا كانت المرأة خصبة .

وقد استعمل الاغريق نفس الطريقة ، ووصفها «ابقراط» في كتابه  
«الفصول» ، وبقينا أنه اقتبسها من المصريين ، ثم توارثها أطباء الغرب ،  
ثم الافرنج حتى استعملت في أوروبا في العصور الوسطى ، ورغم أنها  
طريقة خيالية فقد ذهب الدكتور أحمد عمار بعدم استبعادها دون تجربتها  
فقد لاحظ أن الخصيات من النساء يشعرن في فمهن بطعم الثوم بعد  
حقن «الليبودول» في الرحم ، نتيجة انتقال اليود الموجود في الليبودول  
من الرحم الى التجويف البريتوني ، ومنه الى الرئة ، إذا كان البوقان  
سالكين .

هذا وتعتمد بعض الاشارات الخاصة بالولادة على حالة الثديين  
وقوامهما ، أو على لون البشرة والعينين ، وما نزال نرى بعض الحموات  
يتحصسن ثديي زوجة الابن ، ويترقبن ظهور البقع السمراء على الوجه  
عند أول حدوث الحمل (١٦) .

(١٦) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٤٨ - ٦٥٧ ، بول غليونجى :  
المرجع السابق ص ٤٣ - ٤٥ ، وكذا  
F. L. Griffith, Hieratic Papri from Kahun and Gurab, 1898, p. 5-11.  
H. Grapow, Op-Cit, IV, 1-2. وكذا

## ٧ - بردية لندن الطبية :

توجد هذه البردية في المتحف البريطاني في لندن (برقم ١٠٠٥) ، بعد أن نقلت اليه من المتحف الملكي بلندن في علم ١٨٦٠م ، ويرجع تاريخها الى النصف الثاني من الاسرة الثامنة عشرة ، وقد ظن البعض من قبل أنها كانت ترجع الى الاسرة الرابعة ، لان أحد الرقى ذكرت الملك «خوفو» - صلح الهرم الاكبر - غير أن فحص الاسلوب والخط انما يدل على أنها من عصر «رعسيس الثاني» (١٢٩٠ - ١٢٢٤ ق م) ، وان كان هذا لا يمنع أنها - كغيرها من البرديات الطبية - ترجع الى عهد قديم ، وهي على أية حال ، مكتوبة بخط رديء تصعب قراءته ، كما أنها خاصة بالتعاويذ السحرية التي تنفع في شفاء بعض الامراض .

ومن ثم فالبردية بمثابة وسيط بين كتب الطب السابقة ، وبين بعض كتب الرقى ، مثل «تعاويذ الام والطفل» و «كتاب السحر» الموجود في «تورينو» ، وقد وردت بها ٦١ وصفة ، منها ٢٥ فقط طبية ، والباقى تعاويذ ، والبعض منها من أصول ليست مصرية ، هذا وقد نقل نصوصها من الخط الهيراطيقى الى الخط الهيروغليفى «والتر فرينسكى» ، كما ترجم النصوص وشرحها ، كما ترجم لها «هرمان جرابو» وزملاؤه ، كما قدم لها الدكتور حسن كمال ترجمة بالمربية<sup>(١٧)</sup> .

## ٨ - بردية ليسدن :

توجد هذه البردية بمتحف ليدن في هولندا ، وتمتاز بأن مؤلفها ذكر عددا من القواعد فلوقائية من الامراض ووقف تطورها ، كما ذكرت أيضا وسائل منع انتشار العدوى ، وقد ترجم لهذه البردية «جرابو» وزملاؤه ، وهي الترجمة التي نقلها الى العربية الدكتور حسن كمال<sup>(١٨)</sup> .

(١٧) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٤٤ - ٦٤٧ ، وكذا

H. Grapowet, Op-Cit, IV,

W. Wreszinski, The Text and Translation of Papyrus London, وكذا  
1912.

(١٨) حسن كمال : المرجع السابق ص ٦٧٦ - ٦٧٨ ، أحمد فخري :

الموسوعة المصرية ١٠١/١ ،

H. Grapowet, Op-Cit, IV, 1-2, 1958.

عثر على هذه البردية فلاح من دير البلاص (مركز نقادة بمحافظة قنا) في ربيع ١٩٠١م ، ثم سلمها الى الدكتور «جورج راينزر» (١٨٦٧-١٩٤٢) الذى كان مشرفا على حفائر السيدة «هرست» (١٨٤٢ - ١٩١٩) في دير البلاص ، والتي نسبت البردية اليها ، ثم أهدتها الى متحف جامعة كاليفورنيا ، وقد قام الدكتور «كورت زيتن» (١٨٦٩ - ١٩٣٤م) ببحث البردية بحثا مبدئيا ، ثم ترجم رؤوس وصفاتها ، وفي عام ١٩١٢م قام «والتر فريزنسكى» بنقل نصوصها من الهيراطيقية الى الهيروغليفية ، ثم ترجمها وشرحها ، وفي عام ١٩٣٠م قام «هنرى لوتز» ، مع (Dr. Ch. D. Leake) نائب عميد جامعة تكساس بترجمة البردية .

وطى أية حال ، ورغم تمزق حواف هذه البردية ، فانها محفوظة جيدا وبها ٢٦٠ لفرة ، تقع في ١٨ صفحة ، وردت منها ٩٦ لفرة في بردية ايبيرس ، وتؤرخ ، على الأرجح ، من أيام «تحتوئس الثالث» (١٤٩٠ - ١٤٣٦ ق م) ، وأكثر ما فيها منقول عن الكتب الاصلية الذى نقل عنه جامع محتويات بردية ايبيرس ، وان فاقتها في بعض فقراتها (١٦) .

#### ٤ - المدارس الطبية

كان لدراسة الطب في مصر الفرعونية قواعد ملزمة ، وقد رأينا من قبل مؤلف بردية ايبيرس يشير الى أنه تلقى علومه في أون (هليوبوليس) قبل أن يتجه الى «ساو» ، حيث يقول «انى قد تخرجت من هليوبوليس مع امراء البيت الكبير . . . انى تخرجت من «ساو» في صحبة أمهات الآلهة ، وقد أسبغن على حمايتن ، وذلك لكى أطرد جميع الامراض» ، وليس هناك من ريب في أن هذا دليلا على أن هناك مدارس طبية كانت

(١٦) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٩٥ - ٦٠٥ ، أحمد فخرى : الموسوعة المصرية ١٥١/١ ، وكذا

W. Wreszinski, The Text and Translation of Pap. Hearst, 1912.

B. Ebbell, The Papyrus Ebers, 1973.

H. Gropowet, Op-Cit, IV, a and b, 1958.

وكذا  
وكذا  
وكذا

في كل من هليوبوليس وسائيس وغيرهما من المراكز الثقافية في مصر القديمة .

وعلى أية حال ، فليس هناك من ريب في ان نشأة المدارس الطبية في مصر الفرعونية انما يرجع الى عهد الاسرة الاولى (حوالي ٣٣٠٠ ق.م) ، وبعض هذه المدارس قد بلغ شهرة كبيرة ، لعل من أشهرها مدرسة «أون» ( هليوبوليس ) ، ومدرسة أنشئت في « ساو » ( سائيس = صا الحجر ) للمولودات اللاتي كن يقمن بدورهن بتدريس علم أمراض النساء للطباء أنفسهم ، ثم مدرسة «ايمحوتب» في منف ، التي زادت شهرتها مكتبتها ، والتي كان يتردد عليها الاطباء حتى القرن الثاني الميلادي ، ثم مدرسة طيبة ( الاقصر ) ، وكانت المدارس الموجودة في هذه المدن أشبه بجامعة كبرى لتلقى العلوم الطبية بأنواعها ، ثم بعض علوم اللاهوت والحساب والفلك والهندسة .

وهناك نص نشره «شيفر» ، ويتحدث عن إعادة تنظيم مدرسة الطب في عهد الملك «دارا الاول» ( ٥٢٢ - ٤٨٦ ق.م ) في مدينة «سلو» ومصاحبه كبير الاطباء «وجا حر وسنت» الذي عاصر «أحمس الثاني» ( ٥٧٠ - ٥٢٦ ق.م ) و «بسماتيك الثالث» ( ٥٢٦ - ٥٢٥ ق.م ) ، وكان مقربا من «قمبيز» ( ٥٢٥ - ٥٢٢ ق.م ) و «دارا الاول» الذي أعاده الى مصر بعد أن كان قد لسطبه الى فارس ، وقد جاء في النص : « أمرني الملك دارا أن أتوجه الى مصر ، لما كان في عيلا م ، كملك كبير على كل قطر ، وأمير عظيم على مصر ، لاصلاح أقسام دور الحياة - المتعلقة بالطب - بعد أن تخربت ، وقد دلتني على الطريق جماعة من الاعراب ، كما أمر جلالتك بذلك » .

وقد انصب أغلب اهتمام الرجل على «ساو» ( سائيس = صا الحجر ) عاصمة البلاد وقت ذلك ، ومسقط رأسه بالذات ، فيقول : «نفذت أمر جلالتك وزودتها ( أي أقسام دور الحياة ) بالطلبة من عليا القوم ، ولم ادخل معهم طالبا من أبناء الفقراء ، ثم وضعتهم تحت رعاية أعقل الرجال لقد أمرني جلالتك أن أعطيهم كل شيء طيب حتى يتمكنوا من أداء كل



واجباتهم ، فزودتهم بكل ما احتاجوا اليه ، وبكل الآلات الواردة في النصوص ، حسب ما كانت موجودة في هذه المعابد من قبل ، وقد فعل هذا جلالته لانه كان يقدر هذه المهنة (الطب) ، ويرغب في شفاء كل مريض ، ويحرص على تدعيم أسماء الآلهة ومعابدها ومواردها فيحتفل بأعيادها على الدوام دائما أبدا .

ومن البدهي أن هذا النص حديث نسبيا ، يرجع الى القرن السادس قبل الميلاد (أى منذ ٢٦ قرنا فحسب) ولكنه يشير الى مدرسة طب قديمة في سايس . رمت بعد ما اصابها من التلف ( ربما من قهيمير الغازي المتوحش) ، وعلى أية حال ، لهذا يعنى أن المدارس الطبية كانت قائمة والمدرسة فيها كانت خاضعة لنظم معروفة ، وليس يمكن القول — بحال من الاحوال — أن أول العهد بها كان في القرن السادس قبل الميلاد (العهد الفارسي) ، فالإشارة واضحة الى أن ما تم في العهد المذكور — ان صح ما جاء بالنص — يشير الى اعادة بناء ما تهدم من هذه الدور ، التي ربما كان هدمها نتيجة لغارة الفرس البربرية ، ومهما يكن من أمر ، فإن دراسة الطب ، دراسة عريقة في مصر ، لها أسسها وقواعدها ولها شهرتها في العالم القديم ، ومدرسة سايس هذه ، لا ريب في أنها وريثة غيرها من المدارس القديمة ، لمدرسة منف التي تخرج فيها «ايمحوتب» الطبيب المؤله . على أن هناك ما يلفت النظر في نص «وجا — حر — رسنت» ، حيث يشير الى انتقاء الطلاب من بين الأسر الراقية ، فضلا عن توفير كل وسائل الراحة لهم ، كما أن ذكر الآلات إنما يشير الى الجراحة ، وليس هناك ما يمنع من وجود مدارس مشابهة لمدرسة سايس في المراكز العلمية الكبرى في البلاد ، كطبية ومنف وعين شمس ، كما أن التعلق هذه المدارس بالمعابد لا يعنى أبدا أن الطلبة ما كانوا يتعلمون الطب الجسماني والطب الروحاني معا ، خاصة وأن المعابد كانت مراكز العلم — الروحاني وغير الروحاني — وخاصة في عهد الامبراطورية المصرية على أيام الدولة الحديثة (١٥٧٥ — ١٠٨٧ ق٠م) ، وكما هو مشاهد الآن في عصرنا الحديث . في أقدم الجامعات الاوربية — كجامعة اكسفورد بلانجلترا — حيث اعتبر القوم هناك أن الكنيسة منبع

لكل العلوم ، فعملوا فيها العلوم الدينية بجانب العلوم الدنيوية ، وجامعة الازهر الشريف — أعرق الجامعات الدينية ، وأعظمها وأشرفها قلطة — انما هي في عصرها الحالي ، مثال واضح على ربط العلوم الدنيوية بالعلوم الدينية ، وليس ببعيد أن الامر كان كذلك في مصر الفرعونية .

وفي الواقع فان «دارا الاول» هذا ، لم يكن اول ملوك الفرس الذين قدروا الطب المصرى وأجلوه ، فلقد سبقه الى ذلك المعاهل الفارسى الكبير «كيموش» (٥٥٨ — ٥٢٩ ق.م) الذى كان يجب أن يحاط دائما بنخبة من الاطباء المصريين ، ولا غرابة في ذلك ، فلقد علت شهرة الاطباء المصريين ، فصالت أسماع الدنيا ، ومن ثم فقد أرسل ملوك الشرق وأمراءه الى فراعين مصر يرجونهم أن يبعثوا اليهم ببعض أطبائهم ليعملوا في بلاطهم ، كما كان عشاق الطب يحجون الى مصر من كل فج ، ويلجأ الى أطبائها الامراء والحكام يلتمسون عندهم البرء والشفاء ، كما حدث مثلا على أيام «أمنحتب الثانى» (١٤٣٦ — ١٤١٣ ق.م) عندما وفد أمير سورى — تصحبه زوجته ، ومعه رجال بلاطه — الى مصر ، ليزور «نب أمون» طبيب فرعون في طيبة ، وفي نفس الوقت ، فكثيرا ما أرسل فراعين مصر بعضا من أطبائهم الى ملوك الشرق وأمراءه ، الامر الذى تكرر مرات ، ومرات كثيرة ، في التاريخ المصرى القديم .

هذا ويشير «ديودور الصقلى» الى أن التعليم انما كان ينتقل من الطبيب الى ابنه شفويا ، حرصا منه على الاحتفاظ بسرية علمه ، وهذه التقليد العائلى اتسم بها الطب في بلاد العالم القديم ، ومن ثم فقد وجدناه عند الاغارقة وقتا على «الاسقلياد» سلالة «أسقليبيوس» التى كان ينتمى اليها «أبقراط» (٤٦٠ — ٣٧٠ ق.م) و «جالينوس» (١٣٠ — ٢٠٠م) ، ونرى «أبقراط» يفرض على الاطباء قسما يوعز بمثل هذا الكتمان ، واستمر الاطباء يتبعون هذا التقليد حتى بعد المسيحية ، فقد جاء في بردية قبطية ، درسها «شاسينا» العبارة التالية : «هذه قطرة حضرتها مع أبى» ، وربما لا يختلف هذا كثيرا عما هو في عهدنا الحاضر ، فان كثيرا من أبناء الاطباء يخلفون آباءهم في مهنتهم هذه .

وعندما أباح «أحمس الثانى» (أمازيس) للاجانب دخول مصر ،

حضر اليها عدد كبير من الاغريق ليتلقوا ذبها العلم ، وكان من بينهم  
عابرة عصرهم من أمثال «افلاطون» (حوالى ٤٢٧ - ٣٤٧ ق.م)  
و «أودوكسوس» و «أبقراط» ، غير أنه من المشكوك فيه جدا ، أن يكون  
الكهنة قد ائتمنوهم على علومهم السرية (٢٠) .

#### ٥ - الاطباء

كان الاطباء في مصر الفرعونية يتمتعون بمكانة طيبة ، ومركز مرموق ،  
في المجتمع المصرى ، وكان القوم ينظرون اليهم نظرة ملؤها التقدير  
والاحترام ، ونيس أدل على ذلك من ان ينسب التاريخ الى ملوكهم هذه  
الصناعة والبراعة فيها ، ويستخرجون أسرارها من الارياب ، ومن ثم  
لقد لقب «زوسر» باسم «سا» الشافي الالهى ، كما روى المؤرخ المصرى  
«مانيتو» أن الملك «اثوتيس» ابن الملك «مينا» (منى) مؤسس الاسرة  
الاولى ، ألف كتابا فى التشريح ، وأن الملك «أوزيفايوس» (حوالى ٣١٠٠  
ق.م) حقق تقدما كبيرا فى علم التشريح ، كما كان «نفر اير كارع» من  
الاسرة الخامسة على معرفة بالطب . هذا وكان الطبيون يتكونون من  
ثلاث فئات هي : الاطباء الكهنة ، والاطباء العلمانيون ، والمساعدون :

#### اولا : الاطباء الكهنة :

كان الكهنة فى أول امرهم وسطاء بين المريض والاله الشافي ، يعرفون  
طريق التوصل اليه ، والسبيل الى اجتذاب رضاءه ، ولكنهم لم يكونوا  
يمارسون أى نوع من الطب ، غير أنهم كانوا على جانب كبير من الدماء  
والعلم . كما كانوا يعرفون النسبانات ويستعملونها لتعريف تماويذهم ،

(٢٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٢٧ - ٥٢٨ ،  
نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٠ - ٤٦١ ، عبد العزيز صالح :  
التربية والتعليم فى مصر القديمة ص ٢٢٣ ، حسن كمال : المرجع السابق  
١٠٢/١ - ١٠٤ ، وكذا

Irans Jonckheere, in Chronique d'Egypte, 1945, p. 24-32.

A. H. Gardiner, The House of Life, in JEA, 24, p. 170-171. وكذا

G. Posener, Op-Cit, p. 4 F. وكذا

Schaefer, in AZ, 37, 1899, p. 72 F. وكذا

SGA, 7, 1912, p. 569-596. وكذا

وكانوا يلمون بقدر كبير من علم الكيمياء ، وقد رد البعض كلمة «كيميا» الى «الكيميت» (كمت) (٢١) ، وهو اسم مصر القديم ، غير أنه لا يمكن في الحقيقة معرفة علمهم ، ذلك لان عقائدهم الحقيقية انما كانت سرا من الاسرار التي لا تفتنى لاحد ، غير من كرسوا للخدمة الصينية ، وهي تختلف كثيرا عما يعنون به لغير هؤلاء .

هذا ويبدو أن الطب كان في أول أمره متصلا بالدين ، و متمشيا مع السحر ، وكان معظم الاطباء من الكهنة المطهرين (وعب) وعنهم من كانوا «مشرقيين على كهنة الوعب» ، وكان الطبيب في الغالب يباشر أعماله الطبية بجانب بعض الادوية والرقي لحماية المريض من الارواح الضيئة ،ويمكن أن تعد نوعا من أنواع الايحاء بالشفاء ، إذ تؤد: النصوص أن لبعض الآلهة تأثيرا على أعضاء الجسم ، فمثلا اتخذ «رع» اله الشمس ، والوجه مكنا له ، واحتلت «هاتور» الهة القب العننين ، وغضل «أنوبيس» اله التحنيط الشغتين ، واستقر «تحتوت» اله العلم في باقى أعضاء الجسم ، وقد أتت هذه الفكرة من الاساطير الدينية ، وهكذا أصبح الاله الذى يتطلب على الثعبان خير مصل له ، والاله الذى يتغلب على لدغ العقرب يصبح خير حواء له .

وهكذا ، رغم أن المصريين جرؤوا على نقض مصاصيرهم من أمم الارض في بناء حياتهم ، ممتدين على ملاحظات واقمية ، وخبرات علمية ، غير أن رواسب الملقى السحيق من مقلبات السلف قد شابت ما حققته النظرات الواقمية والاساليب التجريبية ، وأصبح تراثهم من صناعة الطب بين أيدينا مزيجا يفتلظ فيه الواقع بالخيال .

ومن ثم فإن للعننين بالمعالج كانوا على أنواع ، فالى جانب الطبيب

(٢١) أطلق المصريون القدامى على مصر اسم «كمت» أى الارض مشرقين بذلك الى الطمى الذى غمرت به الفيضانات التي لا حصر لها ، ومفرقين بذلك بينها وبين الصحراوات المحيطة بها ، والتي عرفوها تحت اسم «دشرت» أى الارض الحمراء (انظر : محمد بيومى مهران : مصر ٢١/١ - ٢٢ - الاسكندرية ١٩٨٨) .

العلمانى الذى كانوا يدعونه «سونو» ، كان الكاهن يقوم بدور الوسيط بين المريض والاله فى توسلته اليه لنيل الشفاء ، وان كانت لديه معلومات طبية فى الطب ، كما كان السحر يحاول طرد الشياطين من جسم العليل ، أو فك أعمال الارواح الشريرة ، وقد كان الطبيب العلمانى ( سونو ) نفسه ، يضطر أحيانا الى خلط بعض الطب الكهنوتى بأساليب العلية المجرية ، كما يبدو من ألقاب بعض من زاولوا هذه المهنة .

### ثانيا : الاطباء العلمانيون :

كان الطبيب العلمانى يسمى «سونو» — كما أشرنا آنفا — والرمز الهيروغليف لهذه الكلمة مكون من قنينة ومشرط ، ولم يعيز بين الطبيب والبيطرى ، ولكن عدد الاطباء — كما رأهم هيودوت فى القرن الخامس قبل الميلاد — كبيرا جدا ، وكانوا على حد قوله : أمة الناس ، حتى أنه ذهب الى أنهم من سلالة «بيون» طبيب الأكمة .

هذا وينقسم الاطباء الى فئات مختلفة ، من حيث العمل ، ومن حيث التخصص .

١ ) من حيث العمل . كان هناك أطباء موظفون ، ويشار من وقت لآخر الى تقسيم هذه الفئة الى أنواع ثلاثة :

١ — فهناك أطباء القصر ، كما يشار الى ذلك فى نص «واش بتاح» من الاسرة الخامسة ، ومن هؤلاء من كان ملحقا بالقصر ، أو خاصا بالملك أو بالزوجة الملكية. أو بالحكام المحليين والنبلاء ، ويظهر الواحد منهم فى قبره حاملا القرابين ، مثل «عنخ» (من الاسرة السادسة) ، وقد صور وهو يحمل الطيور فى يده ، أو يؤدي عملا رسميا ، هذا وقد قام أطباء القصر بدور هام فى حياة البلاط الملكى ، فنجد مثلا «بنتو» يحمل — الى جانب ألقبه الكهنوتية والعلبية الدالة على مركزه — يحمل لقب « الذى يدخل القصر ويخرج منه» ، أى الذى يسمح له بمقابلة الفرعون فى أى وقت ، ولعل مما يدل على مكانته ما وجد بالنص بعد كتابة اسمه ، من مخصص ممسكا بيده سوطا ، كدليل على القوة والجاه ، هذا الى جانب

«نسى عنخ سخمت» من الاسرة الخامسة ، وقد اهداه الملك «ساحورع» بابا وهميا من الحجر الجيري ، وقد ازدان بالالوان الجميلة والاحجار الكريمة ، بل ويأمر الملك بتدوين هذا الاهداء على قبره مشفوعا بأطيب عبارات المديح .

٢ — وهناك أطباء الدولة ، وكان معظمهم ملحقين بمصالح الحكومة المختلفة ، يتقاضون منها مرتباتهم ، وان كان يبدو أنهم كانوا — الى جانب أعمالهم الرسمية — يزاولون مهنتهم من أجل الجمهور ، ويتقاضون منه أتعابا ، ويحفظون منه بهدايا ثمينة .

وهناك أطباء ملحقون بالمعابد يتعاطون معاشهم من ميزانية تلك المعابد. ولعل أروع ما في هذه المهنة عند القوم أنها كانت انسانية الى درجة كبيرة ، فلم تكن في صالح الموسرين وحدهم من حكام البلاد وسراتها ، وانما كانت أيضا لصالح أفراد الشعب من عمال المحاجر والبناء والجيوش الحربية ، كما كان من جميل تقاليدهم أن الطبيب كان يقطع جزءا من أتعابه يخص به المعبد الذي تلقى فيه علومه الطبية .

وعلى أية حال ، فلقد كان الاطباء في مركز مالي يسمح لهم بعلاج الغنى والفقير سواء بسواء ، وقد قال «ديودور الصقلي» : ان هناك كثيرا من المصريين كانوا يعالجون بالجان ، وبدهى أن مثل هذا القول لا يمكن أن يصدر الا من شخص رأى بعينه ، وسمع بأذنيه ، ولعل هذا النظام القديم انما هو بعينه نظامنا الحالي ، فعندنا المستشفيات والمجموعات الصحية والعيادات الخارجية والمكاتب الصحية وغيرها ، يجد فيها المريض علاجه مجانا ، وفي كثير من المستشفيات يسمح للطبيب بمزاولة مهنته في الخارج .

ولعل مما تجدر الاشارة اليه ، وقد رأينا أغلب الاطباء انما كانوا يتقاضون مرتباتهم من الدولة ، ومن ثم فلا حرج علينا ، ونحن ننقب في حياة الاولين من بناء هذا الوطن العريق ، أن تؤكد أن مصر الفرعونية ، رغم مظاهر الحكم الملكي فيها ، انما كانت مهدا للعدالة الاجتماعية الى حد كبير ، على نقيض ما نادى به بعض المفرضين من المؤرخين الاوربيين .

(ب) من حيث التخصص: بلغت صناعة الطب في مصر الفرعونية مبلغاً عظيماً ، تخطت عنده الاصول الى الفروع ، وولت أصحابها يتخصصون في فروع الطب المختلفة منذ أعرق العصور ، فهاهو «حصى روع» — أقدم طبيب عرف للتاريخ ، ويرجع للأسرة الثالثة — ومقبرته بسقارة — يلقب بلقب «كبير أطباء أسنان القصر» على أيام الملك «زوسر» (أى منذ حوالي خمسة آلاف سنة) .

وقد وصل الينا العديد من البرديات التي تدل على تعمق المصريين في شؤون الطب ، وتتووع دراساته ، كما رأينا من قبل ، ومن ثم فهناك الطب البيئى ، وهناك الطب الباطنى ، وطب أمراض النساء ، وطب الجراحة ، وطب الأسنان ، وطب العيون ، وقد كشف «هرمان يونكر» (١٨٨٥ — ١٩٦٢م) عن مقبرة رئيس الأطباء «إيرى» الذى يشار الى تخصصه في أمراض العيون ، كما تشير برديتا «إيرس» و «أوجين سمث» الى مراحل تخصص ، وتميز تميزا واضحا بين الطبيب الجراح والطبيب المعالج بالدهن والبرق ، والطبيب الذى يعطى الهواء النباتى ، ويشير «هيرودوت» الى أن من الشفاء في مصر كان منقسما الى أقسام ، كل طبيب يختص بتسم منها ، فهناك طبيب العيون ، وطبيب الرأس ، وطبيب الامعاء ، وطبيب الاضطرابات الداخلية ، هذا لى جانب أطباء التحنيط وأطباء الجراحة (وهم كهنة سفمت ربة الجراحة ، وحامية الجراحين) ، وأطباء عشابون ، وهم أطباء المقلسير الذين اقتصوا بالعقاقير ، وتلاوة الادعية .

ثم هناك الالهاء البيطريون ، حيث ظهرت في كثير من النقوش صور للماشية ، وقف أمامها ائمه ف عليها ، وقد سمى أحيانا بالطبيب ، وأحيانا أخرى بالكاهن الطبيب ، الامر الذى يوحى بأن هؤلاء الأطباء الكهنة انما كانوا مكلفين بفحص طهارة الذبائح ، كما كانوا مكلفين بضمان مطابقتها لمتعضيات الطقوس الدينية ، وكان هناك بعض البيطريين من غير الكهنة ، وكانوا يمارسون مهنتهم حسب علم مكسب يماثل ما نقرأه في الجزء البيطرى من بردية كاهون الطبية .

هذا وقد قدم الأستاذ «ليونكهير» قائمة بأسماء اثنين وثمانين طبيبا  
مصريا من جميع العصور الفرعونية وقد قسمهم الى أربعة طوائف : أطباء  
عموميين ، وأطباء اخصائيون ، وأطباء القصر الملكى ، ثم رؤساء أطباء ،  
كما قدم الدكتور «بول غليونجى» قائمة بحوالى ٢٧ طبيبا •

### ثالثا : المساعدون :

وهم الفئة المساعدة للأطباء فى عملهم ، مثل المرضى ، والاختصاصيين  
فى الاربطة والتدليك وكان يطلق عليهم «أوت» ، وكان البعض منهم  
للأحياء ، والآخر للموات (أى التحنيط) ، فلقد كان بمصر أكفأ المصمدين  
فى معمل التحنيط ، فمثلا طريقة لف الموميات باللفائف انما تدل بلا شك  
على مهارة فائقة فى التضميد ، وبدوى أنه ليس هناك ما يمنع من وجود  
أمثال هؤلاء ممن ساعدوا الجراحين فى مهمتهم ، هذا وقد جاء فى الآثار  
أن هناك أشخاصا أعفوا من عملهم ليمرضوا رفقاءهم ولا بد أن كان فى  
كل مجموعة كبيرة من العمال أشخاص لهم دراية بالاسعافات الأولية  
والتمريض (٢٣) •

(٢٢) بول غليونجى : الحضارة الطبية ص ٩ - ١٤ ، تاريخ الحضارة  
المصرية ١/٥٢٧ - ٥٣٢ ، حسن كمال : المرجع السابق ١/٨٨ - ١١٦ ،  
سيد توفيق : الموسوعة المصرية ١/٢٩٩ - ٣٠٢ ، هيرودوت يتحدث عن  
مصر من ١٩٠ - ١٩٣ •

وكذا F. Jonckheere, Les Medecins de L'Egypte Pharaonique, 1955, p. 24-32.

وكذا J. E. Quibell, Excavations at Saqqara, Cairo, 1408, p. 73. 1913, p. 31.

وكذا N. de G. Davies, The Rock Tombs of El-Amarna, IV, London. 1906, p. 6.

وكذا H. Junker, Giza, XI, 1953, p. 79.

وكذا R. Engelbach, ASAE, 38, 1939, p. 285.

وكذا E. Chassinat, BIFAO, 4, 1905, p. 223.

وكذا A. Marietto, Les Mastabas de L'Ancien Empire, Paris, 1889, p. 351-56.



## الفصل الخامس

الصحة العامة

## ١ - الزواج

كان الزواج في مصر الفرعونية<sup>(١)</sup> يتم - كما هي العادة في الشرق القديم - في مرحلة مبكرة من العمر - أي بمجرد البلوغ - الأمر الذي جنب المراهقين الكبت الجنسي ، وما يصدر عنه من عقد ، فضلا عن الانجراف الخلقي ، وما يسببه من أمراض جسمانية وخلقية ، ومن ثم فقد كثرت نصائح الحكماء المصريين بالاسراع بالزواج ، يقول الحكيم «بتاح حوتب» في نصائحه لولده : «إذا كنت عاهلا فأسس لنفسك دارا ، واحبب زوجتك حبا جما ، وأكثم طعامها ، وزودها بالثياب وقدم لها العطور ، لينشرح صغرها»<sup>(٢)</sup> .

ويحذر الحكيم «آنى» ولده من مخالطة النساء الغريبات ، فيقول له : «لكن على حذر من المرأة الغريبة (أي غير زوجته) ، لا تطل النظر إليها عندما تمر بك ، لا تكن لك بها صلة ، ولا تقضى منها وطرا ، إنها ماء عميق الخور ، لا يعرف المرء خباياها»<sup>(٣)</sup> .

هذا ويزعم كتاب الاغريق ، ويتابعهم في هذا بعض المؤرخين المحدثين أن الزواج بين الاخوة كان شائعا بين القوم في تلك الايام الغابرة ، فط ذلك كثير من الفراعين ، كما فعله بعض آلهة القوم ، غير أن الأمر لم يكن كذلك في الواقع ، صحيح أن الاساطير قد أشارت إلى زواج أوزير بايزة ، وسنت بنبت هت ، وصحيح أيضا أن بعض الملوك قد تزوجوا من أخواتهم ولكنه صحيح كذلك أن هذا الأمر لم يكن بين عامة القوم حتى أننا لم نشو للآن على مثال واحد كان الزوجان فيه أبا وأختا ، سواء أكانا من طبقة النبلاء ، أو من الطبقة الوسطى ، بل حتى بين العامة من الناس ، هذا فضلا عن أن الملك قمبيز قد سأل القضاة الملكيين عما إذا كان القانون

(١) أنظر عن «الزواج في مصر الفرعونية» (محمد بيومي مهران : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٨٤ ص ٣٠ - ٣٦) .

(٢) J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 413-420.

(٣) Gustave Lefebvre, Romans et Contes Egyptiens de L'Époque Pharaonique, Paris, 1949, p. 70-77.

يسمح أن يشاء أن يتزوج من أخته ، فأجابوه بالنفى ، وإن أجازوا للملك أن يفعل ما يريد (٤) .

هذا وقد عرف المصريون تعدد الزوجات ، وإن كان الاستقرار العائلي بين الأزواج للمصريين قد أدى الى تقليبه بينهم الى حد معقول ، وذلك على الرغم من أنه كان مشروعاً عندهم ، وأن فريقاً من الفراعنة والاثرياء ، وقليلاً من أثرياء الناس وطغاهم قد أخذوا به ، وربما تماذى القليل النادر منهم فيه ، وأن بعض الزوجات ارتضينه وتسامحن فيه ، وأنه قد استمر طوال العصور الفرعونية (٥) ، ومع ذلك فقد كان من المألوف أن يكون للرجل زوجة واحدة ، أما تعدد الزوجات — مع اباحتها في شريعة اللغوم — فقد حددته الظروف الاقتصادية ، فأضفى مقصوداً على الأسرة المالكة ، وطبقة النبلاء ، أو يكاد أن يكون كذلك .

وكان البناء معروفاً الى حد ما عند غير المتزوجين والجنود ، وأما الدعارة المقدسة — كالتي كانت تمارس في الهند وبابل وبنينيقيا وغيرها ، فلم يعثر في المعابد المصرية على أى أثر يدل عليها ، ولم يعرفها المصريون طوال تاريخهم القديم والحديث .

## ٢ - الختان

هناك ما يشير الى أنه لا يوجد شعب آخر في حوض البحر المتوسط يتبع سنة الختان غير المصريين ، الذى تدل آثارهم على أنهم عرفوا الختان منذ أقدم العصور ، حيث كشف عما يدل عليه مما عثر عليه في جبانات عصور ما قبل التاريخ ، من قبل أربعة آلاف عام قبل مولد المسيح عليه

J. Wilson, The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963, p. 97. (٤)  
A. Moret, le Nile et la Civilisation egyptienne, Paris, 1926, وكذا  
p. 110- 318-319.

(٥) انظر عن تعدد الزوجات عند المصريين (محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ١٥ - ٢١) ، وعن اليهود (محمد بيومى مهران : اسرائيل ٢٧٠/٤ - ٢٧٨ - الاسكندرية ١٩٧٩) ، وعن العرب (محمد بيومى مهران : مركز المرأة في الحضارة العربية القديمة - مجلة كلية العلوم الاجتماعية - الرياض ١٩٧٧ ص ١٦٢ - ١٧٠) .

السلام ، وذلك من أجسام بلغ من حفظها أن أمكن فحصها والاستدلال منها على اتباع القوم لسنة الختان ، هذا فضلا عن صورة تمثل عطية الختان ، يقوم بها جراح مصرى فى قبر فى جبانة منف ، يرجع الى عهد الاسرة السادسة من الدولة القديمة ، وأخرى من الدولة الحديثة بالكرنك (٧) .

وكان الختان عند القوم ضربا من ضروب العنلية ينظفها البدين — على نحو ما ذكر هيرودوت — كما كان عاما ، فلقد تبينه الباحثون فى المناظر العارية للخدم والصيادين والرعاة ، كما تبينوه فى التماثيل المعارية للخاصة والملوك والجنث السليمة الباقية ، ولعل من أطرف صور الختان تلك التى وجدت فى نص لرجل من عصر الانتقال الاول (عصر الثورة الاجتماعية الاولى) ، استنتج منه «دونهام» أن الرجل قد اختتن مع مائة وعشرين آخرين ، ولم يضار واحد منهم ، غير أن قراءته — فيما يرى الدكتور عبد العزيز صالح — لا تظلو من شك ، ولو صححت لأمكن تقريب هذه الرواية الى ما يتبع فى موالد الاولياء بمصر حتى الآن ، حيث ينتهز بعض العامة فرصتها ، فيختنون أولادهم بمناسبةها ، وتبركا بأصحابها (٨) .

هذا ويذهب «هيرودوت» الى أن الذين زاولوا الختان منذ أقدم العصور ، انما هم المصريون والآشوريون والكولشيديون والاباش ، أما غيرهم من الشعوب فقد عرفوه من المصريين ، كما يذهب هيرودوت ،

J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, (٦)  
p. 303-No. 10.

J. Carpart, une rue de tombeaux a Saqqarah, Pl. LXVI, p. 51-52. وكذا  
Herodot, II, 36, 37, 104, Diodorus, III, 32, Strabo, XVII, 824. وكذا  
(٧) عبد العزيز صالح : التربية والتعليم فى مصر القديمة ص ٥٢ —

٥٣ ، وانظر :

W. M. Petrie, Sedment, Pls. 7-8.

J. Capart, Op-Cit, Pls. 39, 83.

J. Quibell, Excavations at Saqqara, II, Cairo, 1908, p. 3.

G. Maspero, Momies royales, p. 550.

E. Smith, ASAB, 4, 1903, p. 112.

E. Naville, in Sphinx, XIII, p. 253 F.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

ثم قارن :

كما أصرنا أننا ، الى أن المصريون انما كانوا يقومون بعملية الختان من أجل الصحة الشخصية ، ومن ثم فهو يقول : ان قدماء المصريين كانوا يختنون من أجل النظافة ، لانهم اعتبروا النظافة اهم من اللياقة ، واما «سترابو» فالرأى عنده ان المصريين قد ختتوا الذكور ، وجبوا ( أى قطعوا الانثى ) ، والنجب أو القطع هنا انما ينصب على البظر والثفرين الصغيرين ، كلهما أو بعضهما ، وليست هناك أدلة قديمة على عمل الختان للانثى ، وان كان من المحتمل أنه كان يعمل قبل زمن «سترابو» بكثير جدا ، ولا تزال هذه العملية تجرى للبنات في كثير من المناطق ، وخاصة في الصعيد والنوبة (٨) .

هذا وقد اتخذ بعض المؤرخين من تتابع الولادة والختان مباشرة في بعض نقوش المعابد الخاصة بولادة وطفولة الإمرأ ، دليلا على أن عملية الختان انما كانت تجرى بعد الولادة بأيام ، وان ذهب البعض الى أن هذا التمثيل انما كان رمزيا ، ذلك لان النقوش الأخرى ، وخاصة تلك التي تتصل بغير الملوك والالهة ، انما قد مثلت العملية ، وهي تجرى على أشخاص متقدمين في السن الى حد ما (٩) ، ومن ثم فقد نظر البعض الى أن عملية الختان انما كانت تعمل للأطفال ، فيما بين السنتين — السادسة والثانية عشرة من العمر — أو قبل المراهقة بقليل .

هذا ولعل أهم تلك النقوش أو الصور التي تمثل عملية الختان ، انما هو النقش الموجود في سفارة في مقبرة «عنج ماحور» من الأسرة السادسة وهو مكون من جزأين ، ففي الجزء الايمن منه نرى الجراح — وقد ذكرت قبالتة عبارة «الكاهن المختن» — مما يشير الى أن العملية التي يقوم باجرائها لا تدخل ضمن اختصاصات الجراح العادى ، نراه وقد أمسك بيده اليمنى بالآلة مستطيطة في وضع عمودى على العضو التناسلى ، وفي اتجاه طول الجسم ، ويقول : ان هذا يجعله مقبولا للكحت (أو الدهان) .

(٨) حسن كمال : المرجع السابق ٧٢/٣ - ٧٣ ، وكذا Strabo, XVII, 824.

(٩) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٣٣/١ .

وأما الجزء الأيسر ، فيظهر فيه الجراح ممسكا بألة أو بتيء آخر  
 بيضلوى الشكل يلمس به العضو المتناسلى الذى يسفده بيده اليسرى ،  
 وفى هذا الجزء تدل ملامح المريض على شعوره بالألم ، ويلاحظ كذلك  
 وجود مساعد الجراح خلف المريض « وقد أمسك بخراعيه على ارتفاع  
 وجهه فى قوة وعنف ، ونقرأ قول الطبيب : «أمسكه كيلا يقع» ، ورد  
 المساعد : «سأفعل وفق إشارتك» ، وبدهى أن تكون اللوححة اليمنى  
 لإيضاح التحضير أو التخدير ، واليسرى لإبراز العملية نفسها .

ولعل مما تجدر الإشارة إليه أن الختان إنما لقب فى الجزء الأول  
 من النقش بلقب «الكاهن المختن» ، وربما يدل هذا على أن العملية التى  
 يقوم بها لا تدخل فى اختصاص الجراح العادى ، كما أشرفنا آنفا ، ولكن  
 ربما لأن عطية الختان إنما كانت تتم فى العادة فى المعابد ، أى أنها تأخذ  
 صفة شبه دينية .

هذا ويذهب بعض المؤرخين الى أن الختان لم يكن يجرى فى الماضى  
 بالشكل المتبع الآن ، أى أنه لم يكن استئصالا كاملا للمقلفة ، وإنما كان  
 مجرد قطع مستطيل يجرى على ظهرها للاكتفاء بفتحها<sup>(١٠)</sup> .

ولعل من الأهمية بمكان الإشارة الى أن اليهود إنما نقلوا الختان عن  
 مصر ، فطبقا لرواية هيرودوت — الأنفة الذكر — أن الشعوب جميعا —  
 فيما عدا الآسوريين والكوشيين — قد نقلت الختان عن المصريين<sup>(١١)</sup> ،  
 هذا فضلا عن أن رواية التوراة<sup>(١٢)</sup> المتداولة اليوم ، يفهم منها أن سيدنا  
 إبراهيم — عليه الصلاة والسلام — إنما قد قام بعملية الختان ، بعد  
 عودته من مصر ، وبعد انجابه لولده اسماعيل عليه السلام .

وعلى أية حال ، فإن أمر الختان — كما جاء فى توراة اليهود المتداولة

(١٠) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٣٣/١ - ٥٣٤ ، طب  
 وسحر ص ٦٨ - ٦٩ ، وكذا

J. Carpat, Op-Cit, Pl. 51-52.

(١١) هيرودوت يتحدث عن مصر ص ١٢٢ ، ١٢٤ ، ٢٢٠ - ٢٢١ .

(١٢) تكوين ١٧/١٠ - ١١ ، ٢٣ - ٢٧ .

اليوم - انما يدل على مدى التضارب في نصوصها ، فنص يرجعه الى التخليل ابراهيم عليه السلام ، وقد دون هذا النص ، اول ما دونه اخبار السبى البابلي ( ٥٨٦ - ٥٣٩ ق م ) فيما بين القرن السادس والخامس قبل الميلاد (١٣) ، اى بعد عهد ابراهيم عليه السلام بما يربو عن ألف وخمسمائة عام ، ثم انها رواية لم تتداخل مع بقية النصوص في صلب أسفار الشريعة في صورتها الحالية ، الا في حوالى عام ٤٠٠ ق م ، او ما يقارب ذلك ، حين ابتعثت دويلة يهودا في ظل الحمالية الفارسية على يد «عزرا» الذى يعزى اليه ارساء أركان العقيدة اليهودية ، كما تطالعنا اليوم .

ومن ثم فلا غرو أنه يتعارض تعارضاً جذرياً ، مع روايات أخرى - كما في سفر التثنية - (١٤) - ربما كانت أصداء خافتة لوقائع في صورة من أساطير ، عن نشأة الفختان ، تلك السنة التى كانت ، كما أشرنا آنفاً ، عادة مصرية متأصلة (١٥) ، فاعجب بها من سنة مميزة ، الا أن يكون بنو اسرائيل قد سعوا أصلاً ، - أو اجبروا غصباً - على أن يتمثلوا بذلك الشعب الذى انبثقت حضارته سامنة عملاقة على ضفاف وادى النيل ، ما أن يكشف - حتى في عصرنا هذا - عن أى من أمر آثارها الدارسة ، حتى يؤخذ العالم مبهوراً ، فكيف بالشعوب التى من حولها ، حين كانت في أوجها ، تحطف الابصار بلائاً من اشعاع وهاج ، فالفختان اذن انتحلت يهودى واضح ، ومع ذلك فبه اليهود يتعلقون ، امارة لتفرد يدعون أنه قد خصهم بها الاله ، فترى العجب في نصوص توراتهم ، لم تترك حاسة

A. Lods, Israel from its Beginnings to 'The Middle of The (١٣) Eighth Century, London, 1962, p. 152.

(١٤) تثنية ١/٥ - ٣ وكذا

A. Lods, Op-Cit, p. 199.

(١٥) محمد بيومى مهران : قصة أرض الميعاد بين الحقيقة والاسطورة - مجلة الاسطول - العدد ٦٧ عام ١٩٧٠ من ٥ - ٦ ، وكذا

A. Powell Davies, Ten Commandments, New York, 1956, p. 59-60.

من حواس الادراك ، الا حاولت تقييمها من حيث السمة ، كناية  
وتورية (١٧) .

### ٣ - النظافة العامة

كان المصري القديم يتميز بالنظافة الفائقة ، غنيا كان أم فقيرا ، ولقد  
أكثر المصريون القدامى من الاستحمام صباحا كان ذلك أم مساء ، وقبل  
الطعام ، وكانت منازل الاثرياء تحوى حجرات فيها أحواض خاصة  
بذلك ، وفيها مكان يصب على المستحم فيه الماء .

هذا ولم يعرف المصريون الصابون ، وكانوا يستعملون الصودا في  
الغسيل ، وكانوا جميعا - رجالا ونساء - يتخلصون مما ينمو على  
أجسامهم من شعر ، اما بالحاق واما بالنتف ، أما الكهنة وكبار القوم  
فكانوا يطلقون شعر رؤوسهم ووجوههم ، ويطلون مكانه شعرا مستعارا  
ولصى صناعية .

وكانت المرأة في مصر القديمة تغسل جسمها وتحلقه وتنتف شعرا  
الغير مرغوب فيه ، وتدخن جلدها بالدهان ، وتسرف في استعمال العطور ،  
وتخضب شفيتها وخديها بالاحمر ، وترجع حواجبها ، وتطلى أجنانها  
ورموش عينيها بالكحل ، وهو من نوعين : أخضر يلون به الجفن الاسفل ،  
وأسود ترجع به الحواجب ، وتطلى به الاجفان ، وكانت المرأة شغوفة  
بالحلى والاقراط والاسوار والقلائد والخلخال ، وبخاصة في اللواتد والمآدب  
التي كان القوم مغرمين بها كثيرا ، ويتصيدون الفرص لاقتلتها .

ولم يكن يليق بامرأة تحترم نفسها في مصر الفرعونية أن تخرج الى  
حفل أو مأدبة ، دون أن تقضى وقتا تتزين فيه ، ودون أن تتنطر ، وتبدو  
على ما ترضاه لنفسها ، وهو أمر بالغ العسر ، ولكنها كانت تحاول  
- على أية حال - أن تبدو نظيفة ملتزمة جذابة معطرة الحواشي ، أنيقة  
المهذلم ، وكان لا يفوتها قبل أن تخرج من البيت أن تخرج المر بالرقم

(١٦) حسين ذو الفقار صبرى : توراة اليهود - المجلة يناير ١٩٧٠  
ص ١٦ ، محمد بيومي مهران : إسرائيل ١/٣٩٤ - ٣٩٥ .



وحصا البان والعجرم وغيرها ، وتحققها ثم تضعها على النار ، لتجمل رائحة المنزل والملابس زكية مستحبة ، ثم تضيف إليها عسل النحل ، وتتناول بضع حبات تمضغها في طريقها للزيارة ، فتجعل أنفلسها بذلك طيبة النكهة ، زكية الرائحة .

هذا وقد اهتمت النسوة في مصر — بل وفي كل بلد متمدن — بالعناية بشموهن ، فكان يسفلنها ويدهنها ، ويمتتين بطولها أو بقصرها ، ويخسفرنها أو يجمعنها ، أو يتركنها مستقيمة مسترسلة ، تبعا للنمط الدارج (١٧) .

#### ٤ - البيت المصري

كان المصري antiquum يعيش في الغالب في بيت بسيط ، راعى فيه من بناء أن يكون ملائما للجو الذي يعيش فيه ، فبناه من اللبن والخشب ، وجعله فسيحا ، وأكثر فيه من الفتحات والنوافذ وغيرها ، حتى يجرى النسيم فيه دائما ، وكانت تتخلله الابهاء وقاعلت الطعم والاستقبال ، وتزين جدرانه أكاليل الزهور والفاكهة وقد لونت بالوان زاهية جميلة ، وفي الجزء الخافى من البيت ، حيث يسود الهدوء بعيدا عن الجلبة والضوضاء ، توجد غرف النوم ، وعدد كبير أو قليل من المغاسل والحمامات ودورات المياه ، طبقا للحالة الاجتماعية لصاحب البيت .

هذا وقد اثار استعمار المصريين لدورات المياه دهشة هيودوت ، فقال : «ان المصريين يختلفون عن بقية الشعوب الاخرى ، فهم يتناولون طعامهم خارج بيوتهم ، بينما يقضون حاجتهم داخلها ، معتقدين أن الضرورات القبيحة يجب أن تؤتى في الخفاء» ، وهكذا — كما يقول الدكتور أحمد بدوى — يعجب هيودوت من أن المصريين كانوا يزيلون ضرورتهم مستورين داخل الدور ، على حين كانوا ياكلون طعامهم خارجها اعتقادا منهم : أن الضرورات عورات يجب أن تستر ، أما غيرها فلا جناح

(١٧) حسن كمال : المرجع السابق ٧٥/٣ - ٧٦ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٥٤ - ٥٥ ، بول غليونجى : المرجع السابق ص ٥٣٥ ، محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ١١/٢ - ١٣ .

عليهم في اتيانها جهلرا ، وليس غريبا ولا عجيبا ما يراه هيودوت ، وانما العجب ، كل العجب ، في أن يرى هيودوت ذلك من الفرائب في حياة المصريين ، فاذا صح ما رآه فنحن جد به فخورين ، لان فيه من صور الحياة السليمة ، ومن الكرامة الانسانية ما يدل على ذوق هذا الشعب العظيم ، نعم انه اللذوق كل اللذوق ، بل انها صورة تعكس على المروءة الكاملة ، وهيودوت حين يعجب من ذلك ، لانه لم يره عند غير المصريين انما يرمى شعبه الاغريقي ، على الاقل ، بفساد اللذوق وانعدام المروءة ، فضلا عن عدم مراعاة قواعد النظافة العامة (١٨) .

هذا ورغم أن علماء الآثار لم يعثروا ، حتى الان على أثر للحمامات ودورات المياه في بيوت « اللاهون » التي أنشأها «سنوسرت الثاني» (١٨٩٧ - ١٨٧٧م) — على مبعدة ٢٥ كيلا من مدينة الفيوم — غير أن قصة «سنوهمي» — وهي سابقة لبناء اللاهون — انما تذكر أن هناك غرفا للاستحمام ، كما أن هناك نصوصا من الاسرة الثانية عشرة تذكر وظيفة «المشرف على غرف استحمام الملك» .

وفي منازل العمارنة (أخيتاتون) (٢٠) ، كان يلحق بغرفة النوم ، غرفة أخرى للتعمير والزينة ، وتجاورها غرفة للحمام مزودة بأحواض مياه جارية ودورة مياه ، وفي الواقع ، فلقد كانت المرافق الصحية في العمارنة — وتقع فيما بين مدينتي ملوى وديروط ، في مقابل دير فواس الحالية ،

(١٨) هيودوت يتحدث عن مصر ص ١١٨ .

(١٩) أنظر عن «اللاهون» (محمد بيومي مهران : مصر ٣٦٠/٢ .. ٣٦٢ ، محمد أنور شكري : المرجع السابق ص ٧٨ - ٨٠ ، وكذا W. M. F. Petrie, Iblahun, Kahun and Gurob, London, 1891. Pl. XIV, p. 5F.)

(٢٠) أنظر عن العمارنة (محمد بيومي مهران : اخيتاتون - عصره ودعوته - القاهرة ١٩٧٩ ص ١٨٦ - ٢٣٢ ، وكذا J. Saunson, Amarna, City of Akhenaten and Nefertiti, London, 1972. W. M. F. Petrie, Tell-El-Amarna, London, 1894.

T. E. Peet and C. L. Woolcy, The City of Akhenten, London, 1923.

J. D. S. Pendlebury, Tell-El-Amarna. London, 1935.

عبر النهر تقريبا — بمحافظة المنيا — معتقيا بها كثيرا ، بل ان بهذه المرافق مقاعد يجلس عليها المرء عند قضاء حاجته ، ويبدو أن المصري لم يكن ، قبل العصر الروماني ، يعرف حوض الاستحمام ، وانما كان عنده — وفي جميع الازمان — حجرة الرشاش (دش) بـمكان من الضروري بعد الاغتسال العناية بالجسد حتى يحتفظ بمرونته ، الامر الشائع في أغلب البلاد الحارة ، ومن ثم فان المرافق الخاصة في المنازل انما كانت تحتوى على حجرات للتدليك ، واستعمال الدهانات •

وكان يتم تصريف المياه الى الخارج بواسطة قناة من الفخار ، وكان القوم يعذبون برصف أرض الحجرات ، فكانوا يغطونها باسطوانات من الفخار ، ذات أطراف مستوية السطح ، ثم يغطونها باللبن ، وكان الغرض من وضع اسطوانات الفخار تحت طبقة اللبن صرف المياه التي قد تنفذ الى باطن أرض الحجرات ، كما كانوا يضعون أنابيب من الفخار ملتصقة بأحد الجدران ومتدلية من سطحه (٢١) •

هذا وقد كشف «بوخاردت» في العمارة عن أربعة أنواع من دورات المياه ، بعضها يشبه ما وجد في الدولة القديمة ، وبعضها له فتحات دائرية وأخرى لها مقاعد ملصقة ومائلة لتسهيل عملية تنظيفها ، أو له فتحة كفتحة المفتاح ، وفي كل هذه الاشكال كانت توضع أنية تحت هذه الفتحات ، وفي أحد هذه المنازل وجد فراغان ، واحد على كل جانب مملوء بالرمل النظيف لتعملية الفضلات ، كما كانت دورات المياه دائما متصل الجبهة الجنوبية الشرقية من البيت •

وهناك نماذج أخرى لها وجدت في مدينة هابو بطيبة الغربية ، كما وجدت مقاعد متنقلة لقضاء الحاجة ، وكل هذه الانواع مزودة بمقعد مفتوحة من أعلى لتهبط الفضلات من هذه الفتحات بمنقلها أوانى خاصة •

(٢١) انظر

E. Bill-De Mot, The Age of Akhenaten, London, 1965, p. 78-79.

H. Kess, Ancient Egypt, London, 1961, p. 299.

W. M. F. Petric, Social Life in Ancient Egypt, p. 177-178.

وكانت الحمامات مزودة في أسفلها بخزانات ينساب إليها الماء الملوث،  
 وكانت الجدران المحيطة بالحمام مغطاة بالصخر أو بالخزف لصيانتة ،  
 وقد بلغت هذه الحمامات ذروة الترف في عهد «رعسيس الثالث»  
 ( ١١٨٢ - ١١٥١ ق.م ) الذي بنى منزلا على مقربة من معبد مدينة هابو،  
 ثم هدمه وشيد على أنقاضه منزلا آخر مزودا بعدد كبير من الحمامات  
 ليستخدمها هو وحريره . وكل هذه الحمامات كانت مكسوة من الداخل  
 بالواح من الحجر الجيري الأبيض .

وهناك في معبد الملك «ساحورع» من الأسرة الخامسة - في منطقة  
 أبو صير الجيزة ، على مبعدة ٥ كيلا جنوبي أهرام الجيزة - ما يدل على  
 مدى عناية المهندسين بكل ما يؤثر على سلامة البناء ، فضلا عن نظم  
 جديد للصرف الصحي ، فهم مثلا لم يستطيعوا المطر من حسابهم ، وجعلوه  
 ينساب من مزاريب ، كل منها على هيئة رأس أسد ، تسقط المياه من  
 أفواهها الى قنوات صغيرة عمقها قليلا في الأرض ، ثم تسير المياه  
 منحدره الى الخارج ، أما المياه التي تستخدم داخل حجرات المعبد في  
 أجزائه المختلفة ، فكانت تسير في مواسير تحت أرضية المعبد ، وكانت  
 هذه المواسير مصنوعة من النحاس ، وملتصومة الى بعضها البعض  
 بالوصلات ، وتسير الى خارج المعبد مدى أربعمئة متر ، حيث تصب في  
 أحد الأماكن المنخفضة في مكان بعيد عن الانظار .

غير أن القوم ، لأسباب لا ندريها على وجه اليقين ، قد استبدلوا بها  
 طرقا أخرى تختلف حسب العصور ، ففي «اللاهون» ( من عهد الدولة  
 الوسطى ) كانت مياه المنازل تمر خلال مجار تصب في مجرور بوسط  
 الطريق ، وفي منزل من العمارة ( من عهد الدولة الحديثة ) وجدت المياه  
 تمر خلال اناء فخاري مثقوب مقره ، وتصب في وعاء خارج الحوائط<sup>(٢٢)</sup> .

( ٢٢ ) أنظر : محمد بيومي مهران : مصر ١٦٥٢ ، أحمد فخري :  
 مصر الفرعونية ص ١٣٢ ، بول غليونجي : تاريخ الحضارة المصرية ص  
 ٥٣٥ - ٥٣٨ ، وكذا

L. Borchardt, Das Grabdenkmal des Königs Sahure, I, Leipzig  
 1910, p. 7-12, 76-82.

=

كان الفنان المصرى القديم يتمسك فى تمثيله للأشخاص بالتقاليد الموروثة ، ويتبع فيها تعاليم الديانات المرعية فى الدولة ، وهو فى ذلك يريد الخلود والبعث فى صورة رسمية فى أنصر الاشكل ، ومع ذلك فقد كان يبذل قصارى جهده للحفاظ على الصورة الاصلية لجنحة المتوفى كى تبقى الى الابد ، وكى لا ينتاب الروح شعور بالغربة حين يحتويها ساكنها القديم بعد اعادة تشكيله ، ولعل هذا يفسر لنا حقيقة تلك الثروة التى خلفها لنا الفن المصرى القديم فى الكشف عن العمل الجسمانية السائدة ، على الرغم من العقيدة التى كانوا يؤمنون بها فى ذلك الوقت من اظهار التماثيل والنقوش على أكمل صورة وأتم صحة .

وهناك تماثلان اشخصين (أحدهما نوبى ، والاخر مشكوك فى أصل مولده) قد أبرزتا تشحم الثديين ، وتهدل البطن وتدهل لفائف الشحم فى جسدهما . وهناك منظر آخر لرجل سمين يبدو وكأنه رئيس النوبة، حوله أشخاص بعضهم يطعمه ، والبعض الاخر منهمك فى العمل ، بينما هو جالس مستريح فى زورقه ، وقد بالغ الفنان فى إبراز الانحراف عن قوانين الرسم المصطلحة فى بعض مقابر الدولة القديمة .

وربما كانت بدانة هؤلاء الأشخاص من الفروع المعتاد عن الافراط فى المأكول ، ومن خصائصه أنه يعم كل أجزاء الجسم ، غير أن توزيع بعض هذه التكدسات غير متساو فى بعض الأشخاص الاخرين ، ويمد توزيعه فى هذه الاحوان من السماء الاكلينيكية التى ترشد الى تشخيص الحالة المرشحة ، وقد ظهر هذا التوزيع فى بعض الرسوم بوضوح يعجز أى مؤلف طبى حديث على أن يفوقه فى الوصف .

W. M. F. Petrie, Gizeh and Rifeh, London, 1907, Pl. XIX, No. 72.

J. E. Quibell, Excavations at Saqqara, 1923, Pl. XXX, 23.

وانظر عن الحمامات بمعبد دندرة (من عهد البطالمة) :

F. Daumas, in BIFAO, LVI, 1957, p. 5.

وهناك رسم للملكة «بونت» (٢٣) ، احتار العلماء في تفسير سبب سمته أردافها المفرطة ، وتلافيف الشحم واللحم التي تتدلى من ذراعها وساقها ، دون القدمين واليدين ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أنه مرض الفيل ، بينما ذهب آخرون الى أنه «المكسيديم» (ضعف نخدة الدرقية) ، أو الكرمحة العنصرية ، أو ضمور العضلات المرضى ، على أن فريقا ثالثا يذهب الى أنه مرض دركوم (السمنة الموجعة) .

هذا ويبدو من نقش بارز لابنتها — انتزع من مكانه بمعبد الدير البحري في طيبة الغربية ، ولم يستدل على مكانه الطلى — أن مرض الام إنما كان وراثيا ، وقد أثار مظهره المزرى حافظه الفنان الكاريكاتورى فجعل منه محورا لرسم سخرى على الخزف .

وعلى أية حال ، فلقد عرف المصريون كثيرا من أمراض السرى ، والفلق الاربى ، الى جانب انتفاخ البطن ، وتضم الاعضاء التناسلية والتدين ، فاذا جمعنا كل هذه الدقائق في سيفساء طبية ، فانها تشكل صورة قريبة الشبه بمرض الطحال المصرى ، وقد تكون هذه الصورة ، — فيما يرى الدكتور بول غايونجى — رسما لمرض «عاع» الذى كثر الحديث عنه في أوراق البردى الطبية ، والذى مايزال الشك يحوم حول معرفة كنهه ، فهو — في رأى البعض — «البلهارسيا» لعلائته بالديدان ، ولما يحدثه من ضعف شديد ، وان شك البعض في أن يكون قدماء المصريين قد عثروا على حودة البلهارسيا في الوريد البابى ، هذا فضلا عن أن هناك أوصاف عديدة للمتبول الدموى ، جاءت بأسماء أخرى ، وان لم يجىء وصف منها باسم «عاع» ، ومن ثم فقد ذهب البعض الى أن مرض «عاع» هذا ، إنما هو مرض «الانكلستوما» لما يسببه من هزال شديد قد يفتك بالمرضى ، وان استعمال المخصص يدل على ما يشكو الصبيان المصابون به من توقف في النمو الجنسى ، والبالغون من زوال القوى الحيوية .

(٢٣) انظر عن : بلاد بونت (محمد بيومى مهران : العرب وعلاقتهم الدولية في العصور القديمة — مجلة كلية اللغة العربية والعلوم — الرياض ١٩٧٦ ص ٣٠٧ — ٣١٠ .

هذا ويدل تمثال «ذى القنب الحاد» بالمتحف المصرى على وجود مرض «سل العظام» بين القوم وقت ذاك كما أن ورم «روم القفداء» (التحيم المنبجعة) ، وساق الفرعون «سبتاح» (من الاسرة التاسعة عشرة) ، وشكل مفتش الزراعة فى مقبرة «منافا» فى طيبة الغربية ( وهما ليستا بحجم واحد) ، انما تدل على أن شكل الاطفال لم يكن مجهولا وقت ذاك .

وفى بردية ايبيرس وصف للذبحة الصدرية ، كما وصف القوم أيضا اضرار البول ، وقد يكون «البول السكرى» ، كما أن هناك أوصلفا عدة لتسلل الجسم ، والصمت نتيجة حدوث جروح بالرأس والجمجمة ، وأما أمراض المعدة فقد جاءت لها أوصاف عديدة شملت أمراضا مختلفة لأعضاء التجويف الباطنى ، كما عرفوا مرض الدرن ، وقد عزا البعض موت «لتوت عنخ أمون» المبكر الى اصابته بالدرن الرئوى ، وان لم يثبت ذلك على وجه اليقين .

وقد درس الدكتور محمد كامل حسين مجموعة العظام الموجودة بمتحف التشريح بكلية الطب بجامعة القاهرة ورجح أن الامراض الروماتيزمية كانت منتشرة بين القوم ، وكثير من تلك العظام مصاب بنكس فى أربطة المفاصل ، مثل ما يصدر فى مرض «بكتروف» Bechterew ، كما وجد Exostoses فى الجمجمة ، أى زيادات موضعية فى العظم ، تشبه ما يحدث حول أورام «الام الجافة» .

هذا وقد وصف المصريون نوعا من الحمى المصحوبة بطفح جلدى ، وقد فسره البعض بأنه «الطاعون» وفسره آخرون بأنه «الجدرى» ، كما وصفوا نوعا من الدود بأنه (ينفرج) ، وقد يكون الدودة الوحيدة ، كما وصفوا نوعا آخر (مستطيل) وقد يكون «الاسكارس» أو غيره من

---

(٢٤) بول غليونجى : الحضارة الطبية من ١٥ - ٢٢ ، تاريخ الحضارة المصرية من ٥٣٩ - ٥٤١ ، وانظر :

B. Gunn, in BIFAO, 30, 1930, p. 791-815.

C. Kucntz, in BIFAO, 34, 1934, p. 143.

P. Ghalioungui, in ASAE, XVII, 1947, p. 29.

A. Mariette, Deir el-Bahari, Texte, Leipzig, 1877.

E. Brunser, Die Alt-Aegyptisch. Scherbenbilder, 28, 1956, No. 76-1-1.



## الفصل السادس

الاجراءات العلاجية

## ١ - التشخيص :

اعتمدت طرق فحص المريض على الخبرة ودقة الملاحظة ، وكان الفحص يبدأ عادة باستجواب المريض استجابا دقيقا ، ثم يفحصه فحفا عينيا شاملا ، يبدأ بالوجه فيلاحظ الفاحص لونه ، ولفرازات أنفه وجفنيه وعينه ٥٥٥ الخ ، ثم تشم رائحة الجسم من عرق ونفس ، ثم يأتي فحص البطن ، فالاعضاء الأخرى (أذينا ، رعدة ، حوالى ، براز ، عرق ، لعاب ٥٥٥ الخ) ، ثم يتبع الشم الجس والطرق ، وتقدير حرارة الجسم ، وفحص البراز والبول (١) .

## ٢ - الاجراءات العلاجية :

يشير ما جاء فى بردية ايبرس الى تقدم طب الاسنان عند المصريين القدامى ، ومن ذلك توصية بحشو السنة بخليط من الملاخيت والصمغ ، هذا وقد اكتشف «هرمان يونكر» (٢) تثبيت سنتين معا بربطهما بسلك ذهبى ، وهو أول ما عرف من عمليات الجراحة الترميمية فى التاريخ ، أضف الى ذلك الفك الذى عثر عليه فى الجيزة ، وقد وجدت به ثقب صنع لتصريف «فراجات» بالاسنان (٣) .

وكانت الجراحة تتم بأنواعها على أيدي كهنة الآلهة «سخت» (٤) المتخصصين ، من جراحة صغرى ، وأخرى كبرى ، فهناك عمليات الختان وفتح الفراجات ، وهناك عملية التربنة ، وكان التخدير يتم قبل إجراء الجراحة ، ثم تفاظ الجروح بعد انتهاء الجراحة ، وتعالج بالاربطة او باللحم الحى والاعشاب القابضة والعسل .

(١) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ص ٥٤٤ .

H. Junker, Giza, I, 1929, Pl. XL. C.

(٢)

J. H. Breasted, The Edwin Smith Papyrus, Chicago, 1930, p. 53.

(٣)

(٤) أنظر عن الآلهة سخت (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية

القديمة ٣٤٨/٢ - ٣٤٩ ، مصر ٨١/٢ - ٨٢ .

V. Lons, Egyptian Mythology, 1968, p. 106.

هذا ولم تذكر اللقائف الطبية شيئا عن جراحة العين ، ومع ذلك فقد كان هناك تمييز واضح بين علاج العين الظاهر ، وعلاجها من الداخل ، فالأخير كان يجري بواسطة رينسة نسر ، استعملت كقطارة ، وتعتبر هذه أول قطارة عرفت في التاريخ ، ولعل هذا هو ما أراد أن يمثله الفنان الذي زين مقبرة «إيبى» في طيبة الغربية ، اللهم الا اذا كان الفنان يقصد برسمه هذا ، انتراع جسم غريب ننا من تابوت «إيبى» ، فدخل في عين أحد العمال عن طريق أداة تشبه المرود الطويل .

وقد عرف المصريون القدامى الجبثر في حالات الكسور البسيطة والمضاعفة ، بل وحتى الموميات التي أصيبت بكسر ما في أثناء عملية التضيق الطويلة ، كانوا يجبرونها هي الأخرى ، حتى تلقى ربهما ، وهي في أكل صورة جسمانية ، هذا وتشير بردية أدوين سمث الى القدرة على المتفرقة في التثخيص بين الكسور والنقل ، وأما الجبائر فكانت من قشر الخشب أو من الغاب المخلف بقمماش من الكتان تتصل بعضها ببعض الأخر عن طريق أربطة ، وكان العضو المراد تجبيره يلف بها على أن يراعى أن تمتد الجبائر الى المصلين في أعلى وأسفل الكسر ، وتشير البردية الى علاج كسر للترقوة فتقول : «إذا نحصت رجلا مصابا بكسر في الترقوة ، ووجدت بها قصرا ، فقل هذا مرض سأعالجه ، وألقه على ظهره ، وضع بين اللوحين وسادة حتى يتباعد جزء الترقوة ، ويرجع العظم المكسور الى موضعه ، ثم تثبت وسادة من الكتان على الجانب الداخلى من جراحه ، ثم ضمده بال «إيمرو» والمصل في الايام التالية .

وكانت الجراحات والدمامل تعالج بثقبها ثم تصفيتها ، اما بواسطة شرائط من الكتان ، واما بقمع من الغاب ، وكانت تولى عناية خاصة لانتراع كل بقايا الاورام تماما ، خوفا من أن تعود مرة أخرى .

هذا وقد عرف المصريون وقت ذاك عمليات التربنة « فهناك ثلاثة جماجم من العصر الفرعوني بها ثقب مستديرة ، ذوات حواف ملساء ، يحتمل أن تكون نتيجة لهذه العمليات ، ورابعة يعتقد الآن أنها ضمور سببه الشيخوخة .

وقد استعمل المصريون أنواعا من المشارط مختلفة ، وكذا أنواعا من الكلابات « وآلات الكى ، ولكل منها استعمال خاص فى مرحلة معينة من العملية لا تتعداه الى غيرها ، ويحتمل أن تكون هذه بعض الأدوات المروضة فى المتاحف المختلفة مثل : المشارط المستقيمة ، والمشارط الموجة ذات السلاح المنعكف قريب الشبه بطاقيـة هـريـجيا ، والملاقيط المستقيمة والموجـة وذات الحواف المساء ، وأخيرا الكلابات المسننة نوات حلقة تحد من فتحها ، وتحكم امساکها ، أما النار فكانت تستخدم فى كى الجراح والأورام .

هذا وفى معبد كوم امبو — على مبعـدة ٤٢ كيلـا شملى أسوان — مجموعة طيبة من الرسوم تشير الى الآلات الجراحية التى كان يستعملها الأطباء ، ويمكن استعمال بعضها ، أما البعض الآخر فمازال فى حاجة الى فحص ودراسة — شأنها فى ذلك شأن الكثير من الآلات الطبية والجراحية التى تـزخر بها المتاحف — وقد قسمت اللوحة التى توضع الآلات الجراحية ، أفقيا الى أربعة أقسام :

١ — تشمل من اليمين الى اليسار : قرنين يستعملان للحجامة ، ثم مجموعة «ابر» كل منها يحتوى على ثلاثة ابر ، ربما كانت تستخدم للوشم ثم ابرة ثم مجس أو مسطرة أو مسبرة وآلة كى ، ثم آلة أخرى ، ثم مسبر ومجس أو مسطرة أو مسبر ، ثم آلة غليظة الوسط ، رفيعة للطرفين يليها آلة كى .

٢ — وتشمل أيضا : يد هاون بميزراب أسفله هاون بدون ميزراب ، ويليه مبضع صغير بحددين ، أسفله آلة كى صغيرة ، ثم جفت ، ثم مبضع كبير بحددين ، ثم زباجة صغيرة للدواء أسفلهـا ثلاث ملاعق « ثم مبخرة بأسفلهـا مخرزان .

٣ — تحتوى على ميزان بكف أسفله زهر اللوتس والبشنين ، إشارة الى الصعيد والدلتا ، ثم تماويذ على شكل عينين أسفلهما قرن ، كان يستعمل للحجامة ، ثم انيتان للعقاقير ، ثم جفت متوسط الرأس منحنى القبض لمنع الانزلاق — جفت مستدير الرأس مستقيم اليدين .

٤ — ويحتوى على مشرطين ، ثانيهما أكبر دورانا من الاول ، ثم ابرتان ، فحوض مزدوج أسفله كرة خيط ، ثم مقص بلولب ليس له مقابض ، ثم ملقاط ، ثم كأسان لعمل الحجامة •

### ٣ — امراض النساء :

تناولت امراض النساء برديات ايبرس وكاهون وبرلين وكارلزبرج ولندن ، ويبدو أن كل ما ورد عن امراض النساء قد نقل من المجموعات الطبية التي ذكرها «كليمان السكندري» (١٥٠ — ٢١٢م) ، فقال عنها أن الجزء الخامس منها مفصص للمرمد ، والسادس مكرس لامراض النساء ، ومن الطريف أن بردية كارلزبرج قد تناول الاختصاصين ذاتهما ، ويذهب البعض الى أن الزواج المبكر والولادات المتعددة في سن مبكرة ، والاعمال المرهقة التي كانت تقوم بها نساء العامة ابلن الحمل ، وجهل القابلات ، انما كانت تسهم في مضاعفة الامراض التي كانت تصيب المرأة في مصر القديمة •

وكان القوم يعتقدون أن أعضاء الحوض عالمة متجولة في التجويف الباطني ، الامر الذي جعلهم حريصين على اعادة الرحم الى مكانه في حالة المرض ، ومساعدته في ذلك باطلاق بخور من شمع معطر تحت المرأة ، وكثيرا ما كان هذا الشمع يصب في قالب على شكل «أبي قردان» — ممثل الاله تحوت — ليمنحه هذا الرمز فاعلية أكبر في الشفاء •

وقد وصف القوم سقوط الرحم وعالجوه ، اما بمختلف أنواع اللبوس أو بالتبخيرات المركبة من الشمع أو العائط المجفف والترينتين ، وعالجوا التهابات الرحم ، وانتفاخ عنقه بالحقن المنجلية المحتوية على عصير بعض النباتات ، كما عالجوا مرضا سموه «أكل الرحم» علاجا موضعيا ، وقد عزا القوم الى مرض الرحم أعراضا عديدة ، مثل الآلام التي تصيب أسفل البطن والرقبة والاذنين وأمراض العيون والنوبات العصبية ، وقد وصفت بردية كاهون مرضا يشمل مجموعة من العوارض هي : التهاب الرحم ، وآلام المفاصل والعينين ، ولعل هذا يطابق ما يسمى بالسيلان من الالتهاب الموضعي والروماتيزم المفصلي والتهاب العينين •

وأما عن الحمل والولادة ، فهناك عدة طرق للتأكد من خصب المرأة وعقمها ، وقد أشرنا من قبل ، الى طريقة وضع لبوس من الثوم في المهبل ثم ملاحظة رائحته في الفم ، كما كان لدى القوم عدة طرق لتشخيص الحمل ولمعرفة نوع الجنين ، وهذه الطرق بعضها أشبه ما يكون بالسحر ، وبعضها قد يكون له أساس علمي ، وكان الاطباء يوصون في تشخيصهم للحمل بوضع بول المرأة الحبلى على مقدار من القمح ، وآخر من التسمير ، فان نبت القمح كان الجنين ذكرا ، وان نبت التسمير كان الجنين أنثى ، وان لم ينبت أيهما كان ذلك دليلا على عدم الحمل •

هذا ورغم أن هناك وصفة لمنع الحمل لمدة عام ولعامين ولثلاثة أعوام فقد ذهب كثير من الباحثين الى أن الاجهاض كان محرما في مصر الفرعونية ، كما أن تحديد النسل كان معاقبا عليه •

وأما عن الوضع فان النساء كن يجلسن ، اما في وضع ثنى الركبتين ، واما القرفصاء مع وضع اليدين على الفخذين ، يبدو ذلك واضحا في نقش بالمتحف المصرى ، حيث تجلس الموالدة على ركبتها ، واضمة يديها عليها ، وتساعدنا على كلا جانبيها الالهة حاتصور ، وترى في بعض النصوص قلبى طوب وضعا تحت كلا الفخذين ، وتجلس عليها المرأة المستعدة للولادة القرفصاء (وكانت هذه الطريقة شائعة الى عهد قريب في الريف المصرى) ، وربما كان هذان الحجران أصل الكرسي ذى شكل حدوة الحصان ، وان اختلف العلماء في تفسير استعمال هذا الكرسي نظرا لضيق الفتحة به عن حجم رأس الطفل ، فقالوا انه كان مقعدا للراحة ، ويوجد كرسي آخر قد يكون القوم قد استعمالوه لمثل ذلك الغرض ، وأيما ما كان الامر ، فلقد كان الطفل يتغذى بعد الولادة بطريق الثدي •

هذا وفي بردية وستكار اشارات الى ما يجب الاحتفاظ به لسلامة المرأة الموالدة ، ووقاية الأطفال وقت الولادة • وغسل المولود ، وقطع صرته ، وتطبيب ملبسه بما يستطيع ، هذا وكانت المرأة المصرية حريصة الى أبعد الحدود على ارضاع طفلها ، وطبقا لما جاء في نصائح الحكيم

«آتى» فقد كان الطفل المصرى يفطم بعد سنوات ثلاث من ولادته (٥) .

#### ٤ - العقاقير :

عرف المصرى القديم خواص العقاقير ، وهو يفتقى الطعوم ، وأدرك عن طريق الملاحظة أثرها الطبى ، وقد توارث القوم هذه المعرفة ، ومن نم فقد تخصصت فيها بعض الاسر حتى غدت سرا يكاد يكون مقصورا على أفرادها يتوارثونه فى حذر وكتمان ، ولعل من مظاهر هذه السرية أن كثيرا من العقاقير كان لها أسماء لا يعرفها غير فئة من المختارين ، فمثلا سميت «الابستنت» بقلب الرحم ، و «الكروكوس» بدم هيراقل . الخ ، مما زاد فى صعوبة تفسير النصوص القديمة ، ومما يحمل على الظن بأن أدوية كثيرة نصبتها الان خيالية أو سحرية ، وقد كانت فى الحقيقة مفردات طبية عادية رمز اليها بأسماء سرية .

ولعل من الامثلة التى تبين لنا مدى صعوبة تفسير النصوص أن هناك نباتا يدعى بالمصرية «ميمى» ذهب البعض الى أنه «الخط» ، وذهب آخرون الى أنه «الدوم» ، وذهب فريق ثالث الى أنه «كمون حبشى» ، على أن «جرابو» يشير الى أنه «القمح» ، بينما يشير «لوفيفر» من طرف خفى الى أنه «الذرة» ، وهناك لفظ مصرى آخر هو «ظرت» ذهب البعض الى أنه «الحنظل» ، وذهب آخرون الى أنه «الخروب» أو «الخرنوب» ، بينما ذهب فريق رابع الى أنه ربما يعنى القرع والحنظل ، بينما حدده فريق خامس بالحنظل فقط .

(٥) بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية ٥٤٤/١-٥٥٥ ، الحضارة الطبية ص ٢٣ - ٣٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٦ - ٤٦٧ ، بوليوس جيار ، ولويس ريتز : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة ص ٤٨ - ٥٢ ، حسن كمال : المرجع السابق ٢/٢٣٩ - ٢٦١ ، ٤٧٨ - ٤٩٤ ، محمد عبد الحميد : الفراعنة والطب الحديث - القاهرة ١٩٧٩ ص ٢٠٠ - ٢٠١ وكذا

J. Capart, BIFAO, 30, 1931, p. 73.

J. Capart, une rue de Tombeaux..., Bruxelles, 1907, p. 51, Pl. 66. وكذا

P. Ghalioungui, Magic and Medical Science in Ancient Egypt,

London, 1963, p. 92.

F. Daumas, BIFAO, LVI, 1957, p. 5.

J. A. Wilson, ANET, 1966, p. 420-421.

وكذا  
وكذا  
وكذا

وهكذا تتضارب آراء العلماء في تفسير أسماء بعض النباتات المصرية، وليس لدينا غير وسيلتين يستعان بهما على فهم المطلوب ، أولهما : الخصائص الطبية للمقار وفائدتها في العلاج ، وثانيهما : المقارنة اللغوية بين المصرية والقبطية والعبرية والعربية .

وعلى أية حال ، فرغم أن العقاقير المصرية انما كانت نباتية وحيوانية ومعدنية، غير أن العقاقير النباتية انما كانت تشكل  $\frac{2}{3}$  (خمس أسداس) ما استعمله المصري القديم من عقاقير ، وقد كان على رأس العقاقير النباتية المصرية نبت «دجم» الذي ربما كان «الخرع» ، وقد وجدت جذوره بمصر منذ عصور ما قبل التاريخ ، وقد أدرك المصريون خواصه الشفائية فاستعملوه في جميع الامراض ، وأوردت له «بردية ابيرس» فصلا خاصا ، وأشارت الى استعمال بخوره كملين تمضغ مع الجعة ، وهذا اجراء سليم ، فللبذور سريعة الذوبان في الكحول . والكحول يرسب بدوره المواد السامة ، كما استعمله القوم أيضا لامراض قشرة الرأس، ولعلاج سقوط الشعور ، وكدهان لحالات كثيرة .

هذا ولكن لنبات «الخنس» مكانة دينية خاصة ، وله علاقة وثيقة بالله الاخصب «مين» ، وقد أثبت العلم الحديث أن الخنس يحتوى على فيتامين (هـ) الذي يفيد في حالات العقم والضعف الجنسي ، كما أثبتت العلاقة الوثيقة بين هذا الفيتامين وبين هرمونات التناسل عند الذكر والانثى ، كما عرف القوم نبات «الخشفاش» بنوعيه كدواء مسكن منوم، كما عرفوا «الرمان» وهناك وصفة طبية لمستطب مصنوع من جنور الرمان ، وأخرى من قشر الرمان لطرد الديدان المعوية ، كما استعملت قشور الرمان كمادة قابضة لعلاج القروح والجروح وأمراض النساء ، كما استعملت العصارة اللبغية للجميز في علاج الامراض الجلدية وخاصة الصدفية ، كما وصف الجميز للنزلة المعوية ، كما ذهب البعض الى أن اسم «تقوت» بمعنى الجميز ، قد ورد مسهلا وملينا ، وضد التهاب اللثة ، وضد الاسترپوط ، كما وصف الاينسون (ينسون) بأنه منبه معدى عطري معرق منفث ، مخرج للارياح ينفع لانتفاخ الامعاء يضاف للمسهل ضد المعص ، ومهدىء عام .



وقد أفردت بردية «أدوين سمث» فصلا للحلابة ، وقد كانت تستعمل  
 علاجاً لازالة تجاعيد الشيخوخة ، كما كان زيتها يستخلص لاستعماله  
 دهانا لتجعدات الوجه عند النساء ، كما وصفت للثدي المريض موضعياً ،  
 ولطرد الأرواح الخبيثة كعلاج نفسي ، ولأسهال البطن ، كما وصف  
 «الخيار» (شسبت) للقلب ووصف ورقه للحمى وللشك النصفى الأيسر ،  
 ولإبعاد التهاب المشرح .

هذا وقد امتلأت الهرديات الطبية بالعنقير النباتية ، مثل السنط  
 والأبسنط والصبر واللوز والشبث والايسون والبلبونيك ( وزيته كان  
 يستعمل في التدليك) والفروب (لتقوية الباه وطرود الديدان وتحصية  
 الأدوية) والقرطم والششم (ويستعمل لعلاج الرمذ) والكمون وحب  
 الهان وعدة نباتات من فروع من فصيلة القرع والهندباء والتين والعرعر  
 والحشيش والسكران والكتان والزئبق والفاح والنعناع والفردل المر  
 وجوزة الطيب وهبة البركة والبلح والفسق والفجل والزعفران والبصل  
 وغيرها .

وأما المواد الحيوانية فأهمها العسل (بيت) وقد وصف للإمعاء والبطن  
 وضد الدسنتاريا وضد التهاب العينين لتحسين الإبصار والحروق ، وهناك  
 اللبن البقر والماعز والمرأة ، وقد اعتبر القوم لبن النساء عاملة أرقى من  
 لبن الحيوان ، كما كان يحلون لبن المرأة التي أنجبت ذكراً في المرتبة  
 الأولى ، وقد عرف أن «أبقراط» أوصى بعدهم كذلك بإعطاء اللبن نفسه ،  
 كما فعل الإقباط وعرب مصر نفس الشيء بدورهم ، وهناك «كبد الثور» ،  
 وقد وصف ضد العشى ، كما ذهب «صابر جبيرة» الى أن المصريين قد  
 عالجوا الأجهاض المتكرر بالكبد ، وذلك بسبب وجود فيتامين (أ) فيه  
 بكثرة ، وهناك رأس وصفراء بعض الأسماك والمخ ، ودهن الحيوانات  
 وإفرازاتها ، كما استعملت الدهون والشحوم الحيوانية كوسيلة لعلاج  
 البشة وتطرية الجلد وتغذيته ، أما خالصة أو مركبة مع غيرها .

وأما المواد المعدنية فهي كالحجارة الكريمة (وخاصة الفيروز) والذهب

والفضة للطلاسم ، والشبة وأملاح الانتومان و كربونات النوشادر والجير  
 وصدا النحاس (الزنجبار) وأملاح الحديد والماتيزيا وسلفات الزئبق  
 وأملاح الرصاص والبوتاسا والصودا ، وكانت العقاقير المعدنية تحتل  
 المكان الثانى من دساتيرهم الدوائية ، رغم أنها تحتل المكان الاول من  
 حيث تاريخ استعمالها ٢٧١ .

(٦) حسن كمال : المرجع السابق ٣٠٥/١ - ٣٨٦ ، بول غليونجى :  
 تاريخ الحضارة المصرية ٥٦١/١ - ٥٦٣ ، صابر جبرة : تاريخ العقاقير  
 والعلاج - القاهرة ١٩٦٠ ، نجيب ميخائيل : المرجع السابق ص ٤٦٨ -  
 ٤٧٣ ، وكذا

H. Grapow, Op-Cit, 6, 1959, p. 20-22, 42-45, 156-158, 223-225,  
 305-306, 345-346.

L. Keimer, Op-Cit, 4, p. 34, 149.

B. Ebbell, Op-Cit, p. 210, 219, 226, 630, 741.

C. Leake, Op-Cit, p. 68-69

V. Lorez, Op-Cit, p. 86.

Rec. Trav., 15, 1893, p. 121.

JEA, 20, 1934, p. 41.

G. Lefebvre, Op-Cit, p. 223.

F. Jonkeheere, Op-Cit, p. 60-64.

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

وكذا

## الفصل السابع

التحضير

كان المصريون القدامى من أوائل الامم ، ان لم يكونوا ، أول أمة  
 آمنت (عن طريق الفكر الانساني) بالبعث ، والخلود بعد الموت في حياة  
 قد لا تختلف في جوهرها عن حياتهم في العالم الدنيوي . حدث ذلك قبل  
 التاريخ بالآلاف السنين ، كما تشير الى ذلك بقايا أقدم حضارات العصر  
 الحجري الحديث — كما في مرمدة بنى سلامة وفي حلوان العمرى وفي  
 دير قاسا — (١) .

وليس هناك من شك في أن بناء الاهرامات وغيرها من للعمائر الدينية  
 الضخمة في العصور التاريخية ، انما كان نتيجة سيطرة الدين على  
 المصريين وأثره في حياتهم وتفكيرهم ، فالدين — كان وما زال وسيظل —  
 أكبر قوة تؤثر في حياة الانسان ، كما انه كان منفذا للخيلات ومحاولة  
 لتفسير الظواهر المحيطة به ، ذلك التغير الذي أوحى اليه بفكرة الخلود  
 أو للحياة بعد الموت ، هذه الفكرة كان قد اعتنقها القوم ، وكان لها أكبر  
 الاثر في نفوسهم ، بل انه — فيما يرى برستد — لا يوجد شعب قديم  
 أو حديث بين شعوب العالم ، احتلت في نفسه فكرة الحياة بعد الموت  
 الملكية العظيمة التي احتلتها في نفس الشعب المصرى القديم (٢) .

هذا وقد اعتقد المصريون القدامى أن الانسان انما يتكون من جسد  
 وروح ، وأن الجسد مصيره الى القبر بعد الموت ، وأما الروح لمصيرها  
 الى السماء ، وكما جاء في نصوص الاهرام : «أن الروح انما تذهب الى  
 السماء بينما يبقى الجسد في الارض ، ومن ثم فقد اعتقدوا أن هناك  
 — بجانب الجسد المادى (خت) — روحا نورانية شغافة هي (الآخ)  
 تذهب الى السماء ، وتبقى فيها الى الابد مع الاله «أوزير» .

(١) أنظر (محمد بيومى مهران : الحضارة المصرية القديمة ص  
 ٤٠٧ - ٤١٤) .

(٢) J. H. Breasted, The Dawn of Conscience, New York, 1939, (٢)  
 p. 45.

وهناك روح أخرى هي «الكا» (أى القرين) تبقى بجوار الجسد في مقبرته ، وفيما حوله على الارض ، وأن القرايين انما تقدم لها ، وهي في نظر القوم ، الملك الحارس للانسان ، أو التي كان المرء يستقبلها عند مولده بأمر من الاله «رع» ، كما كانوا يعتقدون أنه مادامت هذه «الكا» معه ، ومادام هو رب الكا ، وأنه يغدو منها ، فهو حى يبرق ، ولئن كان أحد لا يستطيع رؤية هذه «الكا» ، فالاعتقاد أنها تشبه صاحبها تماما .

وهناك روح ثالثة هي «البا» ، والتي يمكن تسميتها بالروح الابدية، وهي اذا كانت تترك الجسد ، وتنفلت منه عند الموت ، فقد تخيلوها في أشكال مختلفة ، فهي أحيانا كبير ، ومن ثم فمن المحتمل — فيما يرى القوم — أن تكون روح الميت طائرا بين طيور الأشجار التي غرسها بنفسه ، وقد تكون في هيئة زهرة اللوتس ، أو في هيئة ثعبان يندفع من جحره ، أو في هيئة تمساح يزحف من الماء الى الارض .

هذا وكان القوم يعتقدون أن «البا» تلحق بموكب الشمس في رحلتى الليل والنهار ، وأنها تزور الجسد في رحلة النهار ، وأن كلا من «البا» و «الكا» مرتبط بقاءهما وخلودهما ببقاء الجسد وظلوه ، كما أنهما تفتيان بقاء الجسد وفساده ، ولعل هذا هو السبب في اهتمام القوم بتحنيط أجساد موتاهم ، حتى تحتفظ بملامحها التي كتلت لها في الحياة الدنيا (٣) .

## ٢ - التحنيط

اعتقد المصريون القدامى أن الموت هو انفصال العنصر الجسماني عن العناصر الروحية ، ومن هنا كانت العناية بدفن جثث الموتى ، إذ أن فناءها معناه هلاك الروح ، ولهذا عملوا على المحافظة على جسد المتوفى حتى يستطيع أن يحيى حياته الثانية وأن يتمتع بما يودع الى جانيه من طعام وشراب وكساء وما يقدم له من قرايين، على أن القوم منذ أن بدأوا يدفنون موتاهم في توابيت وفي غرف من اللبن أو غرف محفورة في الصخر ، تعرضت الجثث للتلف ، ذلك لان الرمال الحارة

(٣) محمد بيومى مهران : المرجع السابق ص ٤١٤ - ٤١٦ .

الجافة لم تعد تمتص ما فيها من رطوبة تعمل على فسادها ، ومن ثم فقد عملوا على الحفاظ على المظهر الخارجى للجثة بوسائل شتى ، منها لف الجثة بلفائف من الكتان تحتفظ بالشكل الخارجى للجسم أو تغشيها بغلاف من الجص ، وخاصة الوجه الذى ترسم عليه ملامحه ، أو تغطية الرأس بقناع من الكتان والجص مما تشكل فيه ملامح الوجه ، وقد بلغوا بهذه الوسيلة غايتها فى بداية الاسرة الثانية عشرة ، حيث صنعوا توابيت مقلقة على هيئة الميت يضعون فيها جثته ، ثم يضعونها داخل تابوت آخر من الخشب .

وهكذا لم يدخر القوم وسعا فى الحفاظ على الجثة ، وإن كان أهم وسائلهم فى ذلك هو التحنيط ، بل لقد وصل اهتمام القوم بالحفاظ على الجسد سليما الى تعويض الاطراف المنزوعة أثناء الدفن بأخرى ، والى تركيب الجبائر الى الاطراف المكسورة بعد الموت ، ربما نتيجة لقلة العناية فى أثناء التحنيط ، وكانهم أرادوا علاجها بعد الوفاة ، ذلك لان العملية انما كانت دينية أكثر منها طبية ، وذلك حتى يمكن للروح أن تبقى وأن تتعرف على الجسد ، وتتمتع بما يقدمه الاحياء للميت من قرابين ، وما يصاحب عملية تقديم القرابين من طقوس دينية وصلوات ودعاء ، ومن ثم فقد كانت للمقابر ، وخاصة فى عهد الدولة القديمة والوسطى ، أبواب وهمية ، كانت أول الامر مجرد فجوة فى الحائط ، تطورت فيما بعد الى رسم يسمح للمتوفى بالدخول والخروج من المقبرة ، كما نحتت كذلك فوق الباب الوهمى لوحة صور فيها المتوفى وأمامه مائدة القرابين .

والتحنيط : لغة استخدام الحنوط أو الحنائط ، وهو بكل طيب يمنع فساد الجسد أو هو كل ما يطيب به الميت من مسك وخزيرة وصندل وغبر وكافور ، وغير ذلك مما يذر عليه تطيبا له وتجفيفا لرطوبته ، ولفظ "Embalm" يعنى حنط من لفظ لاتينى Balsmum أى حفظ فى البلسم ، أما لفظ موميا فقل عنها صاحب «أقرب الموارد» أنها دواء ، وربما أطلقت الموميا اليوم على ما حنط من الاجسام ، وهى يونانية معناها حافظ الاجسام ، ويطلق على الجسد الحنط مجازا اسم موميا لما يعتريها من

سواد يشبه القار المحضى (الاسفلت) ، وهو اللون المعروف للمادة التي وصفها «دسغوريديس» وذكر أنها تسمى «مومياء» ، ويذهب «الفرد لوكاس» الى أن هذا اللفظ ربما كان لفظا فارسيا بمعنى القار ، وأنه أطلق في العصور المتأخرة على الجثث المصرية المحنطة لقرب لونها من القار ، غير أن التسمية خاطئة ، ذلك لأنه لم يعثر على قار الا في مومياء واحدة من العصر الفارسي ، وان استعمل في عصر الاغريق والرومان ، ولعل سواد القار والراتنج هما سبب هذا الخطأ الذي وقع فيه بعض الاثريين (٤) .

وأيا ما كان الامر ، فهناك آثار للتحنيط منذ الاسرة الاولى (٥) ، ثم لا نلبث أن نتبينها في وضوح في عصر الاسرة الثانية (٦) ، وقد كان من الممكن أن يتوافر لدينا الكثير من آثار التحنيط مرتبة يتلو بعضها بعضا ، لولا ما وقع على قبور الملوك والنبلاء من عدوان ، وما أصابها من تخريب على أيام الثورة الاجتماعية الاولى ، وعلى أى حال ، ففقدت الجسد في الاسرة الاولى يلف في طبقات سميكة من الكتان ثم سرعان ما ظهر في عهد الاسرة الثانية ما يثبت بداية المحاولات الاولى للتحنيط الحقيقي ، وذلك باظهار ملامح المتوفى بالغة بأربطة الكتان بطريقة تسمح بالمحافظة على الشكل الحي للوجه والصدر والاطراف بعد تحلل الجسد في هيكله العظمي وتقلصه ويبدو أن ذلك قد تحقق بنمسا الكتان في مادة صمغية حتى أن تلك المومياء التي ترجع الى الاسرة الثانية انما تكاد تبين مظهر أصحابها بوضوح ، فقد مثلت ملامح المتوفى بتفاصيلها ، وكذا أعضاء الرجال التناسلية ، وأبرزت تفاصيل الثديين للنساء في صورة كاملة ، كما وضعت الجثث في وضع القرفصاء، وفصلت الذراعين والرجلان والاصابع ولفت بحيث تأخذ شكلها الاصلي في الحياة (٧) .

A. Lucas, Op-Cit, II, p. 338; R. Forbes, Studies in Ancient (٤)

Technology, II, 1955, p. 99.

JEA, 7, p. 7-31. (٥)

A. Lucas, Ancient Egyptian Materials and Industries, II, (٦)

London, 1948, p. 230.

W. B. Emery, Archaic Egypt, p. 162-164. (٧)

على أن القوم ، فيما يبدو ، إنما قد توصلوا الى التحنيط بالمعنى الصحيح ولمرسوه لعلا في الاسرة الثالثة ، اذ وجدت من عصر هذه الاسرة توابيت لحفظ المومياء ، وتوابيت أخرى بها أربعة أوان من المرمر لحفظ الاحشاء المحنطة ، كما وجدت بقايا من مومياء الملك «زوسر» في غرفة الدفن الجرانيتية في هرمه المدرج بسقارة (٨) .

ولعل أقدم مثال للتحنيط إنما هو مومياء الملكة «حتب حرس» ، زوج الملك سنفرو ، وأم الملك خوفو ، وقد وجدت أحشاء هذه الملكة محنطة ومودعة في صندوق من المرمر « عرف باسم «الصندوق الكانوبي» ، وقد قسمت الى أربعة أقسام زود كل منها بمادة التحنيط ، وهي التي عثر عليها في حجرة الدفن بمقبرتها ، شرقي الهرم الأكبر ، غير أن طريقة التحنيط لم تكن في الدولة القديمة قد وصلت الى درجة كبيرة من الاتقان ، ومن ثم فقد عمد القوم وقت ذاك الى استكمال تمثيل ملامح الجسم بمقمش كتان غمس في راتنج منسهر ، بحيث يبدو الوجه والجسم بملامحه الحقيقية في الحياة ، ولعل أبداع مئاة لومياء الدولة القديمة هو مومياء «نفرا» التي اكتشفت عنها هيئة الاثار في سقارة عام ١٩٦٦م .

هذا وقد كانت عملية التحنيط تستغرق سبعة أيام ، كان الكهنة في أثناءها يرتدون الصلوات ، وقد ارتدوا قناعا على شكل رأس ابن آوى ، وهو يمثل أنوبيس ، اله الجبانة وراعى الموتى ، والذي كثيرا ما كانوا يسمونه «رئيس خيمة الاله» ، وكان التحنيط يتم داخل حظيرة مؤقتة تفك عقب الانتهاء من الخطوات الاولى ، وهي الغسل ، وذلك في أماكن مخصصة لذلك تقع في الغرب قريبا من مكان الدفن ، ونظرا للاهمية المثلثية لاماكن التحنيط ، فقد سميت «الماكان الطاهرة» و «دار الاله الطاهرة» و «خيمة الرب» و «كشك الاله» ، ويدهى أن التحنيط إنما كان يستهدف في الدرجة الاولى المحافظة على الجسد من عوامل البلى عن طريق تخفيضه ، ولكن ليس هناك من ريب في أن هناك طرقا أخرى لمنع المتعفن ، منها طريقة التبريد في صفائح بعد تعقيم محتوياتها ، هذا فضلا

(٨) زكى اسكندر : التحنيط في مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٣ ص ١٠



عن طرائق التخليل والتعليح والتبخين والتجفيف ، كما أن هناك مواد كيميائية تمنع العفن كالجلسرين والكحول والزيوت للطيارة والتوابل وحمض الجاويك وثاني أكسيد الكبريت ، وأخيرا فإن أقسام التشريح في المستشفيات التعليمية تحفظ الجثث من العفن عن طريق حقنها بمواد مطهرة (٩) .

ولعل سائلا يتساءل : ما هي الوسائل التي استخدمها المصريون القدامى لتحنيط أجساد موتاهم بطريقة أذهبت العناية كلها بخامسة وأن جسم الانسان انما يحتوى على ٧٥% من وزنه ماء ، وأن اخراج هذه الكمية الهائلة من الجسم ليس بالامر السهل ؟

لقد قام جدل طويل حول اجابة سؤالنا هذا ، فذهب رأى الى أن القوم انما استعملوا حمام الملح بعد استخراج الاحشاء أثناء التحنيط ، فهناك ما يشير الى أنهم قد حفظوا الاسماك بطريقة التعليح وذلك بسبب وفرة الملح ورخصه ، ورغم أنه لم يعثر في الموميات ما يشير الى استخدامهم لهذه الطريقة في التحنيط ، فليس هناك ما ينفى استعمالها ، فضلا عن العثور على الملح في لفائف الجثث وثوق الملابس التي تنتمي الى العصر المسيحي (١٠) ، ومن ثم فقد ذهب «المبوت سمث» الى أن استعمال الملح في التحنيط ، بل ان ملح الطعام انما كان أهم مواد التحنيط في أغلب الاحصائين (١١) .

على أن هناك ما يقف عقبة في قبولنا لهذه الطريقة ، ذلك أن ملح النطرون انما يحتوى على نسبة عالية من ملح الطعام ، وعلى سبيل المثال فقد حوت عينات النطرون من الكاب ٧٥% من ملح الطعام ، ولعل الاتجاه السابق كان نتيجة لذلك ، وهذا يعنى انه اعتبر المادة السالبة هي المادة الاصلية ، بينما اعتبرت مادتا الكربونات والبيكربونات الصودا ، على

(٩) حسن كمال : الطب المصرى القديم ٥٦٢/٢-٥٦٣ ، بول غليونجى : الحضارة الطبية في مصر القديمة ص ٣٢ ، زكى اسكندر : المرجع السابق ص ١٠ .

Warren Dawson, Magician and Leech, London, p. 39. (١٠)

G. E. Smith and W. Dowson, Egyptian Mummies, p. 168. (١١)

أنها شوائب ، رغم أن الحقيقة عكس ذلك تماما ، ولعل هذا هو الذي دفع بعض الباحثين إلى اعتبار مومياء الملك مرنبتاح مكسوة بملح الطعام بسبب غرقه في البحر ، على اعتبار أنه فرعون موسى ، غير أن التحليل الكيميائي قد أثبت أن كمية الملح قليلة ، وانطلاقا من هذا كله ، فقد استبعدت طريقة التمليح من أن تكون الطريقة العادية في التحنيط<sup>(١٣)</sup> .

وهناك وجه آخر للنظر يذهب إلى أن القوم قد عرفوا طريقة التدخين ، اعتمادا على العثور على حجرة في مقابر حلبيّة وقد امتلأت بالجنث حتى سقطها ، هذا فضلا عن حجرات مجاورة كسيت جدرانها بطبقة من الهباب ، مما يشير إلى تجفيف الجنث عن طريق الحرارة البطيئة (التدخين)<sup>(١٤)</sup> ، على أن هناك من يعارض هذا الاتجاه ، على أساس أنه من غير الممكن أن عددا كبيرا من القوم قدموا جنث موتاهم بهذا العدد الضخم دفعة واحدة ، ومن ثم فإن وجود الهباب إنما يشير إلى استخدامه في تطهير المقابر ، هذا فضلا عن أن كلا من هيروdot وديودور لم يذكرنا شيئا عن تجفيف الجنث عن طريق التدخين .

وهناك وجه ثالث يذهب إلى استعمال الجير الحي في التحنيط لازالة الجلد ثم التأثير عليه بعد ذلك بنبيدز التمر ، وأن هناك من وجد كربونات الجير في بعض الموميات بنسبة ٨٦% ، غير أن «لوكس» يرى أنه ليس هناك من دليل على استعمال المصريين للجير الحي في التحنيط ، أو في أي غرض آخر قبل العصر البطلمي<sup>(١٥)</sup> .

على أن هناك وجها رابعا للنظر يذهب إلى استعمال المنطرون كمادة أساسية في التحنيط ، وقد عثر على المنطرون في عدة مقابر ، كما في مقابر «بيويا» و «توبا» والدي للملكة تي ، زوج أمنحتب الثالث وأم اخناتون ، وفي مقبرة من الأسرة الحادية والعشرين ، كما عثر على أكياس مليئة بالمنطرون في مقبرة «توت عنخ أمون» ، إلى جانب أكياس بها منطرون في

(١٢) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٦٤ .

S. Yeivin, Liverpool Annals, XIII, 1926, p. 15. (١٣)

A. Lucas, Op-Cit, p. 313. (١٤)

صدر بعض الموميات ، هذا فضلا عن العثور على لفائف موميات من عصر الاسرة الثمانية عشرة مشبعة بالنظرون ، بل لقد وجد نظرون داخل جمجمة طفل في مقبرة أمنحتب الثانى ، وعلى أى حال ، فهناك ما يشير الى استعمال النظرون من عصر الاسرة الرابعة وحتى العصر الفارسي (١٥) .

### ولعل سؤال البداهة الان : كيف تتم عملية التحنيط ؟

يروى هيروdot أنه «إذا ما مات مصرى ذو قدر لطفت كل نساء بيته الرأس أو الوجه بالطين ، ثم يتركن الجثة فى الدار ، ويجلن فى المدينة لاطمات ، وقد شمرون وكشفن عن صدورهن ومعهن كل «قريباتهن» ثم يحملون الجثة الى المحنطين الذين يعرضون عليهن نماذج ثلاثة لجثث مصنوعة من الخشب ، تمثل أنواع التحنيط الثلاثة ، وأغلاها الطريقة التى اتبعت فى تحنيط أوزير ، والطريقة الثانية أقل تكلفة ، وأما الطريقة الثالثة فهى أقل ما يمكن عمله ولا تكلف الا القليل من المال فاذا ما اتفق الطرفان تسام المحنطون الجثة ، ثم يبدأون فى اخراج بعض المخ من المنخارين بواسطة قطعة محقوفة من الحديد ، والبعض الآخر بفضل عقاقير يصبونها فى الرأس ، ثم يشنون الكشح بصجر أثيوبى مسنون (ولعله حجر الصوان) ويفرجون الاحشاء كلها ثم يفظفونها ويغسلونها بنبيذ التمر ، ثم يطهرونها بالتوابل المجروشة ، ثم يملأ الجوف بمر نقى مسحوق ودار صينى وسائر أنواع الطيب ، ما عدا البخور ، ثم يفيظونها ثانية ، ثم يملحون الجثة بتحنيطها بالنظرون سبمىن يوما ، فى نهايتها تغسل الجثة ثم يلف الجسم كله بشرائط الكتان الشفلف ، ثم يسلمون الجثة لاصحابها ، ويعملون لها هيكل خشبيا على هيئة انسان ويضعونها فيه ، وبعد اغلاقه عليها يفظفونها بعناية فى غرفة الدفن ويقيمونها مسندة الى حائط» .

هذه هى الطريقة الاولى الغالية الثمن ، وأما الثانية فتتم بأن يملأ المحنطون الحلقن بزيت الصنوبر للأجوف الجثة دون أن يشجوها ، ودون

(١٥) حسن كمال : المرجع السابق ص ٥٦٤ - ٥٦٥ .

أن يستخرجوا الاحشاء ، ولكنهم يضعون الزيت من الشرح ويسخونه بعد ذلك حتى لا ينساب الزيت منه ، ويملحون الجثة أياما عدتها سبعون يوما ، وفي نهايتها يخرجون الزيت من الجوف ، وهذا الزيت قوته عظيمة ، حتى أنه يجرف معه الاحشاء والمصارين التي تكون قد تطلت ، أما اللحم فيخيه النطرون ، ومن ثم لا يبقى من الجثة سوى الجلد والعظام ، ثم يردون الجثة الى أهلها دون أية عناية أخرى .

وأما الطريقة الثالثة والتي كانت تستخدم لأن هم أقل ثراء ، فقد كان المحنطون ينسلون الجوف بماء الفجل ، وتترك الجثة في الملح سبعين يوما ، ثم ترد لأصحابها ليذهبوا بها الى المقبرة (١٦) .

وعلى أى حال ، فإن حراسة الجثث انما تشير الى أن معظم ما جاء في رواية هيروdotot انما هو صحيح الى حد كبير ، كما أن هناك ما يشير الى أن عملية التحنيط قد تطورت في العصور المختلفة الى أن بلغت ذروتها في عصر الدولة الحديثة، ويعتبر سوميات الملوك تحوتمس الاول وأمنحتب الثاني وسيتي الاول ورعمسيس الثاني والملكة نزمتم من أروع الامثلة على مدى اتقان القوم لعملية التحنيط ونجاحهم في احتفاظ الجسم بملامحه وأنسجته الاسلية .

وتتفق طريقة تحنيط الملوك والاشراف في ذلك العصر في كثير من تفاصيلها مع أعلى طريقة شرحها هيروdotot، وتتلخص في الخطوات التالية:

١ - تنقل الجثة الى معمل التحنيط ، والذي كان يسمى « بيت التطهير » (بروعبت) أو البيت الجميل (برنفر) حيث تنزع ملابسها ثم توضع على لوحة خشبية لاجراء العمليات الجراحية لاستخراج المخ ، الامر الذي يتم عادة عن طريق الانف ، وربما عن طريق الثقب الاعظم بواسطة قضيب ملوى من النحاس أو البرونز على شكل مطعقة ، وفي كلا الحالتين كان المخ يهتك بسبب ضخامة حجمه وضآلة فتحة افراجه ،

(١٦) هيروdotot يتحدث عن مصر ص ١٩٢ - ١٩٧ .

والعملية رغم أنها شاقة فهي ضرورية لان المخ من أوائل الانسجة التي تتعفن بعد الوفاة .

٢ - تستخرج الاحشاء الباطنية عن طريق شق في الجانب الايسر من البطن ، ثم تستخرج الامعاء فالكبد فالطحال ، أما الكليتان فتتركان عادة في مكانهما ، ثم يشق الحجاب الحاجز لاستخراج الرئتين ، اما القلب وأوعيته الدموية فتترك مكانها .

٣ - ينسف تجويف البطن والصدر بنبيد البلع والتوابل ، وهو اجراء لا يترك أثرا ظاهريا على المومياء .

٤ - تغسل الاحشاء بعد نسيبها ، وذلك بوضع كل جزء منها في ملح نظرون جاف على سرير صغير مائل الى ان يستخلص كل الماء الذي بها وتجفف تماما ، ثم تعالج بالزيوت العطرية والراتنج المنصر ، وتلف في أربع لفافات مستقلة ، وتوضع كل منها في بعض الاحيان في قبابوت صغير من الذهب كتبابوت احشاء توت عنخ آمون ، أو من الفضة كتبابوت احشاء شيشنق ، ثم توضع هذه النوابيت (أو اللفافات بدون نوابيت غالبا) في أربعة أوان تسمى «الاوراني الكانوبية» اغطيتها يصل كل منها اسم أحد أولاد حورس الاربعة ، وقد شكلت رؤوس هذه الاوانى على شكل رأس آدمى حتى أخريات أيام الاسرة الثامنة عشرة ، ثم شكلت بعد ذلك طبقا للشكال الفطرية لأولاد حورس الاربعة ، فالكبد يوضع في اناء غطاؤه على شكل «ايمستى» ، والرئتان توضع في اناء غطاؤه على شكل «حابى» والمعدة في اناء على شكل «دواموت اف» ، ثم الامعاء في اناء على شكل «قبح سنو اف» (وأما أشكال أولاد حورس فكان ايمستى على شكل رأس آدمى ، وكان حابى على شكل رأس قرد ، وكان دواموت اف على شكل رأس ابن آوى ، وكان قبح سنو اف على شكل رأس مقر) ، وأخيرا كانت الاوانى الكانوبية توضع في صندوق للاحشاء يعلوه أحيانا تمثال أنوبيس ، له الجبلنة والقنيط .

ولعل من الجدير بالاشارة ان الاحشاء كانت على أيام الاسرة الحادية والعشرين تتلف وتلف بكتان ثم تعاد الى مكانها الطبيعي ، كما كانت في

الحياة الدنيا ، وأما أولاد حور الأربعة فكانت تصنع لهم تماثيل من الشمع ثم توضع في الأحشاء التي كانت تحميها ، كما كانت البطن تملأ في أكثر الحالات بالنشارة ، وفي قلة منها بالراتنج .

٥ — كان الفراغان البجلنى والصدري يحشوان بمواد حشو مؤقتة من ثلاثة أنواع من اللفافات ، الأولى بها نظرون لاستخلاص ماء الجسم من الداخل ، والثانية من الكتان لامتناس الماء المستخرج ، والثالثة من الكتان كذلك ولكنها تصوى على مواد عطرية لامتصاص الجسم رائحة طيبة أثناء عملية التحنيط الرئيسية .

٦ — يقفل مكان فتحة البطن بالخيطة أو تختم بمادة راتنجية أو شمعية ، كما تقفل كذلك فتحات الفم والأنف والأذن والعيون ، ولزيادة المحافظة على الملامح كان المحنطون يغطون الوجه والفم والخدان بكتان مغموس بالنظرون والدهنيات .

٧ — كانت الفكرة الرئيسية للتحنيط هي تجفيف الجثة لمنع الميكروبات اللاهوائية من النمو على أنسجتها ، ومن ثم فقد كانت الجثة توضع بعد استخراج أحشائها وغسلها في كوم من النظرون الجاف ، وربما ملح الطعام الجاف ، على سرير التحنيط ، وهو سرير مائل من الحجر في نهايته فتحة صغيرة تؤدي الى حوض تجمع فيه السوائل التي تستخرج من الجثة نتيجة لعملية الانتفاح ، وتستغرق هذه العملية سبعة أيام ، يظل الجسم فيها مغموساً في النظرون ، وقد ذكرت تلك السبعون يوماً على الأثر المصرية ، ومن ثم فإننا نقرأ على غطاء تابوت المتحف المصري «أنت يا من مكثت سبعين يوماً بالمنزل الجميل ، سبعون يوماً راقداً في المكان ، سبعون يوماً حدادا» .

٨ — تستخرج الجثة بعد ذلك من النظرون وتغسل بالماء وتجفف بالنشفات ، وقد تغسل بسائل آخر مثل نبيذ التمر ، وكانت الأصابع غالباً ما تصبغ بالحنة ، كما كان يحشى تجويف الجمجمة بالراتنج أو بالكتان المشبع بالراتنج ، ويحشى تجويف الصدر والبطن بمواد مثل

الانسيون والمر والكاشية ( خيار شبر ) ومواد عطرية أخرى ، فضلا عن الكتان أو الكتان الغموس في الراتنج ، وبالنشارة المشبعة بالراتنج أو بالتراب والنظرون ، وقد يضاف الى ذلك بصلة أو بصلتان ، ثم كانت تشد حافظتا الشق البطنى الى جانب بعضهما ، ويثبت على الشق لوح معدنى أو من شمع النحل على شكل عين حور ، ثم يثبت هذا اللوح المعدنى في موضعه على الشق براتنج منصهر لسد شق البطن ، وأحيانا كان الشق يخاط بخيط من الكتان •

٩ — يدهن كل جسم المتوفى بزيت الارز ودهانات عطرية أخرى ، وكذلك كل سطحه بمسحوق المر والقرفة لاكسابه رائحة عطرية •

١٠ — تسد فتحتا الفم والانف والاذنين بقطع من قماش الكتان الغموس في الراتنج المصهور ، أما العينان فكان يوضع بكل منهما قطعة من هذا القماش المشبع بالراتنج تحت الجفن ثم تجذب الجفنان على الحشو. ، لكى تبعد العينان غير غائرتين ، وانما في مستواهما الطبيعى في الحياة بقدر المستطاع ، وفي عهد الاسرة الحادية والعشرين استعملت العيون الصناعية وحشيت العضلات بالراتنج وبالكتان مع الراتنج للحفاظ على الشكل الظاهرى ، أما القطران فقد استعمل بعد ذلك وحده أو ممزوجا مع الراتنج •

١١ — تعالج الجثة كلها براتنج منصهر بواسطة فرشاة عريضة لاكساب الجثة صلابة ولسد مسام الجسم حتى لا تتعرض أنسجته لتأثير الرطوبة مرة أخرى ، ومن ثم لا تتمكن بكتريا التعفن من العيش على أنسجته •

١٢ — تزين جسم المتوفى بالحلوى ، وقد وجدت على مومياء توت عنخ آمون ١٤٣ قطعة من الحلوى المختلفة من الخواثم والاقراط والمعقود والاساور والصدريات والتماائم المختلفة ، كما وضعوا في بعض الاحوال حزاما من الخرز في وسطه دلالية على شكل صقر جائم من العقيق الاحمر بحيث يقع فوق شق التضيق كتميمة لحماية الشق ووقايته ، ثم يلف

الجسم كله بلغائف من الكتان التى تلتصق بعكسها بالراتنج المعطر ، وقد  
لغت جثة توت عنخ آمون بست عشرة طبقة من الكتان .

١٣ - تجرى على المومياة - بعد انتهاء كل العمليات السابقة  
والطقوس التى تصاحبها - عملية «فتح الفم» التى يلمس فيها الكاهن  
الاعظم فم المومياة بقضيب خاص ويقول له «أنت الآن ترى بمينيك ،  
وتسمع بأذنك ، وتفتح فمك لتتكلم وتأكل ، وتحرك ذراعيك وساقيك ،  
أنت تحيا ، أنت الآن حى » وقد عدت صغيرا مرة أخرى ، وستعيش الى  
الابد» (١٧) .

- 
- (١٧) زكى اسكندر : المرجع السابق ص ١١ - ١٦ ، حسن كمال :  
المرجع السابق ص ٥٦٥ - ٥٦٨ ، بول غليونجى : المرجع السابق ص  
٢٥ - ٢٨ ، محمد عبد الحميد : الفراعنة والطب الحديث ص ٢٠٧ - ٢٢٧ ،  
يوليوس جيار ريتز : الطب والتحنيط فى عهد الفراعنة ص ١٠٢ - ١٤٢ ،  
G. E. Smith and W. Dawson, Op-Cit, p. 168. وكذا  
A. Zaki and Z. Iskander, ASAE, 42, 1943, p. 223-255. وكذا  
W. Dawson, JEA, 13, 1927, p. 40-49. وكذا  
A. Lucas, Op-Cit, p. 270-320. وكذا  
E. Smith, The Royal Mummies, Le Cairo, 1912. وكذا  
H. S. Bakry, A brief Study of Mummification in Cairo, 1965. وكذا  
S. Sauneron, le rituel de L'embaumement, le Cario, 1962. وكذا  
Z. Iskander and A. E. Shaheen, Temporary Stuffing Materials  
used in The Process of Mummification, Part, I, Asaf, T. LVII, Cairo,  
1964, p. 197-208.  
ASAE, 30, 1930, p. 102-104, 40, 1940, p. 233. وكذا  
JEA, 18, p. 177. وكذا



## المراجع المختارة

## أولا : المراجع العربية

- الدكتور أحمد بدوى : فى موكب الشمس - جزآن - القاهرة ١٩٥٥/٥٠
- الدكتور أحمد بدوى والدكتور محمد جمال الدين مختار : تاريخ التربية والتعليم فى مصر - الجزء الاول - القاهرة ١٩٧٤
- الدكتور أحمد فخرى : مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٧١
- الدكتور أحمد فخرى : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى - الادب المصرى القديم - القاهرة ١٩٦٢
- الدكتور أحمد فخرى : الاهرامات المصرية - القاهرة ١٩٦٣
- الدكتور بول غليونجى : طب وسمر - القاهرة ١٩٦٠
- الدكتور بول غليونجى : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى الطب عند قدماء المصريين - القاهرة ١٩٦٢م
- الدكتور بول غليونجى ، وزينب الدواخلى : الحياة الطبية فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٦٥م
- الدكتور حسن كمال : الطب المصرى وقديم (أربعة أجزاء) - القاهرة ١٩٦٤م
- زكى اسكندر : التحنيط فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٧٣
- الدكتور سليم حسن : الادب المصرى القديم - جزآن - القاهرة ١٩٤٥
- الدكتور سيد توفيق : معالم تاريخ وحضارة مصر الفرعونية - القاهرة ١٩٨٤
- الدكتور عبد الحميد زايد : مصر الخالدة - القاهرة ١٩٦٦
- الدكتور عبد الحميد زايد : الرمز والاسطورة الفرعونية - عالم الفكر - الكويت ١٩٨٥
- الدكتور عبد الحميد سماحة : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى الفلك عند المصريين القدماء - القاهرة ١٩٦٢م
- الدكتور عبد العزيز صالح : تاريخ الحضارة المصرية - العصر الفرعونى الرياضيات فى مصر القديمة - القاهرة ١٩٦٢

الدكتور عبد العزيز صالح : حضارة مصر القديمة وآثارها - الجزء الاول -  
القاهرة ١٩٦٢ .

الدكتور عبد العزيز صالح : الشرق الادنى القديم - الجزء الاول - القاهرة  
١٩٦٧ .

الدكتور عبد العزيز صالح : التربية والتعليم في مصر القديمة - القاهرة  
١٩٦٦ .

الدكتور عبد المنعم ابو بكر : اساطير مصرية - القاهرة ١٩٥٤ .

الدكتور محمد بيومي مهران : الثورة الاجتماعية الاولى في مصر الفرعنة  
الاسكندرية ١٩٦٦ .

الدكتور محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الاول - الاسكندرية ١٩٨٨ .

الدكتور محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الثاني - الاسكندرية ١٩٨٨ .

الدكتور محمد بيومي مهران : مصر - الجزء الثالث - الاسكندرية ١٩٨٨ .

الدكتور محمد بيومي مهران : اخناتون - عصره ودعوته - القاهرة ١٩٧٩ .

الدكتور محمد بيومي مهران : اسرائيل - الجزء الثالث - الاسكندرية  
١٩٧٩ .

محمد عبد الحميد بسيوني : الفرعنة والطب الحديث - دار المعارف -  
القاهرة ١٩٧٩ .

محرم كمال : الحكم والامثال والنصائح عند المصريين القدماء - القاهرة  
١٩٦٢ .

الدكتور نجيب ميخائيل : مصر والشرق الادنى القديم - الجزء الاول  
والثاني - الاسكندرية ١٩٦٦ .

الدكتور نجيب ميخائيل : الحضارة المصرية القديمة - الاسكندرية ١٩٦٦ .

### ثانيا : المراجع المترجمة

ادولف ارمان وهرمان رانكه : مصر والحياة المصرية في العصور القديمة  
ترجمة عبد المنعم أبو بكر ، ومحرم كمال - القاهرة ١٩٥٣ .

الكسندر شارف : تاريخ مصر - ترجمة الدكتور عبد المنعم أبو بكر - القاهرة  
١٩٦٠ .

الن جاردنر : مصر الفرعنة - ترجمة نجيب ميخائيل - القاهرة ١٩٧٣ .

- جورج سارتون : تاريخ العلم - مصر - ترجمة الدكتور مصطفى الامير -  
القاهرة ١٩٦٣م .
- جوستاف لوفيفر : روايات وقصص مصرية من العصر الفرعوني - ترجمة  
على حافظ - القاهرة .
- جون ويلسون : الحضارة المصرية - ترجمة احمد فخري - القاهرة ١٩٥٦ .
- جيمس هنرى برستد : فجر الضمير - ترجمة سليم حسن - القاهرة ١٩٥٦ .
- سيرج سونيرون : كهان مصر القديمة - ترجمة زينب الكردى - القاهرة  
١٩٧٥ .
- يوليوس جيار ، ولويس ريتز : الطب والتحنيط في عهد الفراعنة - ترجمة  
انطون زكرى - القاهرة .

### ثالثا : المرجع الاجنبية

- Anthes, (R.), JNES, 16, 1957, p. 176-190.
- Barta, (W.), MDIK, 21, 1971, p. 35-145.
- Bissing, (F. W. Von), Altgyptische Lebensweisheit, Zurich, 1955.
- Bottero, (J.), Cassin, (E.), and Vercoutier, (J.), The Near East, The Early  
Civilization, London, 1967.
- Breasted, (J. H.), A History of Egypt, New York, 1946.
- Breasted, (J. H.), The Edwin Smith Surgical Papyrus, Chicago, 1930.
- Brunner - Traut, (E.), Altgyptische Marchen, Dusseldorf-Cologne, 1965.
- Brunner - Traut, (E.), ZAS, 94, 1967, p. 6-15.
- Brunner, (H.), Altgyptische Erziehung, Wiesbaden, 1957.
- Budge, (E.A.W.), Facsimiles of Egyptian Hieratic Papyri in The British  
Museum, London, 1910.
- Chace, Ludlow Bull, Henry Parker Manning, and Raymond Clare  
Archibald, The Rhind Mathematical Papyrus, (2 Vol, Oberlin,  
Ohio, 1927-1929).
- Dawson, (W.), JEA, 14, 1928, JEA, 20, 1934.
- Davaud, (E.), Les Maximes de Ptahhotep, Fribourg, 1916.
- Dawson, (W. R.), Making a Mummy, in JEA, XIII, 1927.

- Dawson (W. A.), and Gray (P. H. K.), *Mummies and Human remains*  
British Museum, London, 1963.
- Drioton, (E.), et Vandier (J.) *L'Egypte*, Paris, 1962.
- Drioton, (E.), *RdE*, 12, 1960, p. 90-91.
- Ebbell, (B.) *The Ebers Papyrus*, Copenhagen, 1937.
- Edel, (E.), *MIO*, I, 1953, p. 210-226.
- Edgerton, (W. F.), *Chronology of The Twelfth Dynasty*, in *JNES*, I,  
1942.
- Emery, (W. B.), *Archaic Egypt*, (Penguin Books), 1963.
- Erman, (A.), *The Literature of The Ancient Egyptians*, Trans. into  
English by A. M. Blackman, London, 1927.
- Faulkner, (R. O.), Wente, (E. F.), and Simpson, (W. K.), *The Literature  
of Ancient Egypt*, London, 1977.
- Faulkner, (R. O.), *JEA*, 50, 1964, p. 24-36, *JEA*, 51, 1965, p. 53-62.
- Federn, (W.), *JEA*, 36, 1950, p. 48-50.
- Forbes, (R.), *Studies in Ancient Technology*, II, London, 1955.
- Garstang, (J.), *The Burial Customs of Ancient Egypt*, London, 1907.
- Gardiner, (A. H.), *The House of Life*, *JEA*, 24,
- Gardiner, (A. H.), *The Admonitions of an Egyptian Sage*, Leipzig, 1909.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, I, 1914, p. 20-36.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 1914, p. 100-106.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 9, 1923, p. 5-25.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 32, 1946, p. 71-74.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 37, 1951, p. 109-110.
- Gardiner, (A. H.), *JEA*, 45, 1959, p. 12-15.
- Gardiner, (A. H.), *Hieratic Papyri in The British Museum, Third Series :*  
*Chester Beatty Gift. 2*, London, 1935.
- Gardiner, (A. H.), *Egypt of The Pharaohs*, Oxford, 1961.
- Ghalioungui, (P.), *Magic and Medical Science in Ancient Egypt*, 1963.

- Golenischeff, (W.), *Les Papyrus hieratiques Nos : 1115, 1116A et 1116B de L'Ermitage imperial a St-Petersbourg, St-Petersbourg, 1916.*
- Goedicke, (H.), *JARCE, 7, 1968, p. 15-21.*
- Grapow, (Herman), *Grundrisse der Medezin der Alten Agypter, Berlin (1958-1962).*
- Griffith, (F. L.), *JEA, 12, 1926, p. 191-231.*
- Gunn, (B.), *The Instructions of Ptah-Hotep and The Instructions of Ke'gemni, The Oldest books in The World, London, 1912.*
- Hayes, (W. C.), *The Scepter of Egypt, 2 Vols, New York, 1953-1959.*
- Harris, (J. E.) and Weeks (K. R.), *X-Raying The Pharaohs, New York, 1973.*
- Helek, (W.), *Der Text der lehre Amenemhets, I, for Seinen Sohn, Wiesbaden, 1949.*
- Hermann, (A.), *Altgyptische Liebesdichtung, Wiesbaden, 1959.*
- Hermann, (A.), *OLZ, 42, 1939, p. 141-153.*
- Humbert, (P.), *Recherches sur les Sources de la Litterature Sapientiale d'Israel, Neuchatel, 1929.*
- Iskander, (Z.), and Shaheen, (A. E.), *Temporary Stuffing Materials used in The Process of Mummification, Cairo, 1964.*
- Lefebvre, (G.), *Romans et Contes Egyptians de L'epoque Pharaonique, Paris, 1949.*
- Lefebvre, (G.), *La Medicine de L'Epoque Pharaonique Paris, 1956.*
- Lichtheim, (Miriam), *Ancient Agyptian Literature Vol. I, London, 1975. Vol. II, London, 1976.*
- Lopez, (J.), *RdE, 15, 1963, p. 29-33.*
- Lucas, (A.), *Ancient Egyptian Materials and Industries London, 1948.*
- Moller, (G.), *Hieratische Lcsetucke fur den akademischen Gebrauch 3, Berlin, 1961.*
- Muller, (D.) *ZAS, 94, 1967, p. 117-123.*

- Parker, (R. A.), *The Calendars of Ancient Egypt*, Chicago, 1950.
- Parker, (R. A.), *JNES*, 16, 1957.
- Peet, (T. E.), *The Rhind Mathematical Papyrus*, Liverpool, 1923.
- Peet, (T. E.), *A Comparative Study of The Literature of Egypt, Palestine and Mesopotamis*, London, 1931.
- Peterson, (B. J.), *JEA*, 52, 1966, p. 120-128.
- Posner, (G.), *La Première domination Perse en Egypte*, Le Caire, 1936.
- Posener, (G.), *Littérature et Politique dans L'Egypte de la XIIIe dynastic*.  
Bibliothèque de l'Ecole des Hautes Etudes 307 Paris, 1958.
- Posener, (G.), *RdE*, 6, 1951, p. 32-33 .
- Posener, (G.), *RdE*, 18, 1966, p. 45-62.
- Posener, (G.), *ZAS*, 99, 1973, p. 129-135.
- Posener, (G.), *Annuaire du Collège de France*, 62, 1962, p. 290-295.  
63, 1963, p. 303-305.  
64, 1964, p. 305-307.  
65, 1965, p. 343-346.  
66, 1966, p. 342-345.
- Riad, (Nagnib), *La Médecine au Temps des Pharaons*, Paris, 1955.
- Sauneron, (S.), *le rituel de L'embaumement*, Le Caire, 1952.
- Simpson, (D. C.), *JEA*, 12, 1926, p. 232-239.
- Smith (E.), *The Royal Mummies*, Le Caire, 1912.
- Smith, (G. R.) and Dawson (W. R.), *Egyptian Mummies*, London, 1924.
- Sloley, (R. W.), *The Origin of The 365-day Egyptian Calendar*, in *ASAE*,  
XLVIII, 1949.
- Till, (W. C.), *Arzneikunde der Kopen*, Berlin, 1951.
- Vercoutter, (J.), *L'Egypte Ancienne*, Paris, 1963.
- Williams, (R.), *JEA*, 48, 1962, p. 49-56.
- Williams, (R.), in *Essays in Honour of T. J. Meek*, Toronto, 1964, p. 16-19.

- Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 12-13.
- Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 412-425.
- Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 441-446.
- Wilson, (J. A.), ANET, 1966, p. 467-469.
- Wilson, (J. A.), The Culture of Ancient Egypt, Chicago, 1963.
- Wreszinski, (W.), The Text of Papyrus Ebres, Leipzig, 1913.
- Yoyotte, (J.), BSFE, 11, 1952, p. 67-72.
- Zabz, (Z.), Les Maximes de Ptahhotep, Prague, 1956.
- Zaki, (A.), and Iskander, (Z.), Materials and Method used for Mummifying the Body of Amentefnekht at Saqqara in ASAE, XLII, 1943.
- Zaki, (A.), and Iskander, (Z.), ASAE, 42, 1943.



## فهرست الموضوعات

تقديم ... .. ط

### الكتاب الاول

### الادب المصرى القديم

#### الفصل الاول :

الادب المصرى القديم ، اهميته وتطوره وخصائصه ... .. ١

#### الفصل الثانى :

ادب الاسطورة ... .. ١٧

١ - اسطورة اوزير وست ... .. ٢٠

٢ - اسطورة حور والعقارب السبع ... .. ٢٩

٣ - اسطورة الصراع بين حور وست ... .. ٣٣

٤ - اسطورة هلاك البشرية وانقاذها ... .. ٤٣

٥ - اسطورة حيلة ايزة ... .. ٥٠

٦ - اسطورة البهتان والصدق ... .. ٥٤

٧ - اسطورة مولد حتشبسوت الالهى ... .. ٥٧

#### الفصل الثالث :

ادب القصة ... .. ٦٥

١ - قصة خوفو والسحرة ... .. ٧٠

(١) قصة الزوجة الخائنة ... .. ٧٣

(٢) قصة سنفرو وفتيات القصر ... .. ٧٤

(٣) قصة خوفو والساحر جدى ... .. ٧٥

٢ - قصة الفلاح الفصيح ... .. ٨٠

٣ - قصة سنوهى ... .. ٩٤

- ٤ - قصة الملاح والجزيرة النائبة ... .. ١١٠  
 ٥ - قصة فتح يافا ... .. ١١٦  
 ٦ - قصة الاخوين ... .. ١٢٠  
 ٧ - قصة ون أمون ... .. ١٢٧  
 ٨ - قصة الامير المقدور عليه ... .. ١٤٠

### الفصل الرابع :

- ادب الاناشيد ... .. ١٤٥  
 أولا : من أناشيد أمون ... .. ١٤٧  
 ثانيا : من أناشيد اخناتون لالهة أتون ... .. ١٥١  
 ١ - الانشودة الصغرى ... .. ١٥١  
 ٢ - النشيد الكبير ... .. ١٥٣  
 مميزات دعوة اخناتون من خلال الاناشيد ... .. ١٥٨  
 ١ - الدعوة الى التوحيد ... .. ١٥٩  
 ٢ - الدعوة الى دين عالمي ... .. ١٦٠  
 ٣ - القضاء على التفرقة العنصرية ... .. ١٦٢  
 ٤ - التركيز على قدرة الخالق ... .. ١٦٥  
 ٥ - اظهار الرحمة في صفات الاله الخالق ... .. ١٦٦  
 ٦ - التفسير العلمى لفيضانات النيل ... .. ١٦٨  
 ٧ - الدعوة الى الصدق ... .. ١٦٩  
 ٨ - تجاهل المرأة في الديانة الجديدة ... .. ١٧٠  
 ٩ - اخراج الدين الى العلانية ... .. ١٧٣  
 ١٠- تقدير تجلى قدرة الله في العالم الحسى ... .. ١٧٣  
 نشيد اخناتون والمزمور ١٠٤ ... .. ١٧٤

### الفصل الخامس :

- ادب المدائح والملاحم والغناء والغزل ... .. ١٨٥  
 أولا : من ادب المدائح ... .. ١٨٧  
 ١ - مدائح منوسرت الثالث ... .. ١٨٧  
 ٢ - قصيدة مديح تحوتمس الثالث ... .. ١٩٢  
 ثانيا : من ادب الملاحم ... .. ١٩٥  
 ملحمة معركة قادش ... .. ١٩٥

٢٠٥	...	...	...	...	...	ثالثا : من أدب الغزل والغناء
٢٠٥	...	...	...	...	...	(أولا) : أغاني الغزل
٢١٢	...	...	...	...	...	(ثانيا) : الغناء

#### الفصل السادس :

٢١٧	...	...	...	...	...	من أدب الحسوار
٢١٩	...	...	...	...	...	برمية الياثس من الحياة

#### الفصل السابع :

٢٣١	...	...	...	...	...	من أدب الحكمة والنصائح
٢٣٤	...	...	...	...	...	١ - تعاليم بتاح حوتب
٢٤٧	...	...	...	...	...	٢ - نصائح الى كاجمنى
٢٥٠	...	...	...	...	...	٣ - تعاليم خيتى بن داووف لابنه بيبي
٢٥٨	...	...	...	...	...	٤ - نصائح الحكيم أنى
٢٦٦	...	...	...	...	...	٥ - تعاليم امنموى

#### الفصل الثامن :

٢٨٥	...	...	...	...	...	من أدب النقد والسياسة
٢٨٧	...	...	...	...	...	١ - تحذيرات الحكيم ايبو - ور
٢٩٩	...	...	...	...	...	٢ - نبؤة نفرتى
٣٠٦	...	...	...	...	...	٣ - ارشادات الى الملك مرى كارع
٣٢٧	...	...	...	...	...	٤ - تعاليم الملك أمنمحات الاول لولده سنومرت

## الكتاب الثانى

### العلوم

#### الفصل الاول :

٣٣٣	...	...	...	...	...	المراكز الثقافية ودور الحياة
٣٣٥	...	...	...	...	...	١ - تقديم
٣٤٢	...	...	...	...	...	٢ - المراكز الثقافية الكبرى
٣٤٤	...	...	...	...	...	٣ - دور الحياة



- ٤١٩ ... .. . - النظافة العامة ...  
 ٤٢٠ ... .. . - البيت المصري ...  
 ٤٢٤ ... .. . - الامراض والتشوهات ...

### الفصل السادس :

- ٤٢٩ ... .. . الاجراءات العلاجية ...  
 ٤٣١ ... .. . ١ - التشخيص ...  
 ٤٣١ ... .. . ٢ - الاجراءات العلاجية ...  
 ٤٣٤ ... .. . ٣ - امراض النساء ...  
 ٤٣٦ ... .. . ٤ - العقاقير ...

### الفصل السابع :

- ٤٤١ ... .. . التحييط ...  
 ٤٤٣ ... .. . ١ - تقويم ...  
 ٤٤٤ ... .. . ٢ - التحييط ...  
 ٤٥٦ ... .. . المراجع المختارة ...  
 ٤٥٩ ... .. . اولاً : المراجع العربية ...  
 ٤٦٠ ... .. . ثانياً : المراجع المترجمة ...  
 ٤٦١ ... .. . ثالثاً : المراجع الاجنبية ...